



التراث والعلوم الإسلامية لكل الشعب

الرسالة القشيرية

(للإمام أبو القاسم القشيري)

النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥ هجرية

سيرة ذاتية ومنهاج
ومفاهيم صوفية
لأقطاب الصوف الإسلامي

تحقيق :

العارف بالله الامام عبد الحليم محمود
والدكتور محمود بن الشريف

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

مطابع مؤسسة دار الشعب - للطباعة والنشر

٩٦ شارع شهر العيني - القاهرة ت : ٣٥٥١٨١٠ - ٣٥٥١٨١٨ - ٣٥٤٣٨٠٠

□ الغلاف تصميم :

حسن احمد خليل

□ الأعداد الفنية :

أنور عبد الدايم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل مخلوق وخير مبعوث ،
وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

(ربنا آتينا من لدنك رحمة ؛ وهيء لنا من أمرنا رشدا)

الرسالة القشيرية

من
تراثنا
الروحي

((الرسالة القشيرية)) للامام ابي القاسم
عبد الكريم القشيري من علماء القرن الخامس
الهجري .

وفي اوائل ذلك القرن راى الامام القشيري
مناحي تنبعث منها روائح الانحراف الدبنى
ونواحي تخالف التعاليم الاصيلية وتجاوى السلوك
الاسلامى وتتناهى مع روح الدين وسماحته .

راى تعاليم الدين تنتهك باسم التصوف . .
وراى سفارات تزيف وقيما تغير ومعايير يتجه
بها فى غير اتجاهها . . راى كل ذلك يرتكب باسم
التصوف . . راى اهل القشور المظهرية ، وراى
اهل المغالاة والشطط ، وراى اهل الزيف
والجنوح . راى وجلهم يدعون انهم متصوفة
ويسيروا تحت لواء التصوف يتشدقون بالحفاظ
عليه ويزعمون انهم وحدهم هم حفظته وسدنته
ودعائه ورعائه .

وخشى القشيري ان تمتد اثواب الباطل
فتغطى وجه الحق او تبدل سماء الحقيقة بغيوم
الاكاذيب وبسحب الترهات فتحول بين اشراق
الحق او تحجب نوره ولو الى حين .

وحتى لا تصيب معالم الحق بين متاهات
الباطل ولأجل ان يضع حدا فاصلا بين التصوف
الصرف والتصوف الزائف ، اخرج هذه الرسالة
القشيرية لتكون النبع الصافى الذى يستقى منه
كل دارس للتصوف وكل مستشرق للنور ،
ويرد كل جانح او جامع الى حظيرة الحق ، ولينبى
المنهج الصوفى الصحيح وانه هو المنهج الاسلامى
بعينه لا فارق ولا لبس ولا اختلاف وان التصوف

التدين فى اسمى صوره . . والايمان فى
ايجابيته . . والاحسان فى العادة والعبادة ،
والتصوف ، كل هذه المفاهيم بمعنى واحد ،
تتكامل وتتجمع تحت ظلال كلمة واحدة . . كلمة
((الاسلام)) وكل هذه المسميات روافد فرعية
تتلاقى عند النبع الاصيل عند الشريعة الاسلامية
فى روحانياتها وسماحتها وفى اشراقها وشفافيتها .

ولقد وقر فى بعض الاذهان ان التصوف يباين
التدين او يفاير الاسلام ، وان له مفهوما سلبيا
يدعو الى الركود والركود والخمود والخمول ،
ويهدف الى العزلة والعكوف والانطواء او انه
دروشة وبهذلة ومظاهر تنفر منها الأذواق وتنبو
عنها العيون وتعزف عنها النفس الابية .

وتبليت الفكرة فى اذهان الكثيرين عن
التصوف وحقيقته وطقوسه ورسومه فحملوا على
التصوف وعلى رجاله مدعين ان هذا الامر
مستحدث فى الدين وان الشرع يعارضه
ولا يعاضده ، ومن جهل امرا عاده ، فلا جرم
ان كانت بين هؤلاء وبين اهل التصوف جفوة
او فجوة .

ولو تانى هؤلاء المتسرعون فى احكامهم على
التصوف ، ولو تزود خصوم التصوف بالاطلاع
على امهات كتب التصوف التى ارخت لرواده
وتحدثت عن خطوطه واتجاهاته لوجدوا انهم
متحاملون عليه وانهم قد تسرعوا فى الحكم من
غير ان يتسلحوا بالبرهان .

ومن امهات الكتاب التى جلت مفهوم التصوف
وفصلت فى قضيته فى حسم وحزم كتاب

التمييز بين الحلال والحرام ، واستخفوا باداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الفللات وركنوا الى اتباع الشهوات ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى ادعوا انهم تحرروا عن رق الاغلال وانهم قائمون بالحق تجرى عليهم احكامه ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يثرونه عتب ولا لوم ، وانهم كوشفوا بأسرار الاحدية وزالت عنهم احكام البشرية .. تم يقول :

ولما ابى الوقت الا استصعابا انتسفت على القلوب ان تحسب ان هذا الأمر ((أى الصوفية)) على هذه الجملة ((أى المزاعم والافتراءات)) بنى فواعده .. فالفت هذه الرسالة ..))

وفي صدر الرسالة القشيرية باب ارخ للتصوف وبين مجراه التاريخي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عهد المؤلف وابان كيف اطلقت التسمية ((بالصوفية)) وكيف نظورت خلال المائتي سنة من بدء الهجرة كما ارخ لرواد التصوف وشيوخه فترجم في صدق لنيف وثمانين شخصية صوفية وسجل احوالهم جميعا نقل عن أسانذته .

وفي نهاية حديثه عنهم قال : ((هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة ، وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة ، متصفون بسلوك طرق الرياضة ، مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبد أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه ، مفتونا ، هالكا في نفسه ، واهلك من اغتر به ممن ركن الى اباطيله .

وها نحن : أولاء نراه أيضا في اقواله السالفة تلك يعرج على تلك القضية السابقة قضية ان الدين هو التصوف لا فارق ولا اختلاف ويعرض بهؤلاء المنحرفين الذين احدثوا فراغا وهوة بين

في صفائه ونقاؤه هو الايمان المتين المكين في عنفه وقوته وايجابيته .. وهو الاسلام في سماحته وسموه .. وهو التدين في أسمى صورته ، وهو الارستقراطية الاسلامية على حد تعبير الأستاذ محقق الرسالة القشيرية الدكتور عبد الحليم محمود .

ويسوق المؤلف في كثير من مواضع الكتاب كثيرا من الأدلة والأقوال يقرن بها تلك القضية السالفة ويؤكد بها ، فهو ينقل عن البزار قوله : ((من علم طريق الحق سهل عليه اداركه ، لا دليل على الطريق الى الله الا متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في احواله وافعاله واقواله .

وقد صدر الامام القشيري رسالته بمقدمة عرض فيها بايجاز وعمق وتركيز خصائص التصوف واسسلوك الصوفي ومناخه العقيدى وتياره التاريخي ثم كشف عن نفسيات المنتفعين من السوقة المتسرلين برداء التصوف المتسترين به ليخفوا وراءه نوازعهم الشريرة ومنازعهم الآثمة .

ثم فصح حال المستهينين بالعبادة المجترئين على الله الذين تحلوا من تبعات التكليف بحجة انهم قد وصلوا وتحرروا .. وكوشفوا بالأسرار وزالت عنهم احكام البشرية فلم تبقى فيهم بقية يتعلق بها التكليف لتمام فنائهم حتى صاروا الى حالة ينتفى فيها العتب وينعدم اللوم على كل ما يصدر عنهم .

وفي نهاية المقدمة اعرب القشيري عن احساسه تجاه هؤلاء الذين حادوا عن السنة الصوفية وعن المنهج الصوفي وعن يأسه في ان يرتدرا الى الجادة . وعن ذلك يقول :

((مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء وقل الشباب الذين لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعصوا قلة المبالاة بالدين اوثق ذريعة ورفضوا

الدين وبين ما زعموه انه تصوف وخلص الى ان المتصوف هو الورع النقي هو المتمسك بأداب السنة وتعاليم الديانة .

تم يبسط القول بعد ذلك في باب خصصه لتبيان الألفاظ والمصطلحات والتعابير التي تدور في محيط الصوفيين وكان هدفه من ذلك كما قال : ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرفهم ومتبعي سنتهم » .

تم يهدف الى مفاهيم التصوف ، التي هي مفاهيم الاسلام وكياناته فيفسرها ويفصلها بعد ان يدعمها بآيات من كتاب الله ويطعمها بأحاديث من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرد أبوابا يتحدث فيها عن التوبة والتقوى وعن الورع والخشوع وعن الصبر والرضا وعن الفيرة والحرية وعن التوحيد والعبودية وعن الاخلاص والاستقامة وعن السلوك والاخلاق وغير ذلك من الكليات التي بلغ تعدادها الخمسين .

وفي باب التصوف تحدث في مقدمته عن الصوفية وهل هي اسم أو لقب ، وقال انه ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية فياس ولا اشتقاق وفند قول من قال انه مأخوذ من الصوف أو من النسبة الى الصفة أو انه مشتق من الصفاء ، ثم تحدث عن معنى التصوف واورد عدة أقوال لعديد من الأئمة ذكر منها قول الجنيد ، وقد سئل عن التصوف ، فقال هو : ان يمينتك الحق عني ويحييك به وقول « رويم » هو استرسال النفس مع الله على ما يريد وقول ذي النون عن الصوفية : هم قوم اتروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء .

تم أفرد بعد ذلك أبوابا عدة تحدث فيها عن الولي والولاية - والأولياء وافاض في معنى الولاية كما افاض وافاد وفي عرض ما قيل حول كرامات الأولياء وعصمتهم والمريدين وآدابهم .

ومؤلف تلك الرسالة هو الامام ابو القاسم عبد الكريم القشيري ، عربي من قبيلة « قشير ابن كعب » ولد في نهاية القرن الرابع الهجري

ببلاد فارس فهو عربي الأصل خرساني المولد حاطته مظاهر النعيم منذ صغره الا انه عطف الاب الذي وانه منيته بعد اسنهلال ولا هذا ، وكان يتميز بنضج ذهني يفوق سـ وبفطرة نقية وعقلية نيرة قربته من اسناذه ابي الدقاق وحربت اسناذه منه ، وانتهى الأمر بالا القشيري ، الى ان اسبح كما يقول عنه الا عبد القادر « امام مطلقا » المتكلم الاصول المفسر الأديب النحوي الكاتب الشاعر لسـ عصره وسيد وفته وكان يعرف الاصول مذهب الاشعري والفروع على مذهب الشافعي وقد توفي الامام القشيري بعد ان ترك ذخ من تواليف قيمة في ميدان التفسير والسـ والاخلاق والتوحيد والحديث وقارب ما عر من كتبه المخطوطة والمطبوعة قرابة ثلاثين كتابا وقد مات سنة ٤٦٥ هجرية بمدينة نيسابور ودفن بجوار شيخه ابي علي الدقاق .

والرسالة القشيرية طبعت فديعة لم يه لها اناقة الاخراج ولا جمال المظهر ولا كـ التحقيق ، آخر طبعة حديثة قام بتحفيظها را من رواد الصوفية في عصرنا الحالي وا من اعلامها جمع بين الثقافتين الاسلامية والأور هو الدكتور عبد الحليم محمود من الذين عاش التصوف دراسة وسلوكا ومنهجيا وتطبيقا ح اطلق عليه لقب « غزالي مصر » لهاخرج الرس في طبعة مضبوطة محققة منقحة مفعسة .

وكم نميننا ان يظهر لهذا السفر القيم طب ميسرة تفرب الكثيرين من ان ينهلوا من هـ المنهل الاسلامي ويعبوا من هذا النبع الصافي فيفيدوا بما في الرسالة من فقه وهدى واسرا وصفاء وصوفية .

وها هي ذي الامنية قد تحققت بحمد ا في هذه الطبعة التي هي الآن بين ابدى قرا الأمانل . والله الموفق وهو المعين .

الدكتور محمود بن الشريه استاذ التصوف والاخلاق بالدراسات العا بكلية الدراسات الاسلامية والعربية - جامه الأزهر

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم : « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

إن معالم الإيمان ، وسمات التدين ، والفكرة الصحيحة عن الهدف الذى من أجله خلق الإنسان ، والمنطق السليم فى الصلة بين الله والعالم . . . إن كل ذلك بكاد - فى العصر الحاضر - بـندرس ويتلاشى .

ولأنه لمن المؤكد ، أن الأغلبية العظمى من الناس الآن يسرون فى الحياة دون شعور واضح برسالة السماء ، وتوجيهها ، وهداياها ١١ وإنهم بذلك لفي خسر ، وإنهم بذلك لمن الأشقياء . ومع أن رسالة السماء ، لا تعقيد فيها ، ومع أن هدى الله سهل واضح ؛ فإن الإنسان يحاول - منذ أن كانت الرسالة الإلهية - أن ينشق عليها ، وأن يقف منها موقف المتمرد .

هذه الرسالة ، يمكن تلخيصها فى كلمة : « الإسلام » وليس هناك من تعبير ادق ، ولا أجمل من هذا التعبير ؛ إنه دقيق فى معناه ، جميل فى جرسه .

ورسالة الله إلى الإنسان : هى أن يلتقى الإنسان بقياده إلى خالقه ، هى أن يسلم الإنسان نفسه لربه . والمسلم من أسلم لله أمره ، إنه الذى يعتنق مبدأ السلام مع الله ، فإذا ما اعتنق مبدأ السلام مع الله كان قلبه سلاماً بالنسبة إلى نفسه : أى هدوءاً واطمئناناً ، وسلاماً بالنسبة إلى الله : أى رضى وغبطة ، وسلاماً بالنسبة إلى الخلق ، فيسلم الخلق - للسلام الذى بعمر قلبه - من لسانه وبده .

فإذا ما : « اسلم » الإنسان ، فقد استجاب إلى الدعوة الإلهية .



هذه الدعوة التى تتسم بالتوحيد ، والوحدة والوحدانية ، والى يعبر عنها بالإسلام : تختلف فى موقفها بالنسبة لتوجيه الإنسان ، بحسب موضوع التوجيه ؛ ذلك أنها توجه الإنسان بالنسبة للطبيعة ، للكون المادى للعالم المحس ، وفى هذا المجال تأمره أمراً ، وتفرض عليه فرضاً ، أن يغزو هذا العالم : فيصل إلى أعماق

أعماق الأرض والبحار ، ويرتفع في الأفق إلى أبعد ما يصل إليه العلم بوسائله وآلاته ،
ويغزو للفضاء فيما بين السماء والأرض ، وترك له الاختيار في استخدام الوسائل ،
لذلك : لا حرج عليه في الحرية ولا تضيق .

وموقف للدين الإسلامي من العلم واضح كل الوضوح ، فأول كلمة في
الدستور الإسلامي : « القرآن » هي : « اقرأ ... » . ثم إن الآيات القرآنية التي تحت
على العلم ، وتبين فضل العلماء كثيرة : يقول الله تعالى ، لنبيه ، صلى الله عليه
وسلم : « وقل رب زدني علماً » ، ويقول الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا للعلم درجات . . .) ويقول تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء . . .)

أما الأحاديث النبوية : فإنها هي الأخرى كثيرة ، من أجمعها : الحديث الذي
رواه أبو داود ، والترمذي ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة
لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ،
ومن في الأرض حتى الخيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على
سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً
إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وقد وضع هذا الاتجاه في القرآن ، وفي الأحاديث الشريفة ، وضوحاً بيننا ،
فاندفع الميثلون إلى البحث في جميع ميادين الحياة : روحية كانت أو عقلية
أو مادية . . .

ونشأ عن ذلك : الحضارة الإسلامية التي أنتجت أمثال : جابر بن حيان في
الكيمياء ، وابن الهيثم في الطبيعيات ، وأبي بكر الرازي في الطب ، وابن سينا في
الطب كذلك والفلسفة ، والغزالي في الجانب الروحي ، وابن رشد في الفلسفة ،
العقلية ، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ . . . وكثيرين غيرهم .

وقد أشاد كثيرون من منصفى الغربيين بالحضارة الإسلامية وبمناهجها بقول
(غوستاف لوبون) :

« ويعزى إلى بينكون ، على العموم : أنه أول من أقام التجربة والملاحظة للترا
هنا أساس المناهج العلمية الحديثة ، مقام الأستاذ . ولكنه يجب أن نعرف ، قبل
كل شيء ، بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .

ويقول العلامة المشير : « همبولد » بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة : هو أرفع درجة في العلوم : « إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً » .

ويتبين لنا من هذا أن الإسلام :

- يبحث على العلم ويشجعه ، ويدعو إليه ، ويأمر بالاستزادة منه .
- وأن روح الإسلام هذه أنتجت حضارة خصبة عمت جميع زوايا الحضارة المادية وجوانبها .



بيد أن : « إقرأ » ، أو الأمر بالعلم والثقافة في الإسلام قيّد بأن يكون : « باسم الله » ، وبذلك ينتفى الإيذاء والضرر في العلم ، وبذلك أيضاً تفرق حضارة الإسلام في هذا الجانب عن الحضارة الغربية ، فالحضارة الغربية لم تنشأ : « باسم الله » وإنما نشأت : باسم العلم . ومن أجل ذلك سخرت العلم في التنكيل ، والدمار ، والاستعمار ، وإشقاء الإنسانية ..

وحضارة الإسلام نشأت باسم الله ، ولم تنشأ باسم العلم ، ومن أجل ذلك كان هدف العلم في الإسلام إرضاء الله وإسعاد الإنسانية . هذا شأن الإسلام بالنسبة للكون المحس .

على أن : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » حينما تقيّد العلم والثقافة بأن يكونا : باسم الله ، وحينما تصبغ دراسة للكون بصبغة للتوجه إلى الله ، فانما تضعنا مباشرة أمام توجيه إلهي سافر - لا لبس فيه - يرشدنا إلى وجوب إعطاء جميع الأعمال التي نقوم بها ، صورة للعبادة : ذلك أن ما كان باسم الله ، فهو عبادة .

وإن : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » تنص على أن للقراءة لا تكون : باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة إقليمية ، ولا باسم غاية مادية أباً كانت ، ولا باسم وزير ولا أمير ، ولا باسم وطن أو بيئة ، وإنما هي : باسم الله ، وإذا كانت باسم الله ، فانها تفيد للشخص باعتباره فرداً ، وتفيد المجتمع للخاص الذي نسميه : « وطناً » ، وتفيد المجتمع الإسلامي العام ، بل وتفيد الإنسانية جمعاء .

إذا ما تجردت القراءة لله تعالى ، وكان هدفها الأول والأخير هو : « الله » : مصدر الخير والنور ، كانت : خيراً ، وكانت نوراً في جميع الأرجاء ، وفي جميع الأزمان .

وما كان يقصد للقرآن قط بهذه الكلمة الأولى ، للقراءة وحسب ، وإنما كانت للقراءة رمزاً لكل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي وكل ما بدعه الإنسان في الجانب السلبي .

إن هذه الكلمة الأولى ، تريد أن تقول : اقرأ باسم ربك . . تحرك باسم ربك ، تكلم باسم ربك ، لإعمل باسم ربك . . .

أما إذا امتنعت عن حركة أو فعل ، فينبغي أن يكون ذلك أيضاً باسم ربك ، ويكون معنى الآية في النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك كله : أسباباً وغايات لله سبحانه وتعالى .

وإذا كانت الآية للكرمة واضحة المعنى في الجانب الإيجابي ، الذي بحث على القراءة ، والذي بحث على أن تكون القراءة : باسم الله ، فإن الجانب السلبي - قد نزلت فيه - فيما بعد - آيات صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، بقول الله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه لفسق » .

وأما ما ذبح على للنصب : فلم يرد به الذابح وجه الله تعالى ، فهو أيضاً فسق ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليه ؛ فكل ما لم يذكر اسم الله عليه يجب إذن الامتناع عنه . أما الإقدام عليه ، فإنه فسق يتفاوت في درجته من الرجس ، زيادة ونقصانا .

وهكذا يضعنا الإسلام منذ « اقرأ باسم ربك » : أي منذ اللحظة الأولى من تاريخه ، على قمة الإخلاص ، وعلى قمة الإحسان ، وفي خضم من التقوى ، وعلى السنام من الصدق .

فيها دامت الحياة كلها لله ؛ فليس هناك مجال للكذب ، والرياء ، والنفاق ، والخديعة ، وإرادة غير الله بالأعمال .

ولإزالة لكل لبس في هذا الجانب ، وحيماً في أن يسير الإنسان في الحياة على بينة من أمره - فهلك من هلك عن بينة ؛ وبحيا من حي عن بينة - حدد الله ،

سبحانه وتعالى - تحدّداً واضحاً كل الوضوح - الغاية التي خلق الإنسان من أجلها ،
بقول سبحانه :

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

والإسلام يريد بذلك أن تكون حياة الإنسان في جميع اتجاهاتها ، وفي جميع جوانبها وزواياها . . حياة الإنسان أسساً وبواعث . . وحياة الإنسان وسائل ومناهج . . وحياة الإنسان أهدافاً وغايات . . . يريد الإسلام أن يكون كل ذلك : عبادة .

وليس ذلك بالأمر المستحيل ؛ فالعمل للواحد يعمل به شخص من الأشخاص ، فيكون عملاً دنيوياً ، ويعمله شخص آخر فيكون العمل دينياً .

بل إن العمل الواحد يعمل به الشخص الواحد في وقت ما ، فيكون دنيوياً ، ويعمله هو نفسه في وقت آخر فيكون عبادة ، وكل ذلك إنما هو بحسب النية ، بقول صلوات الله وسلامه عليه :

« إنما الأعمال بالنيات ؛ وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

فاذا ما أراد الإنسان بعمله وجه الله كان للعمل : عبادة مهما أغرق في الصورة للدنيوية ، وأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه في هذا الجانب كثيرة معروفة .

بيد أن العبادة من ناحية قيمتها الروحية : درجات لا تحصى ؛ إنها قد تكون شكلاً من الأشكال ، مجرد شكل ، لا قيمة لها ؛ ولا وزن في مقاييس الروح وموازينها . . وقد تسمو وتسمو ؛ فتصل إلى : « أن تعبد الله ؛ كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه ؛ فانه براك » .

ولقد كان الرسول ؛ صلوات الله وسلامه عليه ، المثل الأعلى لنا في أن نعبد الله ؛ كأننا نراه ، أو في أن نرى الله في جميع مآثي وما ندع ؛ في للكون ندله ونسخره ، وفي المجتمع نصلحه ونهذبه . . وفي العمل نتقنه ونخلص فيه . . وفي الحديث نتحرى فيه الصدق والأمانة . . .

لقد جعل الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، الحياة إلى عبادة . فكان العمل عبادة . وإن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا السعى على المعاش ، والجهد عبادة وإن أفضل الأعمال : الإيمان ، ثم الجهاد .
ولقد وصل الأمر به صلوات الله وسلامه عليه : أن جعل الأكل والشرب والمشي عبادة .

وهكذا أصبحت الحياة حركة وسكوناً لله . سبحانه . فأصبحت الحياة كلها عبادة : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ولقد وضع هذا الاتجاه منذ اللحظة الأولى للوحى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ثم إن القرآن كله فسرهُ ، ووضحته أعمال الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه : الحياة عبادة ، الأنفاس ، والحركات ، والسكنات والنوم ، واليقظة ، الحياة كلها بل ، والموت عبادة .

تلك هى حياة الصوفية ، وذلك هو معنى الدين ، وهو معنى الإسلام . وهو ما أراده الله بصرح آياته الكريمة وهدى به المستقيم .



إن توضيح هذا ونشره ، والعمل على إحياء معنى الدين ، ونشر الشعور الدينى ، وبيان معنى : « الإسلام وقيادة الأمم - من أجل سعادة الإنسانية - لتسلم وجهها لله . . . ذلك هو المهمة الأولى لعلماء الدين : أجل مهمة ، وأسمى وظيفة . . . إنها وظيفة الأنبياء والرسل .

ومن أجل ذلك ومساهمة منا فى توضيح الطريق ، نشرنا هذا الكتاب راجين الله ، سبحانه ، أن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا .

نشرنا هذا الكتاب الذى يتحدث عن الصوفية وعن التصوف .

ذلك أن الصوفية هى الطائفة التى تعبد الله - فى كل عصر - كأنها تراه .

وهى الطائفة التى تحس إحساساً واضحاً بالفكرة الدينية فى معناها العميق .

إنهم مثل عليا كاشغاص ، ومثل عليا كمرادىء إنهم أمثلة حية لما ينبغى أن يكون عليه المتدين وهم أمثلة حاولت الكمال فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتخلق باخلاق القرآن .

- ١ - وفي نشر هذا الكتاب رسم لفكرة العبودية الصحيحة ، وتوضيح لما ينبغي أن تكون عليه الصلة بين الإنسان وربه ، وبين الإنسان ومجتمعهم .
- ٢ - ومما لاشك فيه أن كل ما يقرؤه الإنسان يؤثر فيه ، ونحن إذن سعداء بالآثر الجميل الذي سيكون - باذن الله - ثمرة لنشر هذا الكتاب .
- ٣ - ولقد أحضرنا مخطوطتين للرسالة القشيرية من تونس : إحداهما بخط مشرفي ، والأخرى بخط مغربي ، وبسعدنا أن نخرج النص محققاً صحيحاً .
- ٤ - ولقد ألف الإمام القشيري ، هذا الكتاب تصحيحاً وتوضيحاً للفكرة الصوفية في سلامتها ، ونقاها . ونحن سعداء بأحياء هذا الكتاب في هذا العصر الذي شوهت فيه الفكرة عن التصوف ، وأنكر كثير من الناس - عن جهل ، أو متعمدين - المثل العليا في الأخلاق ، والمعاملات ، التي دعا إليها الصوفية .
- ٥ - ولقد كان كثير من الباحثين يتمنون أن يكون هذا الكتاب الذي يعتبر مصدراً أصيلاً من مصادر التصوف - بين أيديهم محققاً مفهرساً وبسعدنا أن نحقق لهم هذه الرغبة .

ولقد كان من تيسر الله ، لهذا العمل ، أن هذا الكتاب قد شرحه علم من أعلام الإسلام ، هو شيخ الإسلام : زكريا الأنصاري ، وكتب علم من أعلام الإسلام ، هو شيخ الإسلام : السيد مصطفى العروسي ، على الشرح حاشية نفيسة . وقد استفدنا من الشرح والحاشية واغترفنا من أنوارهما الكثير .

* * *

أما مؤلف الكتاب : فانه الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي (٣٧٦هـ - ٤٦٥هـ) .

ولد رضي الله عنه سنة : ست وسبعين وثلثمائة ، في شهر ربيع الأول ، في بلدة « إستوا » وكان سكانها من العرب الذين قدموا خراسان .

وهو عربي من قبيلة « قشير بن كعب » .

توفي أبوه وهو صغير ، فربى يتيماً ، ولكن النجاة ظهرت فيه من صغره ، فتشقف بالأدب والعربية . ولكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب إلى « نيسابور » ليتعلم طرفاً من الحساب ، حتى يتمكن من إدارة قرية له باستوا .

وارادت المقادير ، ان يحضر درس أبي علي الدقاق ، فبرى إخلاصا ويرى تقوى . وبرى نورا برسم على وجهه ، ويشرق من كلماته فينير قلوب السامعين ، ويجذبهم إلى الله . وكانت فطرة القشيري النقية على استعداد تام لسلوك الطريق ، ورأى الإمام أبو علي الدقاق فيه النجاة ، فقبله في زمرة مريديه ، ثم اصطفاه في زمرة أخصائه ، وزوجه الله ، مع كرامة أقاربها .

وانهى الأمر بالقشيري إلى أن أصبح - كما يقول عنه الإمام عبد الغافر - « الإمام مطلقا ، الفقيه ، المتكلم ، الأصولي ، المفسر ، الأدب . النحوي ، الكاتب الشاعر ، لسان عصره وسيد وقته ، وسر الله بين خلقه ، مدار الحقيقة ، وعين السعادة ، وقطب السيادة ، من جمع بين الشريعة والحقيقة ، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي . . » .

ولقد ترجم له صاحب كتاب : « دمية القصر » أبو الحسن البخاري فقال : « جامع لأنواع المحاسن تنقاد له صعباها ذلل المراسن ، فلو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ارتبط إبليس في مجلس تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب في فصل المنطق المستطاب ، ماهر في التكلم على مذهب الأشعري ، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري ، كلماته للمستفيدين فوائد وفرائد . وأعقاب منبره للعارفين وسائل . ثم إذا عقد بين مشايخ الصوفية حبوته ، ورأوا قربته من الحق وحظوته : تضاءلوا بين يديه ، وتلاشوا بالإضافة إليه ، وطواهم بساطه في حواشيه ، وانقسموا بين النظر والتفكير فيه وله شعر يتوج به رؤوس معاليه ، إذا ختمت به أذنان أماليه . . . » .

وقد كتب الإمام القشيري كثيرا من الكتب منها :

١ - الرسالة القشيرية التي تقدمها اليوم للقراء مغتبطين . كتبها المؤلف في سنة : سبع وثلاثين وأربعمائة « إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام » .

كتبها تصحيحا لأوضاع كثيرة انحرفت ، وبيانا لما ينبغي أن يكون عليه المرید الصادق .

لقد كانت هناك جوانب كثيرة في الأجواء التي تزعم أنها صوفية قد دب إليها الفساد ، وسلك بعض المدعين مسالك ، لا تمت إلى الدين ولا إلى التصوف بصلة ،

كما هو الشأن دائماً في المدعين المزيفين الذين يوجدون في كل عصر ، وفي كل ميدان ؛ فأشفق الإمام القشيري « على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر : (أي امر التصوف) على هذه الجملة قد بنى قواعده ، وعلى هذا النحو سار سلفه » .

وقاده هذا الإشفاق إلى أن يكتب هذه الرسالة ، مبيناً فيها جانبين :

الجانب الأول : سيرة رجال التصوف وبعض أقوالهم ، وذكر في هذا الجانب كثيراً من أعلام الصوفية ، كنماذج ، سر المريد على هديهم .

أما الجانب الثاني : فانه مبادئ السلوك ومناهجه . . . أوكما يقول هو بأسلوبه :

« ذكرت فيها بعض سر شيوخ هذه الطريقة في : آدابهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم وعقائدهم ، بقلوبهم ، وما أشاروا إليه من مواجيدهم ، وكيفية ترقهم من بدانتهم إلى نهائهم ؛ لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة ، ومنكم لي بتصحيحها شهادة ، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلاً ومثوبة » .

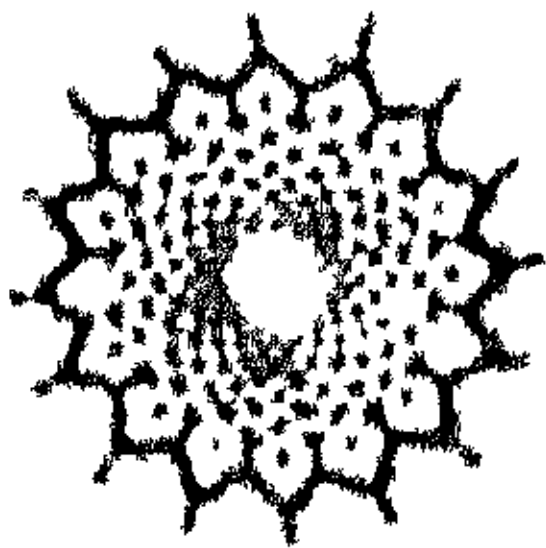
ولقد كانت هذه الرسالة ، وما تزال ، النبع الصافي الذي يستقي منه كل دارس للتصوف وكل مستشرف لحياة النور .

تلك هي الرسالة القشيرية : أما كتبه الأخرى فان له :

- ٢ - في تفسير القرآن : « لطائف الإشارات » طبع حديثاً .
- ٣ - وله كتاب « الفتوى » التي أوردتها السبكي في الطبقات .
- ٤ - وله كتاب « حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح » مخطوط بالأسكوريال .
- ٥ - وله كتاب « المعراج » في بانكيبور ، وأخرجه وحققه الدكتور حسن عبد القادر ، نشر بالقاهرة .
- ٦ - وله كتاب « شكاة أهل السنة » ذكرها السبكي في « طبقات الشافعية » كاملة .
- ٧ - وله كتاب « الفصول » وهو مخطوط بالقاهرة .
- ٨ - وله كتاب « اللمع » وهو مخطوط بالقاهرة .
- ٩ - وله كتاب « التوحيد النبوي » وهو مخطوط بالقاهرة .
- ١٠ - وله كتاب « التيسير في علم التفسير » وهو مخطوط في الهند ، وليدن .

- ١١- وله كتاب « ترتيب السلوك » لم يطبع بعد ، وموجود . مخطوط في الفاتيكان .
 - ١٢- وله كتاب « التمييز في علم التذكير » في استانبول ، وفارس ، والقبروان والقاهرة .
 - ١٣- وله كتاب « القصيدة الصوفية » مخطوط بالقاهرة .
 - ١٤- وله كتاب « الأربعين حدثا » مخطوط في لندن .
 - ١٥- وله كتاب « شرح أسماء الله الحسنى » مخطوط في : الموصل ، وفارس وتونس ، ودمشق . وله كتب أخرى .
- وقد توفي الإمام القشيري صبيحة يوم الأحد ، في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥ هـ : خمس وستين وأربعمائة بمدينة « نيسابور » ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق ، رحمهما الله رحمة واسعة .

الدكتور عبد الحليم محمود الدكتور محمود بن الشريف



رسالة الامام القشيري

إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته^(١)، وتوحد بجمال جبروته^(٢) وتعزز بعلو أحديته^(٣)، وتقديس بسمو صمديته^(٤)، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير^(٥) وتنزه في صفاته عن كل تناه وقصور^(٦)، له الصفات المختصة بحقه^(٧)، والآات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

فسبحانه من عزيز^(٨)، لا أحد يناله^(٩)، ولا عد يحثاله^(١٠)، ولا أمد^(١١) يحصره^(١٢)، ولا أحد ينصره^(١٣)، ولا ولد يشفعه^(١٤)، ولا عدد يجمعه^(١٥)، ولا مكان يمسكه^(١٦)، ولا زمان يدركه^(١٧)، ولا فهم يقدره^(١٨)، ولا وهم يصوره^(١٩).

تعالى عن أن يقال : كيف هو؟ أو أين هو؟ أو اكتسب بصنعه الزين^(٢٠)، أو دفع بفعله النقص والشين^(٢١)؛ إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(٢٢)، ولا يغلبه حي^(٢٣)، وهو الخبير للقدير^(٢٤).

- (١) ملكوته : سلطانه وملكه العظيم .
- (٢) جبروته : قهره لغيره أو جبره لكل كبير .
- (٣) صمديته : كونه المقصود في الخوائج حل الدوام .
- (٤) مضارعة كل نظير : مشابهة كل شبيه .
- (٥) وهي صفات الربوبية التي تميز بها عن خلقه .
- (٦) لا أحد يناله : لا حصر يدرك كنهه .
- (٧) لا عد يحثاله : لا كثرة تجمعها وتقدر عليه بالاحتياط .
- (٨) أمد : غاية .
- (٩) الزين : الكمال والحسن .

أحمدته على ما بولي ويصنع . وأشكره على ما نزلني^(١) ويدفع^(٢) ، وأتوكل عليه وأقنع ، وأرغبى عما يعطى ويمنع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة موقن توحيده ، مستجير بحسن تأييده .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى^(٣) ورسوله المبعوث إلى كافة الورى . صلى الله عليه وعلى آله مصاييح الدجى . وعلى أصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسليما كثيرا .

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوارن القشيري . إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام . في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

أما بعد :

- رضى الله عنكم - فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه . وفضلهم على الكافة من عباده . بعد رسله وأنبيائه . صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسرارهم . واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم .

فهم الغياث للخلق ، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق .

صفاهم من كدورات^(٤) البشرية ، ورقاهم إلى محال^(٥) المشاهدات عما تجلى لهم من حقائق الأحده . ووفقهم للقيام بأداب العبودية . وأشهدهم مجازى أحكام الربوبية^(٦) .

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا^(٧) عما منه سبحانه لهم من التقليل والتصرف .

(١) يرى : يهبس ويصنع .

(٢) يدفع : يبط ويمنع .

(٣) المجتبى : المختار .

(٤) كدورات من تدارات البشرية : ملخصهم وطهرهم من حظوظ أنفسهم ، حيث وضعهم للمجاهدة والرياسة الدائمة .

(٥) محال : أماكن ومنازل .

(٦) مجازى أحكام الربوبية : منشأ تصرفاته تعالى بهم وفي عدم من العطاء والميع والإسعاد والإفلال .

(٧) تحققوا : أى انصفوا لطائفة قلوبهم بما أهدته القدره عليه والحكمة الأثرية .

ثم رجعوا إلى الله^(١) ، سبحانه وتعالى ، بصدق الافتقار ، ونعت الانكسار ، ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال ، أو صفا لهم من الأحوال . علماً منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد ، ويختار من بشاء من العبد . لا يحكم عليه خلق ولا بتوجهه عليه مخلوق حق . ثوابه : إبتداء فضل . وعذابه : حكم بعدل . وأمره قضاء فصل (٢) .

ثم اعلموا ، رحمكم الله ، أن المحققين من هذه الطائفة انقضت أكثرهم ، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها

حصلت الفترة^(٣) في هذه الطريقة . . . لا ، بل إن درست^(٤) الطريقة بالحقيقة : مضى الشيوخ الذين كان بهم اعتداء ، وقل الشباب الذين كان لهم سيرتهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى ساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه . وارتحل عن القلوب حرمة^(٥) الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أو ثق ذريعة^(٦) ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام^(٧) . ودانوا^(٨) ترك الإحترام ، وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات ، والارتفاق^(٩) بما يأخذونه من السوق ، والنسوان ، وأصحاب السلطان .

(١) رجعوا إلى الله : عملوا بأحكام الله تعالى معبرين من الهول والقوة ، مرايين الله في حركاتهم وسكناتهم ملاحظين أنفسهم بالانكسار والافتقار إليه تعالى .

(٢) وهؤلاء الموصوفون بما ذكر ، هم : المقربون المتصفون بالإحسان . وفي الخبر الصحيح : « ما لإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » والأمة درجات متفاوتة ، وينقسمون إلى : أصحاب اليمين ، وإلى المقربين كما دل عليه القرآن الكريم ، فمن صح إيمانه وعمل بما أمر به شرعاً فهو من أصحاب اليمين ، ومن قلت غفلاته وتوالت منه نوافله وطاعاته ، وتوالت على قلبه ذكره ودهواته فهو المقرب والمحسن ، ويعبر عنه بـ « الصوفى » الذى صفاه عن الأخلاق المدمومة وتخلق بالأخلاق المحمودة ، حتى أحبه الله وحفظه في جميع حركاته وسكناته ، كما جاء في الخبر الصحيح : « ما تقرب المتقربون إلى بمثل أداء ما فرضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » (٣) الفترة : التراخى والتفريط في طريقة الصوفية .

(٤) إن درست : زالت ومحيت ، يقصد أن طريقة الصوفية في الحقيقة قد زالت معالمها من نفوس الكثيرين بعد أن غلب عليهم قلة المبالاة ومخالفتهم الشريعة .

(٥) حرمة الشريعة : احترامها .

(٦) أى جعلوا قلة الاهتمام بأحكام الدين أقوى وسيلة يصلون بوساطتها لمقاصدهم الدنيوية المنيمة .

(٧) لم يفرقوا بين الحلال والحرام . بل جمعوا بينهما من غير تفرق .

(٨) تدينوا بعدم احترام الشيخ والعالم والكبير . (٩) الارتفاق : الانقطاع .

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال . وادعوا أنهم تحرروا عن رِق الأغلال^(١) وتحققوا بحقائق الوصال^(٢) وأنهم قائمون بالحق . تجرى عليهم أحكامه . وهم محو^(٣) . وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم . وأنهم كوشنوا بأسرار الأحدث . واختطفوا عنهم بالكلية^(٤) . وزالت عنهم أحكام الشرية . وثقوا بعد فناءهم عنهم^(٥) بأنوار الصمدية ، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا . والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا . بل صرفوا .

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحث بعضه من هذه القصة وكنت لا أسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار ، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء . أو يجد مخالف لثلبهم مساعاً^(٦) ؛ إذ البلوى في هذه الدار باخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة .

ولما كنت أومل من مادة هذه الفترة أن تنحسم^(٧) . ولعل الله سبحانه بوجود بلطفه في التنبيه لن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة .

ولما أي الوقت إلا استصعباً . وأكثر أهل العصر بهذه الدار إلا تمادى فيها اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه^(٨) . .

أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر^(٩) - على هذه الجملة^(١٠) - نبي قواعده . وعلى هذا النحو سار سلفه .

(١) دعوا أنهم وصلوا إلى الحقائق العليا وخلصوا من محبة ما سوى الله ، وخلصوا أهلال الرقاب لسيدهم لغير المول . سبحانه والوصول عند الصوفية هو هذه الغاية . و ما به و هادان في أوصاف الملاح سبحانه وتعالى .

(٢) أي دعوا أنهم انصفوا بالعرب المعوى من الله .

(٣) وهذا من سوء فهمي و أي فهمي . بعد فهمي بخلق في الخلقة الله ما فهمي غير صددوا إذ عاده بخلق في الخلقة .

(٤) أي حدثت قلوبهم وأدراجهم فمحو سداً سريراً حتى لا يرى فهم منه غير الله تعالى .

(٥) أي عن أنفسهم .

(٦) أي أنفسهم بدخلاً .

(٧) أي أن نفقة الأسباب المفضية إلى الهلاك والتكاسل عما به صلاح النفس .

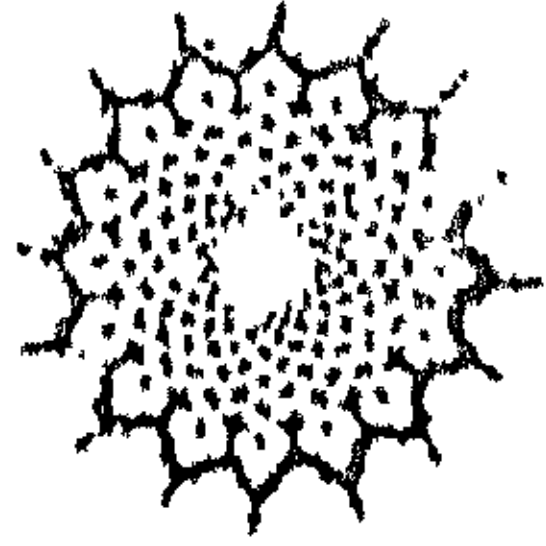
(٨) ارتادوه ، اعتادوه و التمسوا به .

(٩) وهو الوصول إلى أهل الحقائق والوصول .

(١٠) مزاعمهم وادعائهم .

فعلقت^(١) هذه الرسالة إليكم . أكرمكم الله . وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم ، وعقائدهم بقلوبهم^(٢) ، وما أشاروا إليه من مواجيدهم^(٣) ؛ وكيفية ترقيمهم^(٤) من بدائهم إلى نهايتهم ؛ لتكون لمربدي هذه الطريقة قوة ، ومنكم لي بتصحيحها شهادة^(٥) . ولي في نشر هذه الشكوى سلوة^(٦) ، ومن الله الكريم فضلا ومثوبة .

وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره ؛ وأستكفيه ؛ وأستعصمه^(٧) من الخطأ فيه ، وأستغفره وأستعينه^(٨) . وهو بالفضل جدير ، وعلى ما شاء قدر .



(١) علقت : جمعت وألفت .

(٢) وملتقداهم في قلوبهم .

(٣) مواجيدهم : ما يجده قلوبهم من الإلهامات الإلهية .

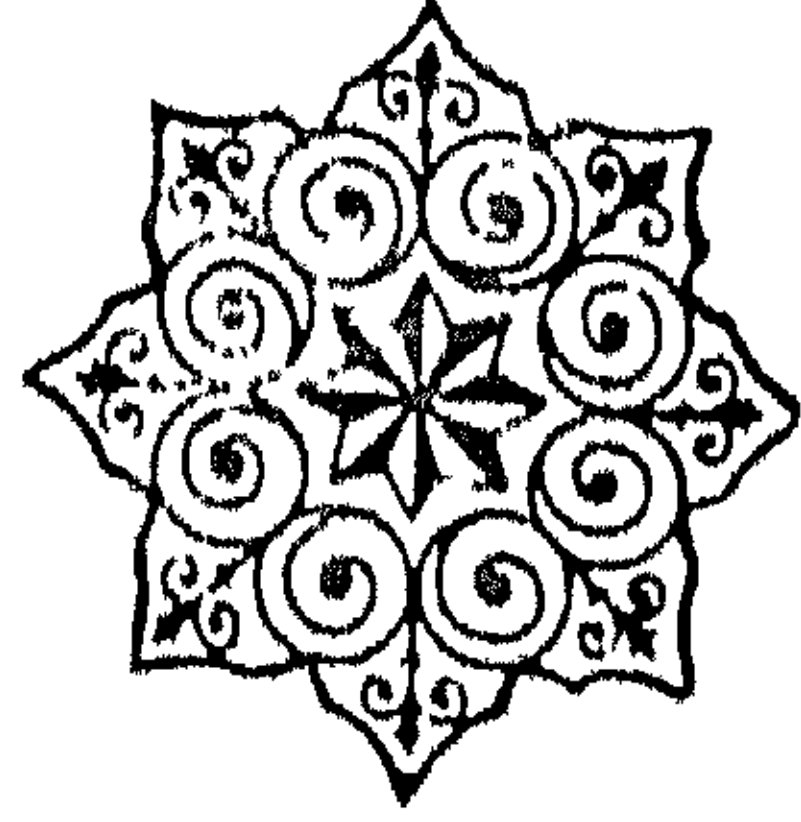
(٤) انتقالمهم من كمال إلى كمال أعلى منه .

(٥) شهادة : إقرار بأنه صحيح طريق السلف ؛ بإيضاح ما كانوا عليه .

(٦) سلوة : بنفسي لأولئك الزاعمين المدعين .

(٧) استكفيه وأستعصمه ، اطلب منه الكفاية والعصمة والحفظ .

(٨) وفي نسخة أخرى ، « وأستغفره » أي أطلب منه العفو عن الخطأ .



الباب الأول
أقطاب الصوفية
وعلم التوحيد

★ أول فرض فرضه
الله على خلقه
..... هو المعرفة

فصل

في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول (١)

إعلموا ، رحمكم الله ، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة (٢) في التوحيد ، صانوا بها عقائدهم عن البدع (٣) ودانوا (٤) بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة : من توحيد ليس فيه تمثيل (٥) ولا تعطيل (٦) ، وعرفوا ما هو حق القدم (٧) . وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم (٨) .

ولذلك قال سيد هذه الطريقة « الجنيد » (٩) ، رحمه الله : « التوحيد أفراد القدم من الحدث » (١٠) .

(١) أصول علم التوحيد ومسائله المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته ، وما يجب له وما يجوز ، وما يستحيل في حقه .
(٢) قال الشيخ العروسي في حاشيته « نتائج الأفكار القدسية » : إن الدين بستان والشرعية سياجه ، والطريقة رياضه ، والحقيقة ثمراته ، فن لا شريعة له لا دين له ، ومن لا طريقة له لا شريعة له ، ومن لا حقيقة له لا طريقة له . ثم قال : « إن طريقة الصوفية تشتمل على عشرة أشياء : أحدها حقيقة التصوف ، وهي ترجع إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، والثاني : أن مدار ذلك على أفراد القلب والقلب لله وحده ، والثالث : أنه من الدين بمنزلة الروح من الجسد ، والرابع : أن نفاذ الصوفي في وجه الكمال والنقص ، والخامس : أن نفاذ الفقه فيما يسقط الحرج ، والأصول ، فبما يصح به الإيمان وبثبوت ، فنظر الصوفي أنخص من نظرهما ولذلك صح إنكارهما عليه ، ولا يصحح إنكاره على أحدهما ، « فصول الفقهاء خير من فقيه الصوفية » . والسادس : إظهار شرف التصوف ودليله : برهائاً ونصاً ، والسابع : أن الفقه شرط في صحته ، فلذلك قدم عليه ؛ والثامن ذكر الاصطلاح واختصاصه بكل فن على حسبه ، والتاسع مفاتيح الفتح فيه أربعة أحكام : المبادئ ، وصدق الرغبة في الوصول ، والتشوف للحقائق ، وعدم التقيد بالمنقول مع التحقيق . والعاشر : أنه طريق عجب وغريب ومبناه على اتباع الإحسان دائماً ، في العقائد على اتباع السلف ، وفي الأحكام على الفقه ، وفي الفضائل على مذهب المحدثين ، وفي الآداب على ما به صلاح القلوب .

(٣) البدع جمع بدعة ، وهي ما يجري على أصول الشريعة من نص الكتاب أو الحديث ، أو الاجماع ، أو القياس .

(٤) اتخذوا ما وجدوا عليه السلف من الاعتقادات والأعمال ديناً لهم .

(٥) تمثيل : تشبيه بحادث من الحوادث .

(٦) تعطيل : أي بنى الصفات فراداً من تعدد القدماء كما ذهب إليه جماعة « المعطلة » .

(٧) أي اعتقدوا بما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل ؛ والمراد بالقدم : القديم ، وهو الله سبحانه وتعالى .

(٨) التزموا الخضوع والافتقار إليه سبحانه ، واتخذوا العبودية شعاراً ، فلم ينازحوا في شيء من أحكام الربوبية .

والموجود عن العدم ، وهو : الحادث الذي وجد بعد أن لم يكن .

(٩) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، مولده ووفاته ببغداد « ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م » وعرف بالخزاز لأنه كان يعمل الخز ، قال أحد معاصريه : ما رأيت عيناً مثله ؛ الكتابة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد . وقال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه ؛ وعده العلماء شيخ مذهب التصوف ، لغبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الدميمة محمى الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع .

(١٠) أفراده سبحانه من الحدث : أي الحدوث ، وذلك إنما يتم بعد معرفة ما يجب له تعالى ، وما يجوز وما يستحيل .

وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ، ولائح الشواهد .
كما قال أبو محمد الجربرى^(١) ، رحمه الله ، : « من لم يقف على علم التوحيد
شاهد من شواهد زت به قدم الغرور فى مهواة من التلف » يريد بذلك : أن من
ركن إلى التقليد ، ولم يتأمل دلائل التوحيد ، سقط عن سنن^(٢) النجاة ، ووقع فى
أسر الهلاك .

ومن تأمل ألفاظهم ، وتصفح كلامهم ، وجد فى مجموع اقوالهم ومتفرقاتها
ما يثق - بتأمله - بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق^(٣) عن شأو^(٤) ، ولم يعرجوا فى
الطلب على تقصير .

ونحن نذكر فى هذا الفصل جملاً من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل
الأصول .

ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه فى الاعتقاد على وجه
الإيجاز والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى^(٥) ، رحمه الله ،
يقول : سمعت عبد الله بن موسى السلمى يقول : سمعت أبا بكر الشبلى^(٦) يقول .
« الواحد : المعروف قبل الحدود^(٧) وقبل الحروف » وهذا صريح من الشبلى أن
القدم - سبحانه - لا حد لذاته^(٨) ، ولا حروف لكلامه .

سمعت أبا حاتم الصوفى ، يقول : سمعت أبا نصر الطوسى يقول : سئل روم^(٩)
عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة ؛ لقوله جل

(١) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن حسن الجربرى ، من كبار أصحاب الجنيذ توفى سنة ٣١١ هـ .

(٢) سنن طريق .

(٣) أى التحقيق للعقائد .

(٤) شأو : غاية .

(٥) من علماء المتصوفة ولد سنة (٣٢٠ هـ - ٩٤٢ م) وتوفى سنة (٤١٢ هـ - ١٠٢١ م) مولده ووفاته فى نيسابور ،
له عدة كتب منها : « حقائق التفسير » وهو مختصر على طريق أهل التصوف ، و« طبقات الصوفية » و« أدب الصاحب » و« الفتوة » .

(٦) أبو بكر دلف بن جعفر الشبلى ، بغدادى المولد والنشأة توفى سنة ٣٣٤ هـ وتفقه على مذهب الإمام مالك ؛ وصاحب الجنيذ .

(٧) الحدود : الجهات . والحروف : الأصوات .

(٨) لا حد لذاته : لا جهة تحويه .

(٩) روم هو أبو روم بن أحمد ، مات سنة ٣٠٣ هـ ببغداد ، وكان عالماً بالقرآن عارفاً بالتصوف .

ذكره : « وما خاقت الجن والإنس إلا ليعبدون ^(١) ». قال ابن عباس : إلا ليعرفون ^(٢) وقال الجنيد : إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة ^(٣) : معرفة المصنوع صانعه ^(٤) ، والمحدث كيف كان إحداثه ، فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القدم من المحدث ، ويدل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ؛ فإن من لم يعرف ماله لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

أخبرني محمد بن الحسن ، قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا الطيب المراغي يقول : للعقل دلالة ^(٥) ، وللحكمة ^(٦) إشارة ، وللمعرفة شهادة ؛ فالعقل يدل : والحكمة تشير . والمعرفة تشهد : أن صفاء للعبادات لا ينال إلا بصفاء للتوحيد .

وسئل الجنيد عن التوحيد ، فقال : أفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته : أنه الواحد ، الذي لم يلد ، ولم يولد . بنى الأضداد ، والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه . ولا تكيف ، ولا تصوير ولا تمثيل ^(٧) « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ^(٨) .

أخبرنا محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : أخبرنا عبد الله بن علي التيمي الصوفي ، يحكي عن الحسين بن علي الدامغاني ، قال : سئل أبو بكر الزاهر اباذى ، عن المعرفة ، فقال : المعرفة : اسم ، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه .

وقال أبو الحسن البوشنجي ^(٩) ، رحمه الله ، : التوحيد : أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ، ولا منفي للصفات .

-
- (١) آية ٥٦ من سورة الداريات .
 (٢) فهو تعالى إنما خلق العالم ليستدل به عليه ، كما قال تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ولهذا قيل « أعرفكم بنفسه »
 (٣) عقد الحكمة : اعتقادها .
 (٤) بصفاته التي تميزها عن سائر الممكنات .
 (٥) براهين يستدل بها على وحدانية الله سبحانه .
 (٦) الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء ، وأوصافها ، وخواصها ، وأحكامها وارتباط الأسباب بالمسببات . والعصم مقتضى ذلك كله .
 (٧) أي أن التوحيد هو اعتقاد الوحدة لله تعالى اعتقاداً ناشئاً عن نظر ، نافية الضد والند ، بلا كيف ولا صورة .
 (٨) آية ١١ من سورة الشورى .
 (٩) أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي . توفي ٣٤٨ هـ بنيسابور .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت محمد ابن محمد بن غالب قال : سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول ، قال : الحسين بن منصور : (١) ألزم الكل الحدث (٢) ، لأن القدم له . فالذي بالجسم ظهوره (٣) فالعرض يلزمه ، والذي بالأداة (٤) اجتماعه (٥) فقواها تمسكه (٦) والذي يؤلفه وقت بفرقه وقت ، والذي بقيمه غيره فالضرورة تمسه (٧) . والذي الوهم يظفر به (٨) فالتصوير يرتقى إليه ؛ ومن آواه محل أدركه أين (٩) ، ومن كان له جنس طال به مكيف (١٠) .

إنه سبحانه لا يظله فوق (١) ، ولا نقيه تحت (٢) ، ولا يقابله جد (٣) ولا يزاحمه عند (٤) ، ولا يأخذه (٥) خلف ، ولا يحده أمام ، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد (٦) . ولم يجمعه كل . ولم يوجد له كان (٧) ، ولم يفقده ليس .

وصفه : لا صفة له (١٨) . وفعله : لا علة له (١٩) ؛ وكونه : لا أمل له (٢٠) . تنزه عن

(١) هو الحلاج : أبو مغيث الحسين بن منصور . فيلسوف متعبد زاهد ؛ أصله من بيضاء فارس ؛ نشأ في العراق . ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ وتوفي سنة ٣٠٩ هـ كثرت الوشائيات به إلى المقتدر العباسي فسجن وعذب وهو صابر .

(٢) أحكم بأن جميع المخلوقات حادثة .

(٣) فالحدث الذي يدرك بالجسم .

(٤) بالأداة : بالأسباب ، كالحياة ، وغيرها .

(٥) اجتماعه ، أي : اجتماع حواسه الظاهرة والباطنة .

(٦) أي قوى هذه الأسباب تمسكه عن التفرق .

(٧) أي والذي يكون وجوده بغيره ، فشدة الافتقار إلى ذلك الغير لارمه له لزوماً ذاتياً .

(٨) يتخيله الذهن ويتعلق به .

(٩) أي ومن ثبت له التحيز والمكان جاز أن يسأل عنه بلفظ « أين » ، التي يسأل بها عن المكان .

(١٠) أي سائل « بكيف » التي يسأل بها عن الحال ، وعن تمييز أنواع الجنس الواحد .

(١١) فوق : علو ، أي ليس فوقه شيء .

(١٢) لا يحمله سفل ، لأن ذلك تحيز وهو من عوارض الأحسام والله منزّه عن ذلك .

(١٣) حد : جهة .

(١٤) عند : محل .

(١٥) يأخذه : يحده ويحصره .

(١٦) بل هو ظاهر قبل وجود الخلق وبعده .

(١٧) لا يقال في حقه تعالى وجد في وقت كذا . لحدوث الزمان والحقي - تعالى - أزلي قديم . ولثبوت قدمه لا يقبل الانتفاء

(وهذا معنى قوله لا يفقده ليس) .

(١٨) أي لا كيفية له ولا يمكن إدراك حقيقة وصفه حتى يكيف ويصور .

(١٩) علة : فرض وباعث .

(٢٠) وجوده لا نهاية له .

أحوال خلقه . ليس له من خلقه مزاج ، ولا في فعله علاج^(١) . باينهم بقدمه ، كما باينوه بحدوتهم .

إن قلت : متى^(٢) ، فقد سبق الوقت كونه^(٣) . وإن قلت : هو ، فالهاء والواو خلقه . وإن قلت . أين ، فقد تقدم المكان وجوده .

فالحروف آياته^(٤) . ووجوده إثباته^(٥) . ومعرفته توحيده^(٦) . وتوحيده تمييزه من خلقه . ما تصور في الأوهام فهو بخلافه ، كيف يحل به ما منه بدأه ؟ أو يعود إليه ما هو انشأه ؟ لا تماقله^(٧) العيون ، ولا تقابله الظنون^(٨) . قرنه كرامته^(٩) ، وبعبده إهانتة ، علوه من غير توقل^(١٠) . ومجيئه من غير تنقل^(١١) .

هو . الأول^(١٢) ، والآخر^(١٣) ، والظاهر^(١٤) ، والباطن ، القريب البعيد ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

سمعت أبا حاتم السجستاني^(١٥) يقول : سمعت أبا نصر الطوسي السراج يحكي عن يوسف بن الحسين ، قال : قام رجل بن يدى ذى النون المصرى^(١٦) ، فقال : أخبرنى عن التوحيد : ما هو ؟ فقال هو : أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وهلة كل شيء صنعه^(١٧) ، ولا علة لصنعه .

(١) معالجة بوسائط وأسباب للابتعاد .

(٢) متى : أى متى وحد .

(٣) كونه : وجوده .

(٤) أى مادة آياته ودلائله المنزلة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) لا يكتفى بمجرد الاعتقاد بوجوده ، بل لابد من إقامة الأدلة على ثبوته .

(٦) عرفت بصفات وليدة توحيده .

(٧) لا تماقل العيون : لا تراء بالفل .

(٨) لا تدرك الأوهام والعقول ؛ لقصور الحادث عن إدراك القديم حل شأنه .

(٩) قرنه بن عبده إحسان له وإكرام .

(١٠) علوه على عبده علو جلاله وعظمته ، لا علو مكان .

(١١) محيى فضله ونزول أمره من غير حركة أو انتقال .

(١٢) قبل كل شيء بلا بداية .

(١٣) بعد كل شيء بلا نهاية .

(١٤) بآثار قدرته .

(١٥) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي توفي سنة ٢٤٨ هـ ، من أهل البصرة ، عالم له نيف وثلاثون كتاباً .

(١٦) هو أبو الفيض ذر النون المصرى الإنحيمي . عالم صوفي ، وروى توفي سنة ٢٤٥ هـ .

(١٧) مدرته أو جدت الكائنات فلا صانع غيره .

وليس في السموات العلا ، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله ، وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك .

وقال الجنيد : التوحيد : علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته^(١) لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : الإيمان : تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب^(٢).

وقال أبو العباس السيارى^(٣): عطاؤه على نوعين : كرامة ، واستدراج ، فما أنقاه عليك فهو كرامة ، وما أزاله عنك فهو استدراج فقل : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى . وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته .

سمعت الأستاذ أنا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : غمز رجل رجل أبي العباس السيارى . فقال : تغمز رجلاً ما نقلتها قط في معصية الله عز وجل ١١ .

وقال أبو بكر الواسطى^(٤): من قال « أنا مؤمن بالله حقاً قيل له : الحقيقة تشير^(٥) إلى إشراف ، وإطلاع ، وإحاطة ، فمن فقد بطل دعواه فيها .

يريد بذلك ما قاله أهل السنة : إن المؤمن الحقيقي : من كان محكوماً له بالجنة^(٦) . فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى^(٧) ، فدعواه : بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة .

سمعت الشيخ أنا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا الحسن العنبرى يقول : سمعت سهل بن عبد الله التستري^(٨) يقول : ينظر إليه ، تعالى ، المؤمنون^(٩) بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهابة .

(١) منفرد في أزليته ، لأنه كان ولا شيء معه .

(٢) أى جزم القلوب وتصديقها بحقيقة الذى أعلمه الحق لنبيه من الأحكام والشرائع الى كانت نعد قبل البعثه بما غاب عن الخلق ، ولم تعلم إلا بوساطته صلى الله عليه وسلم .

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطى ؛ عالم كبير من خراسان من كبار اتباع الحنبل توفى بمرور سنة ٣٢٠ هـ .

(٥) تشير : تستلزم . والمراد من العبارة أن الإيمان المجرد عن النظر الصحيح المؤدى إلى التصديق بكل ما جاء من عند الله لا ينفع وأن من لم يحصل له اعتقاد صحيح مستند إلى نظر قوى بطلت دعواه بأنه مؤمن بالله حقاً .

(٦) لاستناده إلى البرهان القوى الذى أوصله إلى الإيمان الحقيقي .

(٧) بأن نطق بالإيمان بلسانه مع خلو قلبه عن معانيه فدعواه غير صحيحة ؛ إذ النطق باللسان مع خلو القلب عن معاني الإيمان لا يكفى في الخروج من أسر الجهالات والضلالات .

(٨) صوفى ورع ، لقي ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة ، توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ .

(٩) فى الآخرة لقوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة .

وقال أبو الحسن النوري^(١) : شاهد الحق التناوب ، فلم يرفلنا شوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكاملة .

سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك^(٢) ، رحمه الله تعالى يقول : سمعت محمد بن محبوب - خادماً أبي عثمان المغربي - يقول : قال لي أبو عثمان المغربي يوماً :

يا محمد ، لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ إيش تقول ؟ .

قال : قلت : أقول حيث لم يزل^(٣) .

قال : فان قال : أين كان في الأزل^(٤) ؟ إيش تقول ؟ .

قال : قلت : أقول حيث هو الآن ، معنى : أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان^(٥) .

قال . فارتضى مني ذلك ، ونزع قميصه وأعطانيه .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي ، يقول . كنت أعتقد شيئاً من حدث العجوة^(٦) ، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي^(٧) ، فكتبت إلى أصحابنا بمكة : أتى أسلمت الآن إسلاماً جديداً .

سمعت محمد بن الحسن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول ، وقد سئل عن الخلق ، فقال : قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة^(٨) .

وقال الواسطي : لما كانت الأرواح والأجساد قاذماً بالله^(٩) ، وظهرت له لا بدواتها ، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بدواتها ، إذ الحركات والخطرات فروع

(١) هو : أبو الحسن أحمد بن محمد النوري . بغدادى الموأ والمنشأ . من أقران البعيد ، قال الخطيب البغدادي : هو أعلم العراقيين بلطائف القوم . توفى سنة ٢٩٥ هـ .

(٢) الأنصارى الأصهبانى ، من كبار الصوفية وفقهاء الشافعية . توفى على مقربة من نسا بور ودفن بها سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) أى على الحالة والصفة اللاتيفين به فيما لا يزال من الزمن المتجدد .

(٤) على أى صفة كونه في القدم ؟

(٥) لا مكان له ولا زمان .

(٦) أى كنت أمل إلى القول بالجهه له تعالى وأنه تعالى على العرش .

(٧) بعد أن سمع كلام المحققين والبراهين الدالة على تنزيهه عن الجهة .

(٨) تصرفهم قدرة الله ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرراً .

(٩) وجدت بقدرة .

الآجساد والأرواح^(١). صرح بهذا الكلام أن أكساب العباد^(٢) مخلوقة لله تعالى ، وكما أنه لاخالق للجواهر إلا الله تعالى ، فكذلك لاخالق للأعراض إلا الله تعالى .

سمعت الشيخ آبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد ابن عبد الله يقول : سمعت آبا جعفر الصيدلانى يقول : سمعت آبا سعيد الخراز^(٣) يقول : من ظن أنه بذل الجهد^(٤) يصل إلى مطلوبه فتمتع^(٥) ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فتمتن .

وقال الواسطى : المقامات^(٦) أقسام قسمت^(٧) ، ونعوت أجبرت ، كيف تستجلب بحركات ؟ أو تنال بسعادات ؟^(٨).

وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو لله ، فقال : الكفر والإيمان ، والدنيا والآخرة : من الله ، وإلى الله ، وبالله ، والله : من الله إبتداء وإنشاء ، وإلى الله مرجعاً وانتهاء ، وبالله بقاء وفناء ، والله ملكاً وخلقاً .

وقال الجنيد : سئل بعض العلماء عن التوحيد ، فقال : هو اليقين .

فقال السائل : بين لى ما هو ؟

فقال : هو : معرفتك ، أن حركات الخلق وسكونهم ، فعل الله عز وجل ، وحده ، لا شريك له . فاذا فعلت ذلك فقد وحدته .

(١) الحركات تابعة للأجسام ، والخواطر تابعة للأرواح ، والأرواح والأجسام موجودة بقدره الله ، وهى أصل ، والحركات والخواطر فرع ، ومائتة للأصل من كونه وجد بقدره الله يثبت كذلك للفرع .

(٢) أكساب العباد : أفعالهم البدنية والقلبية .

(٣) هو : أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، من بغداد توفى سنة ٢٧٧ هـ . شيخ الصوفية . عارف بالله ، صاحب ذا النون المصرى وغيره من أقطاب الصوفية له كتاب « الطريق إلى الله » وغيره . .

(٤) الجهد : بفتح الجيم وضمها : الطاقة .

(٥) منعن : متعب نفسه ، مجهد لها . وقال الشيخ العروسى « إن الوصول بمعنى القرب من رحمة سبحانه وتعالى ، لا يلزم ترتيبه على العمل ، بل الاعتبار بما سبق به القضاء الأزل ، مما لا إلاداع لنا عليه ، وحينئذ فلا يصح الاعتماد على خير العمل ، ولا القنوط من شره ، لجهل المقدر . فعلى العبد الامتثال مع التفويض إليه تعالى ، وغاية الأمر أن الاستقامة على الأعمال الخيرية علامة على حسن العاقبة .

(٦) المقامات : الطرق الموصلة إليه تعالى كالزهد والورع وغيرها .

(٧) قسمت : قدرت بتقدير الله .

(٨) ومادامت الأعمال والحركات لا توصل إلى الدرجات العالية ، فاللازم فى حق العبيد القيام بمقتضى الأمر والنهى مع تفويض القبول وعدمه إلى الله تعالى ، حتى يدوم لهم الخوف والرجاء اللذان بهما تتحقق لهم العبودية .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الواحد بن علي ، يقول : سمعت القاسم بن القاسم يقول : سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول : سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول : سمعت ذا النون المصري يقول ، وقد جاءه رجل فقال : ادع الله لي فقال :

إن كنت قد أيدت في علم الغيب^(١) بصدق التوحيد ، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك ، وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى^(٢) .

وقال الواسطي : ادعى فرعون الربوبية على الكشف^(٣) ، وادعت المعتزلة على الستر ، تقول : ما شئت فعلت^(٤) .

وقال أبو الحسين النوري : التوحيد : كل خاطر يشير إلى الله تعالى ، بعد أن لاتزاحمه خواطر التشبيه .

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت عبد الواحد بن بكر ، يقول : سمعت هلال بن أحمد يقول . سئل أبو علي الروذباري^(٥) عن التوحيد ، فقال :

للتوحيد : إستقامة القلب باثبات مفارقة التعطيل ، وإنكار التشبيه ، والتوحيد في كلمة واحدة . كل ما صورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه ، لقوله تعالى « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »^(٦) .

وقال أبو القاسم النصراباذي^(٧) : الجنة باقية ببقائه ، وذكره لك ، ورحمته ، ومحبه لك باق ببقائه . فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق ببقائه^(٨) .

(١) أى في علم الله .

(٢) أى وإن لم تكن مؤيداً في علم الغيب ، فمجرد الدعاء لا ينتج حصول المطلوب بعينه ، كمجرد نداء الفريق بدون اتخاذ الأسباب لإخراجه من الغرق .

(٣) أى بصريح العبارة حيث قال « أنا ربكم الأعلى » .

(٤) المعتزلة . ذهبوا إلى أنهم خلقوا أفعالهم الاختيارية ، وقالوا ، « ما شئنا فعلنا » والحق أنه لا يفعل ما يشاء إلا الحق سبحانه وتعالى

(٥) هو : أبو علي أحمد بن محمد الروذباري ، أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ هـ وولد ببغداد . كان إماماً من أئمة الصوفية وأعلم أهل زمانه بها .

(٦) آية ١١ من سورة الشورى .

(٧) هو : أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي ، كان محدثاً زاهداً ورعاً وكان في علم التصوف إماماً ، مات بمكة سنة ٣٦٦ هـ .

(٨) البقية : وما أعده الله فيها للمؤمنين ، كل ذلك من الذي يبقى بإعتناء الله تعالى له . وبجبة الله ، وذكره لعهده ، من الذي يبقى بإعتناء الذات ، فالله الغافل وأشرف من الأول .

وهذا الذى قاله الشيخ أبو القاسم النصراباذى ، هو غاية فى التحقيق ؛ فان أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه . باقيات ببقائه تعالى . فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقي باق ببقائه . بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق^(١) « فيخالفوا الحق » .

أخبرنا محمد بن الحسين ؛ قال : سمعت النصراباذى يقول : أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات ، وكلاهما صفته تعالى ، على الحقيقة ، فاذا هيملك^(٢) فى مقام التفرقة قرنك بصفات فعله ، وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته . وأبو القاسم النصراباذى كان شيخ وقته .

سمعت الإمام أبا اسحق الاسفراينى ، رحمه الله ، يقول : لما قدمت من بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح ، وأشرح القول فى أنها مخلوقة ، وكان القاسم النصراباذى قاعداً متباعداً عنا ؛ يصغى إلى كلامى ، فاجتار بنا بعد ذلك يوماً - بأيام قلائل ، فقال لمحمد الفراء : إشهد أنى أسلمت جديداً على يد هذا الرجل ، وأشار إلى^(٣) .

سمعت محمد بن الحسين السلمى ، يقول : سمعت أبا حسين الفارسى يقول : سمعت ابراهيم بن فاتك يقول : سمعت الجنيد يقول : متى يتصل من لاشبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ! ؟ ههنا هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا أدرك ، ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان .

أخبرنا محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : حدثنى أحمد بن محمد بن على البردعى ، قال : حدثنا طاهر بن اسماعيل الرازى ، قال : قيل ليحيى بن معاذ : أخبرنى عن الله عز وجل .

فقال : إله واحد .

فقيل له : كيف هو ؟

فقال : ملك قسادر .

(١) من أنه لا يبقى شئ ببقائه . والغرض مما قاله الشيخ : أنه ينبغي للعبد أن يكون مشغولاً بنيل ذكر الله له . ومحبه له وشرف منزلته عنده ، دون ما يخلقه له من كرامة دنيوية أو أخروية .

(٢) هيملك : فرق قلبك ووزعه .

(٣) لأنه كان يعتقد قدم الروح ، فلما سمع منه أدلة على أنها صرح بذلك التصريح السابق .

فقيل : أبن هو ؟

فقال : هو بالمرصاد .

فقال السائل : لم أسألك عن هذا . .

فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق . فأما صفته فما أخبرتك عنه .

وأخبرنا محمد بن الحسن ، قال : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كل ما توهمه^(١) متوهم بالجهل أنه كذلك فالعقل يدل على أنه بخلافه .

وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى : مع^(٢) .

فقال : مع ، على معنيين : مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة^(٣) ، قال الله تعالى : « إني معكما أسمع وأرى »^(٤) .

ومع العامة بالعلم والإحاطة^(٥) ، قال تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راعهم »^(٦) .

فقال ابن شاهين : مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله .

وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

فقال : أثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمه ، كما شاء سبحانه .

وسئل الشبلي^(٧) عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » . فقال :

الرحمن لم يزل^(٨) ، والعرش ممتد والعرش بالرحمن استوى^(٩) . وسئل جعفر

(١) توهمه : تخيله . وكل تخيل بالنسبة لله تعالى إما هو وهم .

(٢) فيما فيه المعية من الله بالنسبة إلى خلقه ، نحو قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » وفوا « إن الله مع الذين اتقوا » .

(٣) الكلاءة : الحفظ . . (٤) آية ٤٦ من سورة طه .

(٥) وهذا التفسير ظهر استحالة أن يكون معنى « المعية » المصاحبة أو المجاورة أو المداناة .

(٦) آية ٧ من سورة المجادلة .

(٧) هو : أبو بكر دلف بن جعفر الشبلي ، بن دادي المولد والمنشأ ، ولد سنة ٢٤٧ هـ وتوفي سنة ٣٣٤ هـ ، صاحب الجنييد ، وكان إمام زمانه علماً وورعاً ومعرفة .

(٨) أي قديم .

(٩) أي والعرش بقدرة الرحمن استوى ، فهو تعالى مستغن عنه وعن غيره ، وإنما خلقه إظهاراً لعظمته ، لا مكاناً لذاته ، لتعاليه عن ذلك .

ابن نصير عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فقال : استوى علمه بكل شى فليس شىء أقرب إليه من شىء . وقال جعفر الصادق (١) : من زعم أن الله فى شىء ، أو من شىء ، أو على شىء ، فقد أشرك ، إذ لو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان فى شىء لكان محصورا ، و لو كان من شىء لكان محدثا (٢) .

وقال جعفر الصادق أيضا فى قوله « ثم دنا فتدلى » : من توهم أنه بنفسه دنا جعل تم مسافة ، إنما التدانى أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف (٣) إذ لا دنو ولا بعد . و رأيت بخط الأستاذ أبى على أنه قيل لصوفى : أين الله ؟ .

فقال : أسحقك الله . . تطلب مع العين أن ؟ .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول : سمعت أبا القاسم بن موسى يقول : سمعت محمد بن أحمد يقول : سمعت الأنصارى (٤) يقول : سمعت الخراز يقول :

حقيقة القرب : فقد حس الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن على الحافظ يقول : سمعت أنا معاذ القزوينى يقول : سمعت أنا على الدلال يقول : سمعت أنا عبد الله بن قهرمان يقول : سمعت إبراهيم الخواص (٥) يقول :

إنهيت إلى رجل ، وقد صرعه الشيطان ، فبجعت أؤذن فى أذنه ، فنادانى الشيطان من جوفه : دعى أقتله ؛ فانه يقول : القرآن مخلوق .

وقال ابن عطاء (٦) : إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا له ، فلما خلق

(١) هو : أبو عبد الله ، جعفر ، بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين الهاشمى ، سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ، كان من التابعين وعنه أخذ جماعة منهم : أبو حنيفة ومالك وجابر بن حبان ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٤٨ هـ .

(٢) سئلت أم سلمة رضى الله عنها عن قوله « الرحمن على العرش استوى » فقالت : الكف غير معقول ، والا ستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والجحود له كفر .

وسئل عنه الإمام مالك رضى الله عنه فقال : « الا ستواء منه غير مجهول والكيف به غير معقول . والإيمان به سنة والسؤال عنه بدعة » .

(٣) قرب منه بقلبه ومناحاته ، بعدت عنه أنواع المعارف الدنيوية الحسية : الاشتغاله بمولاه لا بما عداه .

(٤) هو : أحمد بن عمر بن محمد الأنصارى المرسى .

(٥) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص ، لازم الجنيد ، وتوفى سنة ٢٩١ هـ .

(٦) أحمد بن عطاء الروذبارى .

آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر^(١)، ولم يثب ذلك السر في احد من ملائكته ، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات ، فجعلها الله صوراً لها^(٢). صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة .

وقال سهل بن عبد الله : إن الحروف لسان^(٣) فعل ، لا لسان ذات ؛ لأنها فعل^(٤) في مفعول^(٥) .

قال : وهذا أيضاً تصريح بأن الحروف مخلوقة .

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب ، قال : هذا قول أهل الأصول ، إن الكلام هو المعنى الذى قام بالقلب من معنى الأمر والنهى ، والخبر ، والاستخبار .

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضاً : تفرد الحق بعلم الغيوب ، فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون : أن لو كان كيف كان يكون .

وقال الحسين بن منصور : من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه^(٦) : لم ، وكيف .

أخبرنا محمد بن الحسين ، قال : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد .

وقال الواسطي : ما أحدث الله شيئاً أكرم من الروح . صرح بأن الروح مخلوقة . قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم^(٧) ، رحمه الله : دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق^(٨) في مسائل الأصول . وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية : روجنا عما أثرناه من الإيجاز والاختصار .

* * *

(١) علمه إياه .

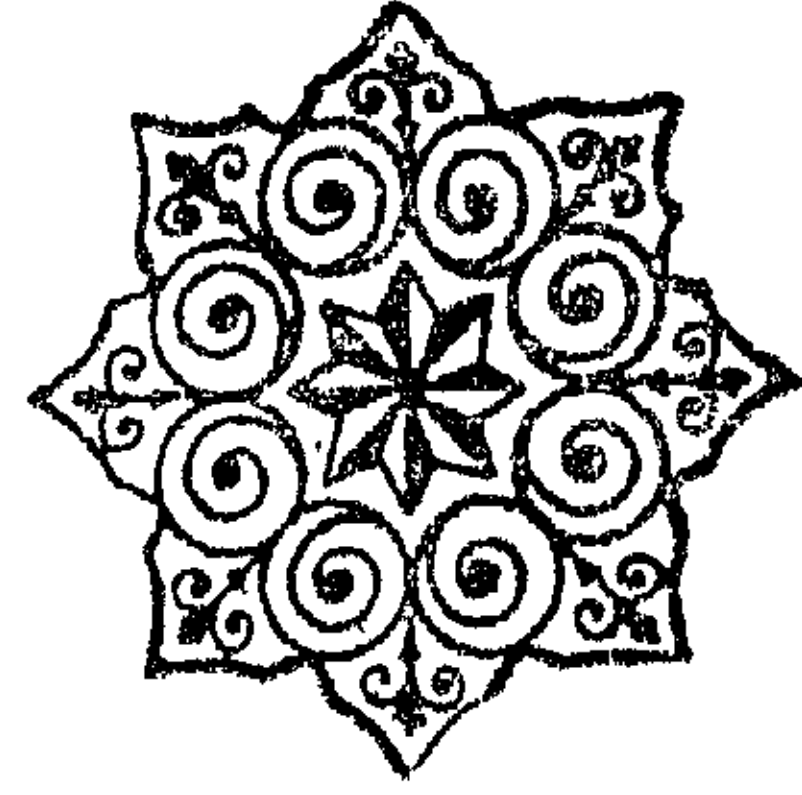
(٢) أى أصبحت هذه الحروف قوالب المعاني على حسب اختلاف اللغات .

(٣) أى دالة . (٤) أى مخلوق من جملة ما خلق .

(٥) أى في مختلف اللغات .

(٦) أى سقط عنه الاعراض على ما يشاهده ، ولم يمع منه سؤال بلم كان كذا ؟ ، أو كيف كان كذا ؟ .

(٧) القشيري . (٨) أهل السنة والجماعة .



الباب الثاني
بيات عمائد أقطاب
التصوف في مسائل التوحيد

★ لا يجرى في سلطانه

الا ما يشاء .. ولا

يحصل في ملكه غير ما

سبق به القضاء ..

فصل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم ، أدام الله عزه :

وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد

ذكرناها على وجه الترتيب .

قال شيوخ هذه الطريقة ، على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ، ومجموعاتها ،
وهي صفاتهم في التوحيد :

إن الحق ، سبحانه وتعالى : موجود ، قديم (١) ، واحد (٢) ، حكيم (٣) ، قادر (٤) ،
عليم (٥) ، قاهر (٦) ، رحيم ، مريد ، سميع ، مجيد ، رفيع (٧) ، متكلم ، بصير ،
متكبر (٨) ، قدس ، حي ، أحد ، باق (٩) ، صمد (١٠) .

وأنه عالم بعلم ، قادر بقدرة ، مريد بإرادة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ،
متكلم بكلام ، حي بحياة ، باق ببقاء .

وله بدان هما صفتان ، يخلق بهما ما شاء ، سبحانه ، على التخصيص .

وله الوجه (١١) . وصفات ذاته (١٢) مختصة بذاته ، لا يقال هي هو ، ولا هي أغيار
له ، بل هي صفات أزلية (١٣) ، ونعوت سرمدية (١٤) ، وأنه إحدى الذات ، ليس بشبه
شيئاً من المصنوعات ، ولا بشبه شيء من المخلوقات ، ليس بجسم ، ولا جوهر
ولا عرض ، ولا صفاته أعراض ، ولا يتصور في الأوهام ، ولا يتقدر في العقول ،
ولا له جهة ولا مكان ، ولا يجري عليه وقت وزمان ، ولا يجوز في وصفه زيادة
ولا نقصان ، ولا يخصه هيئة وقد (١٥) ، ولا يقطعه (١٦) نهاية وحد ، ولا يحله حادث ،

(١) قديم : لا أول لوجوده .

(٢) واحد : لا ثاني له في الألوهية .

(٣) حكيم : يضع الشيء في موضعه .

(٤) قادر : لا يمحزه شيء .

(٥) عليم : لا يعزب عن علمه شيء .

(٦) قاهر : غالب .

(٧) رفيع : عظيم .

(٨) متكبر : متعظم ومتعال على غيره .

(٩) باق : باق على الدوام فلا يلحقه العدم .

(١٠) صمد : مفقود .

(١١) الوجه : الذات ، وفي نسخة : الوجه الجميل .

(١٢) كالعالم والقدرة ، مختصة بذاته لا تتجاوزها إلى غيره ، لأنها قديمة ، وغيره حادث والقديم لا يتعلق بالحادث .

(١٣) أزلية : قديمة ، نسبة إلى الأزل وهو القدم .

(١٤) أوصاف دائمة .

(١٥) هيئة وقد : كيفية ومقدار .

(١٦) يقطعه : يبدله .

ولا يحمله على الفعل باعث^(١) ، ولا يجوز عليه لون ولا كون ، ولا ينصره مدد ولا عون ، ولا يخرج عن قدرته مقدور ، ولا ينفك عن حكمه مفطور^(٢) ، ولا يعزب^(٣) عن علمه معلوم ، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم. لا يقال له : أين ، ولا حيث ، ولا كيف^(٤) ، ولا يستفتح له وجود : فيقال : متى كان : ولا ينتهى له بقاء : فيقال إستوفى الأجل والزمان . ولا يقال : لم فعل ما فعل ؛ إذ لا علة لأفعاله^(٥) ، ولا يقال ماهو ، إذ لا جنس له فيتميز بأماراة عن أشكاله^(٦) . يرى لاعن مقابلة ، ويرى غيره لاعن مما قلة ، ويصنع لاعن مباشرة ومزاولة . له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، يفعل ما يريد ، وبذل حكمه العبيد ، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء ، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء ، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون . وما علم أنه لا يكون ، مما جاز أن يكون : أراد أن لا يكون . خالق أكساب العباد : خيرها وشرها . ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار : قلها وكثرها . ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه .

ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه ، ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، بما أزاح به العذر ، وأوضح به اليقين والنكر ، وحافظ بيضة^(٧) الإسلام بعد وفاته ، صلى الله عليه وسلم ، بخلفائه الراشدين ، ثم حارس الحق وناصره مما يوضحه من حجج الدين على السنة أوليائه ، عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة ، وحسم مادة^(٨) الباطل بما نصب من الدلالة ، وأنجز ما وعد من نصره الدين بقوله : «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(٩) فهذه : فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز . وبالله التوفيق .



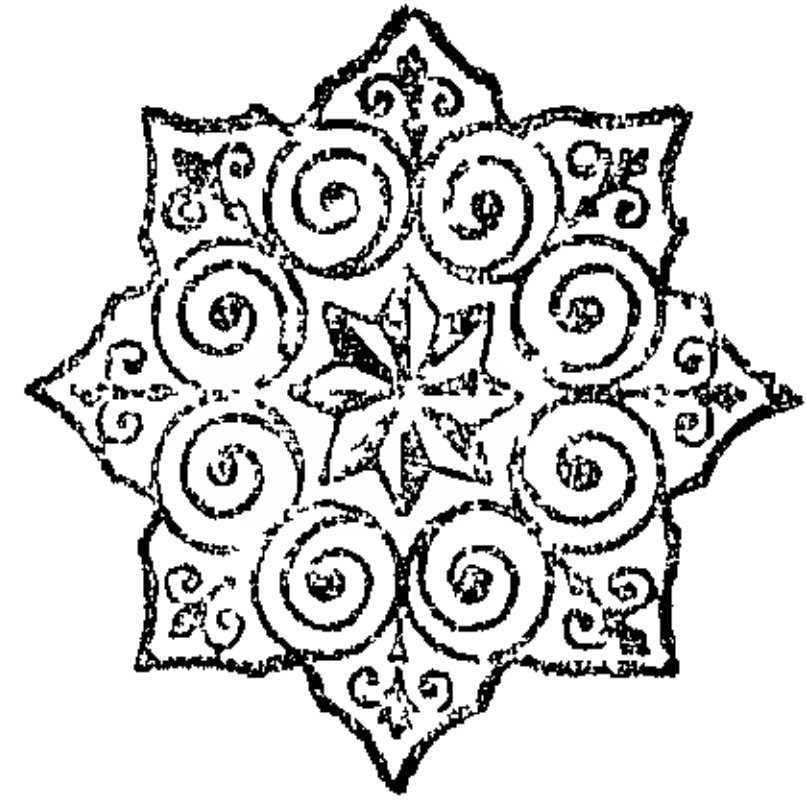
(١) لأنه منزّه عن الغرض والعلة إن كانت أفعاله لا تخلو من حكمة .

(٢) مفطور : مخلوق . (٣) يعزب : يفتيب .

(٤) لأنه منزّه عن المكان والكيفية . (٥) لا يسأل عما يفعل .

(٦) أشكاله : أمثاله . (٧) عزه وجاعته .

(٨) مادة : أصل ومنشأ . (٩) آية : ٣٣ من سورة التوبة .



الباب الثالث
في ذكر مشايخ الطريقة
وسيرهم وأقوالهم في
تفطيم الشريعة

باب

فى ذكر مشايخ هذه الطريقة (١)

وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة (٢)

إعلموا ، رحمكم الله تعالى ، أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم ، سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
إذ لا فضيلة فوقها ، فقليل لهم : الصحابة .

ولما أدركهم أهل العصر الثانى سُمى من صحب الصحابة : التابعين . ورأوا فى
ذلك أشرف سمة (٣) . ثم قيل لمن بعدهم : أتباع التابعين .

تم اختلف الناس ، وتباينت المراتب ، فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية
بأمر الدين : الزهاد والعباد .

تم ظهرت البدع ، وحصل التداعى (٤) بن الفرق ، فكل فرق ادعوا أن فهم
زهاداً .

فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم (٥) مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم
عن طوارق الغفلة ، باسم « النصوف » .

واشهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

ونحن نذكر فى هذا الباب أسامى جماعة من شيوخ هذه الطريقة ، من الطبقة
الأولى إلى وقت المتأخرين منهم ، ونذكر جملاً من سيرهم ، وأقوالهم ، بما يكون
فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم إن شاء الله تعالى .

(١) أى الطريقة المعنوية المعبر بها عن القيام بوظائف العبادات ، والمتوصل بها إلى المقامات : كالزهد والورع وغيرهما .

(٢) الشريعة : ما شرع الله لعباده من الدين . (٣) سمة : علامة .

(٤) التداعى : التنازع .

(٥) الدائمون على الاشتغال بالعبادة مع المراقبة ، ولا يخرج لهم نفس إلا حاسبوا أنفسهم عليه .

أبو اسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور

من كورة بلخ ، رضى الله تعالى عنه .

كان من أبناء الملوك ، فخرج يوماً متصيداً ، فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو فى طلبه ، فهتف به هاتف^(١) : يا ابراهيم ، ألهذا خلقت ، أم بهذا امرت ؟ .

ثم هتف به أيضاً من « قربوس »^(٢) سرجه : والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت .

فتزل عن دابته .

وصادف راعياً لآبيه ، فأخذ جبة للراعى من صوف ، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ، ثم إنه دخل البادية ، ثم دخل مكة ، وصحب بها سفيان الثورى^(٣) .

والفضيل^(٤) بن عياض ، ودخل الشام ومات بها .

وكان يأكل من عمل يده ، مثل : الحصاد ، وحفظ البساتين ، وغير ذلك .

وأنه رأى فى البادية رجلاً علمه « اسم الله الأعظم » فدعا به بعده^(٥) ، فرأى الخضر عليه السلام ، وقال له : إنما علمك اخى داود اسم الله الأعظم .

(١) من ملك أو خاطر وقع فى قلبه ملهماً .

(٢) القربوس (بفتح القاف) حنو السرج أى : قسمه المقوس المرتفع من قدام المعقد ومن مؤخره .

(٣) هو : سفيان بن سعيد الثورى ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ وكان عالماً عابداً راهداً . كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث . وكان لا يعلم أحداً العلم إلا إذا تعلم الأدب والتزمه ، وكان يقول : إذا فسد العلماء فن بى فى الدنيا يصلحهم ؟ ثم ينشد :

يامعشر العلماء ياملح البلد من يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وكان إذا جلس للعلم ، وأعجبه منطقة ، يقطع الكلام - خوفاً من الغرور - ويقوم ويقول : خدنا ونحن لا نشعر ، وكان يملى الحديث ، ويقول : والله لورأتى عمر بن الخطاب لضربى بالدرة وأقام لى ، وقال « مثلك لا يصلح للحديث » .

وكان يقول للناس - إذا طلبوا منه الحديث : والله ما أرى نفسى أهلاً لإملاء الحديث ، ولا أهلاً لأن نسمعوه ومماثل ومثلكم إلا كما قال القائل : « افتضحوا فاصطلحوا » . وكان قد امتنع من الجلوس للعلم مفيل له فى ذلك ، فقال : « والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم فى بيوتهم وعلمهم . ولكن إنما يريدون به المباهاة وفولهم حديثنا سفيان » . وكان رحمه الله أهلم هذه الأمة وأعبدتها وأزهدتها .

(٤) هو أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى . شيخ الحرم من أكابر العماد الصالحاء . كان ثقة فى الحديث . أخذ عنه الإمام الشافعى . ومولده فى سمرقند سنة ١٠٥ هـ وتوفى بمكة سنة ١٨٧ هـ .

(٥) أى بعد انصراف الرجل .

أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال : حدثنا محمد ابن الحسين بن الخشاب قال : حدثنا أبو الحسن علي بن محمد المصري ، قال : حدثنا أبو سعيد الخراز قال : حدثنا إبراهيم بن بشار قال : صحبت إبراهيم بن أدهم ، فقلت : خبرني عن بدء أمرك . فذكر هذا .

وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع ، يحكى عنه أنه قال : أطب مطعمك ، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار . وقيل : كان عامة (١) دعائه : « اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك » وقيل لإبراهيم بن أدهم . إن اللحم قد غلا . . .

فقال : أرخصوه . أي : لا تشروه . وانشد في ذلك :
وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
أخبرنا محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت محمد بن حاتم يقول : سمعت أحمد بن خضروية يقول : قال إبراهيم ابن أدهم لرجل في الطواف :

اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :
أولها : تغلق (٢) باب النعمة ، وتفتح (٣) باب الشدة .
والثانية : تغلق باب العز ، وتفتح باب الذل .
والثالثة : تغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجهد .
والرابعة : تغلق باب النوم ، وتفتح باب السهر .
والخامسة : تغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقر .
والسادسة : تغلق باب الأمل ، وتفتح باب الاستعداد للموت .
وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرماء ، فر به جندي ، فقال : أعطنا من هذا العنب فقال : ما أمرني به صاحبه .
فأخذ يضربه بسوطه ، فطأ رأسه وقال :

إضرب رأساً طالما عصى الله . فاعجز الرجل ومضى .
قال سهل بن إبراهيم : صحبت إبراهيم بن أدهم ، فرضت ، فأنفق على نفقته فاشتهت شهوة ، فباع حماره وأنفق على تمنه . فلما تماثلت ، قلت :
يا إبراهيم ، أين الحمار ؟ ، فقال : بعناه ، فقلت : فعلى ماذا أركب ؟ فقال :
يا أخي على عنقي . فحملني ثلاث منازل .

أبو الفيض ذو النون المصري

واسمه : ثوبان بن إبراهيم ، وقيل الفيض بن إبراهيم . وأبوه كان نوبياً (١) .
توفي سنة : خمس وأربعين ومائتين . فائق في (٢) هذا الشأن ، وأوحد وقته علماً ،
وورعاً ، وحالاً ، وأدباً .

سعوا به إلى المتوكل ، فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه وعظمه فبكى
المتوكل ورده إلى مصر مكرماً . وكان المتوكل إذا ذكر بن يديه أهل الورع يبكي
ويقول : إذا ذكر أهل الورع فحيلاً (٣) بذى النون .

وكان رجلاً نحيفاً ، تعلوه حمرة ، ليس بابيض اللحية .

سمعت أحمد بن محمد يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون
يقول : مدار الكلام على أربع :

حب الجليل ، وبغض القليل ، واتباع للتنزيل ، وخوف التحويل (٤) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت سعيد بن أحمد بن
جعفر يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول :
سمعت ذا النون المصري يقول :

من علامات المحب لله عز وجل : متابعة حبيب الله ، صلى الله عليه وسلم ، في
أخلاقه ، وأفعاله ، وأوامره ، وسننه .

(١) أصله من النوبة ، ثم نزل بأخميم من ديار مصر فأقام بها .
قال ابن يونس . أم تحن وأوذى ، أكونه أنى يعلم لم يعهد ، روى عن مالك والليث ، وروى عنه كثيرون منهم : الحسن
ابن مصعب ، وابن صبيح ، والطائى .
سمع يوماً صوت لهُو ودُفَاف ، فقال : ما هذا ؟ قبل له : عرس . وسمع بجانبه بكاءً وصباحاً ، فقال : ما هذا ؟ قبل فلان مات .
فقال : أعطى هؤلاء ، فما شكروا وأبغوا هؤلاء ، فما صبروا .
ومن كلامه : « من راقب العوالم سلم » و « الزهاد ملوك الآخرة وهم » مقراء العارفين « و » من وثق بالمقادير لم يغم .
و « الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم فاطع » و « مفتاح العبادة الفكرة » و « علامة الإصابتة مخالفة النفس » و « العبودية أن تكون
عبدك في كل حال كما هو ربك في كل حال » .

(٢) في نسخة بدون : في (٣) أى فأسرع بذكره ؛ فإنه أفضلهم .

(٤) التحويل : التغير من حال إلى حال أسوأ . وزيد في بعض النسخ بعد العبارة الماضية « فاعرف المهد به ودنياه »
وعت استقامته . وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله .

وسئل ذو النون عن السفلة فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله ، ولا يتعرفه .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر
محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول :
حضرت مجلس ذي النون يوما ؛ وجاءه سالم المغربي ، فقال له : يا أبا الفيض ،
ما كان سبب توبتك ؟ قال : عجب لا تطيقه . قال : بمعبودك إلا أخبرني .

فقال ذو النون : أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى ، فنمت في الطريق
في بعض الصحارى ، ففتحت عيني ، فإذا أنا بقنبرة^(١) عمياء سقطت من وكرها على
الأرض ، فانشقت الأرض ، فخرج منها « سكرجتان »^(٢) : إحداهما ذهب ،
والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم ، وفي الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا ،
وتشرب من هذا .

فقلت : حسبي ، قد تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبلى الله عز وجل .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علي بن عمر الحافظ يقول : سمعت
ابن رشيقي يقول : سمعت أبا دجانة يقول : سمعت ذا النون يقول :
لا تسكن الحكمة^(٣) معدة ملئت طعاما .

وسئل ذو النون عن التوبة^(٤) فقال :
توبة للعوام^(٥) تكون من الذنوب ، وتوبة الخواص تكون من الغفلة^(٦) .

(١) طائر .

(٢) سكرجتان (مثنى ، والواحدة سكرجة بضم السين وهي الصحيفة التي يوضع فيها الأكل) ؛

(٣) الحكمة : العلم النافع مع العمل المتقن . قال العروسي : « إن الحكمة حكمتان : منطوقها ، وهي : علوم الشريعة والطريقة ، ومسكوت عنها ، وهي أسرار الحقيقة التي يفهمها علماء الرسوم والعامة ؛ والحكمة المجهولة : هي : اغاب عنا وجهها من أحكام سر القدر الذي استأثر الله بعلمه . وكل ذلك إنما يتوصل إليه بالجوهر الموجب للنشاط في العبادة ، والمؤثر في تنوير القلوب حتى تدرك جواهر العلوم » قال صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » « حسب المسلم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة » « فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

(٤) وهي - على الحقيقة - إقلاع التائب عما يتوب عنه ، وعزمه على أن لا يعود إليه ، ورده ظلامه الأدنى إن تعلق به .
(٥) قال العروسي « أعلم أنهم يريدون من العوام : القائمين بما عليهم من أحكام الأوامر والنواهي ، ثم قال : « حرية العامة بالتخلص من رق الشهوات ، والخاصة بالتخلص من رق العادات ، وخاصة الخاصة بالتخلص من الوقوف مع الأحوال والمقامات حيث تكون لهم أنفة لا ترضى إلا بمشاهدة الذات » .

(٦) أي الغفلة عن الطاعات .

أبو علي الفضيل بن عياض (١)

خرساني (٢) ، من ناحية مرو .

وقيل إنه ولد بسمرقند ، ونشأ بآبيورد . مات بمكة في المحرم سنة : سبع وثمانين ومائة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر قال :
حدثنا الحسين بن عبد الله للعسكري ، قال : حدثنا ابن أخي أبي زرعة ، قال :
حدثنا محمد بن إسحق بن راهويه قال : حدثنا أبو عمار ، عن الفضيل بن موسى ،
قال :

كان الفضيل شاطراً (٣) : يقطع الطريق بين آبيورد وسرخس . وكان سبب توبته :
أنه عشق جارية ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو : « ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله (٤) » فقال : يارب قد آن .

فرجع .. فآواه الليل إلى خربة ، فاذا فيها رفقة (٥) ، فقال بعضهم : نرتحل ،
وقال قوم : حتى نصبح ، فان فضيلاً على الطريق يقطع علينا .
فتاب الفضيل (٦) وأمنهم . وجاور الحرم حتى مات .

وقال الفضيل بن عياض : إذا أحب الله عبداً أكثر غمه (٧) ، وإذا أبغض عبداً
وسع عليه دنياه (٨) .

(١) هو : الفضيل بن مسعود بن بشر التميمي ، كان إماماً ربانياً صمدياً عابداً شديد الخوف دائم الفكر ، من كلامه ،
قلوب العارفين : الموم عمرانها والأحزان أوطانها و « جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله
في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها » و « من خاف الله لم يضره شيء ومن خاف غيره لم ينفعه شيء » و « يهابك الخلق على قدر هيبتك لله » .
(٢) ولد بخراسان . بكورة أبيورد ، وقدم الكوفة وهو كبير .

(٣) شطر (بضم الطاء) شطارة : أتصف بالدهاء والخبائة فهو شاطر ، والشاطر أيضاً : من أعجز أهله بخبئه .

(٥) جماعة .

(٤) آية ١٦ من سورة الحديد .

(٦) أي جدد توبته وأظهرها .

(٧) بتذكره أمر آخرته ، وبتقصيره في أمر دينه .

(٨) قال الشيخ زكريا الأنصاري : « أي شغله عنه بحبه لها »

وقال ابن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن (١) .

وقال الفضيل :

لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه .

وقال الفضيل :

لو حلفت أني مرء أحب إلى من أن أحلف أني لست بمراء .

وقال الفضيل :

ترك العمل لأجل الناس (٢) هو الرياء والعمل لأجل الناس (٣) هو الشرك .

وقال أبو علي الرازي : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيت ضاحكا (٤) ، ولا مبتسما ، إلا بوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك ، فقال :

إن الله أحب امرأ فأحببت ذلك .

وقال الفضيل :

إني لأعصى الله ، فأعرف ذلك في خلق حماري (٥) وخادمي .

(١) لكونه أكثر الناس حزناً في وقته .

(٢) أي لأجل ثنائهم .

(٣) حباً في الحمد ؛ أو نيلاً لعرض فان .

(٤) فيه دليل على كمال حزنه في سائر أوقاته ، وإنما تكلف الضحك والسرور بموت ولده على خلاف عادته ، لأنه علم أن الله تعالى يحب منه هذه الحالة ، لكونها دليل الرضا بقضائه ..

(٥) أي بأن يتعاصى عليه حماره .. وهذا يفعله الله حفظاً لأولياته إذا قصرُوا في أحوالهم فيما بينهم وبينه ، أديهم ليرجعوا إليه بسرعة ، وتارة يعكس عليهم أسباب دنياهم ، وتارة أخرى بأسباب آخرتهم من تغير قلوبهم ، وعدم نشاطهم ، فاذا رجعوا إليه بالتدلل والسؤال من عليهم بشريف نواله ..

أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (١)

كان من المشايخ الكبار ، مجاب الدعوة (٢) ، يستشفى بقره .

يقول البغداديون : قبر معروف تريقا مجرب .

وهو من موالى على بن موسى الرضا (٣) ، رضى الله عنه ، مات سنة مائتين :
وقيل : سنة إحدى ومائتين . وكان أستاذ السرى السقطي ، وقد قال له يوماً : إذا
كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول : كان معروف الكرخي
أبواه نصرانيان ، فسلموا معروفاً إلى مؤدبهم ، وهو صبي ، فكان المؤدب يقول له :
قل ثالث ثلاثة . فيقول : بل هو واحد . فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً ، فهرب
معروف ، فكان أبواه يقولان : ليت يرجع إلينا على أى دين يشاء ، فتوافقه عليه .
ثم إنه أسلم على يدى «على بن موسى الرضا» . . ورجع إلى منزله . . ودق الباب
فقيل : من بالباب ؟ فقال : معروف . فقالوا : على أى دين جئت ؟

فقال : على الدين الحنيفي . فأسلم أبواه .

(١) لم يكن في العراق في وقته من يربى المريدين مثله ، وجميع المشايخ يعرفون في ذلك فضله ، قال الغزالي :
« كان أحمد بن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه . ولم يكن في علم الظاهر مثلهما » والكرخي « نسبة إلى كرخ » وهي
قرية ببغداد .

(٢) قال خليل الصياد : غاب ولدى فتأملت فجئت إلى معروف ، فقلت : غاب ولدى . قال وما تريد ؟ .
قلت : رجوعه فقال : اللهم إن السماء سماءك والأرض أرضك وما بينهما لك إئت بمحمد . فأتيت باب الشام فإذا هو واقف
فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت الساعة بالأنبار ولا أعلم ماصار .

(٣) ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . أجله المأمون وعهد إليه بالخلافة من بعده ومات قبل أن يمكنه بنو العباس منها .
ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ ومات بطوس سنة ٢٠٣ هـ .

له كرامات كثيرة : منها أنه قال لرجل صحيح سليم : استعد لما لا بد منه « مات بعد ثلاثة أيام » وروى الحاكم أنه لما
حبيب قال : رأيت المصطفى عليه الصلاة والسلام في النوم . في المنزل الذي ينزله الحاج ببلدنا ، فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه
تمر (صيحاني) ، فتناولت ثمانى عشرة تمرة . وبعد عشرين يوماً قدم على الرضا من المدينة ونزل ذلك المنزل ، وفزع الناس للسلام عليه
ومضيت نحوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى جالساً فيه ، وبين يديه طبق تمر صيحاني فتناولت قبضة فإذا عدتها بعدد
ماتواني المصطفى ، فقامت : زدني فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا بكر
الحرابي يقول : سمعت سرياً السقطي يقول : رأت معروفاً الكرخی فی النوم كأنه
تحت العرش ، فيقول الله عز وجل ملائكته : من هذا ؟ فيقولون : أنت أعلم يا رب .

فيقول : هذا معروف الكرخی ، سكر من حى ، فلا بفيق إلا بلقائى .
وقال معروف : قال لى بعض أصحاب داود الطائى : إياك أن تترك العمل ؛ فان
ذلك الذى يقربك إلى رضا مولاك . فقلت وما ذلك العمل ؟
فقال : دوام طاعة ربك ، وخدمة (١) المسلمين ، والنصيحة لهم .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت
على بن محمد الدلال يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول :
رأيت معروفاً الكرخی فی النوم ، بعد موته ، فقلت له : ماذا فعل الله بك ؟ فقال :
غفر لى .

فقلت : بزهديك وورعك ؟ فقال : لا ، بقبولى موعظة ابن السماك ، ولزوم (٢)
الفقر ، ومحبتى للفقراء .

وموعظة ابن السماك : ما قاله معروف :

كنت ماراً بالكوفة ، فوقفت على رجل يقال له : « ابن السماك » وهو يعظ الناس .
فقال فى خلال كلامه : من عرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة . . ومن
أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه (٣) ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن
كان مرة ومرة فالله برحمه وقتاً ما . فوقع كلامه فى (٤) قلبي ، فأقبلت على الله تعالى ،
وتركت جميع ما كنت عليه ، إلا خدمة مولاي « على بن موسى الرضا » .

وذكرت هذا الكلام لمولاي ، فقال : يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت .

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبد الرحيم بن على الحافظ
ببغداد يقول :

(١) وفى بعض النسخ « وحرمة المسلمين » أى احترامهم . (٢) وفى بعض النسخ « ولزومى » .

(٣) وفى نسخة (عليه) .

(٤) وفى نسخة (عل) .

سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت
سربا السقطي يقول : سمعت معروفاً يقول ذلك .

وقيل لمعروف في مرض موته : أوص .

فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصي ؛ فاني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما
دخلتها عرياناً .

ومر معروف بسقاء يقول : رحم الله من يشرب ، وكان صائماً^(١) ، فتقدم
فشرب ، فقليل له ألم تكن صائماً ؟ فقال : بلى ، ولكني رجوت دعاءه^(٢) .

أبو الحسن سرى بن المغلس السقطي^(٣)

خال الجنيد ، وأستاذه .

وكان تلميذ معروف الكرخي ؛ كان أوحده زمانه في الورع ، وأحوال السنة^(٤)
وعلوم التوحيد :

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت
أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول :

بلغني أن السري السقطي كان تتجر في السوق ، وهو من أصحاب معروف
الكرخي ، فجاءه معروف يوماً ، ومعه صبي بريم ، فقال : اكس هذا اليتيم . قال

(١) صيام نفل وتطوع والرسول صلى الله عليه وسلم قال : الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر .

(٢) ومن كلامه : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب . ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحق وقال : التصوف :
الأخذ بالحقائق والياس بما بأيدي الخلائق وقال : طول الأمل يمنع خير العمل .

وقال : ما أكر الصالحين وأقل الصادقين منهم .

وقال : إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين ، فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض . .

وقال : أحفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم . .

وقال : حقيقة الوفاء : إفاقة السر من رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات .

(٣) بغدادى المولد والوفاء ، كان إمام البغداديين وشيخهم في وقته . أخذ عن الكرخي وسمع الحديث من الفضيل وروى عنه
الجنيد وأبو العباس بن مسروق . وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم في الحقائق والإرشادات . من كلامه لا عجباً الضعيف
كيف يعصى قوياً » و« احذر أن تكون ثناء منشوراً .

(٤) وفي نسخة و « الأحوال السنية » .

بثري : فكسوته ، ففرح به معروف ، وقال : بغض الله إليك الدنيا ، واراحك
مما أنت فيه .

فقممت من الحانوت وليس شيء أبغض إلى من الدنيا .

وكل ما أنا فيه من بركات معروف .

سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت ابا بكر
الرازى يقول : سمعت ابا عمر الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول :

مارات أعبد من السرى : أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارتى مضطجعا
إلا فى علة الموت .

ويحكى عن السرى أنه قال :

التصوف : اسم لثلاث معان (١) .

وهو الذى لا يطفى نور معرفته نور ورعه (٢) .

ولا يتكلم بباطن فى علم بنقضه عليه ظاهر الكتاب او السنة .

ولا تحمله الكرامات على هتك أستار مجارم الله .

مات السرى سنة . سبع وخمسين ومائتين .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يحكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال :

سألنى السرى يوما عن المحبة ، فقلت : قال قوم : هى الموافقة ، وقال قوم :

الإبثار ، وقال قوم : كذا . . وكذا . . ، فأخذ السرى جلدة ذراعه ، ومدّها ،
فلم تتمد ، ثم قال :

وعزته تعالى ، لو قلت : إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت .

ثم غشى عليه ، فدار وجهه كأنه قمر مشرق ، وكان السرى به أدمة (٣) .

(١) . أى ومن قامت به هذه المعانى فهو الصوفى .

(٢) . نقول العروسى : والمعنى أن نور المعرفة الذى من جعلته علم ويقين لا يطفى نور الودع المفيد للاجتهاد وبذل الوسع
فى الطاعة والعمل فلا يجوز ترك العمل والاعتقاد على ما سبق به القضاء .

(٣) . سمة .

ويحكى عن السرى انه قال : منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار (١) من قولى : الحمد لله مرة .

قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع ببغداد حريق ، فاستقبلنى رجل ، فقال لى : نجا حانوتك .

فقلت : الحمد لله . فمذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت ، حيث أردت لنفسى خيراً مما حصل للمسلمين !! .

أخبرنى به عبد الله بن يوسف قال : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا بكر الحربى يقول : سمعت السرى يقول ذلك .

ويحكى عن السرى أنه قال : أنا أنظر فى انفى فى اليوم كذا . . وكذا مرة ، مخافة أن يكون قد اسود ، خوفاً من الله أن يسود صورتى لما أتعاطاه (٢) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : اعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة : فقلت له : ماهو ؟ .

فقال : لا تسأل من أحد شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : سمعت السرى يقول : أشتهى أن أموت ببلد غير بغداد ، فقليل له : ولم ذلك ؟ فقال : أخاف ألا بقبلى قبرى فأفتضح

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول : سمعت أبا الحسن بن عبد الله الغوطى الطرسوسى يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : اللهم مهما عذبتنى بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب (٣) .

(١) وفى نسخة عن .

(٢) أى من التقصير فى كمال التعظيم لله .

(٣) قال الأنصارى : أراد بالحجاب الجهل والضلال أو كل ما يشغل العبد عن الحق ، ومن أكشف الحجب : حجاب الدنيا ، والخلق ، والشيطان ، والنفس .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصهباني يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول :
سمعت للجريري يقول : سمعت الجنيد يقول : دخلت يوما على السري السقطي ^{١٣}
وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟

فقال : جاءتني البارحة للصبية ^(١) ، فقلت :

يا أبتى ، هذه ليلة حارة ، وهذا الكوز أعلقه هاهنا .

ثم إنى حملتنى ^(٢) عيناى فنمت ، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من
السماء ، فقلت : لمن أنت ؟ فقلت : لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان ^(٣) .

فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرتة ^(٤) .

قال الجنيد : فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه ، حتى عفا ^(٥) عليه التراب .

أبو نصر بشر بن الحارث الخافى

أصله من « مرو » . وسكن بغداد ، ومات بها ، وهو ابن أخت على بن خشرم .
مات سنة : سبع وعشرين ومائتين ^(٦) . وكان كبير الشأن ^(٧) .

وكان سبب توبته : انه أصاب فى الطريق كاغدة ^(٨) مكتوبا فيها اسم الله عز وجل
قيد وطثها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية ^(٩) ، فطيب بها للكاغدة ،
وجعلها فى شق حائط . . فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له :

يا بشر ، طيبت اسمى ، لأطيبن اسمك فى الدنيا والاخرة .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

مر بشر ببعض الناس ، فقالوا : هذا الرجل لا ينام الليل كله ، ولا يفطر إلا فى
كل ثلاثة أيام مرة ؛ فبكى بشر ، ف قيل له فى ذلك فقال :

(١) بنته . (٢) وفى نسخة ثم « إنه غابتنى » .

(٣) أى لمن يمنع نفسه منه مع رغبته فيه . (٤) هذه اللفظة ساقطة من بعض النسخ .

(٥) عفا : درس .

(٦) وولد سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧) م . وصحب الفضيل بن عياض ورأى سريا السقطي .

(٧) استشفع المأمون بأحمد بن حنبل فى أن يأذن الخافى للمأمون فى زيارته فأذن الخافى .

ومن كلامه : « من أراد أن يلحق بالحكمة فلا يعصى الله » و « وإذا أعجبك الكلام فاصمت أو السكوت فتكلم » و « من سأل الله
الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه » و « هب أنك مائخاف أما تشتاق ؟ » .

(٨) كاغدة : ورقة . (٩) نوع من الطيب .

إني لا أذكر أنى سهرت ليلة كاملة ، ولا أنى صمت يوماً لم أفطر من ليلته ،^٦
ولكن الله سبحانه وتعالى باني في القلوب أكثر مما بفعله العبد لطفاً منه ، سبحانه ،
وكرماً . . ثم ذكر ابتداء أمره : كيف كان على ما ذكرناه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامى ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله
الرازى يقول : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : بلغنى أن بشر بن الحارث
الحافى قال :

رأيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام ، فقال لى : نابشر ، أتدرى لم
رفعك الله من بين أقرانك ؟ قلت : لا ، بارسول الله .

قال : باتباعك لستى ، وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك
لأصحابى ، وأهل بيتى : وهو الذى بلغك منازل الأبرار .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازى
يقول : سمعت بلالا للخواص يقول : كنت فى تيه نبي إسرائيل ، فاذا رجل يمشينى ،
فتعجبت منه ، ثم ألهمت أنه الخضر ، عليه السلام ، فقلت له : بحق الحق من أنت ؟
فقال : أخوك الخضر ؛ فقلت له : أريد أن أسألك ، فقال : سل . فقلت :
ما تقول فى الشافعى^(١) رحمه الله ؟ فقال : هو من الأوتاد^(٢) .

فقلت : ما تقول فى أحمد بن حنبل^(٣) رضى الله عنه ؟ قال : رجل صدق .

قلت : فما تقول فى بشر بن الحارث الحافى ؟

فقال : لم يخلق^(٤) بعده مثله^(٥) .

(١) هو : محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى . أحد الأئمة الأربعة ولد فى عزرة سنة ١٥٠
وفصد مصر سنة ١٩٩ هـ وتوفى فى القاهرة سنة ٢٠٤ هـ أقبل على الفقه والحديث وأفى وهو ابن عشرين سنة .

(٢) قال العروسى : (الأوتاد : هم الرجال الأربعة الذين هم على منازع الجهات الأربع من العالم : أى الشرق والغرب والشمال
والجنوب يحفظ الله تلك الجهات كلها هم) .

(٣) هو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ، ولد فى بغداد سنة ١٦٤ هـ ،
وتوفى سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) . تفقه على الشافعى .

وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ، ومات قبل أن يناصر ابن حنبل وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل قرابة سنتين
لامتناعه عن القول بخلق القرآن .

(٥) أى فى زمنه .

(٤) وفى نسخة أخرى « لم يخلف » .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :
 أتى بشر الحافي باب المعافي بن عمران ، فدق الحافي عليه الباب ، فقيل : من ؟ .
 فقال : بشر الحافي .
 فقالت له بنية من داخل الدار : لو اشتريت لك نعلا بدانقين^(١) لذهب عنك
 اسم الحافي .

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازي ، قال :
 حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثني محمد بن سعيد ، قال : حدثني محمد
 ابن عبد الله قال : سمعت عبد الله المغازلي يقول : سمعت بشرا الحافي يذكر هذه
 الحكاية .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسن الحجاجي يقول : سمعت
 المحاملي يقول : سمعت الحسن المسوحى يقول : سمعت بشر بن الحارث يحكى هذه
 الحكاية .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفضل العطار يقول : سمعت أحمد
 ابن علي الدمشقي يقول : قال لي أبو عبد الله بن الجلاء :

رأيت ذا النون ، وكانت له العبارة^(٢) ، ورأيت سهلا ، وكانت له الإشارة ،
 ورأيت بشر بن الحارث ، وكان له الورع .

فقيل له : فالى من كنت تميل ؟ فقال : لبشر بن الحارث أستاذنا .
 وقيل إنه اشتهى الباقلاء^(٣) سنين ، فلم يأكله ، فرثى في المنام بعد وفاته فقيل له :
 ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وقال : كل يا من لم يأكل ، واشرب يا من
 لم يشرب .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال : أخبرنا عبيد الله بن
 عثمان بن يحيى قال : حدثنا أبو عمرو بن السماك قال : حدثنا محمد بن العباس قال :
 حدثنا أبو بكر بن بنت معاوية قال : سمعت أبا بكر بن عفان يقول : سمعت بشر بن
 الحارث يقول :

(١) الدائق : سدس الدرهم :

(٢) أى النطق بالحكمة ، وكانت له : أى أشهر بها .

(٣) الفول .

إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه !
وقيل لبشر : بأي شيء تأكل الخبز ؟ فقال : أذكر العافية وأجعلها إداماً .

أخبرنا به محمد بن الحسين ، رحمه الله ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال :
أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال : حدثنا عمر بن سعيد قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال :
قال رجل لبشر الحكاية المذكورة .

وقال بشر : لا يحتمل الحلال السرف (١) .

ورثي بشر في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لي ، وأباح لي نصف الجنة ، وقال لي :

يا بشر ، لو سجدت لي على الجمر ما أدبت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي .
وقال بشر : لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس .

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي

عديم النظر في زمانه علماً ، وورعاً ، ومعاملة ، وحالاً (٢) .

بصري الأصل ، مات ببغداد سنة : ثلاث وأربعين ومائتين .

قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً . قيل ، لأن أباه
كان يقول بالقدر (٣) ، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً ، وقال : صحت
للرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا تتوارث أهل ملتين شيئاً » .

سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول :

سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت محمد بن مسروق يقول : مات
الحارث بن أسد المحاسبي وهو محتاج إلى درهم ، وخلف أبوه ضياعاً ، وعقاراً ، فلم
يأخذ منه شيئاً .

(١) لعزة الحلال وفلته .

(٢) قال التميمي : هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام .

وقال الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : « المحاسبي خير الأمة في علم المعاملة . وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب
النفس وآفات الأعمال » .

ومن كلامه : فقدنا نلناه أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة . وسمى
بالمحاسبي ؛ لأنه كان يحاسب نفسه عملاً بقول الرسول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .

(٣) كان من القدريّة القائلين بانكار عموم القدر الذي يجب الإيمان به .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :
كان الحارث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق ،
فكان يمتنع منه .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : اقتدوا بخمسة من شيوختنا ، والباقون سالموا لهم
حالمهم :

الحارث بن أسد المحاسبي ، والجنيد بن محمد ، وأبو محمد رويم ، وأبو
العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكي ؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن
علي الطوسي يقول : سمعت جعفر بن الخلدی يقول : سمعت أبا عثمان البلدي يقول :
قال الحارث المحاسبي :

من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة .
وبحكي عن الجنيد أنه قال : مرئى يوما الحارث المحاسبي ، فرأت فيه أثر
الجوع ، فقلت : ناعم ، تدخل الدار وتتناول شيئا ؟ فقال : نعم .

فدخلت الدار وطلبت شيئا أقدمه إليه ، فكان في البيت شيء من طعام حمل إلى
من عرس قوم ، فقدمته إليه ، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات ، ثم إنه قام وألقاها
في الدهليز ، ومر .

فلما رأته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك ، فقال :

إني كنت جائعا ، وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك ، ولكن بيني وبين
الله ، سبحانه ، علامة ، أن لا أسوغني طعاما فيه شبهة ، فلم يمكنني إبتلاعه ، فمن
أبن كان لك ذلك الطعام ؟ .

فقلت : إنه حمل إلى من دار قرب لي من العرس ، ثم قلت : تدخل اليوم ؟ فقال :
نعم . فقدمت إليه كسرا ناسية كانت لنا ، فأكل وقال :

١ — إذا قدمت إلى فقير شيئا فقدم إليه مثل هذا .

أبو سليمان داود بن نصير الطائي

وكان كبير الشأن^(١). أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال :
أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال : حدثنا محمد بن المسيب قال : حدثنا بن خبيق قال ، قال :
يوسف بن سباط :

ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : كان سبب زهد داود
الطائي :

أنه كان يمر ببغداد ، فمر^(٢) يوماً ، فنحاه^(٣) المطرقون^(٤) بين يدي حميد الطوسي ،
فالتفت داود فرأى حميداً ، فقال داود : أف لدنيا سبقك بها حميد .
ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة .

وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول : إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

« يا أي خديك تبتدي البلى وأي عينيك إذا سالا »

وقيل : كان سبب زهده : أنه كان يجالس أبا حنيفة ، رضى الله عنه ، فقال
له أبو حنيفة يوماً :

يا أبا سليمان ، أما الأداة^(٥) فقد أحكمناها . فقال له داود : فأى شيء بقي ؟ فقال :
للعمل به .

قال داود : فنازعني نفسي إلى العزلة ، فقلت لنفسي : حتى تعجالسهم ولا تتكلم
في مسألة .

(١) قال الذهبي : « كان إماماً فقيهاً ذافنون عديداً تم تعبدوا أثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه توفي سنة ١٦٦ هـ . بالكوفة
ومن كلامه : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم ؛ فان استطعت أن تقدم
في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل ، وقال « لا تمهر الديننا دينك ، من أمهرها دينه زفت إليه الندم » .

(٢) لفظة « مر » ساقطة في بعض النسخ . (٣) رده إلى جانبها .

(٤) الموسعون لها .

(٥) أى العلم .

قال : فجالسهم سنة لا أتكلم في مسألة ، وكانت المسألة عمر بي ، وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلم به .

ثم صار أمره إلى ما صار .

وقيل : حجهم «جنيد الحجام» داود الطائي ، فأعطاه ديناراً ، فقيل له : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .

وكان يقول بالليل : الهى همك عطل على الهموم الدنيوية ، وحال بيني وبين الرقاد . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : حدثنا محمد بن يوسف قال : حدثنا سعيد بن عمرو قال : حدثنا علي بن حرب الموصلي قال : حدثنا اسماعيل بن زباد الطائي قال : قالت دابة (١) داود الطائي له :

أما تشهى الخبز ؟ فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ولما توفي داود ، رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو فقال له : مالك ؟ فقال : الساعة تخلصت من السجن .

فاستيقظ الرجل من منامه ، فارتفع الصياح بقول الناس : مات داود الطائي . وقال له رجل : أوصني . فقال له : عسكر الموت (٢) ينتظرونك .

ودخل بعضهم عليه ، فرأى جرة ماء انبسطت عليها الشمس ، فقال له : ألا تحولها إلى الظل ؟ .

فقال : حين وضعها لم يكن شمس ، وأنا أستحي أن يراني الله أمشي لما فيه حظ نفسي .

ودخل عليه بعضهم ، فجعل ينظر إليه ، فقال : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ؟

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصماني قال : أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد ابن يحيى المزكي :

قال : حدثنا قاسم بن أحمد ، قال : سمعت ميموناً الغزالي قال : قال أبو الربيع اللواسطي :

قلت لداود الطائي : أوصني .

فقال : صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت ؛ وفر من الناس كفرارك من السبع .

(١) جارية ، وقالت له ذلك حيناً رآته لا يأكل الخبز ، بل يشرب الفتيت . (٢) وعى نسخة «عسكر الموت» .

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي

من مشايخ خراسان (١) . له لسان في التوكل (٢) ، وكان أستاذ حاتم الأصم . قيل : كان سبب توبته : أنه كان من أبناء الأغنياء ، خرج للتجارة إلى أرض الترك (٣) ، وهو حدث . فدخل بيتاً للأصنام ، فرأى خادماً للأصنام فيه ؛ حلق رأسه ولحيته ، ولبس ثياباً أرجوانية (٤) . فقال شقيق للخادم : إن لك صانعاً حياً ، عالماً ، قادراً ، فاعبده . . ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع . . .

فقال : إن كان كما تقول ، فهو قادر على أن يرزقك ببلدك ، فلم تعنيت إلى هاهنا للتجارة ؟ .

فانتبه شقيق . . وأخذ في طريق الزهد .

وقيل : كان سبب زهده : أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط ، وكان الناس مهتمين به (٥) ، فقال شقيق : ما هذا النشاط الذي فيك ؟ أما ترى ما فيه الناس من الجذب (٦) والقحط ؟ .

فقال ذلك المملوك : وما على من ذلك ، ولمولاي قرية خالصة بدخل له منها ما نحتاج نحن إليه ، فانتبه شقيق ، وقال : إن كان لمولاه قرية ، ومولاه مخلوق فقير ، ثم إنه ليس بهم لرزقه ، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني ؟ ! .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن ابن أحمد العطار البلخي يقول : سمعت أحمد بن محمد البخاري يقول : قال حاتم الأصم :

(١) أخذ الفقه عن أبي حنيفة ، وقال الذهبي : « سافر أبو علي شقيق البلخي ومعه ثلثة مائة فقير ، فتوسل إليه المأمون حتى أجمع به ، وأجمع به قبله أبوه الرشيد ، وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟ فقال : نعم ، شقيق ، ولست بالزاهد فقال له : أوصني قال : إن الله قد أجلسك مكان الصديق وإنه يطلب منك مثل صدقه ، ومكان الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق وغيره ، ومكان عثمان ويطلب منك مثل حياته وكرمه ، ومقام علي ، ويطلب منك مثل علمه وعدله .

(٢) أي توسع في معانيه . (٣) وفي نسخة أخرى إلى « أرض الشرك » .

(٤) أي مصبوغة بالأرجوان ؛ وهو صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٥) وفي نسخة كان الناس فيه مهتمين أي بتحصيل قوتهم (٦) وفي نسخة أخرى « من الحزن »

كان شقيق بن ابراهيم موسراً ، وكان تنفى^(١) وعاشر الفتيان ، وكان على بن عيسى بن ماهان أمير بلخ ، وكان يحب كلاب الصيد ، ففقد كلباً من كلابه ، فسعى برجل أنه عنده ، وكان الرجل في جوار شقيق ، فطلب الرجل ، فهرب . . فدخل دار شقيق مستجيراً ، فمضى شقيق إلى الأمير ، وقال :
نخلوا سبيله ؛ فان الكلب عندى أردته إليكم إلى ثلاثة أيام .

فخلوا سبيله ، وانصرف شقيق مهتماً لما صنع . فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائماً من بلخ فرجع إليها ، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة ، فأخذه ، وقال : أهديه إلى شقيق ، فانه يشتغل بالتنفى .

فحمله إليه ، فنظر شقيق فاذا هو كلب الأمير ، فسر به ، وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه ، وتاب مما كان فيه ، وسلك طريق الزهد .

وحكى أن حاتماً الأصم قال : كنا مع شقيق في مصاف^(٢) نحارب الترك في يوم لا ترى فيه إلا رعوساً تندر^(٣) ، ورماحاً تنقصف ، وسيوفاً تنقطع ، فقال لى شقيق : كيف ترى نفسك باحانم في هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت في الليلة البى رفت إليك امراتك ؟ .

فقلت : لا والله .

قال : لكنى والله أرى نفسى في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة .
نم نام بين الصفين ، ودرقته^(٤) تحت رأسه حتى سمعت غطيظه .

وقال شقيق : إذا اردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعدته الناس ، فبأيهما يكون قلبه أوثق^(٥) ؟ .

وقال شقيق : تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه ، ومنعه ، وكلامه .

(١) لى يعمل عمل الفتيان والشباب .

(٢) مصاف : جمع صف ، واحد الصفوف : الى تكون تلقاء وجه العدو في الحرب .

(٣) تسقط . (٤) الدرقي (بفتح الدال والراء) = البرس من حاد لئس فيه خشب .

(٥) مال العروسى : المقصود الحمل على عدم الغفلة عن النفس ، بل يلزم الإنسان دائماً تفتيشها وامتحنها في ما توهته من المقامات والأحوال ، حتى تتحقق رسوخها ، وبعد هذا فلا ير كنى إلى ما منع ، بل يدوم على الحد لينال ما فوق ذلك ، أوليدوم ، هو فيه . . إذ قد يسلب السائر من حيث لا يشمر ، وفيه : تنبيه على أنه قوى وثوقه بما وعده الله من ثواب الامتثال ، وأنه انقطع عن الخطوط . .

أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي

وكان جده مجوسياً أسلم .
 وكانوا ثلاثة إخوة : آدم ، وطيفور ، وعلى . وكلهم كانوا زهاداً عباداً .
 وأبو يزيد كان أجملهم حالاً (١) .
 قيل مات سنة : إحدى وستين ومائتين ، وقيل : أربع وثلاثين ومائتين .
 سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي ،
 يقول : سمعت الحسن بن علي يقول : سئل أبو يزيد : بأي شيء وجدت هذه
 المعرفة ؟ .

فقال : ببطن جائع ، وبدن عار .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله
 يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول :
 عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته ، ولولا
 اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد .
 وقيل : لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كله .

حدثنا أبو حاتم السجستاني قال : أخبرنا أبو نصر السراج ، قال : سمعت طيفور
 البسطامي يقول : سمعت المعروف بعمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : قال لي
 أبو يزيد : قم بنا حي ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان
 رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد ، ففضينا إليه ؛ فلما خرج من بيته ، ودخل المسجد
 رمى ببصاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم سلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون
 على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟
 وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل
 ومؤنة النساء ، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا ولم أسأله رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إياه ؟ فلم أسأله . ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء ؛ حتى
 لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط .

(١) ذكر ابن عري أنه كان القطب الغوث في زمانه .

ومن كلامه : ليس العالم من يحفظ من كتاب الله فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً ؛ بل من يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء
 بلا تحفظ ودرس . وهذا هو العلم الرباني . وقال : أخذتهم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسن ابن علي يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده ، فقال :

ليس للزهد منزلة . فقلت : لماذا ؟ فقال : لأنى كنت ثلاثة أيام فى الزهد . . فلما كان اليوم الرابع خرجت منه : اليوم الأول : زهدت فى الدنيا وما فيها ، واليوم الثانى : زهدت فى الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فىما سوى الله ، فلما كان اليوم الرابع لم يبق لى سوى الله . . فهمت ، فسمعت ، هاتفاً يقول : بأأبا يزيد لا تقوى معنا . فقلت : هذا الذى أريده .

فسمعت قائلاً يقول : وجدت ، وجدت . وقيل لأبى يزيد : ما أشد ما لقيت فى سبيل الله ؟ فقال : لا يمكن وصفه . فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟

فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شىء من الطاعات فلم تجبني فنعمتها الماء سنة . وقال أبو يزيد : منذ ثلاثين سنة أصلى ، واعتقادتى فى نفسى عند كل صلاة أصلها : كأنى مجوسى أريد أن أقطع زنارى^(١) .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول ، قال لى أبى : قال أبو يزيد : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى^(٢) فى الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة^(٣) .

وحكى عمى البسطامى عن أبيه أنه قال : ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ، ليذكر الله ، سبحانه ، على سور الرباط ، فبقى إلى الصباح لم يذكر ، فقلت له فى ذلك ، فقال : تذكرت كلمة جرت على لسانى فى حال صباى^(٤) ، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى .

(١) مايشده الوسط ، أراد به كدورات الحظوظ والرغبات .

(٢) وفى نسخة يرتفع ، وفى أخرى يتربع .

(٣) مراده الحث على اتباع الكتاب والسنة وعدم الخروج عن سننها ، أو الغرور بحاله بخالفها ، فهو وإن كان صادقاً فى الحقيقة ، فلا يتابع بحكم الطريقة كما قال العروسى .

(٤) فيه أشعار بعدم صدور المخالفات منه بعد التكليف ، وإلا لكان أسرع تذكرها وأكثر معرفة بها .

أبو محمد سهل بن عبد الله التستري

أحد أئمة القوم ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع^(١) .

وكان صاحب كرامات ، لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج .
توفي ، كما قيل ، سنة : ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل : ثلاث وسعين ومائتين .
وقال سهل : كنت ابن ثلاث سنين ، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي
محمد بن سوار ، وكان يقوم بالليل ، فربما كان يقول لي : يا سهل ، اذهب فثم
فقد شغلت قلبي .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر
الزاهد يقول : سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول : سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول :
سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال : قال لي خالي يوماً :
ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ .

فقلت : كيف أذكره ؟ فقال لي : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات .
من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر إلي ، الله شاهد علي .
فقلت ذلك ثلاث ليال ، ثم أعلمته ، فقال لي :

قل في كل ليلة سبع مرات . فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة
إحدى عشرة مرة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي له حلاوة .

فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتك ، ودم عليه إلى أن تدخل
القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة .

فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سري .

(١) حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع وفقه العبادة وهو ابن عشر فيحسن الإجابة .
ومن قوله : ما أعطى أحد شيئاً أفضل من علم يستزيد به افتقاراً إلى الله . وقال : ما عبد الله بشئ أفضل من مخالفة الهوى .
وقال « حياة القلب الذي يموت نذكر الحى الذي لا يموت . وقال : كل عالم خاض في الدنيا فلا تصعب لكلامه ، بل بهم فيها
يقول : لأن كل إنسان يدفع مالا يوافق محبوبه .

تم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله معه ، وهو ناظر إليه ، وشاهده ، اعصيه ؟ إياك والمعصية .

فكنت أخلو ، فبعثوني^(١) إلى الكتاب ، فقلت :
إني لأخشى أن تفرق على همي^(٢) ، ولكن شارطوا المعلم : أني أذهب إليه ساعة ، فأتعلم ، ثم أرجع .

فمضيت إلى الكتاب ، وحفظت القرآن ، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتي خبز الشعير ، إلى أن بلغت إثنتي عشرة سنة ، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها ، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئاً ! !

فخرجت إلى « عبادان » ، إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني ، فسألته عنها فأجابني . وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بأدابه ، ثم رجعت إلى « تسر » فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير « الفرق »^(٣) فيطحن ويخبز لي ، فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتاً ، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة .

تم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ، ثم أفطر ليلة ، ثم خمساً ، ثم سبعاً ، ثم خمساً وعشرين ليلة . وكنت عليه^(٤) عشرين سنة ، ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ، ثم رجعت إلى « تسر » وكنت أقوم الليل كله .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت إبراهيم بن فراس يقول : سمعت نصر بن أحمد يقول : قال سهل بن عبد الله : كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء ، طاعة كان أو معصية ، فهو عيش النفس^(٥) ، وكل فعل يفعله بالافتداء فهو عذاب على النفس^(٦) .

(١) وفي نسخة « فبعثوا بي » . (٢) أي ما أهتم به وهو ذكر ربي مع حضور قلبي في الخلوة .

(٣) مكيال يكال به . (٤) وفي نسخة « فكنيت عليها » . (٥) أي حطها .

(٦) وقال سهل : دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات ، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر . وقال : من أعظم المعاصي الجهل بالجهل ، والنظر إلى العامة ، وسماع كلام أهل الغفلة .

وقال : أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والافتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، ومجنب المعاصي والتوبة ، وأداء الحقوق .

أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني

و « داران » قرية من قرى دمشق . مات : سنة خمس عشرة ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول : أخبرنا
إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول :
سمعت أبا سليمان يقول :

من أحسن في نهاره كوفيء في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفيء في نهاره . ومن
صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً شهوة
تركت له .

وبهذا الإسناد قال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول ، سمعت الحسين
ابن يحيى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير ، يقول : سمعت الجعيد يقول .
قال أبو سليمان الداراني :

ربما يقع في قلبي النكتة^(١) من نكت القوم أياما ، فلا أقبل منه إلا شاهدين
عدين : الكتاب ، والسنة .

وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال : خلاف هوى النفس .

وقال : لكل شيء علم^(٢) ، وعلم الخذلان^(٣) ترك البكاء .

وقال : لكل شيء صدأ ، وصدأ نور القلب شبع البطن .

وقال : كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل ، أو مال ، أو ولد فهو عليك

مششوم .

وقال : أبو سليمان : كنت ليلة باردة في المحراب ، فأقلقني البرد : فيخبأت إحدى

يدي من البرد ، وبقيت الأخرى ممدودة^(٤) ، فغلبتني عيناي فهتف بي هاتف .

(١) كلمة الحكمة .

(٢) علامة .

(٣) عدم القبول .

(٤) أى ممدودة للدعاء

يا أبا سليمان ، وقد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لو وضعنا فيها .
فأليت على نفسي أن لا أدعو إلا ويداي خارجتان ، حرّاً كان الزمن أو برداً .
وقال أبو سليمان : نمت عن وردى ، فاذا أنا بحوراء تقول لى : تنام وأنا أربى
لك في الخدور منذ خمسمائة عام ! !

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، قال : أخبرنا أبو عمرو الجولستى ،
قال : أخبرنا محمد بن اسماعيل قال . حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : دخلت على
أبي سليمان يوماً وهو يبكى ، فقلت له ما يبكيك ؟

فقال : يا أحمد ، ولم لا أبكى ، وإذا جن الليل ، ونامت العيون ، وخلا كل
حبيب بحبيبه ، واقترب أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ،
وتقطرت في محاريبهم ، وأشرف الجليل ، سبحانه وتعالى ؛ فنادى : يا جبريل ،
بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى ، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم . . أسمع
أنينهم . . وأرى بكاءهم ، فلم لا تنادى فيهم يا جبريل : ما هذا البكاء ؟ ! .

هل رأيتم حبيباً يعذب أحبائه ؟

أم كيف يعجل بى أن آخذ قوماً إذا جنهم الليل تملقوا^(١) لى في حلفت : انهم
إذا وردوا على يوم القيامة لا كشف لهم عن وجهى الكريم ، حتى ينظروا إلى وأنظر
إليهم^(٢) .

أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان

وبقال حاتم بن يوسف الأصم ، من أكابر مشايخ خراسان .

وكان تلميذ شقيق ، وأستاذ أحمد بن خضرويه .

قيل : لم يكن أصم ، وإنما تصامم^(٣) مرة فسمى به .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

(١) أى إذا استرهم الليل توددوا . (٢) ومن أقواله :

لا ينبغي لفقر أن يزيد في نظافة ثوبه على نظافة قلبه ، ليشاكل باطنه ظاهره . ليت قلبى فى القلوب كشوى و الشاب . .

من صارح الدنيا صرعه . ومن سكنت الدنيا قلبه ترحلت منه الآخرة . .

من أظفر الالةطاع إلى الله تعالى لزمه خلع مادونه من عنقه . .

إذا بلغ العبد غاية الزهد أخرجه إلى التوكل . .

القناعة أول الرضا ، والورع أول الزهد . .

مفتاح الآخرة الجوع ، ومفتاح الدنيا الشر ، ومفتاح كل خير الخوف من الله تعالى .

(٣) تصامم : تكلف الصمم .

جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت ، فخبجت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك . فأرى^(١) من نفسه : أنه أصم ، فسرت المرأة بذلك ، وقالت :

إنه لم يسمع الصوت ، فغلب عليه اسم الصمم .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال : سمعت أبا علي سعيد ابن أحمد يقول : سمعت أبي يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت خالي محمد بن الليث يقول : سمعت حامداً اللقاف يقول : سمعت حاتماً الأصم يقول : ما من صباح إلا والشيطان يقول لي : ماذا تأكل ! وماذا تلبس ؟ وأنن نسكن ؟ فأقول له ، آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

وباسناده قيل له : ألا تشهى ؟

فقال : أشهى عافية يوم إلى الليل .

فقيل له : أليست الأبام كلها عافية ؟

فقال : إن عافية يومى ، أن لا أعصى الله فيه .

وحكى عن حاتم الأصم ، أنه قال : كنت في بعض الغزوات ، فأخذني شخص فأضجعني للذبح فلم يشتغل به قلبي ، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى في . . فبينما هو يطلب السكين من حقه أصابه سهم غرب^(٢) . فقتله ، وطرحه عنى فقامت .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا نصر منصور بن محمد ابن ابراهيم الفقيه يقول : سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول : روى عن حاتم أنه قال :

من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت : موتاً ايضاً ، وهو الجوع . .

(١) فأرى : فأظهر .

(٢) أى أتاه من حيث لا يدرى .

وموتا اسود ، وهو : احتمال الأذى من الخلق .
وموتا أحمر ، وهو : العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى .
وموتا أخضر ، وهو : طرح الرقاع بعضها على بعض (١) .

أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ

نسيج وحده في وقته ، له لسان (٢) في الرجاء خصوصاً ، وكلام في المعرفة .
خرج إلى بلخ ، وأقام بها مدة .

ورجع إلى « نيسابور » ومات بها سنة : ثمان وخمسين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان العكبري يقول : سمعت أحمد بن محمد بن السري يقول : سمعت أحمد بن عيسى يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ؟ . تورع عما ليس لك ، تم ازهد فيما لك .

وبهذا الإسناد قال :

جوع التوابين تجربة ، وجوع الزاهدين سياسة ، وجوع الصديقين تكريمة .
وقال يحيى الفوت اشد من الموت ؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق .

وقال يحيى : الزهد (٣) ثلاثة أشياء ، القلة ، والخلافة ، والجوع .

وقال يحيى : لا تربح على نفسك شيء أجل من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها .

وقيل : إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر ، فأعطى ثلاثين ألف درهم ، فقال بعض المشايخ : لا بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور ، فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه .

(١) أي ترقيع الثياب .

(٢) أي كلام .

(٣) أي علامات الزهد .

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال : أنا (١) أبو القاسم عبد الله بن الحسين ابن بالويه الصوفي قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت الحسين بن علويه يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول :
من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية .

سمعت عبد الله بن يوسف يقول : سمعت أنا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذن يقول : سمعت محمد بن محمد الجرجاني يقول : سمعت علي بن محمد يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول :

تزكية الأشرار لك هجنة لك (٢) ، وحجهم لك عيب عليك ، وهان عليك من احتاج إليك (٣) .

أبو حامد أحمد بن خضروية البلخي

من كبار مشايخ خراسان ، صاحب أنا تراب النخشي .
قدم نيسابور ، وزار أنا حفص ، وخرج إلى سظام في زيارة أبي نريد البسطامي وكان كبيراً في الفتوة (٤) .

وقال أبو حفص : ما رأيت أحداً أكبر همة ، ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه .

وكان أبو نريد يقول : أستاذنا أحمد .

سمعت محمد بن الحسن ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت محمد بن حامد يقول : كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه ، وهو في النزاع ، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة .

(١) وفي نسخة أخرى « أخبرنا » .

(٢) قبح ونقص .

(٣) ومن كلامه : مغاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومغاوز الآخرة بالقلوب . وقال : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وهياً قبره قبل أن يدخله . وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

(٤) قوة البذل للمال والجاه والعلم . وصفه بعضهم فقال : ولي عارف ، يخفى لبذل الثالث والطارف ، أيس من الفضول ، فأونس بالوصول ، كان يجلب القلوب بوعظه ، وينير الدرر برقيق لفظه ، مارآه فقيه جاحد ، أو مكابر متعبد . إلا اعرف ، ووقف على شاطئ التسليم ، وربما اغترف .

فسأله بعض اصحابه عن مسألة ؛ فدمعت عيناه ، وقال :
يا بني ، باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة ، وهو ذا يفتح لي الساعة
لا أدري أبا لسعادة يفتح أم بالشقاوة ؟ أنى لي أوان الجواب ؟ .

قال : وكان عليه سبعمائة دينار ، وغرماؤه عنده ، فنظر إليهم . وقال :
اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال ، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم
فأدّ عني .

قال : فدق داق الباب وقال : أين غرماء أحمد ؟ ففضى عنه .
ثم خرجت روحه . ومات ، رحمه الله ، سنة أربعين ومائتين .
وقال أحمد بن خضرويه : لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ،
ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة (١) .

أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري (٢)

من أهل دمشق ، صحب أبا سليمان الداراني وغيره ، مات سنة ، ثلاثين
ومائتين . وكان الجنيد يقول : أحمد بن أبي الحواري : ريحانة الشام .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا أحمد الحافظ يقول :
سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول : سمعت أحمد ابن أبي الحواري يقول :
من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .
وبهذا الإسناد يقول : من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فباطل
عمله .

وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري :

أفضل الكاء : بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة (٣) .
وقال أحمد : ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة .

(١) وقال : أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء غير الله . .

وقال : القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق فاضت زيادة أنوارها على الجوارح .

وقال : الصبر راد المضطرين ، والرضا درجة العارفين .

وقال : حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب ، وذكره باللسان . مع الخضوع والاحترام ، ورفع الهمة عن كل ماسواه .

(٢) يروى أنه طلب العلم ثلاثين سنة ، فلما بلغ ، حمل كتبه إلى البحر فأغرقها ، وقال : يا علم ، لم افعل بك هذا هوافاً
بك ولا استخفافاً بحقك ، بل كنت اطلب لأهتدى بك إلى ربي والآآن استغنيت عنك .

ومن حكمه : « لا داويل على الله سواه » و « إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك ببركها عند
إقبالها فذاك » .

(٣) أى لما جاءت به السنة .

أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد

من قرية يقال لها : « كورداباذ » على باب مدينة نيسابور ، على طريق « بخارى » .

كان أحد الأئمة والسادة (١) . مات سنة نيف وستين ومائتين .

قال أبو حفص : المعاصي بريد (٢) الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت .

وقال أبو حفص : إذا رأيت المرشد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .

وقال : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن .

وقال : الفتوة : أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف (٣) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول : سمعت

أبا علي الثقفى يقول : كان أبو حفص ، يقول : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل

وقت بالكتاب والسنة ، ولم بهم خواطره ، فلا نعه في ديوان الرجال (٤) .

أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى

صاحب حاتما الأصم ، وأبا حاتم العطار المصرى .

مات سنة : خمس وأربعين ومائتين (٥) .

قيل : مات بالبادة نهسته (٦) السباع

(١) هو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور . صاحب ابن خضرويه والأبيوردى وكان حداداً سمياً غلامه ينفخ غاب فكره في - كرم محبوبه فقضى عن الحسن البصرى ونسى أن يخرج الحديد من الكبر بالآلة فأنخرجه بيده ، فصاح العلامة : الحديد في يدك بلا آلة . فرماه به ، وخرج سائحاً في البريه وهو يقول : شرط المحبة السر والكتمان لا الإفصاح والإعلان .

ومن كلامه : الزاهد حقاً لا يذم الدنيا ولا يمدحها ولا ينظر إليها . ولا يفرح بها إذا قبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت « وسئل عن الوبد ، فقال : ليس لأبعد من التوبة شئ » ، لأن التوبة إليه ، لا منه »

(٢) أى رساله ومقدماته . (٣) أى لا يطلب النصفه من أحد فاد طابها دليل على تقصيره .

(٤) أى الذين قال الله فهم : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

(٥) تفقه على مذهب الإمام الشافعى ، وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل ، ومن حكمه : الناس يحون ثلاثة وأبست لهم : النفس والروح ، وهما لله . والمال وهو للورثة : ويطلبون أثنتين ولا يجدونها : الفرح والراحه وهما في الحمة .

(٦) أخذت لحمه بمقدم أسنانها .

وقال ابن الجلاء : صحبت ستمائة شيخ ، ما لقيت فيهم مثل أربعة : أولهم : أبو تراب النخشي .

قال أبو تراب : الفقير قوته : ما وجدته ، ولباسه : ما ستره ، ومسكنه : حيث نزل .

وقال أبو تراب : إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله ، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدّي إسماعيل بن نجيد يقول : كان أبو تراب النخشي إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدد توبته ويقول :

شؤمي دفعوا إلى ما دفعوا إليه ، لأن الله عز وجل يقول : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » قال : وسمعتة يقول أيضاً لأصحابه : من لبس منكم مرقعة فقد سأل ، ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل ، ومن قرأ القرآن من مصحف ، أو كتبها سمع الناس فقد سأل .

قال : وسمعتة يقول : كان أبو تراب يقول : بيني وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه .

ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفي من تلامذته قد مد يده إلى قشر بطيخ ، وقد طوى ثلاثة أيام ، فقال له أبو تراب :

نمد يدك إلى قشر البطيخ ؟ أنت لا يصلح لك التصوف ، إازم السوق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول :

سمعت أبا عبد الله الفارسي يقول : سمعت أبا الحسين الرازي يقول : سمعت يوسف ابن الحسين يقول : سمعت أبا تراب النخشي يقول :

ما تمت نفسي على شيئاً قط (١) ، إلا مرة واحدة : تمت على خبزاً وبيضاً ، وأنا في سفرى ، فعدلت عن الطريق إلى قرية ، فوثب رجل وتعلق بي وقال : كان هذا مع اللصوص ، فبطحوني وضربوني سبعين خشبة . قال : فوقف علينا رجل صوفي ،

(١) أى مثل أخذ في الرياضة .

فصرخ وقال : وبحكم هذا أبو تراب النخشي ، فخلوني واعتذروا إلى وادخلني الرجل منزله ، وقدم إلى خبزاً وبيضاً ، فقلت (١) : كلها بعد سبعين جلدة :
وحكى ابن الجلاء قال : دخل أبو تراب مكة طيب النفس ، فقلت : ابن اكلت أيها الأستاذ ؟ فقال : أكلة بالبصرة ، وأكلة بالنجاج ، وأكلة هاهنا .

أبو محمد عبد الله بن خبيق

من زهاد المتصوفة ، صاحب يوسف بن أسباط .

كان كوفي الأصل . ولكنه سكن أنطاكية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفرج الورثاني يقول : سمعت أبا الأزهري الميافارقيني يقول : سمعت فتح بن شخرف يقول : حدثني عبد الله بن خبيق أول ما لقيته فقال لي :

يا خراساني ، إنما هي أربع لا غير : عينك ، ولسانك ، وقلبك ، وهواك . .
فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل ، وانظر لسانك ، لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خلافه من قلبك ؛ وانظر قلبك ، لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لا تهوى به شيئاً من الشر ، فاذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال ، فاجعل الرماد على رأسك ؛ فقد شقيت .

وقال ابن خبيق : لا تغم إلا من شيء بضر كغداً ، ولا تفرح إلا بشيء بسرك غداً .

وقال ابن خبيق : وحشة العباد عن الحق ، أوحشت منهم القلوب ، ولو أنهم أنسوا بربهم لأنس بهم كل أحد .

وقال : أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال منك الحزن على مافاتك ، وألزمك الفكرة في بقية عمرك . وأنفع الرجاء : ما سهل عليك العمل .

وقال : طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب .

(١) أي في نفسي لنفسي .

أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي

من أقران بشر بن الحارث ، والسري السقطي ، والحارث المحاسبي .
 وكان أبو سليمان الداراني بسميه : جاسوس القلب ؛ لحدة فراسته .
 وقال أحمد بن عاصم : إذا طلب صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك (١) .
 وقال أحمد بن عاصم : قال الله تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ونحن
 نستزبد من الفتنة (٢) .

أبو السري منصور بن عمار (٣)

من أهل مرو ، من قرية يقال لها . « يرانقان » .
 وقيل إنه من « بوشنج » أقام بالبصرة : وكان من الواعظين الأكابر .
 وقال منصور بن عمار : من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبتة في دينه .
 وقال منصور بن عمار : أحسن لباس العبد : التواضع ، والانكسار ، وأحسن
 لباس العارفين : التقوى ، قال الله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » .
 وقيل : إن سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوباً عليها « بسم الله الرحمن
 الرحيم » ، فرفعها ، فلم يجد لها موضعاً (٤) فأكلها ، فرأى في المنام كأن قائلاً قال له :
 فتح الله عليك باب الحكمة ؛ باحترامك لتلك الرقعة .

(١) إنما خص اللسان بالذكر لعظم جرائمه التي تؤثر في القلب ظلمة زائدة ، فعلى العاقل أن يشغل لسانه بالذكر والبلاوة ، ليتنور قلبه .

(٢) ومن كلامه : « أحذر الغيبة كما تحذر عظيم البلاء : فإنها إذا ثبتت في القلب أنها أخواتها من النجاسة والبنى وسوء الظن والبهتان . وهي نجاسة للإيمان » .

« كفى بالعبد عاراً أن يدعى دعوة لا يحققها بفعله ، أو يجعل لغير ربه من قلبه نصيباً أو يستوحش مع ذكره »
 « من كان بالله أعرف ، كان منه أخوف » .

وكان ، رضى الله عنه ، من المحدثين .

(٣) وبسمى « المرزوى » مات ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين .

كتب إليه بشر المريسي : ما قولك في القرآن ، مخلوق أم لا ؟

فكتب إليه : أما بعد ، عافانا الله وإياك من كل فتنة ، فإن يفعل فأعظم بها من نعمة ، وإلا فهو الهاكة . أعلم أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له ، وتكلف المجيب ما ليس له ، والله تعالى الخالق ، ومادون الله مخلوق ، والقرآن كلام الله ، واثبت إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين ، ولا تنسج في القرآن من قولك أسماً تكن من الضالين «
 « وذر الذين يلحدون في أسباطهم سحجون ما كانوا يعملون »

(٤) أي يلهي بها ،

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا العباس القاصى يقول : سمعت أبا الحسن الشعرانى يقول : رأيت منصور بن عمار فى المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال قال لى : أنت منصور بن عمار ؟ فقلت : بلى يارب ، قال : أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب فيها ؟ قلت : قد كان ذلك يارب ، ولكنى ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك وثبتت بالصلاة على نبيك ؛ صلى الله عليه وسلم ، وثلثت بالنصيحة لعبادك . فقال : صدق ، ضعوا له كرسيّاً ، يمجدينى فى سمائى بين ملائكتى ، كما كان يمجدينى فى أرضى بن عبادى^(١) .

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار القصار

نيسابورى ، منه انتشر مذهب الملامتية^(٢) بنيسابور .

صحب سلماً^(٣) للباروسى ، وأبا تراب النخشبى .

مات : سنة إحدى وسبعين ومائتين .

سئل حمدون : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس^(٤) ؟

(١) قال العروسى : هذه القصة تشير إلى أن العبرة بما سبق من العناية ، وإن ظهر خلاف طريق الهداية ، لتحقيق فائد الرجاء والأمل ، لكل من عمل ومن لم يعمل ، وذلك بواسطة فيوضات الكرم ، من خزائن ولى النعم - ومع هذا فعلى المكلف دوام الامتثال ، وتفويض القبول لرب الأفضال ، فلا يفتقر الإنسان بكثرة العبادات ، ولا يقنط بكبير المخالفات لثبوت الجهل بما علمه العليم بما قضاه بحكمه القديم ، فيلزم أن يكون عمله بين الرجاء والخوف ، ولا يضيع وقته ما بين عسى وسوف ، حيث ذلك من علامة الخذلان ، القائد إلى دركات النيران ، هذا ما تحرر فى أحكام الشريعة ، والمعول عليه فى أصول الحقيقة .

(٢) الملامتية : هم الذين يسترون صلاحهم بأموال تتداولها العوام ليست بمخالفات ولا معاصى مبالغة فى الخفاء عن الشهرة ، ويعقب الإمام العروسى على هذا المذهب بقوله : « ولكن طريق الاتباع أكمل ، والله سبحانه بعبادة أعلم » وقد أفرد المهروردى فصلاً فى عوارفه لبيان أحوالهم والحديث عنهم .

(٣) وفى نسخة أخرى « سلماً » (٤) أى يعظمهم .

ومن كلامه : « لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه » ، « لا أحد أدون من يتزين إلى دار فانية ، ويتذلل إلى من لا يملك له ضراً ولا نفعاً » ، « إنما كان كلام السلف أنفع من كلامنا لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ، ورضا الخلق » ، (إذا اجتمع إبليس وجسوده لم يفرحوا كفرحهم بثلاثة : مؤمن قتل مؤمناً ، ورجل يموت كافراً ، وقلب فيه خوف الفقر) ، (إذا استطعت أن تصبح مفوضاً لا مدبراً فافعل) ، (من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ؛ ذل فى الدنيا والآخرة) .

مات رحمه الله سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ودفن بنيسابور ، وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان ، وزوى عنه آخرون .

فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه ، أو خاف هلاك إنسان في بدعة ، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها (١) .

وقال : من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون (٢) ، فقد أظهر الكبر .

وقال : منذ علمت أن للسلطان فراسة في الأشرار ، ماخرج خوف السلطان من قلبي .

وقال : إذا رأيت سكراناً فتمايل ؛ لئلا تبغى عليه ، فتبتلى بمثل ذلك (٣) .

وقال عبد الله بن منازل : قلت لأبي صالح : أوصني .

فقال : « إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا ، فافعل » .

ومات صديق له ، وهو عند رأسه ، فلما مات أطفأحمدون السراج . فقالوا له : في مثل هذا الوقت يزداد في السراج الدهن .

فقال لهم : إلى هذا الوقت كان الدهن له ، ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة .

وقال حمدون : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات للرجال .

وقال : لا تنفس على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك .

أبو القاسم الجنيد بن محمد

سيد هذه الطائفة وإمامهم (٤) .

أصله من نهاوند . ومنشؤه ومولده بالعراق . وأبوه كان يبيع الزجاج ؛ فلذلك

يقال له : « القواريري » .

(١) هذا إذا سلم حال تكلمه من الكبر والعجب والرياء ، ونحوها من الآفات . . كما قال الأنصاري في شرحه .
(٢) أي : في الآخرة ، لأنه لا يدري بم يختم له ، أما الحكم في الحال بأن المؤمن خير من الكافر لا كبر فيه .
(٣) المراد ترك الكبر على العصاة ، ورحمتهم ، وصدور الموعظة لهم على وجه الرفق بهم والخوف عليهم .
(٤) قال ابن عربي في الفتوحات : هو سيد أهل الطائفة ، كان من الفقهاء المتعبدين على مذهب الشافعية وتفقه على أبي ثور .
توفي ببغداد سنة ٢٩٨ هـ ، وكان الكثرة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه .
والمتكلمون لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه .

ومن حكمه : الإخلاص سربين العبد وربّه لا يعمل ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيهلكه . وقال : بنى الطريق على أربع : لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تلم إلا عن غلبة ؛ ولا تسكت إلا عن خشية .

وكان فقيهاً على مذهب «أبي ثور» وكان يفتي في حلقاته بحضرته وهو ابن عشرين سنة . صاحب خاله السري ، والحارث المحاسبي ، ومحمد بن علي القصاب .

مات سنة : سبع وتسعين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين ؛ رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول : سمعت الفراغاني يقول : سمعت الجنيد ؛ وقد سئل : من العارف ؟

قال : من نطق عن شرك^(١) وأنت ساكت .

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول : سمعت الجنيد يقول :

ما أخذنا التصوف عن القليل والقال ، لكن عن الجوع ؛ وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال :

أهل المعرفة بالله : يصلون إلى ترك الحركات^(٢) من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل .

فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال ، وهو عندي عظيمة ، والذي سرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا فان العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من عمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها .

وقال الجنيد : إن أمكنك أن لا تكون آلة بيتك إلا خزفاً ، فافعل .

وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتنى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(١) وفي نسخة أخرى : برك .

(٢) أي الأعمال .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عمر الأنماطي يقول : سمعت الجنيد يقول :
لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة ؛ كان ما فاتته أكبر مما ناله .

وقال الجنيد : من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر (١) ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول عن الجنيد : مذهبنا هذا : مقيد بأصول الكتاب والسنة .

وقال الجنيد : علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أنأنا محمد بن الحسين رحمه الله ، قال : سمعت أبا الحسين بن فارس يقول : سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم الحداد يقول : حضرت مجلس القاضي (٢) أبي العباس بن شريح ، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه ، فلما رأى إعجابي قال :

أتدري من أين هذا ؟

قلت : بقول به القاضي .

فقال : هذا بركة مجالسة أبي القاسم الجنيد .

وقيل للجنيد : من أين استفدت هذا العلم ؟

فقال : من جلوسى بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة . وأوماً إلى درجة في داره .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يحكى ذلك ، وسمعته يقول :
رئى في يده سبحة ، فقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟

(١) أى التصوف .

(٢) في نسخة بدون ذكر (القاضي)

فقال : طريق به وصلت إلى ربى لا افارقه .
سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول :
كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل الستر ، ويصلى أربعائة ركعة ،
ثم يعود إلى بيته .

وقال أبو بكر العطوى :

كنت عند الجنيد حين مات ، فرأيت ختم القرآن . . . تم ابتداء من البقرة . . .
وقرأ سبعين آية تم مات رحمه الله (١) .

أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الجبري

المقيم نيسابور . وكان من « الرى » صاحب شاه الكرمانى ، وبحي بن معاذ
الرازى . تم ورد نيسابور ، مع شاه الكرمانى ؛ على (٢) أبى حفص الخداد وأقام
عنده ، وتخرج به ، وزوجه أبو حفص ابنته .

مات سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وعاش بعد أبى حفص نيفا وثلاثين سنة .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عمرو بن حمدان
يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء :
المنع ، والإعطاء ، والعز ، والذل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الرحمن بن عبد الله
يقول : سمعت بعض أصحاب أبى عثمان يقول : سمعت أبا عثمان يقول . . . صحبت
أبا حفص مدة ، وأنا شاب ، فطردنى مرة ، وقال : لاتجلس عندى .

(١) ومن أقواله :

« لا يسمى عبد عاقلا حتى لا يظهر على جوارحه شئ ذمه ربه » . .
« بنى الطريق على أربع : لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تم إلا عن غلبة ، ولا تسكت إلا عن خشية » .
« صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب » .
« يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة » .
« طريق التصوف عنوة لا صلاح فيها » .
« لا يصفو قلب لعل الآخرة ، إلا إذا تجرد من حب الدنيا » .
(٢) أى : قرأ على أبى حفص .

فقممت ، ولم اوله ظهري ، وانصرفت إلى ورائي ، ووجهي إلى وجهه . . . حتى
عن عينيه^(١) ، وجعلت على نفسي : أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره .
فلما رأى ذلك أدناني ، وجعلني من خواص أصحابه .

قال : وكان يقال في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم :

أبو عثمان : بنيسابور ، والجنيد ببغداد ، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام .
وقال أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ، ولانقلني
إلى غيره فسخطته .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن
محمد الشعراني يقول : سمعت أبا عثمان يقول ذلك .

ولما تغير على أبي عثمان الحال^(٢) مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه ، ففتح
أبو عثمان عينيه وقال : خلاف^(٣) السنة يابني في الطاهر ، علامة رياء في الباطن .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول :

سمعت أبا الحسين الوراق يقول : سمعت أبا عثمان يقول :

الصحبة مع الله : بحسن الأدب ؛ ودوام الهيبة ، والمراقبة .

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم .

والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة .

والصحبة مع الأهل : بحسن الخلق .

والصحبة مع الإخوان : بدوام البشر ما لم يكن إثمًا .

والصحبة مع الجهال : بالدعاء لهم والرحمة عليهم .

(١) وفي نسخة أخرى « عنه »

(٢) أي حينما غشى عليه في مرضه .

(٣) أي ما فعله ابنه من إظهار الحزن والألم عليه حتى لا يذم بترك الخنوع على والده . إذ لم يراقب الله في أمره ونهيه عند
نزول المصائب .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصهباني رحمه الله يقول :
سمعت أبا عمرو بن نجيذ يقول : سمعت أبا عثمان يقول :
من أمر (١) السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه
قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، قال الله تعالى : « وإن تطيعوه تهتدوا » (٢) .

أبو الحسين أحمد بن محمد النورى

بغدادى المولد والمنشأ ، بغوى الأصل .
صاحب السرى السقطى ، وابن أبي الحوارى . وكان من أقران الجنيد رحمه الله .
مات سنة : خمس وتسعين ومائتين . وكان كبير الشأن ، حسن المعاملة واللسان .
قال النورى ، رحمه الله : التصوف : ترك كل حظ للنفس .
وقال النورى : أعز الأشياء فى زماننا شيئان :
عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقة .
سمعت أبا عبد الله الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن محمد البرذعى
يقول : سمعت المرتعش يقول : سمعت النورى يقول :
من رأته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقرن منه .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس
البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول :
منذ مات النورى لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد .
وقال أبو أحمد المغازلى :

(١) لازمها ولم يخرج عنها .

(٢) آية ٤٥ من سورة النور ، ومن أقواله أيضاً :

« حق على من أعزه الله بالطاعة ، أن لا يذل نفسه بالمعصية »

« أصل التعليق بالخير ، قصر الأمل .. ومادمت تتبع شهوتك وإرادتك فأنت مسجون . فإذا فوضت أمرك إلى الله وسلمت
استرحت » .. أى مع العمل .

« أصحاب الأغنياء بالتمرز ، والفقراء بالتذل . فان التمزز على الأغنياء تواضع ، والتذل للفقراء شرف .

« علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً ، والشقاوة : أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولا .

ما رأيت أعبد من النورى ، قيل : ولا الجنيد . قال : ولا الجنيد .
وقال النورى : كانت المراقع غطاء على الدر ، فصارت اليوم مزابل على جيف .
وقيل : كان يخرج كل يوم من داره ، ويحمل الخبز معه ، ثم يتصدق به فى
الطريق ، ويدخل مسجداً يصلى فيه إلى قريب من الظهر ؛ ثم يخرج منه ويفتح باب
حانوته ، ويصوم^(١) .

فكان أهله يتوهمون أنه يأكل فى السوق ، وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل
فى بيته .

وبقى على هذا^(٢) فى ابتدائه عشرين سنة^(٣) .

أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء

بغدادى الأصل ، أقام بالرملة ودمشق . من أكابر مشايخ الشام . .
صحب أبا تراب ، وذا النون ، وأبا عبيد البسرى : وأباه يحيى الجلاء .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد العزيز
الطبرى يقول : سمعت أبا عمر الدمشقى ، يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :
قلت لأبى وأمى : أحب أن تهبأى لله عز وجل . فقالا : قد وهبناك لله عز وجل .
فغبت عنهما مدة ، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة ، فدفقت الباب ، فقال لى
أبى : من ذا ؟ قلت : ولدك أحمد .

فقال : كان لنا ولد ، فوهبناه لله تعالى ، ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه .
ولم يفتح لى الباب .

وقال ابن الجلاء : من استوى عنده المدح والذم ، فهو زاهد . ومن حافظ على
الفرائض فى أول مواقيتها فهو عابد ، ومن رأى الأفعال كلها من الله ، فهو موحد
لا يرى إلا واحداً .

ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه ، وهو نضحك : فقال الطبيب : إنه حى .
ثم نظر إلى مجسته فقال : إنه ميت . ثم كشف عن وجهه ، فقال : لا أدرى أهو
ميت أم حى . .

(١) بقية يومه . (٢) وفى نسخة أخرى « وبلى على هذا النهج » أى الطريق : وهو اختفاء حاله فى عبادة ربه .
(٣) ومن كلامه :

« من وصل إلى وده ، أنس بحبه . . ومن توصل بالوداد ، فقد اصطفاه الله من بين العباد » .
« نعت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجدان » . .

وكان في داخل جلده عرق على شكل (لله) .

وقال ابن الجلاء ، رحمه الله ، كنت أمشي مع أستاذي ، فرأيت حدثاً جميلاً ، فقلت :

يا أستاذي ، ترى يعذب الله هذه الصورة ؟

فقال : أو نظرت إليه . . سترى غبه (١) .

قال : فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة (٢) .

أبو محمد رويم بن أحمد

بغدادى ، من أجلة المشايخ . مات : سنة ثلاث وثلاثمائة .

وكان مقرئاً ، وفقهياً على مذهب داود (٣) .

قال رويم : من حكم الحكيم ، أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم ، والتضييق على نفسه من حكم الورع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : سألت رويماً ، فقلت : أوصنى .

فقال : ما هذا الأمر ، إلا ببذل الروح (٤) ، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا ، وإلا فلا تشتغل بترهات (٥) الصوفية .

وقال رويم : قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم (٦) ، وقعدت هذه للطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ، ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه .

(١) غبه : عاقبته .

(٢) ومن أقواله :

« سمت هم المريدون إلى طلب الطريق إليه ، فافنوا نفوسهم في الطلب ، وسمت هم العارفون إلى مولاهم فلم تعطف على شيء سواه . الحق استصحب أقواماً للكلام ، واستصحب أقواماً للخلوة . . فمن استصحب الحق لمعنى ابتلاه بأنواع المحن . . فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر .

« . . . من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها ، ومن بلغ به ثبت عليها .

(٣) داود الظاهري : وهو أبو سليمان ، داود بن علي بن خلف الأصمباني ، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة واعراضها عن التأويل والرأى والقباس . مولده في الكوفة سنة ٢٠١ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٠ هـ .

(٤) أى بذل الجهد في الطاعات والإعراض عن المحرمات .

(٥) جمع ترهة : وهى الأباطيل والخرافات .

(٦) أى اكتفوا بالأعمال الظاهرية .

وقال رويم : اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك ، وأنا عطشان ، فاستقيت من دار ، ففتحت صبية بابها ، ومعها كوز ، فلما رأته قالت : صوفى يشرب بالنهار . .
فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط .

وقال رويم : إذا رزقك الله المقال (١) ، والفعال ، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة ، وإذا أخذ منك الفعال ، وأبقى عليك المقال ، فإنها مصيبة ، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة (٢) .

أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي

ساكن سمرقند : بلخي الأصل ، أخرج منها ، فدخل سمرقند ، ومات بها . وصحب أحمد بن خضرويه ، وغيره ، وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جداً . مات سنة : تسع عشرة وثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن محمد الفراء ، يقول : سمعت أبا بكر بن عثمان يقول : كتب أبو عثمان الحيري إلى محمد بن الفضل يسأله : ما علامة الشقاوة ؟ فقال : ثلاثة أشياء : يرزق العلم ويحرم العمل ، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ، ويرزق صحبه الصالحين ولا يحترم لهم . وكان أبو عثمان الحيري يقول : محمد بن الفضل سمسار (٣) الرجال .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : سمعت محمد ابن الفضل يقول : الراحة في السجن (٤) من أمانى النفوس .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت محمد ابن الفضل يقول :

(١) المقال : أى العلم - والفعال : أى العمل به . (٢) ومن أقواله . « السكون إلى الأحوال اغترار » . . . « رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين » . « الفقر له حرمة ، وحرمة ستره وإخفاؤه والغيرة عليه والضم بكشفه » . « الاخلاص : ارتفاع رؤيتك عن فعلك ، والفتوة : أن تعذر إخوانك في زلهم ، ولا تعاملهم بما يحوج إلى الاعتذار إليهم » « الصبر : ترك الشكوى ، والرضا : التلذذ بالبلوى ، واليقين : المشاهدة بالبصيرة . (٣) أى يعرف أقدارهم ودرجاتهم ، فى الدين ، كما يعرف سمسار السلع قدرها وقدر أيمانها . (٤) المراد بالسجن : الدنيا ، مصداقاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ما لا يعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم .

وهذا الإسناد ، قال :

العجب ممن بقطع المفاوز ليصل إلى بيته^(١) ، فيرى آثار النبوة ، كيف لا يقطع نفسه وهواه ، ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل . ؟

وقال : إذا رأيت المرید يستزید من الدنيا ، فذلك من علامات إداره .

وسئل عن الزهد ، فقال :

النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزراً ، وتظرفاً^(٢) ، وتشرفاً .

أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير

كان من أقران للجنيدي . من أكابر مصر .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : سمعت الكتاني يقول :

لما مات الزقاق انقطعت حجة للفقراء في دخولهم مصر^(٣) .

وقال الزقاق : من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام المحض .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز يقول : سمعت الزقاق يقول :

تهت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً ، فلما وقعت على الطريق استقبلني إنسان جندي ، فسقاني شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة .

(١) أي بيت الله تعالى . (٢) ومن أحواله : « أعرف الناس بالله : أشدهم مجاهدة في أوامره ، وأتبعهم لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم » قال : « من استوى عنده مادون الله نال المعرفة بالله » « أنزل نفسك منزلة من لا حاحه له فيها ، ولا بدله منها ، فإن من ملك نفسه عز ، ومن ملكته نفسه دل) . ومن كلامه : (ست خصال يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شيء ، والكلام في غير نفع ، والعظة في غير موضعها ؛ وإفشاء السر ؛ والقبح بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه أه . (٣) أي أن الفقراء الذين يدخلون مصر بعد وفاته يهيمون بأن دخولهم مصر إما يكون الاستزادة من خيراتها المادية الوافرة وليس للاستفادة الروحية التي انتهت - في نظر القائل - بوفاة الزقاق .

أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي

لقى أبا عبد الله النباجي ، وصاحب أبا سعيد الخراز ، وغيره .

شيخ القوم ، وإمام الطائفة في الأصول والطريقة .

مات ببغداد سنة : إحدى وتسعين ومائتين :

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول : سمعت عمرو بن المكي يقول :

كل ماتوهمه قلبك ، أو رسخ ^(١) في مجاري فكرتك ، أو خطر في معارضات قلبك من حسن ، أو مهاء ، أو أنس ، أو جمال ، أو ضياء ، أو شبح ، أو نور ، أو شخص ، أو خيال ، فالله تعالى بعيد من ذلك ، ألا تسمع إلى قوله تعالى : « ليس كمثله شيء ؛ وهو السميع البصير » وقال : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

وهذا الإسناد قال :

العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفوس حرون بين ذلك ، جموح ، خداعة ، رواغة ، فاحذرهما بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .
وقال : لاتقع على الواجد ^(٢) عبارة ، لأنه سر الله عند المؤمنين ^(٣) .

سمنون بن حمزة

وكنيته : أبو الحسن ، ويقال : أبو القاسم .

صاحب السرى ، وأبا أحمد القلانسي ، ومحمد بن علي القصار ؛ وغيرهم .
قيل إنه أنشد :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاخترني

(١) وفي نسخة أخرى (أو سنج) أي عرض وخطر . (٢) وفي نسخة أخرى (الوجد) . عبارة : أي يعبر بها عنه .

(٣) وقال : (الصبر : الثبات مع الله ، وملاقة بلائه بالرحب والدعة المروءة : التفاعل عن رلل الإخوان)

فأخذه الأسر^(١) من ساعته . فكان يدور على المكاتب ، ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب .

وقيل : إنه أنشد هذه الأبيات ، فقال بعض أصحابه لبعض : سمعت البارحة ، وكنت في الرستاق صوت أستاذنا « سمنون » يدعو الله ، ويتضرع إليه ، ويسأله الشفاء . فقال آخر : وأنا أيضاً ، كنت سمعت هذا البارحة ، وكنت بالموضع الفلاني . فقال ثالث ، ورابع ، مثل هذا ، فأخبر سمنون ، وكان قد امتحن بعة الأسر ، وكان يصبر ولا يجزع ، فلما سمعهم يقولون هذا ، ولم يكن هو دعا ، ولا نطق بشيء من ذلك ، علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأديباً بالعبودية ، وسترأ لحاله ، فأخذ يطوف على المكاتب ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادي يقول : سمعت جعفر الخلدی يقول : قال لي أبو أحمد المغازلي : كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم ، فقال لي سمنون : يا أبا أحمد ، ألا ترى ما قد أنفق هذا ، وما قد عمله ؟ ونحن ما نجد شيئاً . فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة . فمضينا إلى المدائن ، فصلينا أربعين ألف صلاة . وكان سمنون ظريف الخلق ، أكثر كلامه في المحبة^(٢) . وكان كبير الشأن . مات قبل الجنيد ، كما قيل .

(١) الأسر : احتباس السول ، ويروى ابن عرى سبب ذلك فبقول : « لما أساء سمنون الأدب مع الله وأراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضا والصبر ، ابتلى بالأسر الذي هو احتباس البول فكان يتلوى منه كالحية على الرمل ؛ إذ مقاومة القهر الإلهي سوء أدب .

ولما تاب الله عليه ؛ وشفاه ، أنشد :

أنا راض بطول صدك عني لبس إلا لأن ذاك هواكا
فامنحني بالحق ضميري على الود ودعني معلقاً برجاكا

(٢) ومن كلامه في ذلك : أول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد الحق مواصلته لنفسه . وسئل عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ، وعن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء . . . وقيل له : إنا نذكر الله ولا نحد في قلوبنا حلاوة . فقال : « احمدا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بذكره » .

أبو عبيد البرى

من قدماء المشايخ . صاحب أبا تراب النخشي .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول :
سمعت للدقي يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :

لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة :

ذى النون المصرى ، وأبى (١) ، وأبى تراب ، وأبى عبيد البسرى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن
محمد البغوى يقول : سمعت محمد بن معمر يقول : سمعت أبا زرعة الحسنى يقول :
كان أبو عبيد البسرى يوماً على « جرجر » (٢) يدرس قمحاً . وبينه وبين الحج ثلاثة
أيام ؛ إذ أتاه رجلان ، فقالا :

يا أبا عبيد ، تنشط للحج .

فقال : لا .

ثم التفت إلى وقال :

شيخك على هذا (٣) أقدر منهما . يعنى نفسه .

أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى

كان من أولاد الملوك .

صاحب أبا تراب النخشي ، وأبا عبيد البسرى ، وأولئك للطبقة .
وكان أحد الفتيان (٤) كبير الشأن (٥) ، مات قبل الثلاثمائة .

(١) هو بجى الجلاء :

(٢) نورج .

(٣) أى : على الحج قبل فوات أوانه عن طريق هذا الأمر المسمى « بطل الأرض »

(٤) من أهل الفتوة والبذل .

(٥) ومن كلامه : (لأهل الفضل فضل مالم يروه ؛ فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية مالم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم) .

(من صحبك على ما يجب ، وخالفك فيما يكره ، فإنما يصحب هواه) .

(التوكل : سكون القلب إلى الله تعالى فى حاله الموجود والمفقود) .

وقال شاه : علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشهوات .
وكان يقول لأصحابه :

اجتنبوا الكذب ، والخيانة ، والغيبة ، تم اصنعوا ما بد لكم .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت جدى ابن نجيد يقول :
قال شاه للكرمانى : من غض بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات
وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطيء
له فراسة .

يوسف بن الحسين (١)

شيخ الرى والجبال فى وقته .
وكان نسيج وحده فى إسقاط التصنع (٢) .
وكان عالماً أديباً ، صاحب ذا النون المصرى ، وأبا تراب النخشبى ، ورافق
أبا سعيد للخراز . مات سنة : أربع وثلاثمائة .
قال يوسف بن الحسين : لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلى من أن
ألقاه بذرة من التصنع .
وقال يوسف بن الحسين : إذا رأيت المرید يشتغل بالرخص ، فاعلم أنه لا ينجى (٣)
منه شىء .
وكتب إلى الجنيد : لا أذاقك الله طعم نفسك (٤) . فانك إن ذقتها لم تذق بعدها
خيراً أبداً .
وقال يوسف بن الحسين : رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ، ومعاشرة
الأضداد ، ورفق الذسوان (٥) .

(١) هو يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازى . (٢) أى التزين والتحسين للخلق بإطهار العباداة والطاعة
(٣) ما يرجوه من ممالى الأمور . (٤) أى لذة شهواتها الذهبية كلفة الرئاسة والمنزلة ونظم الخلق .
(٥) أى الانتفاع بالعطايا والهبات وقبول ما يدفعه من ذلك .

أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي (١)

من كبار الشيوخ ، وله تصانيف في علوم القوم .
 صاحب أبا تراب النخشي ، وأحمد بن خضرويه ، وابن الجلاء ، وغيرهم .
 سئل محمد بن علي عن صفة الخلق ، فقال :
 ضعف ظاهر ، ودعوى عريضة .
 وقال محمد بن علي : ما صنعت حرفاً عن تدبير ، ولا لينسب إلى شيء منه ولكن
 كان إذا اشتد علي وقتي أتسلى به .

أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي

أقام ببلخ .
 وصاحب أحمد بن خضرويه ، وغيره . وله تصانيف في الرياضات .
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ،
 يقول : سمعت محمد بن محمد البلخي يقول : سمعت أبا بكر الوراق يقول :
 من أرضى الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات .
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت أبا بكر البلخي يقول :
 سمعت أبا بكر الوراق يقول :
 لو قيل للطمع من أبوك ؟ قال : للشك في المقدور .
 ولو قيل : ما حرفتك ؟
 قال : اكتساب الذل .

(١) نسبة إلى ترمذ : مدينة على طرف نهر بلخ المسمى بجيجون . قال الحافظ ابن النجار في تاريخه : كان إماماً من أئمة المسلمين
 له التصانيف الكثيرة في التصوف وأصول الدين ومعاني الحديث ، وقال الكلا باذى في « التعرف » هو : من أئمة الصوفية : وقال
 ابن عطاء الله : كان الشاذلي والمرسي يعظمانه ويقولان : هو أحد الأوتاد الأربعة .
 ومن حكمه : إذا سكنت الأرواح بالسر نطقت الجوارح بالبر ، وقال : « الولي أبدأ في ستر حالة والكون ناطق بولايته ،
 ومدعى الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه » وقال : « ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت لقصاً في معرفتي وإيماني .
 وما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل » .

ولو قيل : ما غايتك ؟

قال : الحرمان .

وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسيارات ويقول :
مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك (١) إلى أن تصح لك الإرادة ، فإن
صحت لك الإرادة ، فقد ظهرت عليك أوائل البركة .

أبو سعيد بن عيسى الخراز

من أهل بغداد .

صاحب ذا النون المصري ، والنجاشي ، وأبا عبيد البصري ، والسري : وبشراً ،
وغيرهم . . مات سنة : سبع وسبعين ومائتين .

قال أبو سعيد الخراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبد الله الرازي يقول : سمعت
أبا العباس الصياد يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول :

رأيت إبليس في النوم ، وهو يمر عني ناحية ، فقلت له : تعال ، مالك ؟
فقال : إيش أعمل بكم ، وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس !
فقلت : وما هو ؟ قال : الدنيا .

فلما ولى عني ، التفت إلى ، وقال : غير أن لي فيكم لطيفة (٢) .

فقلت : وما هي ؟ قال : صحبة الأحداث .

وقال أبو سعيد الخراز :

صحبت الصوفية ما صحبت ، فما وقع بيني وبينهم خلاف .

قالوا : لم ؟ قال : لأنني كنت معهم على نفسي .

(١) إرادتك : سلوكك .

(٢) لطيفة : أي أمر خفي .

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل المغربي

أستاذ إبراهيم بن شيبان^(١) ، وتلميذ علي بن رزين .
عاش مائة وعشرين سنة . ومات سنة : تسع وتسعين ومائتين .
كان عجيب الشأن ، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة ، وكان
يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود أكلها .

وقال أبو عبد الله المغربي :

أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات^(٢) .

وقال : أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً ، أو تواضع له . وأعظم الخلق عزاً
غنى تذلل للفقراء ، وحفظ حرمتهم^(٣) .

أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق

من أهل طوس^(٤) . سكن بغداد ، وصاحب الحارس المحاسبي ، والسري السقطي
توفي ببغداد سنة تسع ، وقيل : سنة ثمان وتسعين ومائتين .

قال ابن مسروق : من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات
جوارحه .

وقال : تعظيم حرمان المؤمنين من تعظيم حرمان الله تعالى ، وبه يصل العبد إلى
محل حقيقة التقوى .

(١) الخواص .

(٢) بين أعمال القلب والجوارح بأن تكون واقعة على أفضل ما يرضى الله ، وفي نسخة بالمراقبات .

(٣) ومن أقواله : « الفقير لا يرجع إلى مستند في الكون ، غير الالتجاء إلى من إليه فقره ، ليغنيه بالاستغناء به » ،
« من ادعى العبودية وله مراد باق فهو كذاب ، وإنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته في مرادات سيده » . . « العارف
تضى له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب » . .

(٤) أخذ الحديث عن كثير بن . ومن أقواله : من لم يحرز بعقله من غناه لعقله ، وهلك بعقله ، وقال : المؤمن يقوى بذكر
الله ، والمنافق بالأكل والشرب .

وقال : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ،
وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق^(١) والموافقة .

وقال : متى طمعت في المعرفة^(٢) ، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة^(٣) فأنت في
جهل ، ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة ، فأنت في غفلة عما تطلب .

أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني

من أقران الجنيد .

قصده عمرو بن عثمان المكي في دين ركه ، فقضاه عنه ، وهو ثلاثون ألف
درهم .

لقى أبا تراب النخشي والطبقه^(٤) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله
الطبري يقول : سمعت علي بن سهل يقول :

المبادرة إلى الطاعات من علامة التوفيق . .

والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية .

ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ . .

وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية . ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم
في منتهى عواقبه^(٥) .

(١) أى اتفاق مراد العبد ومطلوب الرب تعالى . والموافقة للكتاب والسنة .

(٢) المعرفة بالله . (٣) السلوك .

(٤) أى الذين في طبقته . ومن كلامه : حرام على من عرف الله أن يسكن لغيره وقال الصوف : النهرى : عن دونه ،
والتخلى عما سواه .

(٥) ومن أقواله : « من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأهلها ، فان من جهل القلب متابعه سرور لا يدوم » .

أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري (١)

من كبار أصحاب الجنيد . وصاحب سهل بن عبد الله . أقعد بعد الجنيد في مكان وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة ، كبير الحال . مات سنة : إحدى عشرة وثلاثمائة .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول : مات الجريري سنة الهير (٢) ، فجزت به بعد سنة ، فاذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره ، وهو مشير إلى الله (٣) بأصبعه .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول :

من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوى ، وحرّم الله على قلبه الفوائد ، فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ؛ ولا يستحليه وإن كثر ترداده على لسانه ؛ لقوله تعالى : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » (٤) .

وقال الجريري :

رؤية الأصول (٥) باستعمال الفروع ، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول (٦) ، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع (٧) .

(١) نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل . (٢) أي السنة التي كان فيها هلاك الناس وتقطيعهم .

(٣) إلى انفراده سبحانه بالوحدانية . (٤) آية ١٤٦ من سورة الأعراف .

(٥) أصول الأحكام الشرعية وهي الكتاب والسنة .

(٦) أي عرض الفروع عليها .

(٧) والمقصود أن اعتقاد العظمة والصحة في الأصول فرع اعتقاد العظمة والصدق فيمن شرعها ، واعتقاد عظمه الأصول لا يتم إلا بايقاع الفروع صحيحة على موافقتها ، وإلا فلا فائدة .. ومن كلامه : إن الله لا يعبد بصاحب حكاية وإنما يعبد بصاحب قلب ورواية . وقال : من توهم أن أعماله توصله إلى مأموله الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن الطريق : لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول : لن ينحى أحدكم عما . فإلا ينحى من الخوف كيف يبلغ المأمول ؟ ، ومن صح اعتقاده على فضله (مع العمل) فذاك الذي يرجي له الوصول .

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي (١)

من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم^(٢) ، كان الخراز بعظم شأنه .
 وهو من أقران الجنيد ، وصاحب إبراهيم المارستاني . مات سنة : تسع وثلاثمائة .
 سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا سعيد القرشي يقول : سمعت ابن
 عطاء يقول : من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف
 من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، في أوامره ؛ وأفعاله ، وأخلاقه .
 وقال ابن عطاء : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل ، وغفلته عن أوامره
 ونواهيه ، وغفلته عن آداب معاملته .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الرحمن بن
 أحمد الصوفي يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول :
 كل ما سئلت عنه فاطمه في مفازة^(٣) العلم ، فإن لم تجده ، ففي ميدان الحكمة ،
 فإن لم تجده فزنه بالتوحيد^(٤) ، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه
 الشيطان .

أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص

من أقران الجنيد ، والنوري . وله في التوكل والرياضات حظ كبير .
 مات بالري سنة : إحدى وتسعين ومائتين .
 كان « مبطوناً »^(٥) ؛ فكان كلما قام توضأ ، وعاد إلى المسجد وصلى ركعتين ،
 فدخل مرة الماء فمات . رحمه الله .

(١) بفتح الهمزة والدال : نسبة إلى بيع الأدم وهو الجلد .
 (٢) قال : رأيت في النوم فائلا يقول : أي شيء أصبح في الصلاة (؟ قلت : صحة القصد . فقال هاتف : بل رؤية
 المقصود بإسقاط رؤيته القصد . وقال « رؤية الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله » .
 (٣) أي مجاله لا تساعه وهو الأدلة المأخوذة من الكتاب والسنة .
 (٤) أي بما تقرر في علم التوحيد هل تلقى نسبته إلى الله أم لا ،
 (٥) أي مريضاً بداء البطن وهو الإسهال .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت الخواص يقول : ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العالم من اتبع العلم واستعمله ؛ واقتدى بالسن وإن كان قليل العلم .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت الأزدي يقول : سمعت الخواص يقول :
دواء القلب خمسة أشياء :

قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ؛ والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين (١) .

أبو محمد عبد الله بن محمد انخراز

من أهل الري . جاور بمكة .

صحب أبا حفص ، وأبا عمران الكبير .

وكان من المتورعين . مات قبل العشرة والثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت أبا نصر الطوسي يقول : سمعت للدقي يقول : دخلت على عبد الله انخراز ، ولى أربعة أيام لم آكل ، فقال : بجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح نادى عليه الجوع .
ثم قال :

إشئ يكون لو أن كل نفس منفوسة (٢) تلفت فيم تؤمله عند الله ترى يكون ذلك كثيراً .

وقال أبو محمد عبد الله انخراز :

للجوع طعام للزاهد بن ، وللذكر طعام للعارفين (٣) .

(١) ومن فوائده : « من لم يصبر لم يظفر » . وكان عامة مناجاته : « برح الخفاء وفي التلوى راحة هي يشق خل بغير خليله .

(٢) منفوسة . مولودة .

(٣) قال الغزوي : وإنما كان طعامهم الذكر لأنهم تحققوا بالله ورفضوا ماسواه فكانت حياهم بالذكر ، وتنماتهم بالفكر ، وأنسهم بالقرب . . فجناتهم بالمشاهدات ، وفارهم بالغفلات . . فرضى الله عنهم وأرضاهم عنا .

أبو الحسن بنان بن محمد الحمال

واسطى الأصل .

أقام بمصر ، ومات بها سنة : ست عشرة وثلاثمائة .

كبير الشأن ، صاحب الكرامات .

سئل بنان عن أجل أحوال الصوفية ، فقال :

الثقة بالمضمون^(١) ، والقيام بالأوامر ، ومراعاة السر^(٢) ، والتخلي عن الكوفيين .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسن بن أحمد الرازي ، يقول :
سمعت أبا علي الروذباري يقول :

ألقى بنان الحمال بين يدي السبع^(٣) ، فجعل السبع يشمه ولا يضره .

فلما أخرج ، قيل : ما الذي كان في قلبك حيث شمك السبع ؟

قال : كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر^(٤) السبع .

أبو حمزة البغدادي البزاز

مات قبل الجنيد ، وكان من أقرانه صاحب السرى ، والحسن المسوحى وكان عالماً بالقراءات ، فقيهاً .

وكان من أولاد عيسى بن أبان ، وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل :

ما تقول فيها يا صوفي ؟

قيل : كان يتكلم في مجلسه يوم الجمعة فتغير عليه الحال ، فسقط عن كرسيه :
ومات في الجمعة التالية .

(٢) السر القلب .

(١) وهو الرزق .

(٣) بأمر ابن طولون حين اشتد في الأمر بالمعروف ، أو حين أهم بما يستحق العقوبة .

(٤) رطوبة فيه هل هي طاهرة أو ليست بطاهرة .

وقيل : مات سنة تسع وثمانين ومائتين .

قال أبو حمزة :

من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواه ، رفاهه وأقره .
وقال أبو حمزة :

من رزق ثلاثة أشياء ، فقد نجا من الآفات :

بطن خال مع قلب قانع ، وفقير دائم معه زهد حاضر ، وصبر كامل معه ذكر دائم .

أبو بكر محمد بن موسى الواسطي

خراساني الأصل . من « فرغانة » . صاحب الجنيد والنوري .

عالم كبير الشأن . أقام بمرو ، ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة .

قال الواسطي : الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب .

وقال : مطالعة الأعواض^(١) على الطاعات من نسيان الفضل .

وقال الواسطي : إذا أراد الله هوان عبده ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيوف ، يريد به صحبة الأحداث .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزي ، يقول : سمعت الواسطي يقول :

جعلوا سوء أدبهم إخلالاً ، وشره نفوسهم انبساطاً ؛ ودناءة الهمم جلادة ، فعموا عن الطريق ، وسلكوا فيه المضيق ، فلاحياة تنمو في شواهدهم^(٢) ، ولاعبادة تزكو في محاضرتهم ، إن نطقوا فبالغصب وإن خاطبوا فبالكبر ، توثب أنفسهم بنبيء عن خبث ضمائرهم ، وشرهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

(١) الأعواض : جمع عوض . وهو ما يكون في مقابلة الشيء والمراد به هنا : الأجر المرتب على الطاعة : والمطالبة : التشوف والمطالبة :

(٢) شواهدهم : مشاهدتهم :

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

سمع بعض المرازقة إنساناً صيدلاً نياً ، يقول :

اجتاز الواسطي يوم الجمعة بباب حانوتي ، قاصداً إلى الجامع فانقطع شمع (١) نعله ، فقلت :

أيها الشيخ ، أتأذن لي أن أصلح نعلك ؟

فقال : أصلح .

فأصلحت شمعته ، فقال : أتدري لم انقطع شمع نعلي ؟

فقلت : حتى يقول !!

قال : لأنني ما اغتسلت للجمعة !!

فقلت له : يا سيدي ، ها هنا حمام تدخله ؟ فقال : نعم . فأدخلته الحمام فاغتسل (٢).

أبو الحسن بن الصائغ

واسمه : علي بن محمد بن سهل الدينوري .

أقام بمصر ، ومات بها ، وكان من كبار المشايخ .

قال أبو عثمان المغربي :

ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب الهرجوري ، ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ .

مات سنة : ثلاثين وثلاثمائة .

سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، فقال :

كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير ؟ ! .

وسئل عن صفة المريد ، فقال :

(١) أحد سيوره :

(٢) ومن فوائده : الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب : وقال الذكر : الخروج من ميدان الغفلة . إلى فضاء المشاهدة ، على غلبة الخوف وشدة الحب . .

إذا تجلى الحق على السرائر ذهب الخوف والرجاء ، أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه : الكلمة التي بها كملت المحاسن : الاستقامة .

ما قال الله عز وجل : « وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم » (١) الآية .

وقال : الأحوال كالبروق ، فإذا ثبت فهو حديث النفس وملازمة للطبع (٢) ،

أبو اسحق إبراهيم بن داود الرقي

من كبار مشايخ الشام .

من أقران الجنيد ، وابن الجلاء .

وقد عمر ، وعاش إلى سنة : ست وعشرين وثلاثمائة .

وقال إبراهيم الرقي :

المعرفة : إنبات الحق على ماهو ، خارجا عن كل ماهو موهوم .

وقال : القدرة ظاهرة ، والأعين مفتوحة . ولكن أنوار البصائر قد ضعفت

وقال : أضعف الخلق : من ضعف عن رد شهواته ، وأقوى الخلق : من قوى

على ردها .

وقال : علامة محبة الله : إيثار طاعته ، ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم (٣) .

ممشاد الدينوري

من كبار مشايخهم (٤) . مات سنة : تسع وتسعين ومائتين .

قال ممشاد :

أدب المرید فی التزام حرمان المشايخ ، وخدمة الإخوان ، والخروج عن الأسباب ، وحفظ آداب الشرع على نفسه .

(١) الآية هي : حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضائق عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » : التوبة آية : ١١٨ :

(٢) وفي بعض النسخ ، وملازمة الطبع أي موافقته :

(٣) ومن كلامه : نفسك سائرة بك ، وقلبك طائر بك ، فكن مع أسرعهما وقال : « قيمة كل إنسان بقدر همته » وإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له ، وإن كانت همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها : وقال : السياحة بالنفس لأرباب الظواهر علما وشرعا وخلقا ، والسياحة بالقلب لأرباب البواطن حالا ووجداء وكشفا »

(٤) صاحب ابن الجلاء ، وكان عابداً زاهداً ، من أقواله : إنما ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكير .

وقال : ما أتبع الففلة عن طاعة من لا يففل عن برك ، وعن ذكر من لا يففل عن ذكرك وقال : لو جمعت حكم الأولين والآخرين ، وادعيت أحوال الأولياء والصادقين ، لم تصل إلى درجة العارفين ، حتى يسكن سرك إلى الله تعالى ، وتثق به فيما ضمنك :

وقال ممشاد :

ما دخلت قط على أحد من شيوخي ، إلا وأنا خال من جميع مالى ننظر بركات ما يرد على من رؤيته وكلامه ، فان من دخل على شيخ بحظه^(١) انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته ، وكلامه .

خير النساج

صحب أبا حمزة البغدادي ، ولقى السرى ، وكان من أقران أبي الحسن للنورى إلا أنه عمر عمراً طويلاً . وعاش ، كما قيل ، مائة وعشرين سنة^(٢) .

وتاب في مجلسه : الشبلى ، والخواص . وكان أستاذ الجماعة .

وقيل : كان اسمه محمد بن اسماعيل ، من « سامرة » ، وإنما سمي « خير النساج » ، لأنه خرج إلى الحج ، فأخذه رجل على باب الكوفة وقال :

أنت عبدى ، واسمك خير .

— وكان أسود — فلم يخالفه . واستعمله الرجل في نسج الخبز ، فكان يقول له :

يا خير فيقول : لبيك .

ثم قال له الرجل بعد سنين :

غلطت ، لا أنت عبدى . ولا اسمك خير .

ففضى وتركه ، وقال :

لا أغير اسماً سماني به رجل مسلم .

وقال : للخوف سوط الله يقوم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن

للقزويني يقول : سمعت أبا الحسن المالكي ، يقول :

سألت من حضر موت خير النساج عن أمره : فقال :

(١) أى بنية الامتحان ومعرفة ما عنده :

(٢) أصله من أهل سامرة ، ثم سكن بغداد . ومن فوائده : الصبر من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام .

لما حضرت صلاة المغرب غشى عليه ، ثم فتح عينيه ، وأومأ^(١) في ناحية البيت وقال : قف ، عافاك الله ، فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور .

وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني .

ودعا بماء فتوضأ للصلاة ، ثم تمدد . وغمض عينيه ، وتشهد ، ومات ، فرأى في المنام فقيل له :

ما فعل الله بك ؟

فقال لسائله : لا تسألني عن هذا ، ولكن استرحت من دنياكم اللوزرة^(٢) . .

أبو حمزة الخراساني

بنيسابور ، أصله من محلة « ملقاباذ » . من أقران الجنيد ، والخراز وأبي تراب النخشي . وكان ورعاً ، ديناً .

قال أبو حمزة :

من استشعر ذكر الموت حبيب الله إليه كل باق ، وبغضن إليه كل فان .

وقال : العارف بالله يدافع عيشه يوماً بيوم ، ويأخذ عيشه يوماً ليوم .

وقال له رجل : أوصني .

فقال : هيء زادك للسفر الذي بين يديك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الطيب العكي يقول :

سمعت أبا الحسن المصري يقول : سمعت أبا حمزة الخراساني ، يقول :

كنت قد بقيت محرماً في عباء^(٣) ، أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس

على وتغرب ، كلما حللت أحرمت .

توفي سنة . تسعين ومائتين .

(١) أى أشار إلى ملك الموت .

(٢) وفى نسخة الفذرة والمعنى واحد . ومن أقواله : « الصبر من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام » « العمل الذى يصل به العبد إلى الدرجات العلا ، رؤية التقصير والعجز والضعف » .

(٣) أى كساء ، ويقال فيه : عباية وعباة .

أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي

بغدادى المولد والمنشأ . وأصله من « أسر وشنة » .
 صاحب الجنيد ومن فى عصره ، وكان شيخ وقته : حالا ، وظرفاً ، وعلماً (١) .
 مالكى المذهب . عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة : أربع وثلاثين وثلاثمائة .
 وقبره ببغداد .

ولما تاب الشبلي فى مجلس « خير النساء » أتى « دماوند » ، وقال :
 كنت والى بلدكم ، فاجعلونى فى حل (٢) .
 وكانت مجاهداته فى بدابته فوق الحد .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
 بلغنى أنه اكتحل بكذا . وكذا . . من الملح ؛ ليعتاد السهر ، ولا يأخذه النوم
 ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه « بكران الدينورى » فى آخر عمره لكان
 كثيراً

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت أبا العباس
 للبغدادى يقول : كان للشبلي ، رحمه الله ، يقول فى آخر أيامه :

(١) سمع هائماً يقول : الخيار عشرة بدرهم . فصاح وقال ، : فكيف الشرار .
 ومن حكمه : ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق ، وقال : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا فانظر
 إلى نفسك ، فخذ كفا من تراب فانك منه خلقت وفيه تعود .
 وسأله رجل : أى الصبر أشد ؟ قال : الصبر فى الله : قال : لا قال الصبر مع الله ، قال : لا . قال : الصبر لله . قال :
 لا ، قال : فأى شئ . قال : الصبر عن الله . فصرخ الشبلي وأنشد :
 الصبر يحمل فى المواطن كلها إلا عليك فانه لا يحمل
 قال : ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور ، وأنشد فى الذكر :
 ذكرتك لا أنى نسيته لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
 وكدت بلا وجد أهوت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
 فلما أراى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان
 فخاطبت موجودا بغير تكلم ولا حظت معلوما بغير عبتان
 وقال : ليس من جذبته أنوار مقدسة إلى أنسه كن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته .
 (٢) لأنه بالتوبة تنقل من حقوق الخالق وبقي عليه حقوق المخلوقين ، فالخروج من حقوق الآدميين معتبر فى تحقيق التوبة . .
 وبذلك كانت توبته خالصة كاملة . .

وكم من موضع^(١) لومت فيه لكنت به نكالا في العشرة

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عاصره ، ويقول :

هذا شهر عظمه ربي ، فأنا أول من يعظمه .

سمعت الأستاذ أبا علي يحكي ذلك عنه .

أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش

نيسابوري ، من محلة « الحيرة » . وقيل : من « ملقباذ » .

صحب أبا حفص ، وأبا عثمان ، ولقي الجنيد ، وكان كبير الشأن^(٢)

وكان يقيم في مسجد « الشونزيه »^(٣) . مات ببغداد سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .

قال المرتعش .

الإرادة : حبس النفس عن مراداتها ، والإقبال على أوامر الله تعالى ، والرضا بموارد القضاء عليه .

وقيل له : إن فلاناً يمشي على الماء .

فقال : عندي أن من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي في الهواء .

(١) أراد بالموضع المقامات المدمومة الى نقله الله منها .

(٢) وقال المناوي : عجائب الدنيا في التصوف ثلاثة : السبيل في الإشارات ، والمرتعش في النكت ، وجعفر الخلدي في الحكايات .

ومن حكم المرتعش ، قوله : من كل إسلامه أحبه الحق ، ومن كل إيمانه استغنى عن الحق . وقوله :

أصول التوحيد : معرفة الله بالربوبية والاقترار له بالوحدانية ، ونفى الأضواء عنه بالكلية . . وقال : سكون القلب لغير

(٣) نسبة إلى الشونيز مقبرة ببغداد .

الله عقوبة عجائب في الدنيا .

أبو علي أحمد بن محمد الروذباري

بغدادى ، أقام بمصر . ومات بها سنة : اثنتين وعشرين وثلاثمائة .
صاحب الجنيدي ، والنورى ، وابن الجلاء ، والطبقة .
أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة (١) .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت أبا للقاسم
الدمشقي يقول : سئل أبو علي الروذباري عن يسمع الملاحى ويقول :
هى لى حلال ، لأنى وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال .
فقال : نعم ، قد وصل ، ولكن إلى سقر !!
وسئل عن التصوف ، فقال : هذا مذهب كله جد ، فلا تخلطوه بشيء من
الهلل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول :
سمعت أبا علي الروذباري يقول : من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك ،
فتترك الانابة والتوبة ، توهماً أنك تسامح فى الهفوات ، وترى أن ذلك من بسط الحق
لك . .

وقال : كان أستاذى فى التصوف : الجنيدي . وفى الفقه : أبو العباس بن شريح (٢)
وفى الأدب : ثعلب ، وفى الحديث : إبراهيم الحربى .

أبو محمد عبد الله بن منازل

شيخ الملامتية (٣) ، وأوحد وقته . صاحب حمدون القصار .
وكان عالماً . وكتب الحديث الكثير .

مات نيسابور سنة : تسع وعشرين ، أو ثلاثين وثلاثمائة .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول سمعت عبد الله المعلم يقول :
سمعت عبد الله بن منازل يقول :

(١) ومن أقواله : المرید من لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له . والمراد : لا يريد من الكونين شيئاً غيره . وقال المشاهدة
للقلوب ، والمكاشفة للأسرار ، والمعاينة للبصائر ، والمرئيات للأبصار .

(٢) فى نسخة : بن شريح .

(٣) هم طائفة خاصة من الصوفية يعتمدون على الإخلاص والتهرب من الرياء والمباغاة فى ذلك . . وقد فصل السهروردى
الحديث عنهم فى عوارفه .

لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ، ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول :

أفضل أوقاتك : وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ، ووقت تسلم (١) فيه من سوء ظنك .

أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي

إمام الوقت (٢) صاحب أبا حفص وحمدون القصار .

وبه ظهر التصوف بنيسابور : مات سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا علي الثقفي يقول : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة : من شيخ ، أو إمام أو مؤدب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ بريه عيوب أعماله ، ورعونات نفسه ، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

وقال أبو علي رحمه الله :

نأتى على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق .

وقال : أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً ، وإذا أدبر كان حسرة .

(١) وفي نسخة أخرى : « يسلم الناس » .

(٢) ومن أقواله : كمال العبودية العجز والتقصير عن معرفة علل الأشياء بالكلية وقال : لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صواباً ، ومن صوابها إلا ما كان خالصاً ومن خالصها إلا ما كان موافقاً للسنة . وقال : ليس شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ، ولا شيء أولى بأن تغلبه من هواك .

أبو الخير الأقطع (١)

مغربى الأصل ، سكن « تينات » .

وله كرامات ، وفراصة حادة .

كان كبير الشأن ، مات سنة : نيف وأربعين وثلاثمائة :

قال أبو الخير :

ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة^(٢) ، ومعانقة الأدب ، وأداء الفرائض ، وصحبة الصالحين .

أبو بكر محمد بن على الكتانى^(٣)

بغدادى الأصل .

صاحب الجنيد ، والخراز ، والنورى .

وجاور بمكة إلى أن مات سنة . اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

(١) قال المناوى فى طبقاته : هو : التيناتى نسبة إلى « تينات » قرية ببلاد المشرق ، على أميال من « المصيصة » ، وهى مدينة على ساحل البحر . واسمه « عباد بن عبد الله » .

وأصله من المغرب . وقدم المشرق فصاحب ابن الجلاء وغيره ، ومات بمصر ، بقرب قبر ذى النون المصرى ومن كلامه : لا يجوز التصدر للمشيخة إلا لمن فرغ من تهذيب نفسه ، ومن بقى عليه بقية . فهو مرید ، والمرید لا يكون له مرید . وقال : « من أحب أطلاع الناس على عمله ، فهو مرآة . أو على حاله ، فهو كذاب » .

وقال : القلوب ظروف : فقلب مملوء إيماناً ، فعلا مته الشفقة على جميع المسلمين ، والاهتمام بما يهمهم ، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم ، وقلب مملوء نفاقاً ، فعلا مته : الخقد ، والفيل ، والفش والحسد » وقال : لن يصفو قلبك إلا بتصحیح النية لله تعالى ، ولن يصفو بدنك إلا بحدمة أولياء الله تعالى » .

(٢) أى موافقة الكتاب والسنة فى العلم والعمل .

(٣) وهو : محمد بن على بن جعفر ، وكنيته أبو بكر . كان أحد الأئمة . حكى عن أبى محمد المرتضى أنه كان يقول : « الكتانى سراج الحرم » .

ومن قوله : إذا سألت الله تعالى التوفيق فابدأ العمل . « وكن فى الدنيا ببذلِكَ وفى الآخرة بقلبِكَ » وقال : « الغافلون يعيشون فى حلم الله ، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله ، والعارفون يعيشون فى لطف الله ، والصادقون يعيشون فى قرب الله » وسئل عن الصوفى ، فقال : من عزفت نفسه عن الدنيا نظرفاً . وعلت همته عن الآخرة ، وسكنت نفسه بالكل ، طلباً وشوقاً إلى من له الكل .

وقيل له : من العارف ؟ . فقال : « من يوافق معروفه فى أوامره . ولا يخالفه فى شئ من أحواله ، ويتحجب إليه بمحبة أوليائه ، ولا يفتر من ذكره طرفة عين » . وسئل عن المتقى ، فقال : من أتقى مالهج به العوام من متابعة الشهوات ، وركوب المخالفات ، ولزم باب الموافقة ، وأنسى براحة اليقين واثته الفوائد من الله عز وجل فى كل حال فلم يغفل عنها .

سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت ابا بكر الرازى يقول : نظر الكتانى إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس ، فقال : هذا رجل أضاع حق الله فى صغره ، فضيعه الله فى كبره .
وقال الكتانى : الشهوة زمام الشيطان ، فمن أخذ بزمامه كان عبده .

أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجورى (١)

صحب أبا عمرو المكى ، وأبا يعقوب السوسى ، والجنيد . . وغيرهم مات بمكة (٢) مجاوراً بها ، سنة : ثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين بقول : سمعت أبا الحسين أحمد بن علي يقول : سمعت النهرجورى ، يقول :

الدنيا بحر ، والآخرة ساحل ، والمركب التقوى ، والناس سفر .

سمعت محمد بن الحسين بقول : أبا بكر الرازى يقول : سمعت النهرجورى يقول : رأيت رجلاً فى الطواف بفرد عين ، يقول أعوذ بك منك .
فقلت : ما هذا الدعاء ؟

فقال : نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته ، وإذا لطمة وقعت على بصرى ، فألست عيني ، فسمعت هاتفاً يقول :
لطمة بنظرة . . . ولو زدت لزدناك .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت النهرجورى يقول :

أفضل الأحوال ما قارن العلم (٣) .

(١) النهرجورى ، نسبة إلى نهرجور - بضم الحيم وسكون الواو - بين الإهواز وميسان .

(٢) قال له قائل ، وهو يجود بأنفاسه الأخيرة : قل لا إله إلا الله . فتبسم وقال : إياي تعنى ؟ .

وعزة من لا يذوق الموت ، مايبى وبينه إلا حجاب العزة . ثم مات فوراً .

سئل عن التصوف ؛ فقال : « تلك أمة قد خلت »

وقال فى الفناء والبقاء : هو « فناء رؤية قيام العبد لله ، وبقاء رؤية قيام الله فى الأحكام » .

وقال : الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية . وحقيقة الصدق : القول بالحق فى مواطن التهلكة » .

وقال : « من كان شبيهه بالمال لم يزل جائعاً . ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقراً ومن طمع فى الخلق لم يزل محروماً . ومن استعان على أمر بغير الله لم يزل مخذولاً »

(٣) أى موافق العلم الشرعى ، وشهد له معلم بالصحة والكمال إذ غير ذلك من تلبيس الشيطان .

أبو الحسن علي بن محمد المزين

من أهل بغداد ، من أصحاب سهل بن عبد الله ، والجنيد ، والطائفة .
 مات بمكة مجاوراً سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .
 وكان ورعاً كبيراً^(١) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول :
 سمعت المزين يقول :
 الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأول ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى ،

وسئل المزين عن التوحيد ، فقال :
 أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه ، بأنهم بصفاته قدماً كما بأنوه بصفاتهم حدثاً .
 وقال : من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق ، ومن استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه^(٢) .

أبو علي بن الكاتب

واسمه الحسن بن أحمد . صاحب أبا علي الروذباري ، وأبا بكر المصري ،
 وغيرهما .
 كان كبيراً في حاله^(٣) .

(١) سئل عن المعرفة ؛ فقال : « أن تعرف الله بكمال الربوبية ، وتعرف نفسك بالعبودية ، وتعلم أن الله أول كل شيء وبه يقوم كل شيء ، وإليه مصير كل شيء » ، وعليه رزق كل شيء .
 وسئل عن التوحيد ، فقال : « أن توحد الله بالمعرفة ؛ وتوحده بالعبودية وتوحده بالرجوع إليه في كل مالك وعليك ، وتعلم أن ماخطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه فانه تعالى بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه » .
 (٢) وفي نسخة : أحوج الله إليه الخلق .
 (٣) ومن مآثوراته : « إذا انقطع العبد إلى الله بكليته ، فأول مايفيده الله الاستغناء به عن سواه .
 وقوله : « إذا سمع الرجل الحكمة ، فلم يقبلها ، فهو مذنب ، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق » .
 وقال : إن الله تعالى يورق العبد حلاوة ذكره به فان فرح بها وشكره آنسه بقربه وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه ، وسلبه حلاوته » .

وقيل له : إلى أي الخنبتين أتت أميل ؟ إلى الفقر أو إلى الغنى ؟ فقال : إلى أعلاهما رتبة ، وأسألهما قدراً « ثم أنشأ يقول :
 ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
 وإني لصبار على ماينوبني وحسبك ان الله أثني على الصبر

مات سنة : نيف واربعين وثلاثمائة .

قال ابن الكاتب .

إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه .

وقال ابن الكاتب :

المعتزلة نزهوا (١) الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا .

مظفر القرمسيني

من أشياخ الجبل (٢) . صاحب عبد الله الخراز ، وغيره .

قال مظفر القرمسيني (٣) :

الصوم على ثلاثة أوجه :

صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم .

وقال مظفر : أخس الأرفاق (٤) : أرفاق النسوان ، على أي وجه كان .

وقال : الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكرة ، وينبوع الحكمة ، وحياة لفطنة ، ومصباح القلب .

وقال : أفضل أعمال العبيد : حفظ أوقاتها الحاضرة ، وهو أن لا تقصروا في أمر ولا تتجاوزوا عن حد .

وقال : من لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدب به مربد .

(١) عن أن يخلق الشر والكفر وسائر المعاصي .

(٢) الجبل : جبل سفح قاسون .

(٣) القرمسيني : نسبة إلى قرمسين ، مدينة بجهال العراق .

سئل عن التصوف ، فقال : الأخلاق المرضية .

وقال : « من أفقره الله إليه أغناه به ؛ ليعرفه بالفقر عبوديته » وبالغنى ربوبيته .

وقال : « من قتله الحب أحياء القرب » وقال : « يحاسب الله المؤمنين - يوم القيامة - بالمنة والفضل ، ويحاسب الكفار بالحقبة والعدل » .

وسئل : ماخير ما أعطى العبد ؟ . فقال : فراغ القلب عمالا يعنيه « ليتفرغ إلى ما يعنيه » .

(٤) العطسايا والهبات .

أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري

من أقران الشبلي . من مشايخ للجبل .
عالم ورع^(١) ، صاحب يوسف بن الحسين ، وغيره .
مات بقرب من الثلاثين والثلاثمائة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله ،
يقول : سمعت أبا بكر بن طاهر يقول :
« من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة ، فان كان ولا بد ، فلا تتجاوز رغبته
كفايته » يعنى المحتاج إليه .
وبهذا الإسناد قال :
إذا أحببت أخاً في الله ، فاقبل مخالطته في الدنيا .

أبو الحسن بن بنان

بنتمى إلى أبي سعيد الخراز . من كبار مشايخ مصر^(٢)
قال ابن بنان :

كل صوفي كان هم للرزق قائماً في قلبه فلزوم العمل أقرب إليه .
وعلاوة سكون القلب إلى الله : أن يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده .
وقال : اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام^(٣) .

(١) سئل عن الحقيقة ، فقال : « الحقيقة كلها علم ؛ وسئل عن العلم . فقال : العلم كله حقيقة » ومن حكمه قوله :
« في المحن ثلاثة أشياء : تطهير ، وتكفير ، وتذكير ، فالتطهير من الكبائر ، والتكفير من الصغائر ، والتذكير لأهل الصفا » .

وقيل له : « ما بال الإنسان يعمل من معلمه ما لا يعمل من أبويه ؟ » فقال : لأن أبويه سبب حياته الفانية ، ومعلمه سبب حياته
الباقية ؛ وتصديق ذلك : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أغد عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محبباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك » .

(٢) ومن كلامه : « لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى » .

وقال : « من علامة سكون القلب إلى الله تعالى إنشراحه إذا زالت عنه الدنيا .

وكان يقول : « الناس يعطشون في البراري ، وأنا عطشان على شط النيل » .

(٣) وفي نسخة : المحارم .

أبو اسحاق ابراهيم بن شيبان القرمطيني

شيخ وقته (١) . صاحب أبا عبد الله المغربي ، والخواص ، وغيرهما .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا يزيد المروزي الفقيه يقول :
سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : من أراد أن يتعطل أو يتبطل فليأزم الرخص .
وبهذا الإسناد قال :

علم الفناء (٢) والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية ، وصحة العبودية وما كان
غير هذا ، فهو المغاليط والزندقة .

وقال إبراهيم : السفلة (٣) من يعصى الله عز وجل .

أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار

من أرمينية (٤) . له طريقة يختص بها في التصوف .

وكان عالماً ورعاً ، وكان ينكر على بعض العارفين (٥) في إطلاقاتهم (٦) .

(١) قال المناوي : كان شيخ الجبل في زمانه « شديداً على المذممين ، متمسكاً بالكتاب والسنة ، ملازماً طريق الأئمة .
توفي سنة : ثلاثين وثلاثمائة .

(٢) الفناء عن غير الله ، والبقاء مع الله .

(٣) أراذل الناس .

ومن كلامه : قال لي أبي : يا بني تعلم العلم ، لآداب الظاهر ، واستعمل الوزع لآداب الباطن ، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل ؛
فقل من أعرض عنه فأقبل عليه .

وسئل عن وصف العارف ، فقال : كنت على جبل الطوز مع شيخنا أبي عبد الله المغربي ، فبينما نحن قعود بمكان فيه عشب .
والشيخ يتكلم في العلوم والمعارف رأيت شاباً يتنفس ، فاحترق ما بين يديه من العشب الأخضر ، فقال الشيخ : هذا هو العارف .
وقال : إذا دخل الخوف قلباً أحرق مواضع الشهوات منه .

(٤) وفي نسخة أرمية : بالضم . وسكون الراء . وأرمينية بفتح الهيمزة : بلدة من بلاد الروم .

(٥) وفي نسخة العرافيين وربما كانت أصح .

(٦) أفشوا بها ، في نظره ، أسرار الطريق ، وهو بقول في ذلك : « ثرائي تكلمت بما تكلمت به ، إنكاراً على التصوف
والصوفية ؟ . . والله ، ما تكلمت إلا غيرة عليهم حيث أفشوا أسرار الحق ، وأبدوها إلى غير أهلها ، فحملني ذلك على الغيرة
عليهم ، والكلام فيهم ، وإلا : فهم السادة ؛ ومحبتهم أتقرب إلى الله تعالى .

وسئل عن الفرق بين العارف والمريد ، فقال : « المريد طالب والعارف مطلوب والمطلوب مقتول ، والطالب مرعوب »
« وفي رواية » والمطلوب مقبول ، والطالب مرغوب .

وسئل عن العبد إذا خرج إلى الله سبحانه : على أي أصل يخرج ؟ فقال : على أن لا يقنود إلى مأمته خرج ، ولا يراعى غير من
إليه خرج . ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرا منه . فقليل له : هذا حكم من خرج عن عدم . فما علامة وجدانه ؟ قال : وجود الخلاوة
في المستأنف عوضاً عن المرادة في السالف .

قال ابن يزدانيار :

إياك أن تطمع في الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس .
 وإياك أن تطمع في حب الله وأنت تحب الفضول .
 وإياك أن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس .

أبو سعيد بن الأعرابي

واسمه : أحمد بن محمد بن زياد البصري^(١) .

جاور الحرم ، ومات به سنة : إحدى وأربعين وثلاثمائة .
 صاحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المكي ، والنوري ، وغيرهم .

قال ابن الأعرابي :

أخسر الأخسر من أبدى للناس صالح أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب
 إليه من حبل الوريد .

أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري

جاور بمكة سنين كثيرة . ومات بها .
 صاحب الجنيد ، وأبا عثمان ، والنوري ، والخواص ، وروياً .
 مات سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدي
 أبا عمرو بن نجيد يقول :

(١) كان من كبار المحدثين ، وصفه الذهبي وغيره ، بالإمام الحافظ الثقة الزاهد ، روى عنه الطبراني والخطابي ، وصنف كتباً في الطريق .
 ومن أقواله : « المعرفة كلها الاعتراف بالجهل ، والتصوف كله ترك الفضول ، والزهد كله مالا بد منه وإسقاط مابق ، والمعاملة كلها استئصال الأولى فالأولى من العلم ، والرضا كله ترك الاعتراض ، والمحبة كلها إيتار المحبوب على الكل ، والصبر كله تلقى البلاء بالرحب ، والثقة بالله علمك إنه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك » .
 وقال : « إن الله تعالى جعل نعمته سبباً لمعرفته ، وتوفيقه سبباً لطاعته ، وعصمته سبباً لاجتناب معصيته ، ورحمته سبباً للتوبة .
 والتوبة سبباً لمغفرته والدنو منه » .

وقال : « العارفون بين : ذائق ، وشائق ، وواق ، فالملقة شاقهم ، والشوق ذوقهم فن ذاق - في شوق - فروى ، سكنه وتمكن ؛ ومن ذاق فيه من غير رى ؛ أورثه الانزعاج والهيان » .

سئل ابو عمرو الزجاجي : ما بالك تتغير عند التكبير الاولى في الفرائض ؟
 فقال : لاني اخشى ان افتح فريضتي بخلاف الصدق ، فمن يقول : الله اكبر ،
 وفي قلبه شيء اكبر منه ، او قد كبر شيئاً سواه على مرور الاوقات ، فقد كذب
 نفسه على لسانه .

وقال : من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه ، ودعوى
 تتولد في قلبه ، وحرمة الله الوصول إلى تلك الحال .
 وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهر في الحرم ، بل كان يخرج إلى الحل
 ويتطهر فيه (١) .

أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير (٢)

بغدادى المنشأ والمولد .

صاحب الجنيد ، وانتمى إليه ، وصاحب النورى ، وروىما ، وسمعون ،
 والطبقة : مات ببغداد سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

قال جعفر :

لا يجد العبد لذة المعاملة مع الله مع لذة النفس ؛ لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق
 التي تقطعهم عن الحق ، قبل أن تقطعهم العلائق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول :
 سمعت جعفر يقول :

(١) إحراماً للحرم كما في نسخة .

ومن كلامه : « المعرفة على ستة أوجه : معرفة الوجدانية ومعرفة التعظيم ، ومعرفة المنة ، ومعرفة القدرة ، ومعرفة الأزل ،
 ومعرفة الأسرار » .

وقال « كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فردهم إلى الشريعة والاتباع ،
 فاعقل الصحيح ، هو الذي يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه » .

(٢) الخواص البغدادى ، ويعرف بالخلدى ، قال الخطيب في تاريخه ، هو شيخ الصوفية ، زحل إلى مكة والفرات ومصر
 ولقي فيها المشايخ الكبار من المحدثين والصوفية ثم عاد إلى بغداد وزوى بها علماً كثيراً . وقال : عندي مائة ونيّف وثلاثون ديواناً
 من دواوين الصوفية .

ومن كلامه : المحب يجتهد في كتمان حبه ، وتأني المحبة إلا شهتاراً .

وقال : العقل ما يبعدك عن مواطن الشهوات .

إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه ، فإذا سكنت التقوى قلبه
نزلت عليه تركات العلم ، وزالت عنه رغبة الدنيا .

أبو العباس السيارى

واسمه : القاسم بن القاسم (١) .

من « مرو » صاحب الواسطى ، وانتمى إليه فى علوم هذه الطائفة . وكان عالماً (٢) :
مات سنة : اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

سئل أبو العباس السيارى : بماذا يروض المرید نفسه ؟

فقال : بالصبر على فعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، وصحبة الصالحين ،
وخدمة الفقراء .

وقال : ما التذمأقل بمشاهدة الحق قط ، لأن مشاهدة الحق فناء ، ليس فيها لذة .

أبو بكر محمد بن داود الدينورى

المعروف بالدقى .

أقام بالشام ، وعاش أكثر من مائة سنة .

مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة (٢) .

(١) اسمه : القاسم بن القاسم بن مهدي .

(٢) ومن كلامه :

قال فى تفسير قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » أى « اظهار غائب وتغييب ظاهر » .

وقال له رجل : أوصنى : فقال : (كن شريف الهمة ، قريب المنظر ، بعيد المأخذ عزيزاً غريباً) .

وقال : (لباس الهداية للعامة ، ولباس الهيبة للعارفين : ولباس الزينة لأهل الدنيا ، ولباس اللقاء للأولياء ، ولباس التقوى

لأهل الخضور ، قال الله تعالى : ولباس التقوى ذلك خير) .

وقال : قيل لبعض الحكماء من أين معاشك ؟ قال : من عند من ضيق المعاش على من شاء ، من غير علة ؛ ووسع على من شاء ،

من غير علة) .

(٣) مات سنة : ثلاث وستين وثلاثمائة .

ومن أقواله : (علامة القرب الانقطاع عن كل شئ سوى الله تعالى) و (كم من مسرور سروره بلاؤه وكم من مغموم

غمه نخاته) وقال : (من عرف ربه لم ينقطع رجاءه . ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ؛ ومن عرف الله لحاً إليه . ومن نسى الله

لجا إلى المخلوقين . والمؤمن لا يسهو حتى يقفل ، فإذا تفكر حزن واستغفر) .

وسئل عن الفرق بين الفقر والتصوف ، فقال : (الفقير حال من اسوال التصوف) .

فقال له : ما علامة الصوفى ؟ فقال : (أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره ، ويكون معصوماً عن المذمومات) .

وقال عن الإخلاص : (أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه ، وسكوته ، وحر كانه ، محالهما لله ، لا يشوبه سخط

لنفس ، ولا هووى ، ولا حظي ، ولا طمع) .

صحب ابن الجلاء ، والزقاق .

قال أبو بكر الدقي :

المعدة موضع بجمع الأطعمة ، فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة ، وإذا طرحت فيها الشبهه اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى - وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب .

أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي (١)

مولده ومنشؤه بنيسابور .

صحب أبا عثمان الحيري ، والجنيد ، ويوسف بن الحسين ، ورويما ، وسمنونا ، وغيرهم .

مات سنة : ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سئل : ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب ؟

فقال :

لأنهم اشتغلوا بالماهية بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بأداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم ، وقيّد جوارحهم عن العبادات .

(١) وهو المعروف بالحداد .

ومن كلامه : العبارة تعرفها العلماء ، والإشارة تعرفها الحكماء ، واللطائف تفتها السادة النبلاء . وقال : « علامة الصبر ترك الشكوى ، وكنان الضر والبلوى .

ومن علامات الإقبال على الله تعالى صيانة الأسرار عن الاثبات إلى الأغوار ، وأحسن العبد حالا من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته ، وأذن له في قربه ، وأباح له سبيل مناجاته ، وخاطبه على لسان أعز أنبيائه .

أبو عمرو اسماعيل بن نجيد

صاحب أبا عثمان (١) ، ولقي الجنيد .

وكان كبير الشأن (٢) .

آخر من مات من أصحاب أبي عثمان . توفي بمكة سنة : ست وستين وثلاثمائة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدي
أبا عمرو بن نجيد يقول :

كل حال لا يكون عن نتيجة علم ؛ فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه .
قال : وسمعت به يقول : من ضيع في وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم
لذة تلك الفريضة ، ولو بعد حين .

قال : وسئل عن التصوف ، فقال :

الصبر تحت الأمر والنهي .

قال ، وقال : آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه .

أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي

أحد فتيان خراسان .

لبي أبا عثمان ، وابن عطاء ، والجريري ، وأبا عمرو الدمشقي .

مات سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وسئل البوشنجي (٣) عن المروعة ، فقال :

(١) هو أبو عثمان الحارثي .

(٢) أخذ الحديث عن أحمد بن حنبل . وأسند الحديث . ورواه . وكان ثقة .

وسئل عن التوكل ، فقال : « أدناه حسن الظن بالله تعالى ، والمتوكل : الذي يرضى بحكم الله تعالى فيه » ومن حكمه « النهارون
بالأمر من قلة المعرفة بالأمر » . وقوله « من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضرره ولا نفعه فقد أظهر جهله » .
وفال « الطمأنينة إلى الخلق عجز » .

(٣) نسبة إلى « بوشنج » وهي بلدة على سبعة فراسخ من هراة .

سئل عن التصوف ، فقال : « اسم ولا حقيقة ، وقد كان قبل حقيقة ولا اسم وقال : الناس على ثلاث منازل :

الأولياء ، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم .

والعلماء ، وهم الذين سرهم وعلايتهم سواء .

والجهال ، وهم الذين علانيتهم يخالف أسرارهم ، ولا ينصفون من أنفسهم ويطلبون الإنصاف من غيرهم » .

وفال « من ذل في نفسه رفع الله قدره ، ومن عزى نفسه أذل الله في أعين عباده »

هي ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين .

وقال له إنسان : ادع الله لي .

فقال : أعاذك الله من فتنتك .

وقال : أول الإيمان منوط بآخره .

أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (١)

صاحب رويماً ، والجريري ، وابن عطاء ، وغيرهم .

مات سنة : إحدى وسبعين وثلاثمائة .

وهو شيخ الشيوخ وواحد وقته .

قال ابن خفيف : الإدارة استدامة الكد ؛ وترك الراحة .

وقال : ليس شيء أضر على المرید من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات .

وسئل عن القرب ، فقال :

قربك منه بملازمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق .

سمعت أبا عبد الله الصوفي ، يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول :

ربما كنت أقرأ في ابتداء أمرى في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة « قل هو الله أحد » وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله ، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة .

سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد الصغير يقول : دخل يوماً من الأيام فقير ، فقال للشيخ إلى عبد الله بن خفيف .

(١) هو محمد بن خفيف بن إسفكشاد الضبي الشيرازي الشافعي . أمد نسابورية : واقام بشاراز ، كان من الأمراء ثم تفقه وانصوف وتزهد : اخذ عن ابن شريح الأشعري والواسطي والجريري وابن عطاء والمقدسي ، ولحق الحلاج ، وأخذ عنه القاضي الباقلاني .

بي وسوسة ١١

فقال الشيخ .

عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان ، والآن الشيطان يسخر منهم .
وسمعه يقول : سمعت أبا العباس الكرخي يقول : سمعت أبا عبد الله بن
خفيف يقول : ضعفت عن القيام في النوافل ، فجعلت بدل كل ركعة من أورادي
ركعتين قاعداً ، للخبر : « صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » (١) .

أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي

كان عالماً بالأصول ، كبيراً في الحال .

صحاب الشبلي .

مات « بأرجان » (٢) سنة . ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

قال بندار بن الحسين :

لا تخاصم لنفسك ، فانها ليست لك ، دعها لما لكها يفعل بها ما يريد وقال
بندار :

صححة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .

وقال بندار (٣) :

اترك ما تهوى لما تأمل .

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والطبراني .

(٢) أرجان - بفتح أوله وتشديد الراء ، وعامة العجم يسمونها أرغان ، مدينة كبيرة بينها وبين شيراز سنون فرسخا
وفي بعض النسخ « أنه مات بأذر بيجان » .

(٣) ومن أقواله : « من أقبل على الدنيا أحرقتة بنيرانها ، يعني الحرص » ومن أقبل على الآخرة أحرقتة بنورها يعني الخوف
فصار سبيكة ذهب ، ومن أقبل على الله أحرقه الله بنور التوحيد فصار جوهرأ لا يقابل بثمن .

وقال : من مشى في الظلم إلى ذي النعم أجلسه على بساط الكرم ، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت بنى له بيت في الملكوت .
وسئل عن الفرق بين الصوفي والمتصوف فقال : « الصوفي من اختاره الله لنفسه فصاغاه ، وعن نفسه براه ، ولم يرده إلى عمل
وتكلف ، وصوفي على زنة عوفي ، أي نافاه الله ، وكوفي : أي كافأه الله ، وجوزي : أي جازاه الله ؛ ففعل الله تعالى ظاهر على اسمه .
والمتصوف : المزاحم على المراتب مع تكلف وكون رغبة في الدنيا » .

وقال : « الصوفية متفقون في الوجدانية - في الحملة - فولا ، متفرقون في الوصول إليها معاينة ومشاركة ، وكل واحد يستحق
اسم ماظهر عليه من حاله ، الذي هو به موصوف ، بعد اتفاقهم في الوجدانية قولاً : فن بين مجتهد ، وزاهد ، وعابد وخائف ،
وراج ، وغنى ، وفقير ، ومريد ، ومراد ، وصابر ، وراض ، ومتوكل ومحب ، ومسهر ، ومستأنس ، ومشتاق ، وواله ؛
وهائم ؛ وواجد ؛ وفان ، وباقي أحوال يكثر تعدادها . وقد يجتمع الأحوال كلها في واحد ويسمى بما عليه من الجميع » .

أبو بكر الطمستاني

صحب ابراهيم الدباغ ، وغره .
 وكان أوحده وقته علماً ، وحالا . مات نيسابور بعد سنة أربعين وثلاثمائة .
 قال أبو بكر الطمستاني .
 النعمة العظمى الخروج من النفس^(١) ، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله .
 سمعت أبا عبد الله الشرازي ، رحمه الله ، يقول . سمعت منصور بن عبد الله
 الأصماني ، يقول : سمعت أبا بكر الطمستاني يقول :
 إذا هم القلب عوقب في الوقت .
 وقال : « الطريق واضح ، والكتاب والسنة قائم^(٢) بين أظهرنا وفضل الصحابة
 معلوم ؛ لسبقهم إلى الهجرة ، ولصحبهم ؛ فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب^(٣)
 عن نفسه والمخاق ، وهاجر بقلبه إلى الله ، فهو انصديق المصيب^(٤) .

أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري

صحب يوسف بن الحسين ؛ وابن عطاء ، والجري .
 وكان عالماً فاضلاً ؛ ورد « نيسابور » وأقام بها مدة ، وكان يعظ الناس ، ويتكلم
 على لسان المعرفة ، ثم ذهب إلى « سمرقند » ، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة .
 قال أبو العباس الدينوري :
 ادنى الذكر أن تدعى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن
 الذكر .

(١) أي البعد بها عما طبعت عليه والفته من خلق ولذوم وعادة قبيحة ؛ يوضح ذلك قوله « لا يمكن الخروج من النفس
 بالنفس وإنما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى ؛ وذلك بصحة الإرادة لله عز وجل » .

(٢) وفي بعض النسخ « قائمان » . وفي بعضها الآخر « قائمة » .

(٣) أي بعد عنها .

(٤) وكان يقول : « الحياة إلا في الموت » أي : الحياة القلب إلا في إماتة النفس . وقال : « النفس كالنار ، إذا
 أطفئت في موضع تاجبت في آخر ، كذلك النفس إذا هدأت من جانب ثارت من جانب آخر » .

وقال أبو العباس : لسان الظاهر^(١) لا يغير حكم الباطن .

وقال أبو العباس الدنوري :

نقضوا^(٢) أركان التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيروا معانيها بأسماء أحدثوها :
سموا الطمع « زيادة » ، وسوء الأدب « إخلاصاً » والخروج عن الحق « شطحا » ،
والتلذذ بالمذموم « طيبة »^(٣) ، واتساع الهوى « ابتلاء » والرجوع إلى الدنيا
« وصلاً » ، وسوء الخلق « صولة » ، والدخل « جلادة » والسؤال « عملاً » وبذاءة
اللسان « ملامة » . وما هذا كان طريق القوم^(٤) .

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي

واحد عصره ، لم يوصف مثله قبله .

صحب ابن الكاتب ، وحبباً المغربي ، وأنا عمرو الزجاجي ، ولقي الهرجوري
وابن الصائغ وغيرهم .

مات نيسابور سنة : ثلاث وسعين وثلاثمائة

واوصى بأن يصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى .

سمعت الأستاذ أبو بكر بن فورك يقول :

كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله ، وعلى الأقوال الصغير بقول شيئاً ،
فلما تغير عليه الحال أشرنا على علي بالسكوت ، ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه ،
وقال : لم لا نقول على شيئاً ؟

فقلت لبعض الحاضرين : سلوه ، علام يسمع المستمع^(٥) ، فأنى ، أحششه^(٦)
في تلك الحالة . فسألوه ، فقال :

(١) وفي نسخة « لباس الظاهر » والمقصود أن الشريعة والحقيقة واحدة ، وإنما الاختلاف في التعبير ؛ فلا شريعة إلا بحقيقة ولا حقيقة إلا بشريعة .

(٢) أي المتشبهين بالصوفية .

(٣) أي شيئاً يطيب به ويتفكه به .

(٤) ومن أقواله : « مكاشفات الأعيان بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال »

(٥) استحي منه .

(٦) أي : على أي وجه يسمع .

إنما سمع من حيث سمع^(١) .

وكان في الرياضة كبير الشأن .

وقال أبو عثمان :

التقوى ، هي : الوقوف مع الحدود ، لا تقصر فيها ولا تتعدها .

وقال :

من أثر صحة الأغنياء على مجاسة الفقراء انتلاه الله بموت القلب^(٢)

أبو القاسم ابراهيم بن محمد النصر اباذى^(٣)

شيخ « خراسان » في وقته .

صحب الشلى ، وأبا على الروذبارى ، والمرتعش .

جارو بمكة سنة : ست وستين وثلاثمائة . ومات بها سنة : تسع وستين وثلاثمائة .

وكان عالماً بالحدث ، كثير الرواية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامى ، رحمه الله ، يقول : سمعت

النصر اباذى يقول :

إذا بدا لك شيء من بوادى الحق ، فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى نار

فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله .

(١) أى : من حيث يسمعه الله تعالى لاختلاف مقامات الناس ومعرفةهم بالله ومحبتهم له ، فقد يسمع العبد من الخوف ، وقد يسمع من الرجاء . .

(٢) ومن أقواله : « عاص فادم خير من طائع مدع » لأن العاصى يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه ، والمدعى يتخبط في حبال دمهواه .

وقال : « الصوى من يملك الأشياء افتداراً ولا يملكه شيء إقهاراً » .

وقال : « ليكون تدبرك فى الخلق تدبر عيرة وتدبرك فى نفسك تدبر موعظة ، وتدبرك فى القرآن تدبر حقيقة ومكاشفة » .

(٣) واسمه : إبراهيم بن محمد بن محمويه ، نيسابورى الأصل ، والمنشا ، والمولى ، والنصر اباذى : نسبة إلى نصر اباذى ، محلة من محال نيسابور .

ومن كلامه : « أنت بين نسبتي : نسبة إلى الحق ونسبة إلى آدم ، فاذا انتسبت إلى الحق دخلت فى مقامات الكشف والبراهين

والظلمة ، وهى نسبة بحق العبودية قال الله تعالى : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » وقال : « إن عبادى ليس لك

عليهم سلطان » وإذا انتسبت إلى آدم دخلت فى مقامات الظلم والجهل . قال الله تعالى « وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

ومن كلامه أيضاً « الأشياء أدلة منه ، ولا دليل عليه سواد » .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : قيل للنصر اباذى :

إن بعض الناس يجالس النسوان ، ويقول : أنا معصوم فى رؤيتهم .
فقال :

ما دامت الأشباح^(١) باقية فان الأمر والنهى باق ، والتحليل والتحريم مخاطب به ؛ ولن يجترىء على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات .

وسمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : قال النصر اباذى :

اصل التصوف : ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمت المشايخ ، ورؤية أعداء الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصرى البقرى

سكن بغداد .

عجيب الحال واللسان ، شيخ وقته .

ينتمى إلى الشبلى .

مات ببغداد سنة : إحدى وسبعين وثلاثمائة .

قال الحصرى :

الناس يقولون : الحصرى لا يقول بالنوافل^(٢) ، وعلى "أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت .

وقال :

من ادعى فى شيء من الحقيقة كذبه شواهد كشاف البراهين .

(١) أى الأشخاص .

(٢) أى : لا يمتنى بها .

أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروزباري

ابن أخت الشيخ أبي علي الروذباري .

شيخ الشام في وقته مات « بصور » (١) سنة : تسع وستين وثلاثمائة (٢) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علي بن سعيد المصيصي يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروزباري يقول :

كنت راكباً جملاً ، فغاصت رجلاً الجمل في الرمل ، فقلت : جل الله ، فقال الجمل : جل الله . وكان أبو عبد الله الروزباري إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة في دور السوق ، ومن ليس من أهل التصوف لا يخبر الفقراء بذلك ، وكان يتلعمهم شيئاً ، فإذا فرغوا أخبرهم ، ومضى بهم . فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز (٣) .

ولما كان بفعل ذلك ؛ لثلاث سوء ظنون الناس (٤) بهذه الطائفة فإعموا سببهم .

وقيل : كان أبو عبد الله الروزباري يمشي على أثر الفقراء يوماً ، وكذا كانت عادته أن يمشي على أثرهم (٥) ، وكانوا يمتصون إلى دعوة فقال إنسان يقال :

هؤلاء المستحلون (٦) . وبسط لسانه فيهم ، وقال في أثناء كلامه :

إن واحداً منهم قد استقرض مني مائة درهم . ولم يردها علي ولست أدري ابن أطلبه ؟

فلما دخلوا دار الدعوة ، قال أبو عبد الله الروزباري لصاحبه الدار وكان من محبي هذه الطائفة :

(١) صور - بضم الأول وسكون الثاني : مدينة من ثغور المسلمين مشرفة على بحر الشام (البحر المتوسط) فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب . وهي شرق عكا .

(٢) ومن أقواله : « من قلت آفاته اتصلت بالحق أوقاته » وسئل عن القبض والبسط ، وعن حال من قبض ونعته ، وعن حال من بسط ونعته فقال : إن القبض ، أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء . فحال من قبض : العيبة ، وحال من بسط : الخضور . ونعت من قبض : الحزن . ونعت من بسط : السرور .

(٣) أي : التقلل .

(٤) وفي نسخة « عوام الناس » .

(٥) أي : يتأخرهم ، ويسير خلفهم ، تواضعاً .

(٦) أي : لأموال الناس .

إئتني بمائة درهم إن أردت سكون قلبي .

فأتاه بها في الوقت . فقال لبعض أصحابه :

احمل هذه المائة إلى البقال الفلاني ، وقل له : هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا ، وقد وقع له في التأخير بها عذر ، وقد بعها الآن . . . فاقبل عذره . . فمضى الرجل ، وفعل ، فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بجانوت البقال ، فأخذ البقال في مدحهم بقول :

هؤلاء هم الثقة الأمانة الصالحاء ، وما أشبه ذلك .

وقال أبو عبد الله الروزبارى :

أقبح من كل قبيح صوفي شحيح .

* * *

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام^(١) ، رضى الله عنه هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة .

وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة ، متصفون بسلوك طرق الرياضة ، مقيمون على متاعة السنة ، غير مخلصين بشيء من آداب الدبابة ، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدت ولم ين أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً^(٢) على الله سبحانه وتعالى ، فيما يدعيه ، مفتونا ، هلك في نفسه ، وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى اناطيله .

ولو تقصينا ، وتتبعنا ما ورد عنهم : من ألفاظهم ، وحكاياتهم ، ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم ، لطال به الكتاب ، وحصل منه الملل :

وفي هذا القدر الذي لو حنا به في تحصيل المقصود غنية ، وبالله التوفيق .

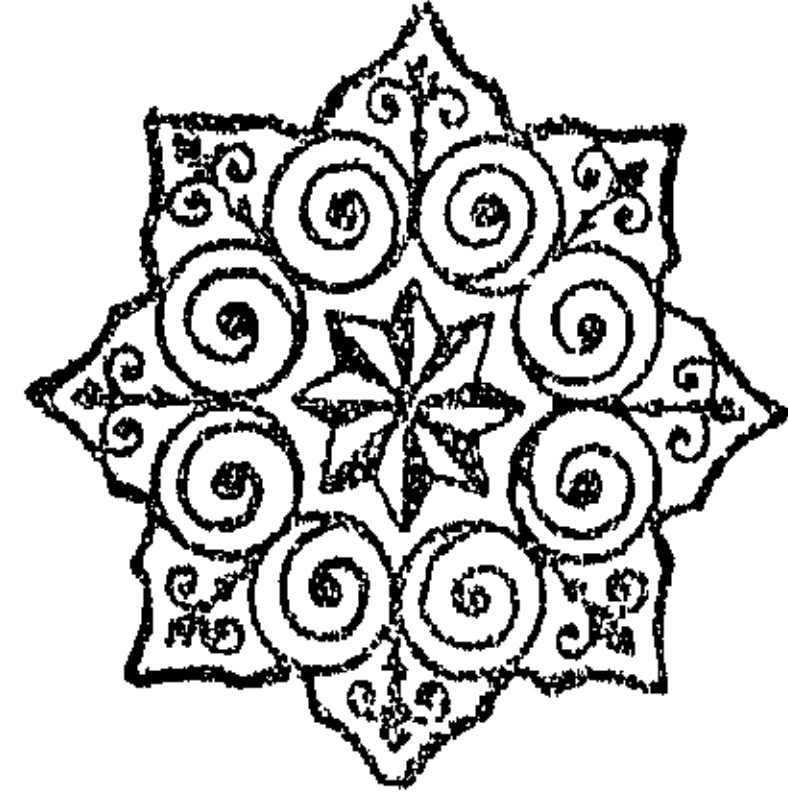
* * *

(١) وفي نسخة أخرى « قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشبرى » .

(٢) مخلفاً .

فأما المشايخ الذين أدركناهم ، وعاصرناهم ، وإن لم تتفق لنا لقياتهم ، مثل :
 الأستاذ الشهيد ، لسان وقته ، وأوحد عصره ، أبي علي الحسن بن علي الدقاق ،
 والشيخ ، نسيج وحده في وقته ، أبي عبد الرحمن السلمى . وأبي الحسن علي بن
 جهضم مجاور الحرم . والشيخ أبي العباس القصار بطبرستان . وأحمد الأسود
 بالدينور ؛ وأبي القاسم الصيرفي بنيسابور ، وأبي سهل الخشاب الكبير بها . ومنصور
 ابن خلف المغربي ، وأبي سعيد الماليني ، وأبي طاهر الخوزندى ، قدس الله أرواحهم ،
 وغيرهم ، فلو اشتغلنا بذكرهم ، وتفصيل أحوالهم ، لخرجنا عن المقصود في
 الإيجاز . وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرتهم في معاملاتهم .

وسنورد من حكاياتهم طرفاً في مواضع من هذه الرسالة في الأجزاء التالية
 إن شاء الله تعالى .



الباب الرابع
في تفسير الألفاظ
التي تدور بين هذه
الطائفة وبيانات
ما يشكل منها ..

الخوف من الله يقبضني
والرجاء منه يبسطني
والحقيقة تجمعني .. والعق يفرقني ..

باب

في تفسير (١) ألفاظ تدور بين هذه الطائفة

وبيان ما يشكل منها

اعلم أن من المعلوم : أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها - فيما بينهم - انفردوا بها عن سواهم ، تواطأوا عليها ؛ لأغراض لهم فيها : من تقريب الفهم^(٢) على المخاطبين بها ، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم ، باطلاقها . وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم ، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والإجمال والستر على من بانهم في طريقهم ؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب ، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف ، أو مجلوبة بضرب تصرف ، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم ، واستخلص لحقائقها أسرار قوم .

ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ : تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ، ومتبعي سنتهم .
فمن ذلك :

الوقت

حقيقة الوقت عند أهل التحقيق : حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق^(٣) فالحدث المتحقق ، وقت للحدث المتوهم ، تقول : آتيك رأس الشهر ، فالإتيان متوهم^(٤) ، ورأس الشهر حادث متحقق . فرأس الشهر وقت الإتيان . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

الوقت : ما أنت فيه ، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى . وإن كنت بالسرور فوقتك السرور . وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن .

(١) وفي نسخة أخرى سقطت لفظة « تفسير » .

(٢) وفي نسخة أخرى للفهم .

(٣) ذكر الأنصاري أن صواب العبارة « حادث متحقق علق عليه حصول حادث متوهم ، بدليل قوله : فالحدث المتحقق . . الغ

(٤) يستعمل القدماء كثيراً : التوهم بمعنى التخيل .

يربد بهذا : أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان .
وقد يعنون بالوقت : ما هو^(١) فيه من الزمان ، فإن قوماً قالوا : الوقت ما بين
الزمانين ، يعنى الماضى والمستقبل .
ويقولون : الصوفى ابن وقته ، يريدون بذلك : أنه مشغول بما هو أولى به من
العبادات . فى الحال ، قائم بما هو مطلوب به فى الحين .
وقيل : الفقير لاهمه^(٢) ماضى وقته وآتیه ، بل يهتم وقته الذى هو فيه .
ولهذا قيل : الاشتغال بفوات وقت ماض : تضييع وقت ثان .
وقد يريدون بالوقت : ما يصادفهم من تصرف الحق لهم ، دون ما يختارونه
لأنفسهم .
ويقولون : فلان بحكم الوقت . أى : أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير
اختيار له .
وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع ، إذ التضييع لما
أمرت به : وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير :
خروج عن الدين .
ومن كلامهم : الوقت سيف . أى : كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه
الحق^(٣) ويجريه غالب^(٤) .
وقيل : السيف لين مسه ، قاطع حده ، فمن لاينه سلم ، ومن خاشنه اضطلم^(٥) .
كذلك الوقت : من استسلم لحكمه نجا ، ومن عارضه انتكس وتردى .
وأنشدوا فى ذلك :
وكالسيف إن لانيته لان مسه^(٦) وحده إن خاشنته خشان

(١) أى ما الإنسان فيه : أى يخصون الوقت بالحال دون الماضى والمستقبل .

(٢) يهتم ، بضم الياء أى يقلقه ، ويفتحها أى : يدينه .

(٣) بما يقدره الله .

(٤) واقع .

(٥) استوصل .

(٦) وفى نسخة « مثته » أى وسطه : المراد عرضه .

ومن ساعده الوقت : فالوقت له وقت .
 ومن ناكده الوقت : فالوقت عليه مقت .
 وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول :
 الوقت مبرد يسحقك ولا يمحقك .
 يعنى : لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيته . لكنه يأخذ منك ولا يمحوك
 بالكلية - وكان ينشد فى هذا المعنى :
 كل يوم يمر بأخذ بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضى
 وكان ينشد أيضاً :
 كأهل النار إن نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود
 وفى معناه :
 ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
 والكيس : من كان بحكم وقته ؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعة ، وإن
 وكان وقته المحو ، فالغالب عليه أحكام الحقيقة .
 ومن ذلك .

المقام

والمقام : ما يتحقق به العبد بمنزلة^(١) من الآداب ؛ مما يتوصل إليه بنوع تصرف ،
 ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف .
 فمقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك^(٢) ، وما هو مشغول بالرياضة له .
 وشرطه : أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ، مالم يستوف أحكام ذلك المقام ،
 فان من لا قناعة له لا تصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ، وكذلك
 من لا توبة له لا تصح له الإنابة ، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد .

(١) أى ينزوله فيه وبما اكتسب له .

(٢) أى عند اكتسابه ما يوصل إليه . قال الإمام الغزالي : لا بد لكل مقام من علم ، وعمل ، وحال ؛ فالمقام يشتر علماً ،
 والعمل يشتر حالاً ، لأن حركات الأجسام تابعة لحركات القلوب جارية بحركات الأجسام .

والمقام : هو لإقامة ، كالمدخل بمعنى الإدخال ، والمخرج بمعنى الإخراج .
ولا يصح لأحد منزلة مقام إلا بشهود^(١) إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ،
ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

لما دخل الواسطي نيسابور ، سأل أصحاب أبي عثمان :

بماذا كان يأمركم شيخكم ؟

فقالوا : كان يأمرنا بالترام للطاعات ، ورؤية التقصير فيها .

ولنما أراد الواسطي بهذا : صيانتهم عن محل الإعجاب^(٢) ، لا تعريجاً في أوطان
التقصير ، أو تجويزاً للاخلال بأدب من الآداب .

ومن ذلك :

الحال

والحال عند القوم : معنى برد على القلب ، من غير تعمد منهم ، ولا اجتلاب ،
ولا اكتساب لهم ، من : طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قس ، أو شوق ،
أو انزعاج أو هيبة ، أو احتياج .

فالأحوال : مواهب ، والمقامات . مكاسب .

والأحوال تأتي من عين الجواد^(٣) ، والمقامات تحصيل بذل المجهود .

وصاحب المقام ممكن^(٤) في مقامه ، وصاحب الحال مرق^(٥) عن حاله^(٦)

وسئل ذو النون المصري ، عن العارف ، فقال : كان هاهنا ، فذهب .

(١) أى رؤية .

(٢) أى أنه جعل من أعجب بطاعته كأنه مجوسى ؛ حيث نظر إلى فعل نفسه مع غفاته عن مجريه المنعم به .

(٣) وفى نسخة أخرى : من غير الوجود .

(٤) وفى نسخة « متمكن » .

(٥) أى فالمقامات مستقرة والأحوال متغيرة .

(٦) وفى نسخة « مرق » .

وقال بعض المشايخ : الأحوال كالبروق : فان بقي فحدثت نفس
وقالوا : الأحوال كاسمها ، معنى أنها : كما تحل بالقلب تزول في الوقت .
وأنشدوا :

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا
انظر إلى النوى^(٢) إذا ما انتهى تأخذ في النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ، ودوامها . وقالوا : إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي
لوائح وبواده^(٣) ، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فاذا دامت تلك الصفة فعند
ذلك تسمى : « حالا » .

وهذا أبو عثمان الحيري يقول :

منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته .

أشار إلى دوام الرضا ، والرضا من جملة الأحوال .

فالواجب في هذا : أن يقال : إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال ؛
فقد بصير المعنى شرباً^(٤) لأحد فيربى فيه .

ولكن لصاحب هذه الحال أحوال : هي طوارق^(٥) لا تدوم فوق أحواله التي
صارت شرباً له ؛ فاذا دامت هذه الطوارق له ، كما دامت الأحوال المتقدمة ،
ارتقى إلى أحوال آخر ، فوق هذه وألطف من هذه ، فأبدأ بكون في الترقى .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول في معنى قوله صلى الله عليه
وسلم : « إنه ليغان^(٦) على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة »^(٧) : أنه كان

(١) أى : إن بنى شئ منها مع العبد فالباقي حديث نفسه بالحال ، لا نفس الحال .

(٢) فاء الظل يئى فيئاً : إذا رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق .

(٣) لوائح : من لاح له المعنى إذا ظهر ، وبواده : من بدهه إذا فجأة وبهته .

(٤) شرباً : أى حظاً ومقاماً .

(٥) أحوال .

(٦) يغطى .

(٧) رواه أحمد وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي .

صلى الله عليه وسلم أبداً في الثرى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها ، فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها ، فكان بعدها « غينا » بالإضافة إلى ما حصل فيها ، فأبداً كانت أحواله في التزايد .

ومقدورات الحق سبحانه ، من الألفاظ : لانهاية لها ؛ فإذا كان حق الحق تعالى ، العز ، وكان الوصول إليه بالتحقيق محالاً ، فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله . فلا معنى يوصل إليه ، إلا وفي مقدوره سبحانه ما هو فوقه ، يقدر أن يوصله إليه . وعلى هذا يحمل قولهم : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .
وسئل الجنيد عن هذا ، فأنشد :

طوارق أنوار تلوح إذا بدت فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع

ومن ذلك :

القبض والبسط

وهما : حالتان ، بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء .

فالقبض للعارف : بمنزلة الخوف للمستأنف^(١) .

والبسط للعارف : بمنزلة الرجاء للمستأنف .

ومن الفصل^(٢) بين القبض والخوف ، والبسط والرجاء : أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل ، إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم مخذور .

وكذلك الرجاء : إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل ؛ أو بتطلع زوال مخذور وكفانة مكروه في المستقبل^(٣) .

وأما القبض : فلمعنى حاصل في الوقت ، وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء : تعلق قلبه في حالتيه بآجله وصاحب القبض والبسط أخذ^(٤) وقته بوارده غلب عليه في عاجله .

(١) للمبتدئ خوفه ، وهو المرید .

(٢) الفرق .

(٣) المستقبل .

(٤) وفي نسخة « أخيد وقته » أى أسير .

ثم تتفاوت نعوتهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم :
فمن وارد بموجب قبضا ، ولكن بنى مساع للأشياء الأخر ، لأنه غير مستوف
ومن مقبوض لا مساع لغير وارد فيه ، لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده .
كما قال بعضهم : أنا ردم^(١) ، أى : لا مساع فى .

وكذلك المبسوط : قد يكون فيه بسط بسع الخلق ، فلا يستوحش من أكثر
الأشياء ، ويكون مبسوطا^(٢) لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
دخل بعضهم على أبى بكر القحطى ؛ وكان له ابن يتعاطى ما تتعاطاه الشباب ،
وكان يمر هذا الداخل على هذا الابن ؛ فاذا هو مع أقرانه فى اشتغاله ببطالته .
فرق قلبه ، وتألم للقحطى ، وقال :

مسكين هذا الشيخ ، كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن ؟
فلما دخل على القحطى ، وجده كأنه لا خبر له مما جرى^(٣) عليه من الملامى ،
فتعجب منه ، وقال فديت ، من لا تؤثر فيه الجبال الرواسى .
فقال القحطى :

إنا قد حررنا عن رق الأشياء فى الأزل .
ومن أدنى موجبات القبض : أن يرد على قلبه وارد موجب إشارة إلى عتاب
ورمز^(٤) باستحقاق تأديب ، فيحصل فى القلب لا محالة ، قبض .
وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقرب ، أو إقبال بنوع لطف
وترحيب ، فيحصل للقلب بسط .

وفى الجملة : قبض كل أحد حسب بسطه ، وسطه على حسب قبضه .

(٢) منشرح المصادر .

(١) مردوم .

(٣) وفى نسخة ما جرى من ابنه . . .

(٤) وفى نسخة أخرى « أو رمز » .

وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه : يجد في قلبه قبضاً لا يدري موجباً ولا سببه ، فسيل صاحب هذا القبض التسليم ، حتى يمضي ذلك الوقت ، لأنه لو تكلف نفيه ، أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه .
ولعله يعد ذلك منه : سوء أدب .

وإذا استسلم لحكم الوقت ، فعن قرب يزول القبض ، فان الحق سبحانه قال :
« والله يقبض ويبسط » .

وقد يكون بسط يرد بغتة ، ويصادف صاحبه فلة لا يعرف له سبباً ، يهز صاحبه ويستفزه ، فسيل صاحبه : السكون ، ومراعاة الأدب ، فان في هذا الوقت له خطراً عظيماً . فليحذر صاحبه مكرراً خفياً .

كذا قال بعضهم : فتح على باب من البسط ، فزلت زلة ، فحجبت عن مقامى .
ولهذا قالوا : قف على البساط ، وإياك والانبساط .

وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط : من جملة ما استعاذوا منه ، لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة : فقر وضر .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : الخوف من الله يقبضنى ، والرجاء منه : يبسطنى . والحقيقة : تجمعنى ، والحق : يفرقنى ، إذا قبضنى بالخوف أفناني عني ، وإذا بسطنى بالرجاء ردني على وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرني . وإذا فرقنى بالحق أشهدني غيري ، فغطاني عنه ، فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكى ، وموحشي غير مؤنسي ، فأنا بخصوري أذوق طعم وجودي ، فليته أفناني عني فتعني ، أو غيبني عني فروحني .

ومن ذلك :

الهيبة والأنس

وهما : فوق القبض والبسط .

فكما أن القبض : فوق رتبة الخوف .

والبسط : فوق منزلة الرجاء .

فالهيبة : أعلى من القبض . والأنس أتم من البسط ، وحق الهيبة الغيبة ، فكل هائب غائب .

تم الهائبون : يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة : فمنهم . . . ومنهم^(١) وحق الأنس : صحو بحق ، فكل مستأنس : صاح .

تم^(٢) بتباننون حسب تباينهم في الشرب^(٣) .

ولهذا قالوا : أدنى محل الأنس : أنه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه أنسه .

قال الجنيد ، رحمه الله : كنت أسمع السرى يقول :

بلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر .

وكان في قلبي منه شيء ، حتى بان لي أن الأمر كذلك .

وحكى أبي عن مقاتل العكي أنه قال :

دخلت على الشبلي ؛ وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش ، فقلت :

باسيدى ، أنت تفعل هذا بنفسك . ويعود ألمه إلى قلبي !!!

فقال : ويلك ، الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيعها : فهو ذا^(٤) ، فأنا أدخل الألم

على نفسي ؛ لعل أحس به ، فيستتر عني ، فلست أجد الألم ، وليس يستتر عني^(٥) وليس لي به طاقة :

(١) أى فمنهم تطول غيبته ومنهم من تقصر على حسب هيئته .

(٣) الحظ .

(٥) أى ألم الحقيقة .

(٢) أى المستأنسون .

(٤) أى : فالسبب هذا .

و حال الهيبة والآنس ، وإن جلنا ، فأهل الحقيقة بعدونهما : نقصاً لتضمنهما تغير
العد . فان أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير . وهم محو في وجود العين^(١) ،
فلا هيبة لهم ولا آنس ، ولا علم ولا حس .

والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخراز ، أنه قال :

تهت في البادية مرة ، فكنت أقول :

أتيه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسى
أتيه على جن البلاد وإنسها فان لم أجد شخصاً أتيه على نفسى
قال : فسمعت هاتفاً يهتف بى ، ويقول :
أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدنى وبالآنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفاً تصان عن التذكار للجن والإنس
ولنما يرتقى العبد عن هذه الحالة بالوجود .
ومن ذلك :

التواجد ، والوجد ، والوجود

فالتواجد : استدعاء^(٢) الوجد بضرب اختيار ، وليس لصاحبه كمال الوجد ؛ إذ لو
كان لكان واجداً ، وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة ، وليست كذلك .
قال الشاعر :

إذا تخازرت ، وما بى من خزر^(٣) م كسرت العين من غير ماعور
فقوم قالوا : التواجد غير مسلم لصاحبه ، لما يتضمن من التكلف ويبعد عن
التحقيق .

(١) أى اطلق أى شئ من الوجدات والصفات في ذات الخلق تعالى .

(٢) استدعاء : أى طلبها واكتسابها .

(٣) خزر : صغر العين أو طهرتها .

وقوم قالوا : إنه مسلم للفقراء المجردين ، الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني ، وأصلهم : خبر الرسول صلى الله عليه وسلم : « ابكوا ، فان لم تبكوا ، فتباكوا » ، والحكاية المعروفة لأبي محمد الجريري ، رحمه الله ، أنه قال :

كنت عند الجنيد ، وهناك ابن مسروق وغيره ، وتم قوال ، فقام ابن مسروق وغيره . . . والجنيد ساكن ، فقلت :

يا سيدى ، مالك فى السماع شىء ؟ ! .

فقال الجنيد :

« وترى العجايل تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب » (١) ثم قال :

وأنت يا أبا محمد ، مالك فى السماع شىء ؟

فقلت : يا سيدى ، أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم (٢) أمسكت على نفسى وجدى ، فاذا خلوت أرسلت وجدى ، فتواجدت . فأطلق فى هذه الحكاية « التواجد » ، ولم ينكر عليه الجنيد .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

لما راعى أبو محمد ، أدب الأكابر فى حال السماع ، حفظ الله عليه وقته ، بركات الأدب ، حتى يقول : أمسكت على نفسى وجدى فاذا خلوت أرسلت وجدى فتواجد ؛ لأنه لا يمكن إرسال الوجد ، إذا شئت ، بعد ذهاب الوقت وغلباته .

ولكنه لما كان صادقاً فى مراعاة حرمة الشيوخ ، حفظ الله تعالى عليه وقته ، حتى أرسل وجده عند الخلوة .

فالتواجد : ابتداء الوجد على الوصف الذى جرى ذكره ، وبعد هذا الوجد (٣) .

والوجد : ما يصادف قلبك ، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف .

(١) آية ٨٨ من سورة النمل .

(٢) أى مستحياً منه .

(٣) أى وبعد حصول هذا يحصل الوجد .

ولهذا قال المشايخ :

الوجد : المصادفة^(١) . والمواجيد^(٢) : تمرات الأوراد^(٣) .

فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله يقول :

الواردات : من حيث الأوراد : فمن لاورد له بظاهره لاورد له في سرائره ، وكل وجد فيه من صاحبه شيء ، فليس بوجد .

وكما أن ما يتكلمه العبد من معاملات ظاهرة بوجب له حلاوة الطاعات ، فما نازله^(٤) العبد من أحكام باطنه بوجب له المواجيد .

فالحلاوات . تمرات المعاملات والمواجيد : نتائج المازلات .

أما الوجود : فهو بعد الارتقاء عن الوجد .

ولا يكون وجود الحق ، إلا بعد خمود البشرية^(٥) ، لأنه لا يكون للشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة .

وهذا معنى قول أبي الحسن النوري :

أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد : أي : إذا وجدت ربي فقدت قلبي ، وإذا وجدت قلبي فقدت ربي .

وهذا معنى قول الجنيد :

علم التوحيد : مباين لوجوده^(٦) ، ووجوده مباين لعلمه^(٧) .

(١) يشير بذلك إلى أنه غير مكتسب بل هو من تفضلات الحق تعالى على العبد .

(٢) جمع وجد .

(٣) المراد بالأوراد : وظائف الأعمال الموافقة للعلوم الشرعية .

(٤) ينتقل . (٥) أي غيبة العبد عن إحساسه بها .

(٦) أي لوجود التوحيد .

(٧) والمقصود أن العبد يكون عالماً بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ، ولا يكون واجداً له ، لأن وجوده لا يبق للعبد معه إحساس بنفسه فضلاً عن علمه به واستدلاله عليه .

وفي هذا المعنى أنشدوا :

وجودى أن أغيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود
فالتواجد : بدانة . والوجود : نهانة . والوجد واسطة بين البدانة والنهاية .
سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :

التواجد بوجب استيعاب العبد .

والوجد : بوجب استغراق العبد .

والوجود بوجب استهلاك العبد .

فهو كمن شهد البحر ، ثم ركب البحر ، ثم غرق في البحر .

وترتيب هذا الأمر (١) : قصود ، ثم ورود ، ثم شهود ، ثم جمود ، ثم خمود .
وبمقدار الوجود يحصل الخمود ، وصاحب الوجود له : صحو ، ومحو ،
فحال صحوه : بقاؤه بالحق ، وحال محوه : فناؤه بالحق .
وهاتان الحالتان أبدأ متعاقبتان عليه :

فاذا غلب عليه الصحو بالحق ، فبه يصول ، وبه يقول .

قال عليه السلام ، فيما أخبر عن الحق : « فبي سمع ، وبى ببصر » .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول :
وقف رجل على حلقة الشبلى ، فسأله :

هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين ؟ .

فقال : نعم : نور يزهر (٢) مقارناً (٣) لنيران الاشتياق ، فتلوح على الهياكل (٤)
آثارها كما قال ابن المعتز :

وأمطر الكأس ماء من أبارقها فأنبت الدر في أرض من الذهب

(١) وهو الانتقال من حال إلى حال .

(٢) يشرق .

(٣) مترتباً .

(٤) الأشخاص .

وسبح القوم لما أن رأوا عجباً نوراً من الماء في نار من العنب
سلافة^(١) ورثها عاد عن إرم كانت ذخيرة كسرى عن أب فآب
وقيل لأبي بكر الدقي :

إن جهماً الدقي أخذ شجرة بيده في حال السماع في ثورانه ، فقلعها من أصلها :
فاجتمعوا في دعوة^(٢) ، وكان الدقي كف بصره ، فقام الدقي يدور في حال هيجانه فقال
الدقي : إذا قرب مني أرونيه .

وكان الدقي ضعيفاً ، فمر به ، فلما قرب منه ، قالوا له : هذا هو .

فأخذ الدقي ساق جهم فوققه ، فلم يمكنه أن يتحرك .

فقال جهم : أيها الشيخ ، التوبة . . التوبة . . ! فخلاه .

قال الأستاذ الإمام ، أدام الله جماله :

فكان ثوران جهم في حق ، وإمساك الدقي بساقه بحق ، ولما علم جهم أن حال
الدقي فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم . وكذا من كان بحق لا يستعصى عليه
شيء . فأما^(٣) إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ، ولا عقل ، ولا فهم ، ولا حسن .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يذكر بأسناده :

أن أبا عقال المغربي : أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ، ولم يشرب ، إلى أن مات .
ودخل بعض الفقراء على أبي عقال ، فقال له : سلام عليكم .

فقال له أبو عقال : وعليكم السلام . فقال الرجل : أنا فلان . فقال أبو عقال :

أنت فلان ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ : وغاب عن حالته .

قال هذا الرجل ، فقلت له : سلام عليكم .

فقال : وعليكم السلام . وكأنه لم يرني قط .

ففعلت مثل هذا غير مرة ، فعلمت أن الرجل غائب ، فتركته ، وخرجت

من عنده .

(١) خبر .

(٢) وليه .

(٣) وفي نسخة وأما .

فأثبتت الخلق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعت الجمع .
ولا ند للعبد من الجمع والفرق ، فان من لاتفرقة^(١) له لاعبودية له ، ومن
لاجمع له لا معرفة له ، فقوله : « إياك نعبد » إشارة إلى الفرق . وقوله : « وإناك
نستعين » إشارة إلى الجمع .

وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه ، بلسان نجواه : إما سائلاً ، أو داعياً ،
أو مثنياً ، أو شاكراً ، أو متنصلاً^(٢) ، أو مبتهلاً ، قام في محل التفرقة .

وإذا أصغى سره إلى ما بناجيه به مولاه ، واستمع بلقبه ما يخاطبه به ، فيما
ناداه ، أو ناجاه ، أو عرفه ، أو لوح لقلبه وأراد به ، فهو شاهد الجمع .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

أنشد قوال بين بدى الأستاذ أبي سهل الصعلوكي ، رحمه الله :

جعلت تنزهى نظرى إليك .

وكان أبو القاسم النصراباذي ، رحمه الله ، حاضراً ، فقال الأستاذ أبو سهل :

جعلت ، بنصب التاء^(٣) . وقال النصراباذي : بل جعلت بضم التاء .

فقال الأستاذ أبو سهل : أليس عين الجمع أتم؟^(٤) . فسكت النصراباذي .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي أيضاً يحكى هذه الحكاية على هذا
الوجه .

ومعنى : هذا أن من قال « جعلت » بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه ،
فكان العبد يقول هذا من عنده . وإذا قال « جعلت » بالفتح فكأنه يتبرأ من أن
يكون ذلك يتكلفه ، بل يخاطب مولاه فيقول :

أنت الذي خصصتني بهذا ، لا أنا بتكلفي .

(١) وجه التفرقة والجمع على ما ذكره العروسي في حاشيته : في قوله « نعبد » الاستقلال ؛ اعتباراً بظاهر الحال ،
وفي قوله « نستعين » الرجوع إلى قوة الكبير المتعال .

(٢) متنصلاً من ذنبه .

(٣) وفي نسخ ، وهو أصوب ، بفتح التاء .

(٤) لأن نسبة الأفعال إلى الله أتم من نسبتها إلى العبد .

فالأول على خطر^(١) الدعوى ، والثاني بوصف التبرى من الحول ، والاقرار بالفضل والطول : والفرق بين من يقول بجهدى أعبدك . وبين من يقول : بفضلك ولطفك أشهدك .
ومن ذلك

جمع الجمع

وجمع الجمع : فوق هذا .
يختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم ، وتفاوت درجاتهم : فمن أثبت نفسه ، وأثبت الخلق ، ولكن شاهد الكل قائماً بالحق ، فهذا هو : جمع .
وإذا كان محتطاً عن شهود الخلق ، مصطليماً^(٢) عن نفسه ، مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير ، بما ظهر ، واستولى من سلطان الحقيقة ، فذاك جمع الجمع^(٣).
فالتفرقة : شهود الأغيار لله عز وجل .
والجمع : شهود الأغيار بالله .
وجمع الجمع : الاستهلاك بالكلية ، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة .
وبعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم :

الفرق الثاني

وهو أن يرد العبد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ، ليجرى عليه القيام بالفرائض في أوقاتها ، فيكون رجوعاً لله بالله تعالى ، لا للعبد بالعبد .
فالعبد يطالع نفسه ، في هذه الحالة ، في تصريف الحق سبحانه ، يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته ، ومجرى أفعاله وأحواله عليه ، بعلمه ومشيتته .
وأشار بعضهم بلفظ « الجمع والفرق » إلى تصريف الحق جميع الخلق .

(١) أى المخاطرة فيها بنفسه حيث نسب لنفسه حالاً أو مقاماً .

(٢) غافلاً ، وإلهماً .

(٣) وهو لا يتم التحقيق به لأحد إلا بعد الفناء عن الأفعال والصفات والذات .

فجمع الكل في التقلب والتصريف : من حيث إنه منشىء ذواتهم ومجرى صفاتهم ، ثم فرقهم في التنويع : ففريقاً أسعدهم ، وفريقاً أبعدهم وأشقاهم ، وفريقاً هداهم ، وفريقاً أضلهم وأعماهم ، وفريقاً حجبهم عنه ، وفريقاً جذبهم إليه ، وفريقاً أنسهم بوصله ، وفريقاً أبسهم من رحمته . وفريقاً أكرمهم بتوقيفه ، وفريقاً اضطلمهم^(١) عند رومهم لتحقيقه ، وفريقاً أصحاهم ، وفريقاً محاهم وفريقاً قربهم . وفريقاً غيبهم وفريقاً أدناهم وأحضرهم ، ثم أسقاهم فأسكرهم . وفريقاً أشقاهم وآخرهم ثم أقصاهم وهجرهم .

وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر ، ولا تأتي على تفصيلها شرح ولا ذكر وأنشدوا
للجنيد ، رحمه الله ، في معنى الجمع والتفرقة :

وتحققتك في سرى فناجاك لسانى

فاجتمعنا لمعانى وافترقنا لمعانى

إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى

فقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

وأنشدوا :

إذا ما بدا لى^(٢) تعاظمته فأصدر^(٣) فى حال من لم يرد

جمعت وفرقت عنى به ففرد التواصل مثنى للعدد

(١) غيبهم .

(٢) أى ظهر لى نور الحق .

(٣) فأرجع .

الفناء والبقاء

أشار للقوم بالفناء : إلى سقوط الأوصاف المذمومة .

وأشاروا بالبقاء : إلى قيام الأوصاف المحمودة به .

وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين ، فمن المعلوم : أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة ، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة .

واعلم أن الذى يتصف به العبد : أفعال ، وأخلاق ، وأحوال .

فالأفعال : تصرفاته باختياره .

والأخلاق : جبلة فيه ، ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة .

والأحوال : ترد على العبد على وجه الابتداء ، لكن صفاتها بعد زكاء الأعمال .

فهى كالأخلاق من هذا الوجه ، لأن العبد إذا نازل (١) الأخلاق بقلبه فينفى بجهده سفاسفها (٢) ، فمن الله عليه بتحسين أخلاقه ، فكذلك إذا واظب على تركية أعماله ، ببذل وسعه فمن الله عليه بتصفية أحواله ، بل بتوفية أحواله .

فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال : أنه فنى عن شهواته .

فاذا فنى عن شهواته بى بنيته وإخلاصه فى عبوديته .

ومن زهد فى دنياه بقلبه ، يقال ، فنى عن رغبته .

فاذا فنى عن رغبته فيها بى بصدق إنابته .

ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد ، والبخل ، والشح والغضب ،

والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس ، يقال : فنى عن سوء الخلق .

(١) انقل إليها .

(٢) حقيرها .

فاذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق .

ومن شاهد جريان القدرة فى تصارييف الأحكام ، يقال : فنى عن حسابان الحدثان من الخلق ، فاذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق .

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لاعتيناً ولا أثراً ؛ ولا رسماً ، ولا طلاً ؛ يقال : إنه فنى عن الخلق وبقي بالحق .

ففناء العبد عن أفعاله الذميمة ، وأحواله الخسيسة : بعدم هذه الأفعال .

وفناؤه عن نفسه ، وعن الخلق : بزوال إحساسه بنفسه وبهم .

فاذا فنى عن الأفعال ، والأخلاق ، والأحوال ، فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً .

وإذا قيل : فنى عن نفسه ؛ وعن الخلق ، فنفسه موجودة ، والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا به ، ولا إحساس ، ولا خبر ، فتكون نفسه موجودة ، والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين ، غير محس بنفسه وبالخلق .

وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان ؛ أو محتشم ، فيذهل عن نفسه ، وعن أهل مجلسه هيبة ، وربما يذهل عن ذلك المحتشم ، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده ، عن أهل مجلسه وهيات ذلك الصدر^(١) ، وهيات نفسه ، لم يمكنه الإخبار عن شيء .

قال الله تعالى : « فلما رأيته أكبره ، وقطعن أيديهن » .

لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام ، على الوهلة^(٢) ألم قطع الأيدي ، وهن أضعف الناس ، وقلن : « ما هذا بشراً » - ولقد كان بشراً - .

وقلن : « إن هذا إلا ملك كريم » - ولم يكن ملكاً -

فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق ، فما ظنك بمن تكاشف^(٣) بشهود الحق سبحانه ؟ .

(١) أى المحتشم ، وفى نسخة « وهبة » .

(٢) البهتة .

(٣) أى أزيلت عنه الحجب .

فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه ، فأى أعجوبة فيه ؟ ١ .
 فمن فنى عن جلله بقى بعلمه . . ومن فنى عن شهوته بقى بانابته . . ومن فنى
 عن رغبته بقى بزهادته . . ومن فنى عن منيته^(١) بقى بارادته^(٢) تعالى :
 وكذلك القول فى جميع صفاته :
 فاذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره ، يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه
 وإلى هذا أشار قائلهم :
 فقوم تاه فى أرضى بفقر وقوم تاه فى ميدان حبه
 فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقا من قرب ربه
 فالأول أفناه^(٣) عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق .
 ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق .
 ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق .
 ومن ذلك :

الغيبة والحضور

فالغيبة : غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق ، لاشتغال الحسن بما ورد
 عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكر ثواب ، أو تفكر
 عقاب .

كما روى أن : الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود ، رضى الله عنه ،
 فمر بحانوت حداد ، فرأى الحديد المصممة فى الكير ، فغشى عليه . . ولم يفتق إلى الغد .
 فلما أفاق ، سئل عن ذلك ، فقال :

تذكرت كون أهل النار فى النار :

فهذه غيبة زادت على حدها ، حتى صارت غشية .

(١) طلبته . (٢) وفى نسخة (بارادته) نقط . (٣) وفى نسخة (فناؤه) .

وروى عن علي بن الحسين : أنه كان في سجوده ، فوق حريق في داره ، فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله ، فقال :
ألهتنى النار الكبرى عن هذه النار .

وربما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى (١) بكاشف به من الحق سبحانه وتعالى .

ثم إنهم (٢) مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم . ومن المشهور :

أن ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحداد في ترك الحرفة ، أنه كان على حانوته ، فقرأ قارئ آية من القرآن ، فورد على قلب أبي حفص وارد تغافل عن إحساسه ، فأدخل يده في النار ، وأخرج الحديد المحمأة بيده ، فرأى تلميذاً له ذلك ، فقال : يا أستاذ ، ما هذا ؟

فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه ، فترك الحرفة ، وقام من حانوته .

وكان الجنيد قاعداً ، وعنده امرأته ، فدخل عليه الشبلي ، فأرادت امرأته أن تستتر ، فقال لها الجنيد : لا خبر للشبلي عنك ، فاقعدى .

فلم يزل بكلمه الجنيد ، حتى بكى الشبلي ، فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لأمراته : استتري ، فقد أفاق الشبلي من غيبته .

سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور ، وكان رجلاً صالحاً ، قال :

كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي علي اللدقاق بنيسابور ؛ وقت كونه هناك وكان تتكلم في الحج كثيراً ، فأثر في قلبي كلامه ، فخرجت إلى الحج تلك السنة ، وتركت الحانوت والحرفة ، وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله ، خرج إلى الحج أيضاً في تلك السنة ، وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه ، وأواظب على القراءة في مجلسه ، فرأبته يوماً في البادية : تطهر . . ونسى قمقمه كانت بيده . . فحملتها ، فلما عاد إلى رحله وضعها عنده ، فقال : جزاك الله خيراً ، حيث حملت هذا .

ثم نظر إلى طويلاً كأنه لم يرن قط : وقال :

(١) أي بوارد .

(٢) أي من يرد عليهم الوارد .

رأيتك مرة . فمن أنت ؟

فقلت : المستغاث بالله ! ! صحبتك مدة . . . وخرجت عن مسكني ومالي بسببك ،
وتقطعت في المفازة بك . والساعة تقول رأيتك مرة ! !
وأما الحضور :

فقد يكون حاضراً بالحق ؛ لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق ، على معنى أنه
يكون كأنه حاضر ، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه ، فهو حاضر بقلبه بين
يدي ربه تعالى ؛ فعلى حسب غيبته عن الحق يكون حضوره بالحق ، فان غاب بالكلية
مكان الحضور على حسب الغيبة .

فاذا قيل : فلان حاضر ، فعناه أنه حاضر بقلبه لربه ، غير غافل عنه ، ولا ساه ،
ستليم لذكره . ثم يكون مكاشفاً في حضوره على حسب رتبته بمكان يخصه الحق
سبحانه وتعالى بها .

وقد يقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه ، وأحوال الخلق : إنه حضر
أى رجع عن غيبته ، فهذا يكون حضوراً بخلق ، والأول حضوراً بحق .

وقد تختلف أحوالهم في الغيبة ، فمنهم من لا تمتد غيبته ، ومنهم من تدوم غيبته .
وقد حكى أن ذا النون المصري بعث إنساناً من أصحابه إلى أبي يزيد ، لينقل إليه
صفة أبي يزيد . . . فلما جاء الرجل إلى بسطام . سأل عن دار أبي يزيد . فدخل عليه
فقال له أبو يزيد : ما تريد ؟

فقال : أريد أبا يزيد .

فقال : من أبو يزيد ؟ وأين أبو يزيد ؟ أنا في طلب أبي يزيد .

فخرج الرجل ، وقال : هذا مجنون .

ورجع الرجل إلى ذي النون . فأخبره بما شهد . فبكى ذو النون وقال :

أخي أبو يزيد ذهب في اللذاهبين إلى الله .

الصحو والتسكر

فالصحو : رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة .

والسكر : غيبة بوارد قوى .

والسكر زيادة على الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفى^(١) في حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره ، وتلك حال المتساكر ، الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر ، إذا كان متساكراً غير مستوف .

والغيبة قد تكون للعباد ، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ومقتضيات الخوف والرجاء .

والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجهيد .

فاذا كوشف العبد بنعت للجمال حصل السكر ؛ وطاب^(٢) الروح ، وهام القلب ، وفى معناه أنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا
فما مل ساقيا وما مل شارب عقار لحاظ كأسه سكر اللسا
وأنشدوا :

فأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير
وأنشدوا :

لى سكرتان ، وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

(١) بأن كان فيه بقية إدراك وفى نسخة . مستوفيا فى سكره .

(٢) وفى نسخة وطرب . .

وأنشدوا :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة فتي نفيق فتي به سكران
واعلم أن الصحو على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق ، كان صحوه
بحق .

ومن كان سكره بحظ مشوباً ؛ كان صحوه بحظ (١) مصحوباً .

ومن كان محققاً في حاله (٢) كان محفوظاً في سكره .

والسكر والصحو شيران إلى طرف من التفرقة .

وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم (٣) فصنف العبد الثبور ، والقهر .

وفي معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح

قال تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ، وخر موسى صعقتاً » .

هذا (٤) مع رسالته وجلالة قدره خر صعقتاً ، وهذا (٥) مع صلابته ، وقوته ،
صار دكاً متكسراً .

والعبد في حال سكره شاهد الحال .

وفي حال صحوه بشاهد العلم .

إلا أنه في حال سكره محفوظ (٦) لا تتكلفه .

وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه .

والصحو والسكر بعد الذوق والشرب .

(١) وفي نسخة . يحفظ صحيح .

(٢) أى في حال صحوه .

(٣) علامة ، وفي نسخة . علم أن صفة .

(٤) أى موسى عليه السلام .

(٥) أى الجبل .

(٦) أى محفوظ بالله .

الذوق والشرب

ومن جملة ما بجرى في كلامهم : الذوق ، والشرب .
ويعبرون بذلك عما يجدونه من تمرات التجلي ، ونتائج الكشوفات ، وبواده
الواردات .

وأول ذلك : الذوق ، ثم الشرب ، ثم الرى .
فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني .
ووفاء منازلهم يوجب لهم الشرب .
ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى .
فصاحب الذوق متساكر^(١) ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الرى
صاح .

ومن قوى حبه تسرمد^(٢) شربه ، فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب
سكرأ ، فكان صاحباً بالحق ، فانياً عن كل حظ ، لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يتغير
عما هو به .

ومن صفا سره ، لم يتكدر عليه للشرب . ومن صار الشرب له غذاء لم يصبر
عنه ، ولم يبق بدونه .

وأنشدوا :

وإنما الكأس رضاع بيننا فاذا لم نذقها لم نعش

وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيت؟
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا روبت

(١) وهو من بنى فيه بقية شعور بماله من الأحوال . (٢) دام .

ونقال : كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي :

« هاهنا من شرب من كأس^(١) المحبة لم يظماً بعده » .

فكتب إليه أبو يزيد :

عجبت من ضعف حالك . . هاهنا من بهتسى بهجار الكون وهو فاغرفاه

دستز بد .

واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ، ولا تدار إلا على أسرار معتقة ،
وأرواح عن زقق الأشياء محررة .

ومن ذلك :

المحو والاثبات

المحو : رفع أوصاف العادة .

والإثبات : إقامة أحكام العبادة

فمن نفي عن أحواله الخصال الذميمة ، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة ،
فهو صاحب محو وإثبات .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال بعض المشايخ لواحد :
إيش تمحو ؟ وإيش تثبت ؟

فسكت الرجل ! !

فقال : أما علمت أن الوقت محو وإثبات ، إذ من لا محو له ، ولا إثبات ، فهو
معطل ، مهمل .

ونقسم إلى محو الزلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن
السرائر ، وفي محو الزلة : إثبات المعاملات ؛ وفي محو الغفلة : إثبات المنازلات .
وفي محو العلة : إثبات المواصلات .

(١) وفي نسخة . من شرب كأساً من المحبة .

هذا محو وإثبات بشرط العبودية .

وأما حقيقة المحو والإثبات ، فصادران عن القدرة : فالمحو : ما ستره الحق ونفاده ، والإثبات ما أظهره الحق وأبداه .

والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة ، قال الله تعالى : « محو الله ما شاء ويثبت » .

قيل : يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ، ويثبت على ألسنة المرئيين ذكر الله ، ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله .

ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة (١) ، أثبتته (٢) بحق حقه (٣) .

ومن محاه الحق عن إثباته به رده إلى شهود الأغيار ، وأثبتته في أودية التفرقة .

وقال رجل للشبلي رحمه الله :

مالى أراك قلقاً ، أليس هو معك ، وأنت معه ؟

فقال الشبلي :

لو كنت أنا معه كنت أنا ، ولكى محو فيما هو .

والحق فوق المحو ؛ لأن المحو يبقى أثراً ، والحق لا يبقى أثراً .

وغاية همة القوم أن بمحققهم الحق عن شاهدهم ، ثم لا يرددهم إليهم بعد ما محققهم

عنهم .

الستر والتجلى .

العوام (٤) في غطاء الستر (٥) ، والخواص في دوام التجلى .

وفى الخبر : « إن الله إذا تجلى لشيء خضع له » .

فصاحب الستر ، بوصف شهوده ، وصاحب التجلى أبداً ، نعت خشوعه .

(١) أى شهادته لنفسه وأفعاله .

(٢) حقه .

(٣) أى جعل حاله الوجود بواسطة فنائه عن فنائه . بحق الحقيقة : أى بغلبة مشاهدة أنوار الحقيقة فبهم له الوجود بها .

(٤) أى من الصوفية .

(٥) بأن يخفى الله عنهم أحوالهم . ايدوموا على جدهم واجهادهم في عباداتهم .

والستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنه يستر عليهم (١) ما يكشفهم به ، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة : ولكنه كما يظهر لهم ، بستر عليهم .

سمعت منصور المغربي يقول :

وافى بعض الفقراء حياً من أحياء العرب ، فأضافه شاب ؛ فبينما للشاب في خدمة هذا الفقير إذ غشى عليه ، فسأل الفقير عن حاله ، فقالوا :

له بنت عم ، وقد علقها (٢) ، فمشت في خيمتها ، فرأى الشاب غبار ذيلها ، فغشى عليه .

فمضى الفقير إلى باب الخيمة ، وقال :

إن للغريب فيكم حرمة وذماماً ، وقد جئت مستشفعاً إليك في امر هذا الشاب ، فتعطني عليه فيما هو به من هواك .

فقالت : سبحان الله ، أنت سليم القلب ، إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي ، فكيف يطيق صحبتي . ؟ !

وعوام هذه للطائفة عيشهم في التجلى ، وبلاؤهم في الستر .

وأما للخواص ، فهم بين طيش وعيش (٣) ؛ لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا ، وإذا ستر عليهم ردوا إلى الحظ فعاشوا .

وقيل : إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام : « وما تلك بيمينك يا موسى » ، ليستر عليه ببعض ما يعلله (٤) به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان (٥) على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة » .

والاستغفار : طلب الستر ، لأن الغفر : هو السر ، ومنه غمر الثوب ، والمغفر ، وغيره فكانه أخبر أنه بطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة ؛ إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق . وفي الخبر : « لو كشف (٦) عن وجهه (٧) لأحرقت سمحات (٨) وجهه ما أدرك بصره » (٩) .

(٣) بين سكر وصحو .

(٢) تعلق قلبه بها .

(١) معنى عنهم .

(٦) أى للعبد .

(٥) ليغطي .

(٤) يلاطفه .

(٨) أى أنوار عظمة الله وجلاله .

(٧) أى وجه الله .

(٩) أى أن العبد - كما قال الشيخ زكريا الأنصارى - لا يطيق رؤية الحق تعالى ولا كمال جلالة ؛ وإنما يكشف لكل عبد ،

من رؤيته في الدنيا ما تقوى عليه بصيرته وليس المراد بقولهم « المكاشفة » و « المشاهدة » ونحوهما من الألفاظ ؛ معاينة الذات حقيقة ، فإن ذلك لا يقع في الدنيا ولا في الآخرة على الوجه المهود .

المحاضرة ، والمكاشفة ، ثم المشاهدة ،

المحاضرة ابتداء (١) ، ثم المكاشفة ، ثم المشاهدة .

فالمحاضرة : حضور القلب . وقد يكون تتواتر البرهان ، وهو بعد وراء الستار (٢) ، وإن كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر .

ثم بعده . المكاشفة : وهو حضوره نعت البيان . غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل ، وتطلب السبيل ، ولا مستجير (٣) من دواعي الريب . ولا محجوب من نعت الغيب .

ثم المشاهدة : وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة (٤) .

فاذا أصبحت سماء السر عن غيوم الستار ، فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف . وحق المشاهدة ما قاله للجنييد ، رحمه الله :
وجود الحق مع فقدانك (٥) .

فصاحب المحاضرة مربوط بآياته ، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته . وصاحب المشاهدة ملق بذاته ، وصاحب المحاضرة يهديه عقله : وصاحب المكاشفة يهديه علمه ، وصاحب المشاهدة يمحوه معرفته .

ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله .

ومعنى ما قاله : أنه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق ، فكما أن الليلة للظلماء تتوالى البروق فيها ، واتصالها ، إذا قدرت تصير في ضوء النهار ، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلى متع (٦) نهاره فلا ليل .
وأنشدوا :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى
والناس في سدف (٧) للظلام ونحن في ضوء النهار

(١) أى أول المراتب . .

(٢) أى : مستعبد .

(٣) أى فناءك عما سواه .

(٤) الحجاب .

(٥) شبهة .

(٦) أى طال .

(٧) ظلمة .

وقال النورى : لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم .

وقال : إذا طلع الصباح استغنى عن الصباح :

وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة ، لأن باب المفاعلة فى العربية بين اثنين . وهذا وهم من صاحبه . فان فى ظهور الحق سبحانه ، ثبور (١) الخلق وباب المفاعلة جملة لا تقضى مشاركة الاثنين نحو : سافر ، وطارق النعل ، وأمثاله .

وانشدوا :

فلما استبان الصبح أدرك (٢) ضوؤه بأنواره أنوار ضوء الكواكب
يجرعه كاساً لو ابتلى (٣) به اللظى بتجريعه طارت كاسرع ذاهب
كأس ، أى كأس !! تصطلحهم عنهم ، وتفنيهم ، وتختطفهم منهم ، ولا تبقيهم .
كأس .. لا تبقى ولا تذر ، تمحوهم بالكلية ، ولا تبقى شظية من آثار البشرية .
كما قال قائلهم :

ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر

اللوائح ، والطوايع ، واللوامع

قال الأستاذ رضى الله عنه :

هذه الألفاظ متقاربة المعنى ، لا يكاد يحصل بينها كبير فرق . وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب ، فلم يدم لهم بعد ضياء شمس المعارف .

لكن الحق سبحانه وتعالى ، يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين ، كما قال : « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٤) » ، فكلما أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنع (٥) لهم فيها لوائح الكشف وتلاً لألوامع القرب . وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح (٦) .

(٢) وفى نسخة أدرج أى : غيب .

(١) هلاك .

(٤) آية ٦٢ من سورة مريم .

(٣) وفى نسخة : لو ابتليت لظى أى : جهنم .

(٦) ينتظرون مجئ اللوائح بنقطة .

(٥) ظهر .

فهم كما قال القائل :

بأبها الرق الذي يلمع من أى أكناف السما تسطع
فتكون (١) أولا : لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوابع :

فاللوائح كالبروق ، ما ظهرت حتى استترت ، كما قال القائل :
افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه على وداعا
وأنشدوا :

باذا الذى زار ومازارا كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا ماضره لو دخل للدارا ؟
واللوامع : أظهر من اللوائح . ليس زوالها بتلك السرعة ، فقد تبقى اللوامع
وقتين ، وثلاثة .
ولكن كما قالوا :

والعين باكية لم تشبع المنظرا

وكما قالوا :

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ربهـا برقيب
فاذا لمع قطعك عنك ، وجمعك به ، لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه
عساكر الليل ، فهؤلاء بين روح ونوح ؛ لأنهم بين كشف وستر .
كما قالوا :

فالليل شملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبـا
والطوابع : أبى وقتنا ، وأقوى سلطانا ، وأدوم مكثا ، وأذهب للظلمة وأنفى
الهمة . لكنها موقوفة على خطر الأفول ، ليست برفيعة الأوج ، ولا بدائمة المكث .
ثم أوقات حصولها وشيكة الارتحال ، وأحوال أفولها طويلة الأذيال .
وهذه المعاني ، التى هى : اللوائح واللوامع والطوابع ، تختلف فى القضايا (٢) ،
فمنها ما إذا فات لم يبق عنها (٣) أثر ، كالشوارق إذا أفلت ، فكأن الليل كان دائما .
ومنها ما يبقى عنه أثر ، فان زال رقمه (٤) بقى ألمه ، وإن غربت أنواره بقيت
آثاره . فصاحبه بعد سكون غلباته (٥) يعيش فى ضياء بركاته ، فالى أن يلوح ثانيا
برجى (٦) وقته على انتظار عوده ، ويعيش بما وجد فى كونه (٧)

(١) أى الأشياء التى تظهر لهم .

(٢) الأحكام .

(٣) والاولى أن يقول « عنه » .

(٤) أى أثره .

(٥) قلقه .

(٦) وفى نسخة يزجى : أى يدافع .

(٧) أى زمن وجوده .

البوادة والهجوم

البوادة :

ما بفعجا قلبك من الغيب على سبيل الوهلة^(١) ، إمام موجب فرح ، وإمام موجب ترح .

والهجوم :

ما برد على القلب بقوة الوقت ، من غير تصنع منك .
ويختلف في الأنواع على حسب قوة اللوارد وضعفه .
فهم من غيره البوادة ، وتصرفه المواجه .
ومنهم من يكون فوق ما ينفجؤه حالا وقوة . أولئك سادات الوقت كما قيل :
لا نهتدي نوب^(٢) الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام

التلوين والتمكين

التلوين : صفة أرباب الأحوال .

التمكين : صفة أهل الحقائق .

فما دام العمد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقي من حال إلى حال ،
وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل^(٣) ويحصل في مربع^(٤) ، فاذا
وصل تمكن .

وأنشدوا :

ما زلت أنزل في وداك منزلا تتحير الألباب دون نزوله
وصاحب التلوين أبدأ في الزيادة وصاحب ، التمكين وصل تم اتصل .
وأما أنه اتصل : أنه بالكلية عن كليته بطل .

(٢) أحداثه : إمام : فوه وثبات .

(٤) محل الربع .

(١) البغته .

(٣) مكان الرحيل .

وقال بعض المشايخ :

انتهى سفر الطالبين إلى اللطفر بنفوسهم ، فاذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا .
قال الأستاذ رحمه الله :

يريد انحناس أحكام للبشرية ، واستيلاء سلطان الحقيقة ، فاذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين .

كان الشيخ ابو على الدقاق ، رحمه الله يقول :

كان موسى عليه السلام صاحب تلويين ، فرجع من سماع للكلام واحتاج إلى ستر وجهه ، لأنه أثر فيه الحال . ونبينا ، صلى الله عليه وسلم ، كان صاحب تمكين ، فرجع كما ذهب ، لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة .

وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام : أن النسوة للثلاثي رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه المفجأة . وامرأة العزيز كانت أتم في بلاء^(١) يوسف منهن ، ثم لم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم ، لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه السلام .

قال الأستاذ :

واعلم أن التغر بما برد على العبد يكون لأحد أمرين :

إما لقوة الوارد ، أو لضعف صاحبه .

والسكون من صاحبه لأحد أمرين :

إما لقوته ، أو لضعف الوارد عليه .

سمعت الأستاذ آبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

أصول القوم في جواز دوام التمكين تتخرج على وجهين :

أحدهما : ما لا سبيل إليه ، لأنه قال صلى الله عليه وسلم : « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة »^(١) ولأنه صلى الله عليه وسلم قال : « لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل » أخبر عن وقت مخصوص .

والوجه الثانى : أنه يصح دوام الأحوال ، لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف للتأثر بالطوارق ، والذي فى الخبر أنه قال : « لصافحتكم الملائكة » فلم يعاق الأمر فيه على أمر مستحيل ، ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رغباً بما يصنع »^(٢) .

وما قال : « لى وقت . . » ، فانما قال على حسب فهم السامع . وفى جميع أحواله كان قائماً بالحقيقة .

والأولى أن يقال : إن العبد ما دام فى الترقى فصاحب تلوين يصح فى نفعه الزيادة فى الأحوال ، والنقصان منها ، فاذا وصل إلى الحق بانحناس أحكام الشرية ممكنه الحق سبحانه ، بأن لا يردده إلى معلولات النفس ، فهو متمكن فى حاله ، على حسب محله واستحقاقه .

تم ما يتحفه - الحق سبحانه ، فى كل نفس ، فلاحد لمقاديراته ، فهو فى الزيادات متلون ، بل ملون . وفى أصل حاله متمكن ، فإلماً متمكن فى حاله أعلى مما كان فيها قبله ، تم يرتقى عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غابة لمقاديرات الحق سبحانه فى كل جنس .

(١) الحديث بأكمله : عن أبي ربيع : حفظة بن الربيع الأسدي : الكاتب أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لقي أبو بكر ، رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حفظة ؟ قلت : ذافى حفظة . قال : سبحانه الله . اتقول ، أفلت : تكون عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأى عين ، فإذا أخرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات نسبنا كثيراً ، قال أبو بكر رضى الله عنه ، فواته إننا لنلقى مثل هذا : فأنعلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ذافى حفظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قال : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنها رأى عين فإذا أخرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات : نسبنا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده ، أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حفظة ، ساعة وساعة ثلاث مرات « رواه مسلم . عافسنا : داعبنا ، الضيقات : المعاش .

(٢) الحديث بتمامه فيها رواه أبو داود والترمذى عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقاً يبتنى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رغباً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد : كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر » .

فأما المصطلم^(١) عن شاهده ، المستوفى إحساسه بالكلية ، فللبشرية لا محالة حد وإذا بطل عن جملته ونفسه وحسه ، وكذلك عن المكونات بأسرها ، تم دامت به هذه الغيبة ، فهو محو ، فلا تمكن له إذاً ، ولا تلوين ، ولا مقام ، ولا حال .
وما دام بهذا الوصف : فلا تشریف ، ولا تكليف . اللهم إلا أن يرد بما يجرى عليه من غير شيء منه ، فذلك^(٢) متصرف في ظنون الخلق ، مصرف في التحقيق .
قال الله تعالى : « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال »^(٣) وبالله التوفيق .

ومن ذلك :

القرب والبعد

أول رتبة في القرب : القرب من طاعته ، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته .

وأما البعد ، فهو التدنس بمخالفته ، والتجافي عن طاعته .

فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق ، قال صلى الله عليه وسلم ، مخبراً عن الحق سبحانه : « ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل . حتى يحبني وأحبه . فإذا أحببته ، كنت له سمعاً وبصراً ، فبي يبصر ، وبني يسمع . »^(٤) .

فقرب العبد أولاً قرب بإيمانه وتصديقه ، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه .

وقرب الحق سبحانه ، ما يخصه اليوم به من العرفان ، وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيها بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان .

(١) الغائب .

(٢) أي العبد .

(٣) آية ١٨ من سورة الكهف .

(٤) الحديث بتمامه : قال تعالى في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال يتقرب إلى عبدي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها وأن سألني أعطيتها ولئن استعاذني لأعيذنه » .

ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق . وهذه من صفات القلوب
دون أحكام الظواهر والكون .

وقرب الحق سبحانه ، بالعلم ، والقدرة عام للكافة . وباللطف والنصرة خاص
بالمؤمنين ، تم بخصائص التائيس^(١) مختص بالأولياء . قال الله تعالى : « ونحن أقرب
إليه من حبل الوريد »^(٢) ، وقال تعالى : « ونحن أقرب إليه منكم »^(٣) ، وقال تعالى :
« وهو معكم أينما كنتم »^(٤) وقال : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم »^(٥) .

ومن تحقق بقرب الحق ، سبحانه وتعالى ، فأدّونه^(٦) دوام مراقبته إياه ،
لأن عليه رقيب التقوى ، ثم رقيب الحفظ والوفاء ، ثم رقيب الحياء .

وأنشدوا :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظراً	بسوؤك إلا قلت قد رفعاني
ولا بدرت من في دونك لفظة	لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة	لغيرك إلا عرجا بعناني
وإخوان صدق قد ستمت حديثهم	وأمسكت عنهم ناظري ولساني
وما الزهد أسلى عنهم غير أنني	وجدتك مشهوداً بكل مكان

وكان بعض المشايخ يخص واحداً من تلامذته باقباله عليه ، فقال أصحابه له في
ذلك ، فدفع إلى كل واحد منهم طيراً ، وقال . اذبحوه بحيث لا يراه أحد .

فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال . . وجاء هذا الإنسان والطير معه
غير مذبوح ، فسأله الشيخ ، فقال : أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ، ولم
يكن موضع إلا والحق سبحانه يراه . فقال الشيخ : لهذا أقدم هذا عليكم ؛ إذ الغالب
عليكم حديث الخلق ، وهذا غير غافل عن الحق .

(١) أى الأنس بالله .

(٢) آية ١٦ من سورة : ق .

(٣) آية ٨٥ من سور الواقعة .

(٤) آية ٤ من سورة الحديد .

(٥) آية ٧ من سورة المجادلة .

(٦) فأفله .

ورؤية القرب حجاب عن القرب ، فمن شاهد لنفسه محلاً ، أو نفساً ، فهو ممكور به (١) .

ولهذا قالوا : أوحشك الله من قربه : أى من شهودك لقربه ، فان الاستثناس بقربه من سمات العزة به ، إذ الحق سبحانه وراء (٢) كل أنس .

وإن مواضع الحقيقة توجب الدهش واخو (٣) .

وفى قريب من هذا قالوا :

يحتى فيك أنى ما أبالى بمحتى

قربكم مثل بعدكم فمى وقمت راحتى

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ، رحمه الله ، كثيراً ما ينشد :

ودادكم هجر ، وحبكم قلى (٤) وقربكم بعد وسلمكم حرب

ورأى أبو الحسين النورى بعض أصحاب أبي حمزة ، فقال :

أنت من أصحاب أبي حمزة الذى بشير إلى القرب ؟ إذا لقيت ، فقل له : إن أبا الحسين النورى بقرئك السلام ، ويقول لك : قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد .

فأما القرب بالذات ، فتعالى الله الملك الحق عنه ، فانه متقدس عن الحدود ؛ والآقطار ، والنهاية والمقدار ، وما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلست صمديته عن قبول الوصل والفصل .

فقرب هو فى نعتة محال : وهو تدانى الذوات .

وقرب هو واجب فى نعتة : وهو قرب بالعلم والرؤية .

وقرب هو جائر فى وصفه ، يخص به من يشاء من عباده ، هو قرب الفضل (٥)

باللطف .

(١) ممكور به : مغرور به :

(٣) وفى نسخة و « المحق » .

(٥) وفى نسخة أخرى « الفعل » .

(٢) أى أمام

(٤) بنفس ،

الشريعة والحقيقة

الشريعة : أمر بالتزام العبودية .
 والحقيقة : مشاهدة الربوبية .
 فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول .
 وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول .
 فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريح الحق .
 فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده .
 والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر .
 سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
 قوله : « إياك نعبد » حفظ للشريعة « وإياك نستعين » إقرار بالحقيقة .
 واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره .
 والحقيقة - أيضاً - شريعة ، من حيث إن المعارف به ، سبحانه ، أيضاً ،
 وجبت بأمره .
 ومن ذلك :

النفس (١)

للنفس : ترويح القلوب بلطائف الغيوب . وصاحب الأنفاس أرق وأصنف من
 صاحب الأحوال . فكان الوقت مبتدئاً ، وصاحب الأنفاس منتهياً ، وصاحب
 الأحوال بينهما .
 فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقى .
 فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح ، والأنفاس
 لأهل السرائر :
 وقالوا : أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى .

وقالوا : خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة ، وخلق الأسرار وراءها^(١) .
وجعلها محلا للتوحيد . فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد
على بساط الاضطراب فهو ميت ، وصاحبه مسئول عنه .

سمعت الأستاذ أبا علي للدقاق ، رحمه الله ، يقول :

العارف لا يسلم له النفس ، لأنه لا مساحة تجرى معه ، والمحِب لا بد له من
نفس ، إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى ، لعدم طاقته .

ومن ذلك :

الخواطر

والخواطر خطاب يرد على الضمائر ، وهو قد يكون بالقاء ملك ، وقد يكون
بالقاء شيطان ، ويكون أحاديث النفس ، ويكون من قبل الحق سبحانه .

فاذا كان من الملك فهو . الإلهام .

وإذا كان من قبل النفس ، قيل له : الهواجس .

وإذا كان من قبل الشيطان فهو : الوسواس .

وإذا كان من قبل الله سبحانه ، وإلقائه في القلب ، فهو : خاطر حق .

وجملة ذلك من قبيل الكلام^(٢) .

فاذا كان من قبل الملك ، فانما يعلم صدقه بموافقة العلم^(٣) ، ولهذا قالوا : كل
خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل .

وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي .

وإذا كان من قبل النفس فأكثره ، يدعو إلى اتباع شهوة أو استئثار كبر ،
أو ماهو من خصائص أوصاف النفس .

(١) أى بعدها .

(٢) أى جميع ما تقدم في معنى الخاطر هو من قبيل الكلام النفسي الملقى في الضمائر .

(٣) بالكتاب والسنة .

واتفق المشايخ على أن من كان آكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس^(١).
وسمعت الشيخ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
من كان قوته معلوماً^(٢) لم يفرق بين الإلهام والوسواس ، وأن من سكنت عنه
هو اجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان^(٣) قلبه بحكم مكابדתه .
وأجمع الشيوخ على أن النفس لاتصدق ، وأن القلب لا يكذب .
وقال بعض المشايخ : إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ، ولو اجتهدت كل
الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك .

وفرق للجنيدي بين هو اجس النفس ووساوس الشيطان : بأن النفس إذا طالبتك
بشيء ألحت . . . فلا تزال تعاودك ، ولو بعد حين ، حتى تصل إلى مرادها ،
ويحصل مقصودها ، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة ، تم إنها تعاودك وتعاودك .
وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة ، فخالفته بترك ذلك ، بوسوس بزلة أخرى ،
لأن جميع المخالفات له سواء ، وإنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلة ما ، ولا غرض
له في تخصيص واحد دون واحد .

وقد قيل : كل خاطر يكون من المسلك فربما يوافقه صاحبه ، وربما يخالفه .
فأما خاطر يكون من الحق سبحانه ، فلا يحصل خلاف من العبد له .
وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني ، إذا كان الخاطران من الحق سبحانه ، هل
هو أقوى من الأول ؟

فقال الجنيدي : الخاطر الأول أقوى ، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل .
وهذا بشرط العلم ، فترك الأول يضعف الثاني .

وقال ابن عطاء الله : الثاني أقوى ، لأنه ازداد قوة بالاول .
وقال أبو عبد الله بن خفيف ، من المتأخرين :
هما سواء ، لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما على الآخر .
والأول لا يبقى في حال وجود الثاني ، لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء .

(١) لأن التمييز بينهما إنما يقع بدقيق النظر في الأحكام وكمال العلم بالحلال والحرام .

(٢) أى معيناً من جهة ما إذا اطمأن له واعتمد عليه . (٣) وفي نسخة : بيان فقط :

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين

هذه عبارات عن علوم جليلة .

فاليقين : هو العلم الذى لا يتداخل^(١) صاحبه ريب على مطلق العرف .

ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه ؛ لعدم التوقيف .

فعلم اليقين : هو اليقين ، وكذلك عين اليقين : نفس اليقين ، وحق اليقين : نفس اليقين^(٢) .

فعلم اليقين ، على موجب اصطلاحهم^(٣) ما كان بشرط البرهان .

وعين اليقين ما كان بحكم البيان^(٤) .

وحق اليقين ما كان بنعت العيان^(٥) .

فعلم اليقين لأرباب العقول . وعين اليقين لأصحاب العلوم^(٦) . وحق اليقين لأصحاب المعارف^(٧) .

والكلام فى الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه^(٨) يعود إلى ما ذكرناه .

فاقتصرنا على هذا القدر ، على جهة التنبيه .

(١) فى نسخة : يداخل ، وهى الأظهر .

(٢) فالتلانة فى اللغة بمعنى واحد واختلاف العبارات بينها إشارة إلى تفاوت القوة فيها .

(٣) أى الصوفية .

(٤) أى بطريق الكشف .

(٥) أى بطريق المشاهدة .

(٦) أى الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البرهان .

(٧) الذين غلب على قلوبهم ما شغلهم عن ذكر غير الله .

(٨) وفى نسخة أخرى « والكلام فى الإفصاح عن هذا مجال وتحقيقه . . »

الوارد

ويجربى في كلامهم ذكر الواردات كثيراً .

والوارد :

ما يرد على القلوب من الخواطر المحموده ، مما لا يكون بتعمد العبد ، وكذلك
مما لا يكون من قبيل الخواطر ، فهو أيضاً : وارد .

ثم قد يكون وارد من الحق ، ووارد من العلم .

فالواردات أعم من الخواطر ؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب ،
أو ما يتضمن معناه .

والواردات تكون : وارد سرور ، ووارد حزن ، ووارد قبض ؛ ووارد
سسط ، إلى غير ذلك من المعاني (١) .

ومن ذلك لفظ :

الشاهد

كثيراً ما يجربى في كلامهم لفظ : الشاهد :

فلان بشاهد (٢) للعلم ، وفلان بشاهد الوجد ، وفلان بشاهد الحال .

ويريدون بلفظ الشاهد : ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب
عليه ذكره ، حتى كأنه يراه ويبصره ، وإن كان غائباً عنه . فكل ما يستولى على
قلب صاحبه ذكره ، فهو شاهده فإن كان الغالب عليه العلم ، فهو شاهد للعلم .
وإن كان الغالب عليه الوجد ، فهو شاهد الوجد .

ومعنى الشاهد : الحاضر ، فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك . وسئل الشبلى
عن المشاهدة ، فقال :

(١) يقول الشيخ العروسى : ذلك باعتبار حال السالك أما العارف : فهو دائماً في حال جمع الحقيقة لا إحساس له بـ
من سرور أو حزن فحينئذ يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من وارد الحق .
(٢) أى متلبس .

من أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد (١) .

أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه ؛ والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائماً من ذكر الحق .

ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب ، يقال : إنه شاهده ، بمعنى : أنه حاضر قلبه ، فإن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب ، واستيلائه عليه .

وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق فقال :

إنما سمي الشاهد من الشهادة (٢) ، فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال : فإن كانت بشريته ساقطة عنه ، ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ، ولا أثرت فيه صحبته بوجه ، فهو شاهد له على فناء نفسه .

ومن أثر فيه ذلك ، فهو شاهد عليه في بقاء نفسه .

وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له ، أو شاهد عليه .

وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى ليلة المعراج في أحسن صورة » أى : أحسن صورة رأيته تلك الليلة لم تشغلنى عن رؤيته تعالى ، بل رأيت المصور في الصورة ، والمنشئ في الإنشاء ، ويريد بذلك رؤية العلم ، لا إدراك البصر (٣) .

(١) وفي نسخة « لنا شاهد الحق » .

(٢) بمعنى المعاينة .

(٣) قال الأنصارى : أن صح الخبر فمحله أن رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه كانت في أحسن صورة هو عليها لأنه تعالى خلق له من الإدراك الذى رأى به ربه المنزه عن الأجسام والصور والهيئات ما لم يخلقه له قبل ، فذاك الصورة راجعة إلى حاله صلى الله عليه وسلم إلى خصه بها ربه من الإدراك الشريف الذى يخلقه لأولياته في الدار الآخرة ويخصهم به ، وتكون الصورة مغنوية لا حسية .

النفس (١)

نفس الشيء في اللغة : وجوده .

وعند القوم : ليس المراد من اطلاق لفظ النفس الوجود ، ولا القالب الموضوع (٢) .
إنما أرادوا بالنفس : ما كان معلولاً (٣) من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله .

ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين :

أحدهما : ما يكون كسباً له ، كمعاصيه ومخالفاته .

والثاني : أخلاقه الدنيئة ، فهي في أنفسها مذمومة ، فإذا عالجه العبد ونازلها ،
تلتفت عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة .

وللقسم الأول من أحكام النفس : ما نهى عنه نهى تحريم ، أو نهى تنزيه .

وأما القسم الثاني ، من قسمي النفس : فسفساف الأخلاق ، والدنيء منها .

هذا حده على الجملة ، ثم تفصيلها (٤) : فالكبر ، والغضب ، والحقد ، والحسد ،
وسوء الخلق ، وقلة الاحتمال ، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة .

وأشد أحكام النفس وأصعبها : توهماً أن شيئاً منها حسن ، أو أن لها استحقاق

قدر ، ولهذا يعد ذلك من الشرك الخفي .

ومعالجة الأخلاق في ترك النفس ، وكسرها ، أتم (٥) من مقاساة الجوع والعطش

والسهر ، وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة ، وإن كان ذلك

أيضاً من جملة ترك النفس ، ويحتمل أن تكون النفس : لطيفة مودعة في هذا

القالب ، هي محل الأخلاق المعلومة (٦) .

كما أن الروح : لطيفة ، مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق الحمودة .

(١) بسكون الفاء . (٢) أي الجسم .

(٣) أي ذالة وصفة ذميمة . (٤) أي الجملة .

(٥) أي : في طريق الوصول إلى المقصود حيث الخير كله في مخالفة النفس .

(٦) وفي نسخة المعلولة أي : المذمومة .

وتكون الجملة مسخراً بعضها لبعض . والجميع إنسان واحد .

وكون الروح ، والنفس ، من الأجسام اللطيفة في الصورة ، ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة . وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية ، والأذن محل السمع ، والأنف محل الشم ، والفم محل الذوق والسميع ، والبصير والشام ، والذائق إنما هي الجملة ، التي هي الإنسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة : القلب والروح ، ومحل الأوصاف المذمومة : النفس .

والنفس جزء من هذه الجملة ، والقلب جزء من هذه الجملة ، والحكم الاسم راجع إلى الجملة .

الروح

الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة :

فمنهم من يقول : إنها الحياة .

ومنهم من يقول : إنها أعيان مودعة في هذه القوالب .

لطيفة :

أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ، ما دامت الأرواح في الأبدان ، فالإنسان حي بالحياة ، ولكن الأرواح مودعة في القوالب ؛ ولها ترق^(١) في حال النوم ، ومفارقة للبدن ، ثم رجوع إليه .

وأن الإنسان : هو الروح ، والجسد ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ؛ سخر هذه الجملة بعضها لبعض . والحشر بكون للجملة . والمثاب والمعاقب للجملة .

والأرواح مخلوقة . ومن قال بقدمها فهو مخطيء خطأ عظيماً .

والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة .

(١) أي صفود عن البدن .

السر

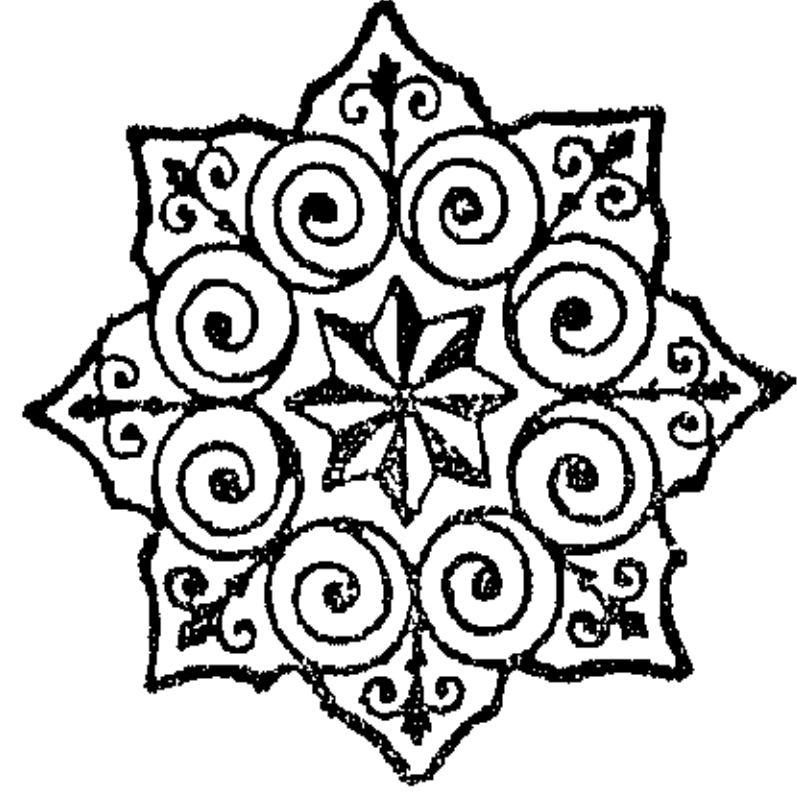
يحتمل أنها (١) لطيفة مودعة في القلب ، كالأرواح .
وأصولهم تقتضي أنها محل المشاهدة ، كما أن الأرواح محل للمحبة ، والقابول
نحل للمعارف (٢) .
وقالوا : السر : مالك عليه إشراف ، وسر السر : مالا اطلاع عليه لغير الحق .
وعند القوم : على موجب مواضعاتهم (٣) ومقتضى أصولهم : السر اللفظ من
الروح ، والروح أشرف من القلب .
ويقولون : الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال .
ويطلق لفظ « السر » على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه ،
في الأحوال (٤) . وعليه يحمل قول من قال :
أسرارنا بكر لم بفتضها وهم واهم .
ويقولون :
صدور الأحرار قبور الأسرار .
وقالوا :
لو عرف زرى سرى لطرحته .
فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم ، وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من الفاظ
تذكرناها على شروط الإيجاز .

ونذكر الآن أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج (٥) أرباب السلوك .
ثم بعدها أبواباً في تفصيل الأحوال على الجهد الذي يسهله الله تعالى ، بفضل
إن شاء الله تعالى .

(١) وفي نسخة « أنا » .

(٢) والعلامة علاء الدين القونوي : والظاهر أنها أسماء حقيقة واحدة وهي اللطيفة الإنسانية ، لكنها تختلف باعتبارات
مختلفة . قال العررسي : وهو المنعني إذ لا دليل على هذا التقسيم .

(٣) اصطلاحاتهم . (٤) أي الواردات على العبد . (٥) طرق .



الباب الخامس التوبة

ما من شيء أحب إلى
الله من شهاب تائب ..
والتوبة أول منزل من
منازل السالكين .. وأول
مقام من مقام الطالبين

باب التوبة

قال الله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد ابن محمود بن خراز قال : حدثنا محمد بن فضل بن جابر ، قال : حدثنا سعيد بن عبد الله قال : حدثنا أحمد بن زكريا ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقول :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ، ثم تلا : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (٢) ، قيل : يا رسول الله ، وما علامة للتوبة ؟ قال : الندامة » (٣) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد ابن عبيد الصفار ، قال : أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال : أخبرنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة طريف بن سليمان ، عن أنس ابن مالك : أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب » (٤) .

فالتوبة أول منزل من منازل السالكين .

وأول مقام من مقامات الطالبين .

وحقيقة التوبة في لغة العرب : الرجوع ، يقال : تاب أي رجع .

فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » .

(١) آية ٣١ من سورة النور .

(٢) آية ٢٢٢ من سورة آل عمران .

(٣) قال السيوطي : رواه أيضاً ابن النجار وحسنه وقد روى أوله ابن ماجه .

(٤) ذكره السيوطي في جامعه من حديث طويل وقال : رواه أبو المظفر السمعاني في أماليه عن سامان وضمه ، وله شواهد من الأحاديث الصحيحة .

فارباب الأصول من اهل السنة قالوا :

شرط التوبة ، حتى تصح ، ثلاثة أشياء :

الندم على ما عمل من المخالفات .

وترك الزلة في الحال .

والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي .

فهذه الأركان لابد منها ، حتى تصح توبته .

قال هؤلاء : وما في الخبر أن « الندم توبة »^(١) إنما نص على معظمه كما قال صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفه » ، أى معظم أركانه عرفه ، أى الوقوف بها ، لأنه لا ركن في الحج سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم أركانه الوقوف بها . كذلك قوله « الندم توبة » أى معظم أركانها الندم .

ومن أهل التحقيق من قال : يكفى الندم في تحقيق ذلك ؛ لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله ؛ أو عازم على الإتيان بمثله .

وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال .

فأما على جهة الشرح والإبانة ، فإن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً .

فأول ذلك : انتباه القلب عن رقدة الغفلة ، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة .

ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق ، سبحانه . بسمع قلبه ؛ فإنه جاء في الخبر « واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم » . وفي الخبر : « إن في البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن وإذا فسدت فسدت جميع البدن ، ألا وهى : القلب »^(٢) .

فاذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه ، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال ،

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي في الشعب .

(٢) رواه الشيخان وأصحاب السنن .

سنح^(١) في قلبه إرادة التوبة ؛ والإقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق ، سبحانه بتصحيح العزيمة ، والأخذ في جميل الرجعى ، والتأهب لأسباب التوبة : فأول ذلك :

هجران إخوان السوء ؛ فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم .

ولانتم ذلك : إلا بالمواظبة على المشاهدة^(٢) التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه . مما يقوى خوفه ورجاءه : فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال ، فيقف عن تعاطى المحظورات ، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ، ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها فى الاستقبال .

فان مضى على موجب قصده ، ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقا . وإن نقض التوبة مرة أو مرات ، وتحمله إرادته على تجديدها ، فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً ، فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء ، فان لكل أجل كتابا .

حكى عن أبى سليمان الداراني ، أنه قال :

اختلفت إلى مجلس قاص ، فأثر كلامه فى قلبى ، فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شيء . . فعدت ثانياً ؛ فبقى أثر كلامه فى قلبى ، حتى رجعت إلى منزلى . فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق .

فحكى هذه الحكاية لحيى بن معاذ فقال :

عصفورا اصطاد كركيا ١١

أراد بالعصفور . ذلك القاص ، وبالكركى : أبى سليمان الداراني .

ويحكى عن أبى حفص الحداد أنه قال :

تركت العمل كذا ، وكذا مرة ؛ فعدت إليه ، ثم تركنى العمل ، فلم أعد بعد إليه .

وقيل : إن أبا عمرو بن نجيد ، في ابتداء أمره ، اختلف إلى مجلس أبي عثمان^(١) ، فأثر في قلبه كلامه ، فتاب .

ثم إنه وقعت له فترة ، فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه ، ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوماً فحاد أبو عمرو عن طريقه ، وسلك طريقاً أخرى ، فتبعه أبو عثمان . . فما زال به يقفو أثره ، حتى لحقه ، فقال له :

يا بني ، لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً ، إنما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة . قال : فتاب أبو عمرو بن نجيد ، وعاد إلى الإرادة^(٢) ، ونفذ فيها . سمعت الشيخ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

تاب بعض المرئيين ، ثم وقعت له فترة^(٣) ، فكان يفكر وقتاً : لو عاد إلى توبته^(٤) كيف حكمه ؟ فهتف به هاتف : بافلان ، أطعنا فشكرناك ، ثم تركتنا فأمهلتناك ، وإن عدت إلينا قبلناك .

فعاد الفتى إلى الإرادة ، ونفذ فيها .

فاذا ترك المعاصي ، وحل عن قلبه عقدة الإصرار ، وعزم أن لا يعود إلى مثله ، فعند ذلك بخلص إلى قلبه صادق الندم ، فيتأسف على ما عمله ، ويأخذ في التحسر على ما صنعه^(٥) من أحواله ، وارتكبه من قبيح أعماله ، فتم توبته ، وتصديق مجاهدته ، واستبدال^(٦) بمخالطته العزلة ، وبصحبتة مع اخوان السوء التوحش عنهم ، والحلوة دونهم ويصل ليله بنهاره في التلهف^(٧) ، ويعتق في عموم أحواله بصديق التأسف ، بمحو بصوب عبرته آثار عثرته ، ويأسو^(٨) بحسن توبته كلوم^(٩) حوبته^(١٠) ويعرف من بين أمثاله بذبوله ، وبستدل على صحة حاله بنحوه .

ولكن سم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه ، والخروج عما لزمه من مظالمه ؛ فان أول منزلة من^(١١) التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه ، فان اتسع

(١) سعيد بن سلام الحراني .

(٢) الحالة التي فتر عنها .

(٤) وفي نسخة « التوبة » .

(٦) وفي نسخة « ويستبدل » .

(٨) يداوى .

(١٠) أمه .

(٣) عودة إلى مكان عليه قبل التوبة .

(٥) وفي نسخة « فصبه » .

(٧) أي التحسر .

(٩) جروح .

(١١) وفي نسخة في .

ذات يده لا يصلح حقوقهم إليهم ، أو سمحت أنفسهم باحلاله والبراءة عنه (١) ،
وإلا فالعزم بقوله على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله سبحانه
بصدق الاتهام والدعاء لهم .

وللتائبين صفات وأحوال :

هي من خصائصهم ، بعد ذلك (٢) من جملة التوبة ، لكونها من صفاتهم ، لا لأنها
من شرط صحتها ، وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة :

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

أولها التوبة ، وأوسطها الإنابة ، وآخرها الأوبة .

فجعل التوبة بدانة ، والأوبة نهابة ، والإنابة واسطتهما .

فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة .

ومن تاب طمعا في الثواب ، فهو صاحب إنابة .

ومن تاب مراعاة للأمر (٣) لا للرجعة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب
أوبة .

ونقال أيضاً . التوبة صفة المؤمنين ، قال الله تعالى : وتوبوا إلى الله جميعاً أنه
المؤمنون (٤) .

والإنابة : صفة الأولياء والمقربين ، قال الله تعالى « وجاء بقلب منيب » (٥) .

والأوبة : صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : « نعم العبد إنه أواب » (٦) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامعي ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله

يقول : سمعت جعفر بن نصر يقول : سمعت الجنيد يقول :

التوبة على ثلاثة معان :

أولها : الندم ، والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه .

(١) الأول أن يقول عنها ،

(٢) أي مذهبهم .

(٣) أي لا يمشي .

(٤) آية ٣١ من سورة النور .

(٥) آية ٢٣ من سورة آل .

(٦) آية ٣٠ من سورة ص وآية ٤ من سورة ص أيضاً .

والثالث السعي في أداء المظالم .

وقال سهل بن عبد الله : التوبة : ترك التسويف .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي ، يقول : سمعت أبا عبد الله القرشي يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارث يقول : ما قلت قط ، اللهم إني أسألك التوبة ؛ ولكني أقول : أسألك شهوة التوبة .

أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي ، رحمه الله قال : سمعت أبا عبد الله بن مصلح ، بالأهواز يقول : سمعت ابن زيري يقول : سمعت الجنيد يقول :

دخلت على السري يوماً فرأيتته متغيراً ، فقلت له : مالك ؟

فقال : دخل على شاب فسألني عن التوبة ، فقلت له : أن لاتنسى ذنبك . . . فعارضني ، وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك .

فقلت : إن الأمر عندي ما قاله الشاب .

فقال : لم ؟ قلت : لأنني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء ؛ فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء . فسكت .

سمعت أبا حاتم السجستاني ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول : سئل سهل بن عبد الله عن التوبة ، فقال : أن لاتنسى ذنبك .

وسئل الجنيد عن التوبة فقال : أن لاتنسى ذنبك :

قال أبو نصر السراج : أشار سهل إلى أحوال المربين والمتعرضين ، تارة لهم ، وتارة عليهم ، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ، ودوام ذكره .

قال ، وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة ، فقال :

هي للتوبة من التوبة .

وسئل ذو النون المصري عن التوبة : فقال :

توبة العوام من الذنوب . وتوبة الخواص من الغفلة .

وقال أبو الحسين النوري : للتوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي يقول : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات .

وقال الواسطي :

التوبة النصوح^(١) لا تبقى على صاحبها أثراً من المعصية سرّاً ولا جهرّاً ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى أو أصبح .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي يقول : سمعت محمد بن الرومي يقول : سمعت بهجي بن معاذ يقول :

إلهي ، لا أقول تبت ، ولا أعود لما أعرف من خلقي ، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي ، ثم إنني أقول : لا أعود لعلي أن أموت قبل أن أعود .

وقال ذو النون : الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت النصر اباذي يقول : سمعت ابن زردانيار يقول ، وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أي أصل يخرج ؟

فقال : على أن لا يعود إلى مامنه خرج ، ولا براعى غير^(٢) من إليه خرج ، ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه .

ف قيل له : هذا حكم من خرج عن وجود ، فكيف حكم من خرج عن عدم ؟

فقال : وجود الحلاوة في المستأنف^(٣) عوضاً عن المرارة في السالف .

وسئل البوشنجي عن التوبة فقال :

إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوة عند ذكره ، فهو التوبة .

وقال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، حتى

لا يكون لك قرار . . ثم تضيق عليك نفسك ؛ كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله :

« وضائق عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا »^(٤)

(١) أي الخالصة .

(٢) وفي نسخة إلا .

(٣) أي المستقبل .

(٤) آية ١١٨ من سورة التوبة .

وقال ابن عطاء :

التوبة : توبتان : توبة الإنابة ، وتوبة الاستجابة .

فتوبة الإنابة : أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته .

وتوبة الاستجابة : أن يتوب حياء من كرمه :

وقيل لأبي حفص : لم يبغض التائب الدنيا ؟

قال : لأنها دار باشر فيها الذنوب .

فقيل له : فهي أيضاً دار أكرمها الله فيها بالتوبة ؟

فقال : إنه من الذنب على يقين ، ومن قبول توبته على خطر (١) .

وقال الواسطي : طرب داود عليه السلام ، وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه

في أنفاس متصاعدة (٢) ، وهو في الحالة الثانية (٣) أتم منه في وقت ما ستر عليه من أمره .

وقال بعضهم : توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم . يعني قول « أستغفر الله » .

وسئل أبو حفص عن التوبة ، فقال :

ليس للعبد في التوبة شيء . . لأن التوبة إليه ، لا منه .

وقيل : أوحى الله سبحانه ، إلى آدم : يا آدم ورثت ذريتك للتعب والنصب ،

وورثتهم التوبة ، من دعاني منهم بدعوتك لبيتك كتليبتك ، يا آدم أحشر للتائبين ،

من القبور مستبشرين ضاحكين ، ودعاؤهم مستجاب .

وقال رجل لرابعة : إني أكثر من الذنوب والمعاصي ، فلو تبت هل يتوب

علي ؟ فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت .

واعلم (٤) أن الله تعالى قال : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (٥) .

ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين ، فاذا تاب ، فانه من القبول على

(١) وفي نسخة « التوبة » . (٢) أي حزن طويل .

(٣) وفي نسخة ، وهو على حالته الثانية الوهي حالة حزنه .

(٤) وفي نسخة قال الأستاذ رضي الله عنه : واعلم . (٥) آية ٢٢٢ من سورة البقرة .

شك ، لا سيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقاً لمحبة الحق وإلى (١) أن يبلغ العاصي محلاً يجد في أوصافه أماره محبة الله إياه مسافة بعيدة ، فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الإنكسار ، وملازمة التنصل والاستغفار ، كما قالوا : « استشعار الوجل إلى الأجل » ، وقال عز من قائل : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٢) .

وكان من سنته صلى الله عليه وسلم : دوام الاستغفار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت الحسين بن علي يقول : سمعت محمد ابن أحمد يقول : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها :

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا عثمان يقول في قوله عز وجل « إن إلينا إيابهم » (٣) قال : رجوعهم ، وإن تبادى بهم الجولان في المخالفات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول : ركب على بن عيسى الوزير في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا ؟ من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إلى من تقولون من هذا ؟ من هذا ؟ . هذا عبد سقط من عين الله (٤) فانتلاه الله بما ترون . فسمع على بن عيسى ذلك ، فرجع إلى منزله واستغنى عن الوزارة ، وذهب إلى مكة وجاور بها .

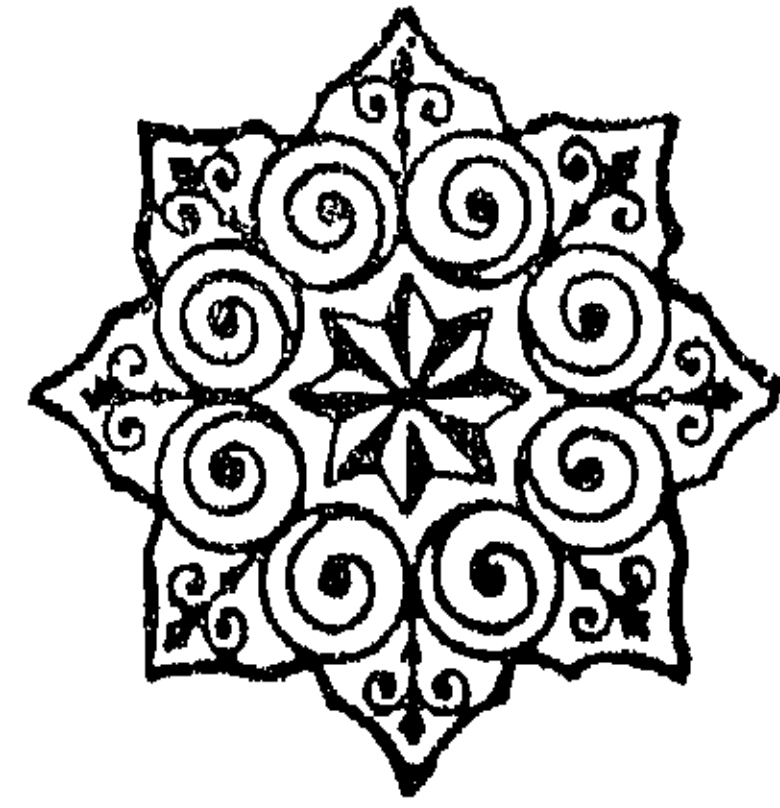
* * *

(١) أى والمسافة من حين التلبس بالمعصية إلى أن يبلغ المحل .

(٢) آية ٣١ سورة آل عمران .

(٤) أى من حفظه .

(٣) آية ٢٥ من سورة الناشية .



الباب السادس الرجاء

النفس ظلمة كلها .. وسراجها
سرها .. ونور سراجها التوفيق ..
فمن لم يصحبه في سره توفيق
من ربه .. كان ظلمة كله

باب المجاهدة

قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين »^(١) .
 أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ،
 قال : أخبرنا للعباس بن الفضل الإسقاطي ، قال : أخبرنا ابن كاسب قال : أخبرنا
 ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « سئل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أفضل الجهاد ، فقال : « كلمة عدل عند سلطان
 جائر »^(٢) فدمعت عينا أبي سعيد .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
 من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة ، قال الله تعالى : « والذين
 جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »^(٣) .

واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة .
 سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول :
 من ظن أن بفتح له شيء من هذه الطريقة ، أو بكشف له عن شيء منها إلا يلزوم
 المجاهدة فهو غلط .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
 من لم يكن له في بدايته قومة ، لم يكن له في نهايته جلسة .
 وسمعت أيضاً يقول :

قولهم الحركة بركة : حركات الظواهر توجب بركات السرائر .
 سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت
 الحسين بن علوية يقول : قال أبو يزيد للبسطامي :

(١) آية ٦٩ من سورة العنكبوت :

(٢) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد ، وأحمد والطبراني والنسائي عن غيره بلفظ كلمة حق .

(٣) آية ٦٩ من سورة العنكبوت .

كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي^(١) . وخمس سنين كنت مرآة قلبي ، وسنة أنظر فيما بيهما ، فاذا في وسطى زنار^(٢) ظاهر ، فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة . ثم نظرت ، فاذا في باطنى زنار^(٣) فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لى ، فنظرت إلى الخلق فرأتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت جعفرأ يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول :

يا معشر الشباب ، جدوا قبل أن تلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت . وكان في ذلك الوقت^(٤) لا يلحقه الشباب العبادة .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت عبد العزيز النجرانى يقول : سمعت الحسن القزاز يقول :

بنى هذا الأمر^(٥) على ثلاثة أشياء :

أن لا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنام إلا عند الغلبة ، ولا تتكلم إلا عند الضرورة .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول . سمعت محمد بن حامد يقول : سمعت أحمد بن خضرويه يقول : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول :

لن ينال للرجل درجة الصالحين ، حتى يجوز ست عقبات :

أولها : أن يغلق باب النعمة ، ويفتح باب الشدة .

والثانى : أن يغلق باب العزة ، ويفتح باب الذل .

والثالث : أن يغلق باب الراحة ، ويفتح باب الجهد .

والرابع : أن يغلق باب النوم ، ويفتح باب السهر .

والخامس : أن يغلق باب الغنى ، ويفتح باب الفقر .

(١) يقصد أنه في بدء أمره كان يجاهد نفسه كما يجاهد الحداد في طرق الحديد وتشكيله وفق ما يريد .

(٢) خيط غليظ يشد به الذى وسطه ويتمنطق به تمييزاً له من المسلم .

(٣) يقصد ما وجدته في نفسه من استحسانه لأعماله وأعجابه بها فكان ذلك الإعجاب علامة الباطل كالزنار علامة الذى .

(٤) أى علم التصوف .

(٥) وفي نسخة « السن » .

والسادس : أن يخلق باب ، الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول : من كرمته عليه نفسه هان عليه دينه !!

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول . سمعت أبا على الروذبارى يقول : إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع ، فالزموه السوق ، وأمروه بالكسب . واعلم أن أصل المجاهد وملاكها^(١) : فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات .

وللنفس صفتان ما نعتان لها من الخير : انهماك فى الشهوات ، وامتناع عن الطاعات فإذا جمعت عند ركوب الهوى وجب كبجها بلجام التقوى ، وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى ، وإذا ثارت عند غضبها ، فمن الواجب مراعاة حالها ، فما من منازلة^(٢) أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن ، وتخميده نيرانه برفق ، فإذا استحلّت شراب الرعونة فضاقّت ، إلا عن إظهار مناقبها والترين لمن ينظر إليها ويلاحظها ، فمن الواجب كسر ذلك عليها ، وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها ، وخساسة أصلها ، وقذارة فعلها .

وجهد العوام فى توفية الأعمال . وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فان مقاساة الجوع والسهل سهر سهر ، ومعالجة الأخلاق والتقى^(٣) من سفاسفها^(٤) صعب شديد .

ومن غوامض آفات النفس : ركونها إلى استجلاء^(٥) المدح ، فان من تحسنى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفرة من أشفاره^(٦) . وأماره ذلك : أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب^(٧) آل حاله إلى الكسل والفشل . وكان بعض المشايخ يصلى فى مسجده فى الصف الأول سنين كثيرة ، فعاقه يوماً عن الابتكار إلى المسجد عائق ، فصلى فى الصف الأخير ، فلم ير بعد ذلك مدة ،

(١) ملاك الأمر بالكسر : قوامه .

(٢) نزول فى مرتبة .

(٣) وفى نسخة والتقى .

(٤) سفاسفها : أى دنيئتها .

(٥) وفى نسخة استجلاء .

(٦) أى اطراف أجفانه .

(٧) أى نصيبه من المدح .

فسئل عن السبب ، فقال : كنت أقضي صلاة كذا ، وكذا سنة صليتها وعندي أني مخلص فيها لله ، فداخلني يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس إياي في الصف الآخر نوع خجل ، فعلمت أن نشاطي طول عمري إنما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتي .

ويحكى عن أبي محمد المرتعش ، أنه قال :

حججت كذا ، وكذا حجة على التجريد^(١) ، فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي ؛ وذلك : أن والدتي سألتني يوماً أن أستقي لها جرة ماء فتقل ذلك على نفسي ، فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحججات كانت لحظ ، وشوب لنفسي ، إذ لو كانت نفسي فانية^(٢) لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع .

وكانت امرأة قد طعنت في السن ، فسئلت عن حالها ، فقالت :

كنت في حال الشباب أجد من نفسي نشاطاً وأحوالاً ؛ أظنها قوة الحال ، فلما كبرت زالت عني ، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب ، فتوهمتها أحوالاً .

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول :

ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز ، وقال : إنها كانت منصفة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدلّه على ذل نفسه ، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : ما هالي شيء إلا ركبت^(٣) .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت محمد بن الفضل يقول ، للراحة : هو الخلاص من أمانى النفس .

(١) أي لا آخذ زاداً أولاً راحلة مقاسياً فيها الجوع والتعب (٢) أي عن حظها .

(٣) أي ما أفزعني شيء يجوزّه الشرع من سهر أو جوع أو نحو ذلك من ألوان المجاهدة إلا فعلته ومارسته .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت
أبا علي الروذباري يقول : دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة :

سقم الطبيعة ، وملازمة العادة ، وفساد الصلابة .

فسأله : ما سقم الطبيعة ؟

فقال : أكل الحرام .

فقلت ، ما ملازمة العادة ؟

فقال : النظر ، والاستمتاع بالحرام ، والغيبة .

قلت : فما فساد الصلابة ؟

قال : كلما هاجت في النفس الشهوة تبعها .

وسمعه يقول : سمعت النصر اباذى يقول :

سجنك نفسك . فاذا خرجت منها وقعت في راحة أبدية^(١) .

وسمعه يقول : سمعت محمد الفراء يقول : سمعت أبا الحسين الوراق يقول :

كان أجل أحكامنا في مبادئ أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الإيثار بما يفتح
علينا ، وأن لانبث على معلوم ، ومن استقبلنا بمكروه لانتقم لأنفسنا ، بل نعتذر
إليه ، ونتواضع له ، وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه
حتى يزول .

وقال أبو حفص : النفس ظلمة كلها ، وسراجها سرها ، ونور سراجها التوفيق ،

فمن لم يصحبه في سره^(٢) توفيق من ربه كان ظلمة كله .

قال الأستاذ الإمام القشيري :

معنى قوله « سراجها سرها » يريد : سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى ، وهو محل
إخلاصه ، وبه يعرف العبد أن الحادثات بالله لانفسه ولا من نفسه ؛ ليكون متبرئاً
من حوله وقوته على استدامة أوقاته ، ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه ، فان من

(١) وفي نسخة إلى الأبد .

(٢) أى معاملته لربه .

لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ، ولا بره ؛ ولهذا قال الشيوخ : من لم يكن له سر فهو مصر^(١) .

وقال أبو عثمان : لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً ، وإنما يرى عيوب نفسه من تهمها في جميع الأحوال .

وقال أبو حفص : ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه ، فإن المعاصي يرد^(٢) الكفر .

وقال أبو سليمان : ما استحسن من نفسي عملاً فاحتسبت^(٣) به .

وقال السري : إناكم وجيران الأغنياء ، وقراء الأسواق ، وعلماء الأمراء :

وقال ذو النون المصري : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء :

الأول : ضعف النية بعمل الآخرة .

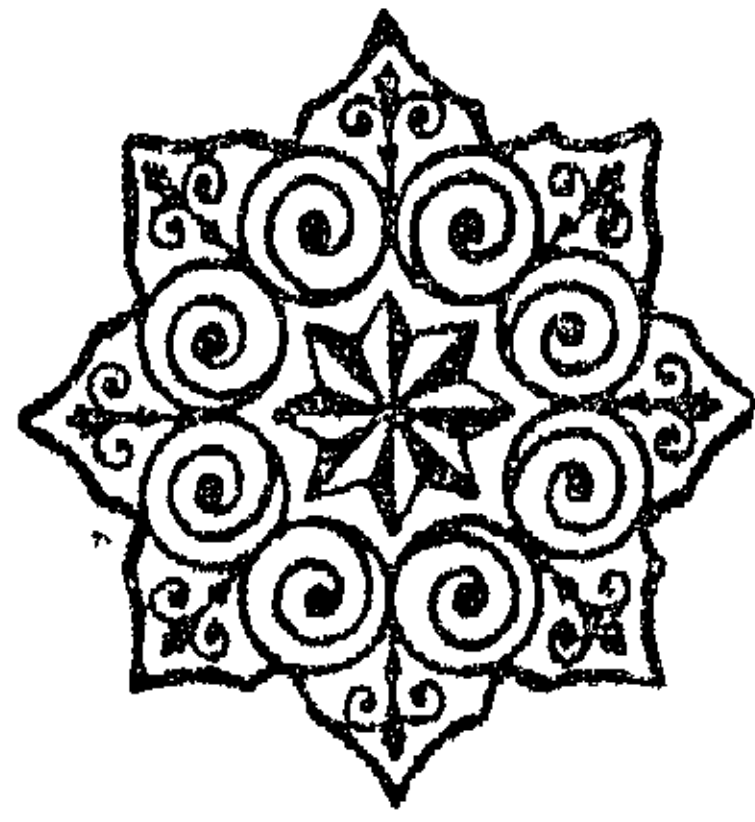
والثاني : صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم .

والثالث : غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل .

والرابع : آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق .

والخامس : اتبعوا أهواءهم ونبدوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وراء ظهورهم .

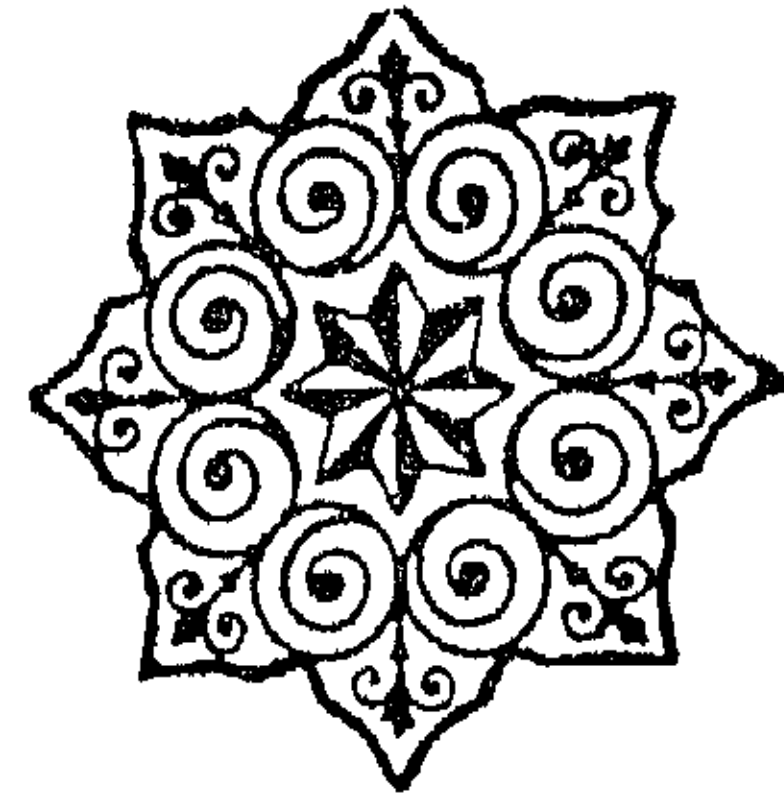
والسادس : جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا كثير مناقبهم .



(١) أى على المخالفات .

(٢) طريق .

(٣) فاعتدت .



الباب السابع

الخلوة والعزلة

لا تصح الخلوة الا بأكل
الحلال .. ولا يصح أكل
الحلال الا بأداء حق الله ..

باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال : حدثنا القعني قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه ، عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهمي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من خير معاش الناس كلهم رجلاً أخذاً بعنان فرسه في سبيل الله » إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن (١) فربه يبتغي الموت أو القتل في مظانه ، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة (٢) من هذه للشعاف ، أو في بطن واد من هذه الأودية ، بقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين (٣) ، ليس من الناس إلا في خير (٤) .

قال الأستاذ :

الخلوة : صفة أهل الصفوة . والعزلة : من أمارات أهل الوصلة .

ولا بد للمريد - في ابتداء حاله - من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته - من الخلوة ؛ لتحقيقه بأنسه .

ومن حق العبد - إذا أثر العزلة - أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق ، فإن الأول من القسمين : نتيجة استصغار نفسه ، والثاني : شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ، ومن رأى لنفسه مزية على أحد ، فهو متكبر .

ورئي بعض الرهبان ، فقيل له : إنك راهب .

فقال : لا ، بل أنا حارس كلب (٥) ؛ إن نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ، ليسلموا منها .

ومر إنسان ببعض الصالحين ؛ فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه ، فقال له الرجل :

(١) ظهر .

(٢) رأس الجبل .

(٣) الموت .

(٤) رواه مسلم بنحوه .

(٥) يقصد نفسه .

لم تجمع عنى ثيابك ، ليست ثيابي نجسة ؟

فقال الشيخ : وهمت في ظنك ، ثيابي هي النجسة ، جمعتها عنك ؛ لئلا تنجس ثيابك ، لا لكى لا تنجس ثيابي .

ومن آداب العزلة :

أن يحصل من العلوم ما يصحح به عقد توحيده ؛ لكى لا يستهويه الشيطان بوساوسه ، ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه ، ليكون بناء أمره على أساسين محكمين . والعزلة في الحقيقة : اعتزال للخصال المذمومة فالتأثير (١) لتبديل الصفات ، لا للتناهي عن الأوطان ، ولهذا قيل : من العارف ؟ قالوا : كائن بائن ، بمعنى : كائن مع الخلق ، بائن عنهم بالسر .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

إلبس مع الناس ما يلبسون ، وتناول مما يأكلون ، وانفرد عنهم بالسر (٢) .

وسمعه يقول : جاعني إنسان ، وقال : جئتك من مسافة بعيدة . فقلت : ليس هذا الحديث (٣) من حيث قطع المسافة (٤) ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة ، فقد حصل مقصودك .

ويحكى عن أبي يزيد قال : رأيت ربي عز وجل في المنام ، فقلت : كيف أجذك ؟

فقال : فارق نفسك وتعال .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخالياً من جميع الإرادات إلا رضا ربه ، وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه الصفة ، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية . وقيل : الإنفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة .

(١) أى تأثير العزلة .

(٢) أى فيما بينك وبين الله .

(٣) أى حصول علم الصوفية .

(٤) وفى نسخة المسافات .

وقال يحيى بن معاذ . انظر : أنسك بالخلوة ، أو أنسك معه في الخلوة ؛ فان كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به في الخلوة استوت لك الأماكن في الصحارى والبرارى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت محمد ابن حامد يقول : جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق ، فلما أراد أن يرجع ، قال له : أوصني . فقال : وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ، وشرهما في الكثرة والاختلاط .

وسمعه يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الجريري وقد سئل عن العزلة ، فقال : هي الدخول بين الزحام وتمنع^(١) شرك أن لا يزاحموك ، وتعزل نفسك عن الآثام ، ويكون شركاً مربوطاً بالحق . وقيل ؛ من أثر المزالة^(٢) حصل العزلة^(٣) .

وقال سهل : لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله .

وقال ذو النون المصري : لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة : وقال أبو عبد الله الرملي :

ليكن خدتك^(٤) الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة فاما أن تموت ؛ وإما أن تصل إلى الله سبحانه .

وقال ذو النون : ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة ، كمن احتجت عنهم بالله .

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت جعفر بن إتيان يقول : سمعت الجنيد يقول : مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة .

وقال مكحول : إن كان في مخالطة الناس خير ، فان في العزلة للسلامة .

(١) وفي نسخة « ونحفظ » .

(٢) أى فراغ القلب عن الشواغل ولو مع الاختلاط .

(٣) أى فراغ القلب من الناس لامتلائه بالله .

(٤) أى رفيقك .

وقال يحيى بن معاذ : الوحدة جليس الصديقين .
سمعت الشيخ أبا على الدقاق^(١) يقول : سمعت الشبلى يقول :
الإفلاس . . الإفلاس ياناس .
ف قيل له : يا أبا بكر ، ما علامة الإفلاس ؟
قال : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس .
وقال يحيى بن أبى كثير : من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راياهم^(٢) .
وقال شعيب بن حرب : دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة ، وهو فى داره
وحده ، فقلت له : أما تستوحش وحدك ؟
فقال : ما كنت أرى^(٣) أن أحداً يستوحش مع الله .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول :
سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول ، سمعت الجنيد يقول :
من أراد أن يسلم له دينه ؛ ويستريح بدنه وقلبه ، فليعتزل الناس ، فان هذا زمان
وحشة ، والعاقل من اختار فيه الوحدة .
وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : قال أبو يعقوب السوسى :
الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء ، ولأمثالنا : الاجتماع أوفر وأنفع ، بعمل
بعضهم على رؤية بعض^(٤) .
وسمعه يقول : سمعت أبا عثمان سعيد بن أبى سعيد يقول : سمعت أبا العباس
الدامغانى يقول : أوصانى الشبلى ، فقال :
إلزم الوحدة ، وامح اسمك عن القوم ، واستقبل الجدار^(٥) حتى يموت .
وجاء رجل إلى شعيب بن حرب ، فقال له : ماجاء بك ؟
فقال : أكون معك .

(١) فى نسخة سمعت أبا عبد الرحمن يقول : سمع أبو بكر الشبلى . يقول :

(٣) أى أظن .

(٥) القبلة .

(٢) من المراءة وهى المداينة .

(٤) فتدفعهم الروية للعمل .

قال : يا أخى ؛ إن العبادة لا تكون بالشركة ، ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء . حكى أن بعضهم قيل له : ما أعجب ما لقيت فى سياحتك ؟

فقال لهم : لقيت الخضر ، فطلب منى الصحبة : فخشيت أن يفسد على توكلى .
وقيل لبعضهم : هاهنا أحد تستأنس به ؟

فقال : نعم . . ومد يده إلى مصحفه ووضع فى حجره ، وقال : هذا .
وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لاتفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم
وقال رجل لذى النون المصرى .

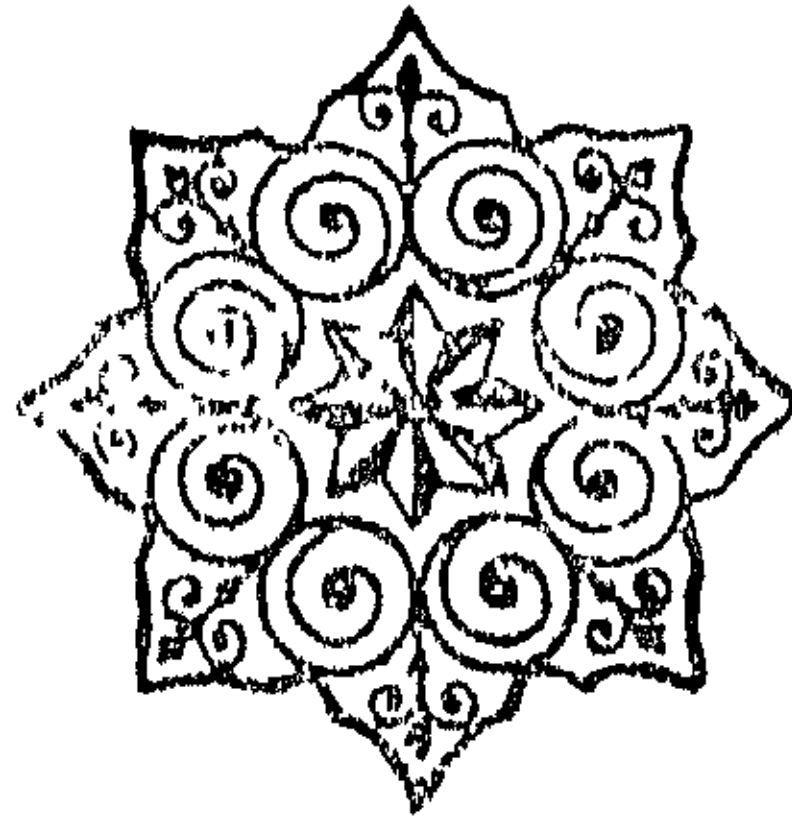
متى تصح لى العزلة ؟

فقال : إذا قويت على عزلة نفسك (١) .

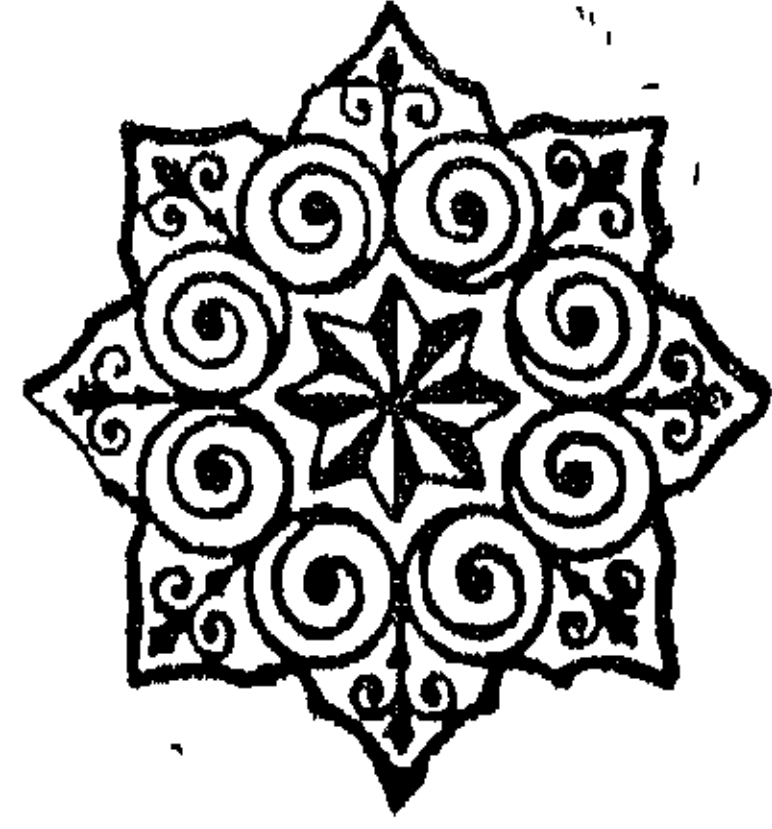
وقيل لابن المبارك : ما دواء القلب ؟

فقال : قلة الملاقاة للناس .

وقيل : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة
وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه ، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة .



(١) وعزلتها بمفارقة أخلاقها الذميمة .



الباب الثامن التقوى

من أراد أن تصح له
التقوى ... فليترك
الذنوب كلها ...

باب التقوى

قال الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) .

وأخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد
للصفر ، قال : أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال : حدثنا بن عبد الأعلى القرشي ،
قال : حدثنا يعقوب العمى ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد الخدري قال :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا نبي الله ، أوصني .

فقال : عليك بتقوى الله ؛ فإنه جماع (٢) كل خير ، وعليك بالجهاد ، فإنه
رهبانية (٣) المسلم ، وعليك بذكر الله ، فإنه نور لك (٤) .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا
عباس بن الفضل الإسقاطي ؛ قال : حدثنا أحمد بن يونس قال :
حدثنا أبوهرمز نافع بن هرمز ، قال : سمعت أنساً رضي الله عنه ؛ يقول :
« قيل يا نبي الله من آل محمد ؟ قال : كل تقى » (٥) .

فالتقوى جماع الخبرات .

وحقيقة الإتياء (٦) . التحرز بطاعة الله عن عقوبته ؛ يقال : اتقى فلان بترسه .
وأصل التقوى : اتقاء الشرك ؛ ثم بعده : اتقاء المعاصي والسيئات ، ثم بعده
اتقاء الشبهات ؛ ثم يدع بعده الفضلات (٧) .

كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ؛ يقول ، سمعته يقول :
ولكل قسم من ذلك باب . وجاء في تفسير قوله عز وجل : « اتقوا الله حق
تقاته » (٨) إن معناه : أن يطاع فلا يعصى ؛ ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

(١) آية ١٣ ، من سورة الحجرات .

(٣) أى شعاره وانقطاعه للعبادة .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف .

(٧) أى : الفضول ؛ وفى نسخة تدع .

(٢) أى بجمع خبرى الدنيا والآخرة .

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده بسند ضعيف .

(٦) وفى نسخة التقوى .

(٨) آية ١٠٢ من سورة آل عمران .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت أحمد بن عاصم يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه (١) .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الكتانى يقول : قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى : وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريرى يقول : من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة . وقال النصر اباذى :

التقوى : أن يتقى العبد ما سوى الله عز وجل .
وقال سهل :

من أراد أن تصح (٢) له التقوى فليترك الذنوب كلها .
وقال النصر اباذى :

من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا ، لأن الله سبحانه يقول : « وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » (٣) .

وقال بعضهم : من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا .
وقال أبو عبد الله الروذبارى :

التقوى : مجانبة ما يبعدك عن الله .
وقال ذو النون المصرى :

التقى : من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ، ولا باطنه بالعلايات (٤) ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول :

(٢) وفي نسخة يفتح .

(٤) وهي ما تعللت به .

(١) أى على العمل .

(٢) آية ٣٢ من سورة الأنعام .

للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهره : محافظة الحدود . وباطنه : النية والإخلاص .
وقال ذو النون :

ولا عيش^(١) إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر
وقيل : يستدل على تقوى الرجل بثلاث :

حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر على ما قد
فات .

وقال طلق بن حبيب :

التقوى : عمل بطاعة الله على نور من الله ، مخافة عقاب الله .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت محمداً للفراء يحكى
عن أبي حفص^(٢) : أنه قال : التقوى بالحلل المحض ، لا غير .
وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول . سمعت أبا الحسين الزنجاني
يقول : من كان رأس ماله التقوى كالت الألسن عن وصف ربه .

وقال الواسطى :

التقوى : أن يتنى من تقواه ، يعنى : من رؤية تقواه . والمتقى . مثل ابن سيرين ؛
اشترى أربعين حباً^(٣) سمنا ، فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله : من أى حب
أخرجتها ؟ فقال لا أدري . فصحبها كلها على الأرض .

ومثل أبى يزيد^(٤) :

اشترى بهمدان حب القرطم ، ففضل منه شيء ، فلما رجع إلى « بسطام »
رأى فيه ثملتين ، فرجع إلى همدان فوضع الثملتين .
وبحكى أن أبا حنيفة كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه . ويقول : قد جاء فى
الخبر : « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

وقيل : إن أبا بزبد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له .

(١) المراد بالعيش العيش .

(٢) وفى نسخة جعفر .

(٣) صم اوله : أى خابية .

(٤) البسطامى .

فقال له صاحبه : تعلق الثوب في جدار (١) الكرم .

فقال لا ، لا تغرز الوتد في جدار الناس .

فقال : نعلقه في للشجر .

فقال : لا ، إنه يكسر الأغصان .

فقال : نبسطه على الأذخر (٢) .

فقال : لا ؛ إنه علف الدواب ، لا نستره عنها .

فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره ، حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر .

وقيل : إن أبا يزيد دخل يوماً الجامع ، فغرز عصاه في الأرض فسقطت ، ووقعت على عصا شيخ بجانبه ركز عصاه في الأرض فألقها . . فانحنى الشيخ وأخذ عصاه ، فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله (٣) ، وقال :

كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز عصاي ، حيث احتجبت إليّ إن تنحنى .

ورئي عتبة الغلام بمكان تنصب عرقا في الشتاء ، فقليل له في ذلك .

فقال : إنه مكان عصيت فيه ربي ١١

فسئل عنه ، فقال :

كشطت من هذا الجدار قطعة طين ، غسل بها ضيف لي بده ، ولم أستعمل من صاحبه .

وقال إبراهيم بن أدهم :

بت ليلة تحت الصخرة ببیت المقدس ؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان ، فقال أحدهما لصاحبه : من هاهنا ؟

فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم .

فقال : ذاك الذي حط الله سبحانه درجة من درجاته .

(١) وفي نسخة جداران .

(٢) نبت تأكله السائمة .

(٣) رجاء أن يسامحه .

فقال : لم ؟

قال : لأنه اشترى بالبصرة تمراً ، فوقعته ، ثمرة على ثمرة من تمر البقال ، فلم يردّها على صاحبها .

قال إبراهيم : فضيت إلى البصرة ، واشتريت التمر من ذلك الرجل ، وأوقعته ثمرة على ثمرة ، ورجعت إلى بيت المقدس ، وبنت في الصخرة .

فلما كان بعض الليل ، إذا أنا بماكين^(١) نزلاً من السماء .

فقال أحدهما لصاحبه : من هاهنا ؟

فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم : فقال : ذلك الذي رد الله مكانه ، ورفعت هرجيته .

وقيل : التقوى على وجوه :

للعمامة : تقوى الشرك ، وللخاصة^(٢) : تقوى المعاصي ، وللأولياء : تقوى للتوسل بالأفعال ، وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال ؛ إذ تقواهم منه إليه .

وعن أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه ، قال :

سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وسادة الناس في الآخرة الأنقياء .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو الحسين البصري قال : أخبرنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن رحو ، عن علي بن زيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة ، أحدث الله له عبادة بعد حلّائها في قلبه^(٣) . »

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس محمد بن الحسين ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني : يقول : كان الجنيد جالساً مع رويم ، والجربري ، وابن عطاء ، فقال الجنيد :

(٢) وفي نسخة للخوارج .

(١) وفي نسخة : بالملكين .

(٣) رواه أحمد .

ما نجا من نجا إلا بصدق اللجا^(١) ، قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحمت^(٢) .. الآية » .

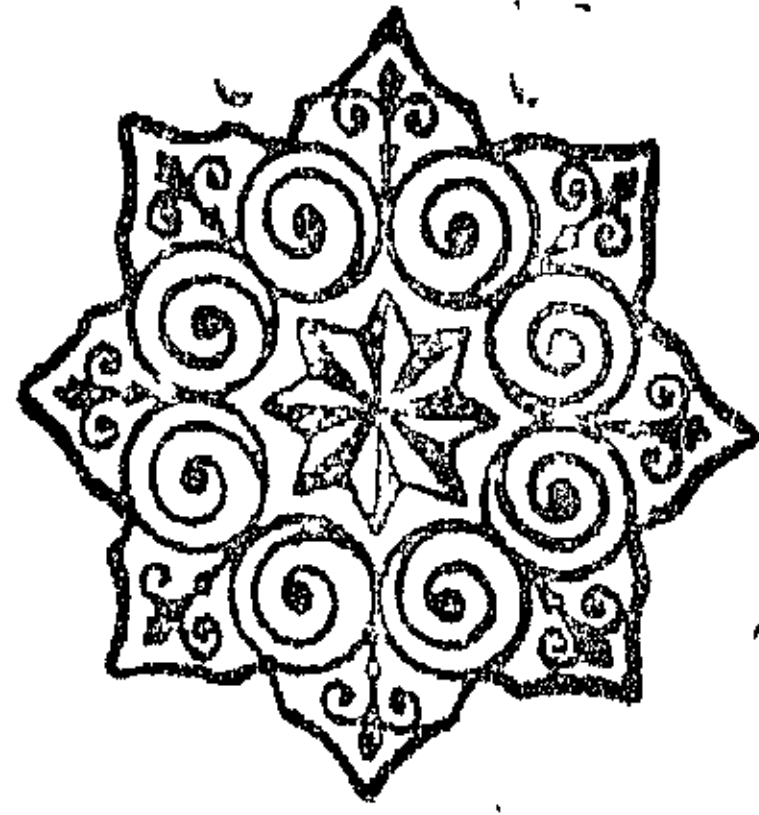
وقال رويم ، رحمه الله : ما نجا من نجا إلا بصدق التقى ، قال الله تعالى : « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم .. »^(٣) .

وقال الجريري : ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء^(٤) ، قال الله تعالى : « والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق »^(٥) .

وقال ابن عطاء : ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى »^(٦) .

وقال الأستاذ الإمام^(٧) : ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء ، قال الله تعالى : « إن للذين سبقت لهم منا الحسنى »^(٨) الآية :

وقال أبضاً : ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتهاد ، قال الله تعالى : « واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم »^(٩) .



(١) أى الاجتهاد .

(٢) آية ١١٨ من سورة التوبة .

(٣) أى بالهدى .

(٤) آية ٢٠ من سورة الرعد .

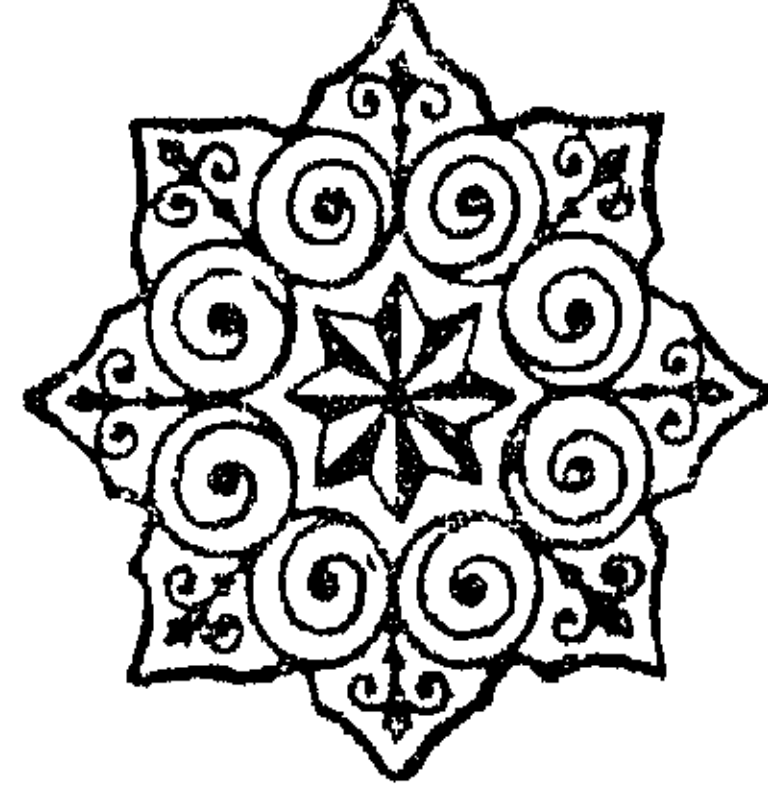
(٥) أبو القاسم القشيري .

(٦) آية ٨٧ من سورة الأنعام .

(٧) آية ٦١ من سورة الزمر .

(٨) آية ١٤ من سورة العلق .

(٩) آية ١٠١ من سورة الأنبياء .



الباب التاسع الورع

رئى سفيان الثورى فى المنام
.. وله جناحان يطير بهما فى
الجنة من شجرة الى شجرة ..
ف قيل له : يم نلت هذا ؟ ..
فقال : بالورع

باب الورع

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى ، قال : حدثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة ، قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر الخراساني . قال : حدثنا يحيى بن العيزار قال : حدثنا محمد بن يوسف الفرباني ، عن سفيان ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبي الأسود الدؤلي ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » (١) .

قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه : أما الورع ، فإنه : ترك الشهوات . كذلك قال إبراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة ، وترك مالا يعنيك (٢) هو ترك الفضلات .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام » . وقال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : « كن ورعاً تكن أعبد الناس » (٣) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة :

حذيفة المرتضى (٤) ، ويوسف بن أسباط ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخواص ، فنظروا في الورع . فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقليل (٥) . وسمعت يقول : سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول : سمعت الشبلى يقول : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما بسند صحيح .

(٢) أى ، المواد ترك مالا يعنى في الحديث السابق لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو ترك الفضلات أى مالا تدعو إليه حاجة دينيه وترك المحرم والمكروه مافيه شبهة .

(٣) البيهقى في الشعب بسند ضعيف . (٤) في نسخة . المرتضى .

(٥) أى فاعلموا . فاعلموا في تقصى الحلال من كسبهم ، ولم يقدروا على صفائه لحاوا حسب ما كان لهم إلى القليل الصافي من ذلك الكسب .

وسمعه يقول : أخبرنا أبو جعفر الرازي قال : حدثنا العباس بن حمزة قال :
حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : حدثنا اسحق بن خلف ؛ قال .

الورع ، المنطق : أشد منه في الذهب والفضة ، والزهد في الرياسة : أشد منه
في الذهب والفضة ، لأنك تبدلتهما في طلب الرئاسة .

وقال أبو سليمان الداراني : الورع : أول الزهد ، كما أن القناعة : طرف من
الرضا .

وقال أبو عثمان : ثواب الورع خفة الحساب .

وقال يحيى بن معاذ : الورع للوقوف على حد العلم من غير تأويل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول :
سمعت محمد بن داود الدينوري يقول : سمعت عبد الله بن الجلاء يقول :

أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته^(١) ،
ورشائه^(٢) ، ولم يتناول من طعام جلب من مصر^(٣) .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت علي بن موسى التاهرتي
يقول : وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قدرة ، فاكترى عليه بثلاثة عشر
ديناراً حتى أخرجه ، فقبل له في ذلك ، فقال : كان عليه اسم الله تعالى .

وسمعه يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت بن علويه يقول :
سمعت يحيى بن معاذ يقول : الورع على وجهين :

ورع في الظاهر ؛ وهو : أن لا يتحرك إلا لله تعالى .

وورع في الباطن ، وهو : أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء .

وقيل : من دق في الدين نظره جل في القيامة خطره^(٤) .

وقال ابن الجلاء : من لم يصحبه للتقى في فقره أكل الحرام النص^(٥) .

(٣) أى من المدن .

(٥) الصرف .

(١) بدلوه (٢) حبله .

(٤) قدره ومكانته .

وقال يونس بن عبيد : للورع : الخروج عن كل شبهة ، ومحاسبة النفس في كل طرفة (١) .

وقال سفيان الثوري : ما رأيت أسهل من الورع : ما حاك (٢) في نفسك (٣) تركته وقال معروف للكرخي : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم .

وقال بشر بن الحارث : أشد الأعمال ثلاثة :

الجود في القلة ، والورع في الخلوة ، وكلمة الحق عند من يخاف منه ويرجى .

وقيل : جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت :

إنا نغزل على سطوحنا ، فتمر بنا مشاغل الظاهرية ، ويقع الشعاع علينا ، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها ؟ .

فقال أحمد : من أنت ؟ عافاك الله تعالى .

ف قالت : أخت بشر الحافي .

فبكى أحمد وقال : من بينكم يخرج للورع الصادق ، لا تغزلى في شعاعها .

وقال علي العطار : مررت بالبصرة في بعض الشوارع ، فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون ، فقلت : أما تستحون من هؤلاء المشايخ ؟ .

فقال صبي من بينهم : هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبهم .

وقيل : إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ، فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة ، ولا من رطبها ، حتى مات ولم يذقه .

وكان إذا انقضى وقت للرطب قال :

يا أهل البصرة ، هذا بطنى ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم .

وقيل لابراهيم بن أدهم : ألا تشرب من ماء زمزم ؟

فقال : لو كان لي دلو لشربت منه .

سمعت الأستاذ أبا للدقاق يقول :

كان الحارث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال .

(٣) بما تكره أن يطلع عليه الناس .

(٢) يحرك .

(١) لحظة .

وقال : إن بشراً الحافى دعى إلى دعوة ، فوضع بين يديه طعام ، فجهد أن يمد يده إليه ، فلم تمتد . ففعل ذلك ثلاث مرات . فقال رجل يعرف ذلك منه : إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الشيخ ؟ .

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى ، قال : سمعت عبد الله بن علي بن يحيى التميمى قال سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافى ، فقال : هو الذى لا يعصى الله تعالى فيه .
وقال سهل : الحلال الصافى : الذى لا ينسى الله تعالى فيه .

ودخل الحسن البصرى مكة ، فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، قد أسند ظهره إلى الكعبة بعظ الناس ، فوثب عليه الحسن وقال له : ما ملاك الدين ؟ فقال : الورع . فقال له : فما آفة الدين ؟ فقال : الطمع . . . فتعجب الحسن منه .

وقال الحسن : مثقال ذرة من الورع السالم^(١) خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة .

وأوحى الله سبحانه ، إلى موسى ، عليه الصلاة والسلام : لم تتقرب إلى المتقربون بمثل الورع والزهد .

وقال . أبو هريرة : جلساء الله تعالى غداً : أهل الورع والزهد .
وقال : سهل بن عبد الله : من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشع ! !
وقيل : حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم ، فقبض على مشامه^(٢) .
وقال : إنما ننتفع من هذا بربحه ، وأنا أكره أن أجدر بربه دون المسلمين .
وسئل أبو عثمان الحيرى عن الورع ، فقال :

كان أبو صالح حمدون عند صديق له ، وهو فى الترع ، فمات الرجل ، فنفت أبو صالح فى السراج ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

(١) أى الخالص من الرياء والكبر .

(٢) أنفه .

إلى الآن كان الدهن له في المرسجة ، ومن الآن صار للورثة . اطلبوا دهنا غيره .

وقال كهمن :

أذنبت ذنباً أبكى عليه منذ أربعين سنة ؛ وذلك : أنه زارني أخ لي ؛ فاشتريت لأجله بدائق سمكة مشوية ، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار^(١) جاري حتى غسل بها يده ولم أستحله .

وقيل : كان رجل يكتب رقعة ، وهو في بيت بكراء ، فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت ، فخطر بباله أن للبيت بالكراء . . . ثم إنه خطر بباله أنه لاخطر لهذا ، فترب الكتاب ، فسمع هاتفاً يقول : سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من طول الحساب ! !

ورهن أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، سطلاً له عند بقال بمكة ، حرسها الله تعالى ، فلما أراد فكاهه أخرج للبقال إليه سطلين ، وقال خذ أيهما هو لك .

فقال أحمد : أشكل على سطلي ، فهو لك ، والدراهم لك .

فقال للبقال : سطلك هذا ، وأنا أردت أن أجربك .

فقال : لا آخذه . ومضى . وترك السطل عنده .

وقيل : سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة ، وصلى صلاة الظهر ، فرتعت للدابة في زرع قرية سلطانية^(٢) ، فترك ابن المبارك للدابة ولم يركبها .

وقيل : رجع ابن المبارك من « مرو » إلى « الشام » في قلم^(٣) استعاره فلم يرده على صاحبه .

واستأجر النخعي دابة ، فسقط سوطه من يده ، فنزل ، وربط الدابة ، ورجع فأخذ للسوط ، فقيل له : لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال : إنما استأجرتها لأمضي هكذا . . لا هكذا ! !

وقال أبو بكر للدقاق :

تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً . . فلما وافيت الطريق ، استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبي وتألمت ثلاثين سنة .

(١) وفي نسخة من دار .

(٢) أي زرعت بأموال السلطان .

(٣) أي بسبب .

وقيل : خاطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ، ففقدت قلبها^(١) زماناً ، حتى تذكرت ، فشقت قميصها ، فوجدت قلبها .
ورثى سفيان الثوري في المنام ، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة .

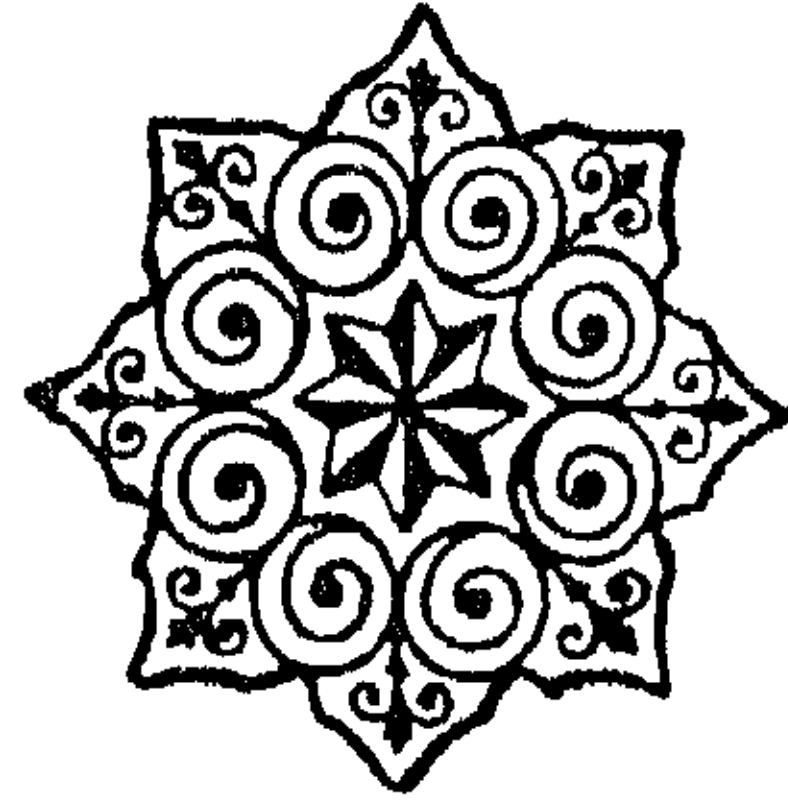
ف قيل له : بم نلت هذا ؟ : فقال : بالورع .
ووقف حسان بن أبي سنان على أصحاب الحسن ، فقال : أى شيء أشد عليكم ؟ فقالوا : الورع .
فقال : ولا شيء أخف على منه .
فقالوا : فكيف ؟
فقال : لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة .
وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ، ولا يأكل سميناً ، ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة ، فرثى في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ .
فقال : خيراً ، إلا أنى محبوس عن الجنة بآخرة استعرتها فلم أردّها .
وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ، وتعبد أربعين سنة : وكان في ابتداء أمره كيالا ، فلما مات رثى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ .
فقال : خيراً ، غير أنى محبوس عن الجنة ، وقد أخرج^(٢) على من غبار القفيز الذى اكتلته أربعين قفيزاً^(٣) .
ومر عيسى بن مريم ؛ عليهما السلام بمقبرة ، فنادى رجلاً منها ، فأحياه الله تعالى .
فقال : من أنت ؟

فقال كنت حمالاً أنقل للناس ، فنقلت لإنسان يوماً خطباً ، فكسرت منه خللاً تخلفت به فأنا مطالب به منذ مت .
وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع . . فر به عباس بن المهتدي ، فقال :
يا أبا سعيد ، أما تستحي ؛ تجلس تحت سقف أبي للدوانيق ، وتشرب من بركة زبيدة ، وتتعامل بالدراهم المزيفة ، وتكتم في الورع ؟ ..

(٢) أى أظهر الله .

(١) أى حضوره .

(٣) القفيز : مكيال وذلك لأن الكيال إذا اكتمل ما فيه تراب حصل التراب في أسفل الكيل فان لم ينفذه في الحال واكتال به مرة أخرى تزايد التراب وحصل بواسطته في المدة الطويلة نقص كثير فيها يكال فحبس عن الجنة بسبب ذلك .



الباب العاشر الزهد

الزهد : هو النظر الى
الدنيا بعين الزوال ..
لتصغر في عينيك .. فيسهل
عليك الاعراض عنها

باب الزهد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني ، قال . أخبرنا أبو الحسن عبيد الله ابن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد ، قال : حدثنا جعفر بن مجاشع قال : حدثنا زيد بن إسماعيل قال : حدثنا كثير بن هشام قال : حدثنا الحكم بن هشام ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي فروة ، عن أبي خلاد - وكانت له صحبة - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ، ومنطقاً ، فاقربوا منه ؛ فإنه يلقي الحكمة (١) » .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم ، رحمه الله :

اختلف الناس في الزهد (٢) ؛ فمنهم من قال .

الزهد في الحرام ؛ لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى ؛ فإذا أنعم الله على عبده بمال من حلال ، وتعبده بالشكر عليه ، فتركه له باختياره لا يقدم (٣) على إمساكه له بحق إذنه (٤) .

ومنهم من قال : الزهد في الحرام واجب ، وفي الحلال فضيلة ؛ فإن إقلال المال - والعبد صابر في حاله ، راض بما قسم الله تعالى له ، قانع بما يعطيه - آثم من توسعه وتبسطه في الدنيا ، فإن الله تعالى زهد الخلق في الدنيا بقوله : « قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى » (٥) : وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم للدنيا والترهيد فيها .

ومنهم من قال : إذا أنفق العبد ماله في الطاعة ، وعلم من حاله الصبر ، وترك للتعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر ، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال آثم .

(١) رواه ابن ماجه بنحوه وفيه ضعف . (٢) لا من حيث معناه ، بل من حيث متعلق حكمه .

(٣) أى فالأمر إلى سواء لا أولوية لأحدهما على الآخر فتركه مثل إمساكه في الفضيلة (العروسي) .

(٤) فلا يكون تركه زهداً عند هذا القائل .

(٥) آية ٧٧ من سورة النساء .

ومنه من قال : ينبغي للعبد ان لا يختار ترك الحلال بتكلفه ، ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويراعى القسمة . فان رزقه الله ، سبحانه وتعالى مالا من حلال شكره ، وإن وقفه الله تعالى ، على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر ، والشكر أليق بصاحب المال الحلال .

وتكلموا في معنى الزهد :

فكل نطق عن وقته ، وأشار إلى حده .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : حدثنا أحمد بن اسماعيل الأزدي قال : قال : حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي قال : حدثنا للدورقي قال : حدثنا وكيع قال : قال سفيان الثوري :

الزهد في الدنيا : قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العباء .

وسمعتة يقول : سمعت سعيد بن أحمد يقول : سمعت عباس بن عصام يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري السقطي يقول :

إن الله سبحانه ، سلب الدنيا عن أوليائه ، وحماها (١) عن أصفیائه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ؛ لأنه لم يرضها لهم .

وقيل : الزهد من قوله (٢) سبحانه وتعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (٣) .

فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ، ولا يتأسف على مفقود منها .

وقال أبو عثمان : الزهد : أن تترك الدنيا ثم لا تنالي بمن أخذها (٤) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول :

الزهد : أن تترك الدنيا كما هي ، لاتقول أنني بها رباطاً أو أعمر مسجداً .

وقال يحيى بن معاذ : الزهد : بورث السخاء بالملك ، والحب بورث السخاء بالروح ، وقال ابن الجلاء : الزهد : هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها .

(١) أمسكها .

(٢) أي مأخوذ .

(٣) آية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) وفي نسخة : الزاهد : الذي يترك الدنيا ثم لا يبالي من أخذها .

وقال ابن خفيف . علامة الزهد : وجود الراحة في الخروج عن الملك .
وقال أيضا . الزهد : سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأبدى من الأملاك .
وقيل . الزهد : عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصراني يقول :
يقول :

الزاهد : غريب في الدنيا ، والعارف غريب في الآخرة .
وقيل : من صدق في زهده آتته الدنيا راغمة .
ولهذا قيل : لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريد لها .
وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد .
وقال أبو سليمان الدارني : الصوف علم من أعلام الزهد ؛ فلا ينبغي للزاهد أن
يلبس صوفاً ثلاثة دراهم ، وفي قلبه رغبة خمسة دراهم .
وقد اختلف السلف في الزهد^(١) :

فقال سفيان الثوري ، وأحمد بن حنبل ، وعيسى بن بونس وغيرهم : الزهد
في الدنيا : إنما هو قصر الأمل .
وهذا الذي قالوه يحمل^(٢) على أنه من أمارات الزهد ، والأسباب الباعثة عليه
والمعاني الموجهة له .

وقال عبد الله بن المبارك : الزهد : هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر .
وبه قال شقيق البلخي ، ويوسف بن أسباط وهذا أيضاً من أمارات الزهد ،
فانه لا يقوى العبد على الزهد ، إلا بالثقة بالله تعالى .

وقال عبد الواحد بن زبد : الزهد : ترك الدينار والدرهم^(٣)
وقال أبو سليمان الدارني : الزهد : ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى :
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن علي يقول :
سمعت إبراهيم بن فاثك يقول : سمعت الجنيد يقول ، وقد سأله رويم عن الزهد ،
فقال :

(٢) أى في العرف .

(١) أى : في حقيقته وأسبابه .

(٣) وفي نسخة « ونحوهما بقبله » .

هو استصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب .

وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه^(١) ، ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه^(٢) .

وسئل الجنيد عن الزهد ، فقال : خلو اليد من الملك ، والقلب من التبع .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال : أن تزهد فيما سوى الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

لا يبلغ أجد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال :

عمل بلا علاقة^(٣) ، وقول بلا طمع ، وعز بلا رباة .

وقال أبو حفص : الزهد لا يكون إلا في الحلال ، ولا حلال في الدنيا ، فلا زهد .

وقال أبو عثمان : إن الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد ، ويعطي الراغب دون ما يريد ، ويعطي المستقيم موافقة ما يريد .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك^(٤) الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر .

وقال الحسن البصري : الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها .

وقيل لبعضهم : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : ترك ما فيها على من فيها .

وقال رجل للذي النون المصري : متى أزهد في الدنيا ؟

فقال : إذا زهدت في نفسك .

وقال محمد بن الفضل : إيثار الزهاد عند الاستغناء ، وإيثار الفتيان عند الحاجة ،

قال الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »^(٥) .

وقال الكتاني : الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ،

ولا شامي : الزهد في الدنيا ، وسخاوة النفس ، والنصحية للخلق . يعني أن هذه

الأشياء لا يقول أحد إنها غير محمودة .

(١) أي بغيرها من شهوات الدنيا .

(٢) أي خالصاً لله تعالى لالعة دنيوية .

(٣) أي : أدخل في أنفك .

(٤) أي عن مولاه .

(٥) آية ٩ من سورة الحشر .

وقال رجل ليحيى بن معاذ : متى أدخل حانوت التوكل ، وألبس رداء الزاهدين ؟ .

فقال : إذا صرت من رياضتك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك .

فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ، ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم . . .

وقال بشر الحافي : الزهد : ملك لا يسكن إلا في قلب مخلى (١) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت بن محمد بن الأشعث البيكندی يقول :

من تكلم في الزهد ، ووعظ الناس ، ثم رغب في ما لهم ، رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه .

وقيل : إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكا يغرس الحكمة في قلبه . وقيل لبعضهم : لم زهدت في الدنيا ؟ . فقال : لزهدا في .

وقال أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه :

ترك الحرام ، وهو : زهد العوام :

والثاني : ترك الفضول من الحلال ، وهو : زهد الخواص .

والثالث : ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى ، وهو : زهد العارفين .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول .

قل لبعضهم : لم زهدت في الدنيا ؟

قال : لما زهدت في أكثرها أنفت من الرغبة في أقلها .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا كالعروس المجلوة ، ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ، ويحرق (٢) ثوبها . والعارف مشغول بالله تعالى ، لا يلتفت إليها .

(١) أي لا يتحقق إلا في قلب انقطع طمعه عن الدنيا وتخل منها .

(٢) وفي نسخة : ويحرق .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت : أبا الطيب السامري يقول : سمعت
الجنيد يقول : سمعت السري يقول :

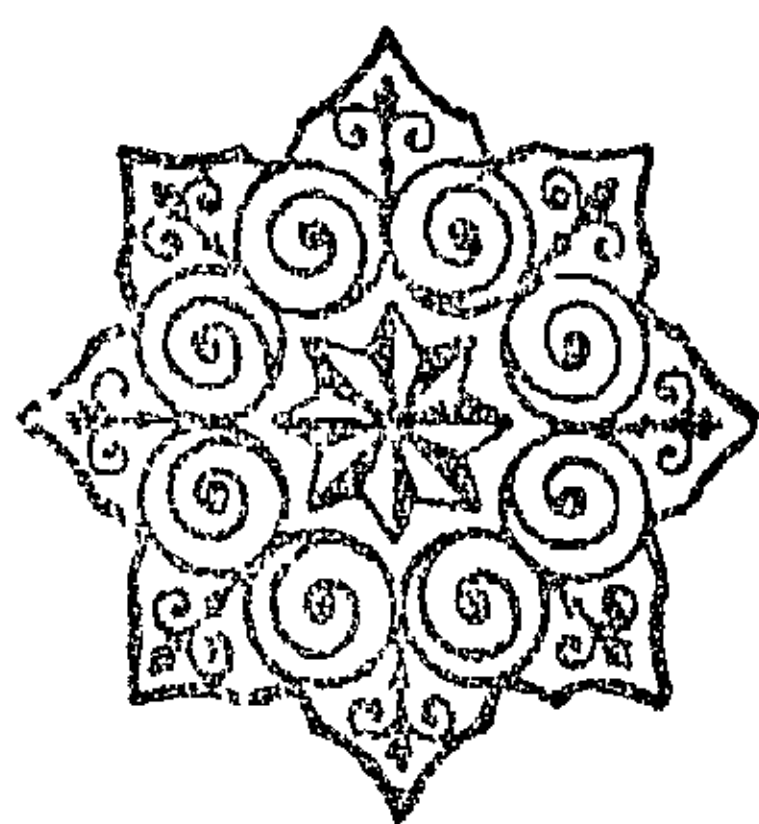
مارست كل شيء من أمر الزهد ، فنلت منه ما أريد ، إلا الزهد في الناس ،
فاني لم أبلغه ، ولم أطلقه .

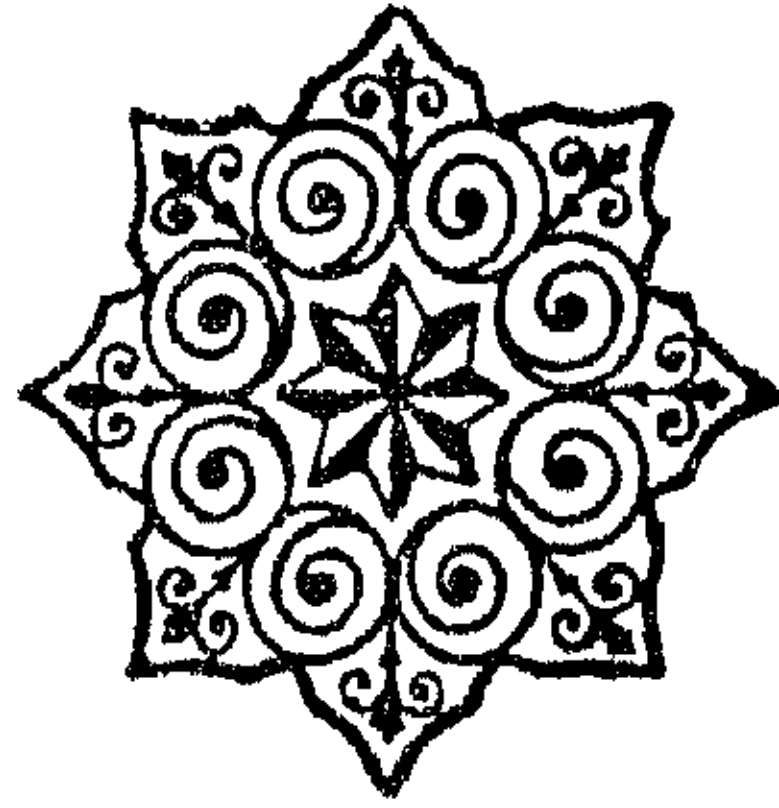
وقيل : ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم ، لأنهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي .
وقال النصراني : الزهد حقن دماء الزاهدين ، وسفك دماء العارفين .

وقال حاتم الأصم . الزاهد بذيب كيسه قبل نفسه ، والمتزاهد بذيب نفسه قبل
كيسه .

سمعت محمد بن عبد الله يقول : حدثنا علي بن الحسن الموصلي قال : حدثنا أحمد
ابن الحسين قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : سمعت
الفضيل بن عياض يقول :

جعل الله الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله
في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد .





الباب الحادي عشر الصمت

تعلم الصمت .. كما تتعلم
الكلام .. فان كان الكلام
يهديك .. فان الصمت يقيك ..

باب الصمت

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان قال : حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خبراً أو يصمت » (١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عدنان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا بشر ابن موسى الأسدي قال : حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، عن ابن المبارك ، عن يحيى بن أنوب ، عن عبيد الله بن زجر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عقة بن عامر قال : قلت :

« يا رسول الله ، ما النجاة ؟

قال : احفظ عليك لسانك ، وليسمعك بيتك ، وانك على خطيئتك » (٢) .

قال الأستاذ ، رحمه الله : الصمت سلامة ، وهو (٣) الأصل . وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر (٤) فالواجب : أن يعتبر فيه الشرع ، والأمر والنهي .

والسكوت في وقته : صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس . والصمت : من آداب الحضرة ، قال الله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » (٥) .

وقال تعالى - خبراً عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم - : « فلما حضروه قالوا أنصتوا .. » (٦) .

(١) رواه أحمد والشيخان وغيرهما .

(٢) وفي نسخة (ومي) أى السلامة .

(٥) آية ٢٠٤ من سورة الأعراف .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن .

(٤) لكون النطق مطلوباً .

(٦) آية ٢٩ من سورة الأحقاف .

وقال تعالى : « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » (١) .
 وكم بن عبد سكت تصاوناً عن الكذب والغيبة . وبين عبد سكت لاستيلاء
 سلطان الهية عليه . وفي معناه أنشدوا :

أفكر ما أقول إذا افترقنا وأحكم (٢) دائماً حجج المقال
 فأنساها إذا نحن التقينا فأنطق ، حين أنطق ، بالمحال (٣)

وأنشدوا :

فياليل (٤) كم من حاجة لي مهمة إذا جئتكم لم أدر باليل ماهيا

وأنشدوا :

وكم حديث لك حتى إذا مكنت من لقياك أنسيته

وأنشدوا :

رأيت الكلام نزن الفتى والصمت خير لمن قد صمت
 فكمن من حروف تجر الختوف ومن ناطق ود أن لو سكت
 والسكوت على قسمين : سكوت بالظاهر ، وسكوت بالقلب والضماير .
 فالمتوكل : سكت قلبه عن تقاضى الأوراق .

والعارف : سكت قلبه مقابلة للحكم نعت الوفاق .
 فهذا بجميل صنعه واثق ، وهذا بجميع حكمه قانع .
 وفي معناه قالوا :

تجرى عليك صروفه وهموم شرك مطرقة (٥)

وربما يكون سبب السكوت حيرة الدية ؛ فانه إذا ورد كشف عن وصف
 البغته خرس العبارات عند ذلك ، فلا بيان ، ولا نطق . وطمست الشواهد هنالك ،
 فلا علم ، ولا حس .

قال الله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجستم ؟ قالوا : لا علم لنا (٦) .

(١) آية ١٠٨ من سورة طه .

(٢) مالا يفيد الغرض .

(٣) راضية .

(٤) اتقن .

(٥) اسم محبوبته « ايل » .

(٦) آية ١٠٩ من سورة المائدة .

فأما إشار أرباب المجاهدة السكوت : فلما علموا ما في الكلام من الافات
نم ما فيه من حظ النفس ، و اظهار صفات المدح ، والميل إلى أن تتميز بين أشكاله (١)
بحسن النطق ، وغير هذا من آفات في الخلق وذلك نعت أرباب الرياضات ، وهو
أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق .

وقيل : إن داود الطائي ، لما أراد أن يقعد في بيته اعتقد (٢) أن يحضر مجالس
أني حنيفة ، رحمه الله ، إذ كان تلميذاً له ، ويقعد بين أقرانه من العلماء ولا يتكلم
في مسألة ، فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة ، قعد في بيته عند
ذلك وآثر العزلة .

وكان عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، إذا كتب كتاباً واستحسن لفظه مزق
الكتاب وغيره .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : أخبرنا عبد الله بن
محمد الرازي ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال : سمعت أحمد
ابن الفتح يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول :

إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت فتكلم .

وقال سهل بن عبد الله : لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ،
ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت .

وقال أبو بكر الفارسي : من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وإن كان
صامتاً . والصمت ليس بمخصوص على اللسان ، لكنه على القلب والجوارح كلها .

وقال بعضهم : من لم يستغنم (٣) السكوت فاذا نطق نطق بلغو .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول :
سمعت ممشاد الدينوري يقول : الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكير .

وسئل أبو بكر الفارسي عن صمت السر فقال : ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل .

وقال أبو بكر الفارسي : إذا كان العبد ناطقاً فيما بعينه ، وفيما لا بد منه ، فهو
في حد الصمت .

(٢) عزم .

(١) أقرانه .

(٣) أي يعرف فضيلته ويعده غنية .

روى عن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، أنه قال :
كلم الناس قليلا ، وكلم ربك كثيراً ؛ لعل قلبك يرى الله تعالى .
وقيل لذى النون المصرى : من أصون الناس لقلبه (١) ؟ . قال : أملكتهم لسانه .
وقال ابن مسعود : ما من شيء بطول السجن أحق من اللسان .
وقال على بن بكار : جعل الله تعالى لكل شيء بابين ، وجعل للسان أربعة
أبواب : فالشفتان مصراعان ، والأسنان مصراعان .
وقيل : إن أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، كان يمسك في فيه حجراً كذا
سنة ؛ ليقل كلامه .
وقيل : إن أبا حمزة البغدادي ، رحمه الله ، كان حسن الكلام ، فهتف به
هاتف ، فقال له : تكلمت فأحسننت ، نبي أن تسكت فتحسن ؟ فما تكلم بعد ذلك
حتى مات قريباً من هذه الحالة على رأس أسبوع ، أو أقل ، أو أكثر .
وربما يكون السكوت يقع على المتكلم (٢) تأديباً له ، لأنه أساء أدبه في شيء .
كان الشبلي إذا قعد في حلقة ، ولا يسألونه ، يقول : « ووقع القول عليهم
بما ظلموا فهم لا ينطقون » (٣) .
وربما يقع السكوت على المتكلم ، لأن في القوم من هو أولى منه بالكلام .
سمعت ابن السماك يقول : كان بين شاه الكرمانى ، ويحيى بن معاذ صداقة ،
فجمعهما بلد ، فكان شاه لا يحضر مجلسه ، فقيل له في ذلك ، فقال : للصواب
هذا . فإزالوا به حتى حضر يوماً مجلسه ، وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ ،
فلما أخذ يحيى في الكلام سكت ، ثم قال : ها هنا من هو أولى بالكلام منى ،
وارتج (٤) عليه . فقال شاه : قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه .
وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين ، وهو أنه يكون هناك من
ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة و صيانة لذلك
الكلام عن غير أهله .

(٢) أى يطلب منه .

(٤) تملأ عليه الكلام :

(١) في نسخة لنفسه .

(٣) آية ٨٥ من سورة التحل .

وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم ان بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله انه سسمع ذلك الكلام ، فيكون فتنة له ، إما لتوهمه انه وقته ولا يكون^(١) ، او لأنه يحمل نفسه مالا يطيق فيرحمه الله ، عز وجل ، بأن يحفظ سماعه عن ذلك الكلام ، إما صيانة له ، أو عصمة عن غلظه .

وقال مشايخ هذه الطريقة .

ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن ، إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

اعتلت مرة « بمر » ، فاشتقت أن أرجع إلى « نيسابور » . . فرأيت في المنام . كأن قائلاً يقول لى : لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد ، فان جماعة من الجن استحلوا^(٢) كلامك ، ويحضرون مجلسك ، فلاجلهم تجلس هاهنا .

وقال بعض الحكماء : إنما خلق للسان لسان واحد ، وعينان ، وأذنان ، ليسمع ويبصر أكبر مما يقول .

ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة ، فلما جلس أخذوا في الغيبة ، فقال : عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز ، وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم ؟ أشار إلى قوله تعالى : « أيعب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ، فكرهتموه »^(٣) .

وقال بعضهم : الصمت ، لسان الحلم .

وقال بعضهم : تعلم الصمت ، كما تتعلم الكلام ؛ فان كان الكلام يهديك ، فان الصمت يقيك .

وقيل : عفة اللسان صمته .

وقيل : مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك .

وسئل أبو حفص : أى الحالين للولى أفضل ؟ الصمت ، أو النطق ؟

(١) يتوهم أن هذا الكلام حاله أى المطلوب له ولا يكون الأمر كذلك .

(٢) انتفعوا به .

(٣) آية ١٢ من سورة الحجرات .

فقال : لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ، ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله ، تعالى ، ضعفى عمر نوح حتى ينطق^(١) .

وقيل : صمت العوام بالسنتهم ، وصمت العارفين بقلوبهم ، وصمت المحبين بالتحفظ من خواطر أسرارهم .

وقيل لبعضهم : تكلم . فقال : ليس لى لسان فأتكلم .

ف قيل له : اسمع ، فقال : ليس فى مكان فأسمع .

وقال بعضهم : مكثت ثلاثين سنة لا أسمع لسانى إلا من قلبى ، ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى إلا من لسانى .

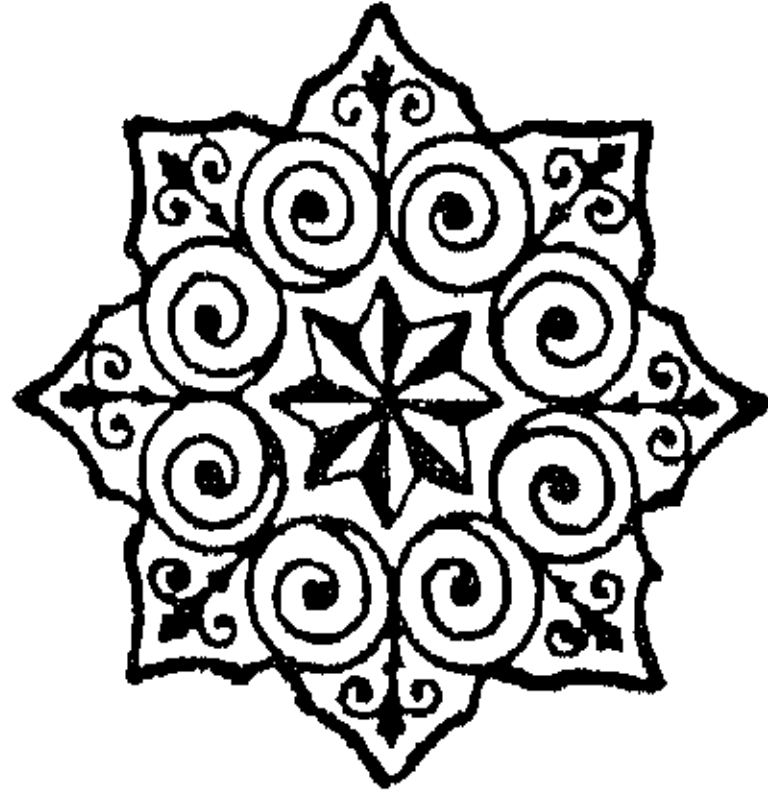
وقال بعضهم : لو أسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ، ولو صرت رميا لم تتخلص من حديث نفسك ، ولو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك ، لأنها كاتمة للسر .

وقيل : لسان الجاهل مفتاح حتفه .

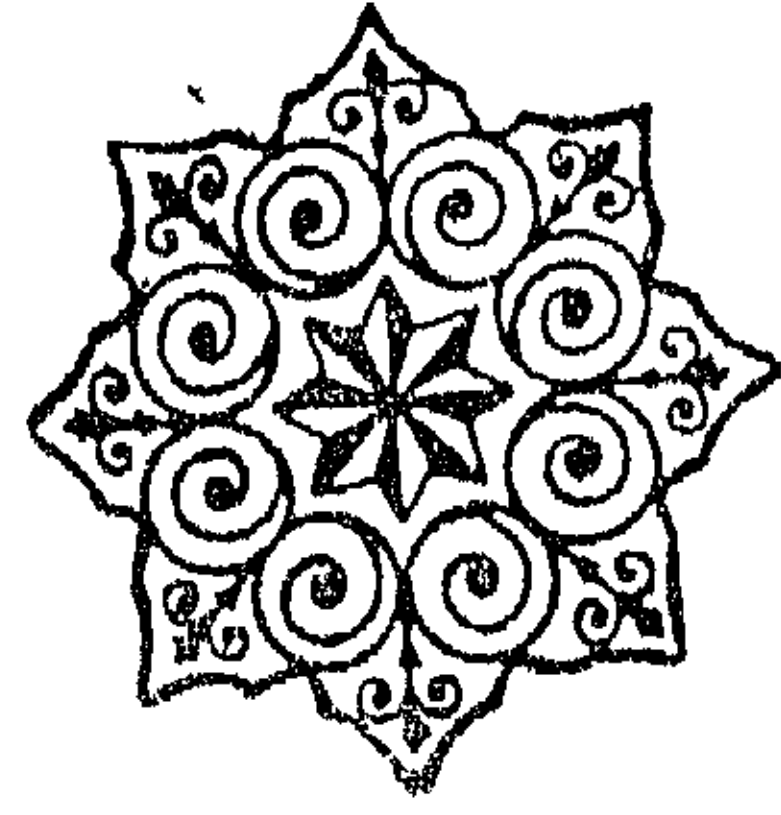
وقيل : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إذا سكت ملك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول :

من عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .



(١) أى فلكل من النطق والصمت ضرر ؛ فعلى المكلف العمل فيها بالهدى المهدى ليغم أو يسلم .



الباب الثاني عشر الخوف

- الخوف من الله ملك
- لا يسكن الا في قلب متق

باب الخوف

قال الله تعالى : « يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » (١) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى العدل ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويه اللدقاق قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حدثنا عامر بن أبي الفرات قال : حدثنا المسعودى ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عيسى بن طلحة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى ، حتى يلج (٢) اللبن في الفرج . ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبداً » .

حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قال : حدثنا أبو محمد عبد الله ابن محمد بن الحسن بن الشرفى ، قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا يحيى ابن سعيد القطان قال : حدثنا شعبة قال : حدثنا قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » (٣) .

قلت : للخوف : معنى متعلقه فى المستقبل ، لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه ، أو يفوته محبوب . ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل فى المستقبل . فأما ما يكون فى الحال موجوداً ، فالخوف لا يتعلق به .

والخوف من الله تعالى ، هو : أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما فى الدنيا ، وإما فى الآخرة .

وقد فرض الله ، سبحانه ، على العباد أن يخافوه ، فقال تعالى : « وخافون إن كنتم مؤمنين » (٤) .

(١) آية ١٦ من سورة السجدة .

(٢) يدخل والحديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٣) رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) آية ١٧٥ من سورة آل عمران .

وقال : « فايأى فارهبون^(١) » ومدح المؤمنين بالخوف فقال : « يخافون ربهم من فوقهم »^(٢) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

الخوف على مراتب : للخوف ، والخشية ، والهيبة .

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته . قال الله تعالى : « وخافون إن كنتم مؤمنين »^(٣) .

والخشية من شرط العلم ، قال الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(٤) والهيبة من شرط المعرفة ، قال الله تعالى : « ويحذرکم الله نفسه »^(٥) .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن علي الحيري يقول : سمعت محفوظاً يقول : سمعت أبا حفص يقول : الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه .

وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضربين : رهبة ، وخشية .

فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف ، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب .

قال رحمه الله : ورهب ، وهرب ؛ يصح أن يقال : أنهما واحد معنى ، مثل :^(٦) جذب ، وجبذ .

فاذا هرب انجذب في مقتضى هواه ، كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحتهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع ، فهو الخشية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول : سمعت أبا عثمان يقول : سمعت أبا حفص يقول :

للخوف ، سراج للقلب ، به يبصر ما فيه من الخير والشر .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

(١) آية ٥١ من سورة النحل .

(٢) آية ٥٠ من سورة النحل .

(٣) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٤) آية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٥) آية ١٧٥ من سورة آل عمران .

(٦) آية ٢٨ من سورة آل عمران .

الخوف ألا تعلق نفسك بعسى وسوف .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول : سمعت أبا عمر الدمشقي يقول :

الخائف ، من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

وقال ابن الجلاء : الخائف ، من تؤمنه المخوفات (١) .

وقيل : ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ، إنما الخائف من بترك ما يخاف أن يعذب عليه .

وقيل للفضيل (٢) ، ما لنا لا نرى خائفا ؟

فقال : لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين ، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون ، وإن الشكلي (٣) ، هي التي تحب أن ترى الشكلي .

وقال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم ، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة .

وقال شاه الكرماني : علامة الخوف : الحزن الدائم .

وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منه ، ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه .

وسئل ذو النون المصري ، رحمه الله ، متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟ فقال : إذا أنزل نفسه منزلة السقيم ، بحيث من كل شيء ، مخافة طول السقام .

وقال معاذ بن جبل ، رضي الله عنه : إن المؤمن لا يطمئن قلبه ، ولا تسكن روعته حتى يخلف (٤) جسر جهنم وراءه .

وقال بشر الحافي : الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متق .

وقال أبو عثمان الخيري : عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفي .

(١) أى تجعله في أمان . بأن يأمن منها في حال طروقه عليها فلا تؤثر فيه لغيته عنها بخوف الله .

(٢) إلى فقدت ولدها . (٣) هو ابن عياض . (٤) يجاوز ويرك .

وقال الواسطي : الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد .
وهذا اللفظ فيه إشكال^(١) ومعناه : أن الخائف متطلع لوقت ثان .
وأبناء الوقت^(٢) لا تطلع لهم في المستقبل ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن النهاوندي
يقول : سمعت ابن فاثك يقول : سمعت النوري يقول : « الخائف يهرب من ربه
إلى ربه » .

وقال بعضهم : علامة الخوف ، التحير^(٣) والوقوف على باب الغيب :
سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت علي بن إبراهيم العكبري يقول :
سمعت الجنيد وقد سئل عن الخوف ، فقال :
هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت الحسين بن
أحمد الصفار يقول : سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت هاشم بن خالد يقول :
سمعت أبا سليمان الدارني يقول :

ما فارق الخوف قلباً إلا خرب .

وسمعه يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت
أبا عثمان يقول :

صدق الخوف ، هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً .

وقال ذو النون : الناس على الطريق ما لم نزل عنهم الخوف ، فاذا زال عنهم
الخوف ضلوا عن الطريق .

وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينة ، وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف
قصر الأمل .

وقال رجل لبشر الحافى : أراك تخاف الموت . .

فقال : القدوم على الله ، عز وجل ، شديد .

(١) لأن الخوف مطلوب ، فكيف يكون حجاباً بين الخائف وربه ؟

(٢) وهم الصوفية .

(٣) أى القلق فى أسباب النجاة والخلاص مما يوجب العقاب .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول : دخلت على الإمام أبي بكر بن فورك عائداً ، فلما رآني دمعت عيناه ، فقلت له : إن شاء الله (١) تعالى بعافيك ويشفيك . فقال لي : تراني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت ! !

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا محمد ابن عثمان قال : حدثنا القاسم بن محمد قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قلت :

يا رسول الله ، للذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة ، أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر؟

قال : لا ، ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه (٢) . وقال ابن المبارك ، رحمه الله ، الذي يهيج الخوف حتى بسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت أبا القاسم ابن أبي موسى يقول : سمعت محمد بن أحمد ، قال : حدثنا علي الرازي قال : سمعت ابن المبارك ، رحمه الله يقول ذلك .

وسمعت محمد بن الحسين يقول ، سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول :

إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرده رغبة الدنيا عنه .
وقيل ، الخوف ، قوة العلم بمجاري الأحكام .
وقيل ، الخوف ، حركة القلب من جلال الرب .

وقال أبو سليمان الداراني ، ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف ، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب .

(١) وفي نسخة إن الله سبحانه .

(٢) رواه أحمد والترمذي .

ثم قال : يا أحمد ، بالخوف ارتفعوا ، فإن ضيعوه نزلوا .
وقال الواسطي : الخوف ؛ والرجاء ، زمامان على النفوس ، لئلا ، تخرج إلى
رعوناتها .

وقال الواسطي : إذا ظهر^(١) الحق على السرائر ، لا يبقى فيها فضيلة لرجاء
ولا لخوف .

قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا فيه إشكال . ومعناه : إذا اضطلمت^(٢) شواهد
الحق ، تعالى ، الأسرار ملكتها ، فلا يبقى فيها مساغ للذكر حدثان^(٣) ، والخوف
والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية .

وقال الحسين بن منصور : من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجا سواه
أغلق عليه أبواب كل شيء ، وسلط عليه المخافة ؛ وحجبه^(٤) بسبعين حجاباً أسرها
الشك ، وإن مما أوجب شدة خوفهم ، فكرهم في العواقب ، وخشية تغير أحوالهم ،
قال الله تعالى : « وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون »^(٥) وقال الله تعالى : « قل هل
ننشئكم بالآخرين أعمالاً ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا .. »^(٦) .

فكم من مغبوط^(٧) في أحواله أنعكست عليه الحال ، ومنى بمقارنة^(٨) قبيح
الأفعال ، فبدل بالأنس وحشة ، وبالحضور غيبة ..

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، ينشد كثيراً :

أحسننت ظنك بالأناام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول :

كان رجلاً اصطحبا في الإرادة^(٩) برهة من الزمان . ثم إن أحدهما سافر ، وفارق

(١) غلب .

(٢) أي حديث أو حادثة .

(٣) أي حديث أو حادثة .

(٤) أي حديث أو حادثة .

(٥) أي حديث أو حادثة .

(٦) أي حديث أو حادثة .

(٧) أي حديث أو حادثة .

(٨) أي حديث أو حادثة .

(٩) أي حديث أو حادثة .

(٢) استأصلت .

(٤) وفي نسخة « وحجب قلبه » .

(٦) آية ١٠٤ من سورة الكهف .

(٧) المغبوط : هو من يتمنى غيره مثل ما أتت له من الخير مع عدم ميل ذلك الغير إلى زوال نعمته عنه .

(٩) إرادة العبادة والخير .

صاحبه . . . وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه^(١) خبرا . . . فبينما هذا الآخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح ، يطلب المبارزة . . . فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد ، فقتله الرومى . . . ثم خرج آخر فقتله . . . ثم ثالث فقتله ، فخرج إليه هذا الصوفى . . . وتطاردا^(٢) ، فحسر الرومى عن وجهه ، فاذا هو صاحبه للذى صاحبه في الإرادة والعبادة سنين .

فقال : هذا له : إيش الخير ؟

فقال : إنه ارتد . . . وخالط القوم . . . وولد له أولاد . . . واجتمع له مال .

فقال له : كنت تقرأ القرآن بقراءات كثيرة ؟

فقال : لا أذكر منه حرفا .

فقال له هذا الصوفى : لا تفعل ، وارجع . فقال : لا أفعل ، فلي فيهم جاه ومال ، فانصرف أنت عني ، وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك .

فقال له الصوفى : اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين ، وليس عليك أنفة في الانصراف ، فانصرف أنت وأنا أمهلك .

فرجع الرجل مولياً . . . فتبعه هذا الصوفى ، وطعنه ، فقتله .

فبعد تلك المجاهدات ، ومقاساة تلك الرياضيات ، قتل على النصرانية .

وقيل : لما ظهر على إبليس مظهر ، طفق جبريل ، وميكائيل ، عليهما السلام يبكيان زماناً طويلاً ، فأوحى الله ، تعالى ، إليهما : مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : ياربنا ، لا نأمن مكرك .

فقال الله تعالى : هكذا كونا ، لا تأمنا مكرى .

ويحكى عن السرى السقطى أنه قال :

إني لأنظر إلى أنبي في اليوم كذا مرة ؛ مخافة أن يكون قد اسود ، لما أخافه من العقوبة !!

وقال أبو حفص : منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسى ، أن الله ؛ تعالى ، ينظر إلى نظر السخط ، وأعمالى تدل على ذلك .

(١) أى عنه .

(٢) تضارباً .

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بموضع صالح ، فلا مكان أصلح من الجنة ، فلقى آدم ، عليه السلام ، فيها ما لقي ١ ١ . ولا تغتر بكثرة العبادة ؛ فان إبليس بعد طول تبعده لى ما لقي ١ ١ ولا تغتر بكثرة العلم ؛ فان « بلعام »^(١) كان يحسن اسم الله الأعظم فأنظر ماذا لقي ١ ١ ولا تغتر برؤية الصالحين ولا شخص أكبر قدراً من المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم ننتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه .

وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال :

إني قد اجتبرأت للبارحة على الله عز وجل : سألته الجنة .

وقيل : خرج عيسى عليه السلام ، ومعه صالح من صالحى بنى إسرائيل فتبعهما رجل خاطيء مشهور بالفسق فيهم ، ففقد متنبذاً عنهما ، منكسراً ، فدعا الله سبحانه وقال : اللهم اغفر لى .

ودعا هذا الصالح وقال : اللهم لا تجمع غدا بينى وبين ذلك العاصى . .

فاوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : أنى قد استجبت دعاءهما جميعاً ، رددت ذلك الصالح ، وغفرت لذلك المجرم .

وتال ذو النون المصرى : قلت لسليم . لم سميت مجنوناً ؟ .

قال ، لا طال حبسى عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه فى الآخرة .

وئ معناه انشدوا :

لو أن ماى على صخر لأنحاله فكيف بحمله خلق من الطين ؟
وقال بعضهم ، ما رأيت رجلاً أعظم رجاء لهذه الأمة ، ولا أشد خوفاً على نفسه ، من « ابن سيرين » .

وقيل ، مرض سفيان الثورى ، فعرض دليله^(٢) على الطبيب ، فقال هذا رجل قطع الخوف كبده .

ثم جاء وجس عرقه^(٣) ، ثم قال ، ما علمت أن فى الحنيفة مثله .

وسئل الشلى ، لم تصفر الشمس عند الغروب ؟ .

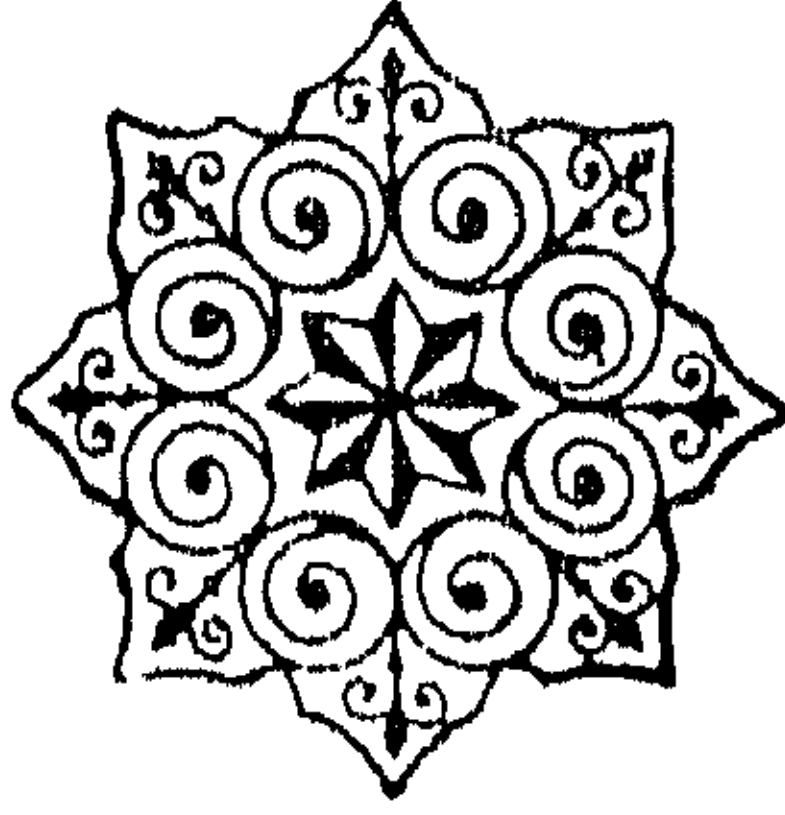
(١) ويقال له : « بلعام بن بعور » من علماء بنى إسرائيل .

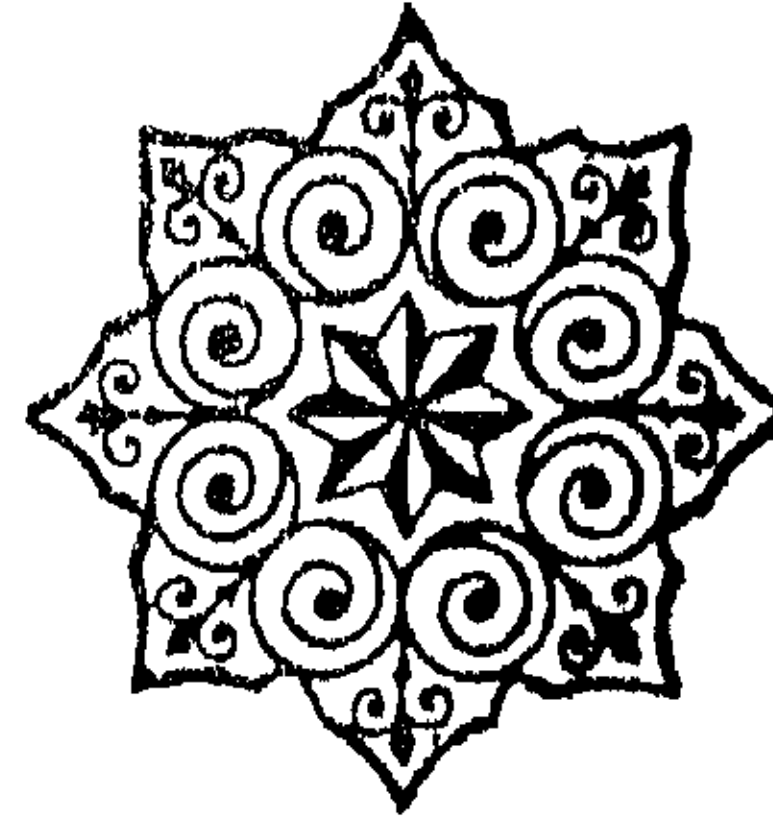
(٢) نفسه .

(٣) أى ما يستدل به على مرضه .

فقال : لأنها عزلت عن مكان التمام ، فاصفرت لخوف المقام .
وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه ، لأنه يخاف المقام .
فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة ، كذلك المؤمن ، إذا بعث من قبره خرج
ووجهه شرق .

ويحكى عن أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، أنه قال :
سألت ربي ، عز وجل ، أن يفتح علي بابا من الخوف ، ففتح ، فخفت على
عقلي ، فقلت : يا رب ، اعطني على قدر ما أطيع ، فسكن ذلك عني .





الباب الثالث عشر الرجاء

أحلى العطايا في قلبي رجاءوك
.. وأعذب الكلام على لساني
ثناؤك .. وأحب الساعات
إلى ساعة يكون فيها لقاءك ..

باب الرجاء

قال الله تعالى : « من كان يرجو لقاء الله ، فإن أجل الله لآت » (١) .

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال : حدثنا عمرو بن مسلم الثقفى قال : حدثنا الحسن بن خالد قال : حدثنا للعلاء بن زيد ، قال :

دخلت على مالك بن دينار ، فرأيت عنده شهر بن حوشب . . فلما خرجنا من عنده ، قلت لشهر : برحمتك الله تعالى ، زودنى ، زودك الله تعالى :

فقال : نعم ، حدثتني عمى أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل عليه السلام ، قال : « قال ربكم عز وجل عبدي ، ما عدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك ، ولو استقبلتني بماء الأرض خطايا وذنوباً ، استقبلتك بمثلها » (٢) مغفرة ، فأغفر لك ولا أبالي » (٣) .

أخبرنا علي بن أحمد قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال . حدثنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا خلف بن الوليد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال : حدثنا أبو سفيان طريف ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ، يوم القيامة : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ، ثم يقول : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ثم يقول : وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي » (٤) .

الرجاء : تعلق القلب بمحسوب سيحصل في المستقبل .

وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان ، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب ، واستقلالها (٥) .

(١) آية ٥ من سورة العنكبوت .

(٢) وفي رواية بمثلها .

(٣) رواه الطبراني عن أبي الدرداء بسند حسن والترمذي بنحوه وقال حسن .

(٥) أي : بالأجر الأخرى .

(٤) أوله في الصحيحين .

والفرق بين الرجاء ، وبين التمتي ، أن التمتي : يورث صاحبه الكسل^(١) ، ولا سلك طريق الجهد والجهد ، وبمعكسه صاحب الرجاء ، فالرجاء محمود ، والتمتي معلول^(٢) .
وتكلموا في الرجاء ، فقال شاه الكرمانى : علامة الرجاء : حسن الطاعة .
وقال ابن خبيق : الرجاء ثلاثة :

رجل عمل حسنة ، فهو يرجو قبولها .

ورجل عمل سيئة ، تم تاب ، فهو يرجو المغفرة .

والثالث : الرجل الكاذب ، يتأدى فى الذنوب ، ويقول أرجو المغفرة .

ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه .

وقيل : الرجاء : ثقة الجود من الكريم الودود .

وقيل : الرجاء : رؤية الجلال بعين الجمال .

وقيل : هو قرب القلب من ملاطفة الرب .

وقيل : سرور الفؤاد بحسن المعاد .

وقيل : هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : الخوف ، والرجاء ، هما كجناحي الطائر ، إذا استوبا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهب صار الطائر فى حد الموت .

وسمعتة يقول : سمعت النصر اباذى يقول : سمعت ابن أبى حاتم يقول : سمعت على بن شهرذان يقول : قال أحمد بن عاصم الأنطاكى ، وسئل ماعلامه الرجاء فى العبد ؟ قال :

أن يكون إذا أحاط به الإحسان أظم الشكر ، راجياً لتمام النعمة من الله تعالى عليه فى الدنيا ، وتمام عفوه فى الآخرة .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء : استبشار بوجود فضله .

(١) فى نسخة « يصاحبه الكسل » .

(٢) مرسوم .

وقال : ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من حمل نفسه على الرجاء تعطل ، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ، ولكن من هذه مرة ، ومن هذه مرة .

وسمعتة يقول : حدثنا أبو العباس البغدادى قال : حدثنا الحسن بن صفوان قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدثت عن بكر بن سليم الصواف ، قال : دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها ، فقلنا . يا أبا عبد الله ، كيف تجدك ؟ فقال : ما أدري ما أقول لكم ؛ غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ، ما لم يكن لكم فى حساب ، ثم ما برحنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ : يكاد رجائى لك مع الذنوب ، يغلب رجائى لك مع الأعمال ؛ لأننى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحرزها (١) وأنا بالآفة معروف . . وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .

وكلموا ذا النون المصرى ، وهو فى النزع ، فقال لا تشغلونى ؟ فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى .

وقال يحيى بن معاذ : الهى ، أحلى العطايا فى قلبى رجائوك ، وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك ، وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاءك .

وفى بعض التفاسير « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه ، من باب بنى شيبه ، فرآهم يضحكون فقال : أتضحكون ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ثم مر ، ثم رجع الفهقرى ، وقال : نزل على جبريل ، عليه السلام ، وأتى بقوله تعالى : « نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم » (٢) .

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال : حدثنا أبو الحسن الصفار قال : حدثنا عباس بن تميم قال : حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا مسلم بن سالم قال : حدثنا خارجة بن مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عائشة ، قالت :

(١) أى أحفظها من الآفة .

(٢) آية ١٩ من سورة الطه الطهر الحديث رواه ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، أو يضحك ربنا عز وجل ؟ »

فقال : والذي نفسي بيده ، إنه ليضحك ، فقالت : لا يعد منا خيراً إذا ضحك .
واعلم أن الضحك في وصفه من صفات فعله ، وهو إظهار فضله ، كما يقال : ضحكت الأرض بالنبات^(١) . وضحكه من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف انتظارهم له .

وقيل : إن مجوسياً استضاف^(٢) إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، فقال له : إن أسلمت أضفتك . فقال المجوسى : إذا أسلمت فأى منة تكون لك على ؟ فمر المجوسى ، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم ، عليه السلام : يا إبراهيم ، لم تطعمه إلا بتغييره دينه ؟ . ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا عليك ؟

فمر إبراهيم ، عليه السلام ، خلف المجوسى ، وأضافه ، فقال له المجوسى : أى شىء كان السبب فى الذى بدا لك ؟ فذكر له ذلك ، فقال له المجوسى : أهكذا يعاملنى ؟ ثم قال : أعرض على الإسلام . فأسلم .

سمعت الشيخ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى ، رحمه الله ، أبا سهل الزجاج فى النوم^(٣) ، وكان يقول بوعيد الأبد^(٤) فقال له : كيف حالك ؟

فقال : وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا .

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول : رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف ، فقلت له . يا أستاذ ، بم نلت هذا ؟ ، فقال : بحسن ظنى بربى .

(١) أى أخرجه منها .

(٢) طلب منه أن يضيفه .

(٣) وفى نسخة : فى « المنام » .

(٤) أى أن الله إذا توعد على معصية بعقاب « فلا بد من وقوعه » .

ورئى مالك بن دينار فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك .
قال : قدمت على ربى ، عز وجل ، بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به
تعالى .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال . « بقول الله عز وجل ، أنا عند
ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ،
وإن ذكرنى فى ملاء ، ذكرته فى ملاء هو خير منه ، وإن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه
ذراعاً ، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » (١) .
أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفراينى قال : أخبرنا يعقوب بن
إسحق قال : حدثنا على بن حرب قال : حدثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد ، عن
الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى - صلى الله
عليه وسلم - يقول ذلك .

وقيل : كان ابن المبارك يتأمل « علجا » (٢) مرة ، فدخل وقت صلاة العليج ،
فاستمهله ، فأملهه .

فلما سجد للشمس ، أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه ، فسمع من الهواء قائلا
يقول :

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » (٣) ، فأمسك ... فلما سلم المجوسى ، قال
له : لم أمسكت عما هممت به ؟ فذكر له ما سمع ، فقال له المجوسى :
نعم الرب رب يعاتب وليه فى عدوه . فأسلم . . وحسن إسلامه .
وقيل : إنما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوا .

وقيل : لو قال لا أغفر الذنوب ، لم يذنب مسلم قط ، كما أنه لما قال : « إن
الله لا يغفر أن يشرك به » (٤) لم يشرك مسلم قط ، ولكن لما قال : « ويغفر ما دون
ذلك لمن شاء » طمعوا فى مغفرته .

(٢) الكافر الشديد .

(٤) آية ٤٨ من سورة النساء .

(١) رواه الشيخان بنحوه وابن ماجه كما هنا .

(٣) آية ٣٤ من سورة الإسراء .

ويحكى عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال : كنت أنتظر مدة من الزمن أن يخلو المطاف لى ، فكانت ليلة ظلماء ، فيها مطر شديد فيخلو المطاف ؛ فدخلت للطواف ، وكنت أقول فيه : اللهم أعصمني . اللهم أعصمني ، فسمعت هاتفاً يقول لى يا ابن أدهم ، أنت تسألنى العصمة ، وكل الناس يسألونى العصمة فإذا عصمتكم فمن أرحم .

وقيل : رأى أبو العباس بن شريح ، فى منامه فى مرض موته ، كأن القيامة قد قامت ، وإذا الجبار ، سبحانه ، يقول : أين العلماء ؟ قال : فجاءوا . ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ قال : فقلنا : بارب ، قصرنا ، وأسأنا .

قال : فأعاد السؤال ، كأنه لم يرض به ، وأراد جواباً آخر .

فقلت : أما أنا ، فليس فى صحيفتى الشرك ، وقد وعدت أن تغفر ما دونه .

فقال : إذهبوا فقد غفرت لكم ، ومات بعد ذلك بثلاث ليال .

وقيل : كان رجل شريب^(١) ، جمع قوماً من ندمائه ، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم ، وأمره أن يشتري بها شيئاً من الفواكه للمجلس ، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقيه شيئاً ، ويقول : من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات .

قال : فدفع له الغلام للدراهم ، فقال منصور : ما الذى تريد أن أدعوك به ؟

فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه .

فدعا لى منصور بذلك ، وقال : ما الأخرى ؟ فقال : أن يخلف الله تعالى ،

على دراهمى .

فدعا لى بذلك . ثم قال : وما الأخرى ؟ فقال : أن يتوب الله على سيدى فدعا قال :

وما الأخرى ؟ فقال : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم . فدعا منصور بذلك .

(١) كثير الشرب للخمر .

فرجع الغلام إلى سيده ، فقال له : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة فقال له : وجم دعا ؟ فقال سألت لنفسي للعتق . فقال : اذهب ، فأنت حر . وما الثاني ؟ فقال : أن يخلف الله على الدراهم . فقال : لك أربعة آلاف درهم . فقال : وما الثالث ؟ فقال : أن يتوب الله عليك . فقال : تبت إلى الله تعالى ، فقال : وما الرابع ؟ فقال : أن يغفر الله تعالى لك ولي وللقوم وللمذكر ، فقال : هذا الواحد ليس إلى ، فلما بات ، رأى في المنام كأن قائلاً يقول له : أنت فعلت ما كان إليك ^(١) تراني لا أفعل ما إلى . . قد غفرت لك ، وللغلام ، ولنصور بن عمار ، وللقوم الحاضرين .

وقيل : حج رباح القيسي حجاً كثيرة ، فقال يوماً - وقد وقف تحت الميزاب - .

إلهي وهبت من حجاتي كذا وكذا للرسول صلى الله عليه وسلم وعشرة منها لأصحابه العشرة ، وثلثين لوالدي ، والباقي للمسلمين .

ولم يحبس منها شيئاً لنفسه ، فسمع هاتفاً يقول :

هو ذا يتسخى علينا ؛ لاغفرون لك . ولأبويك ، ولمن شهد شهادة الحق .

وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أنه قال :

رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة . قال فأخذت مكان المرأة وذهبتنا إلى المقبرة . . فصلينا عليها ، ودفناها ، فقلت للمرأة : من كان هذا منك ؟ فقالت : ابني . قلت : أو لم يكن لك جيران ؟ قالت : نعم ، ولكنهم صغروا أمره .

فقلت : وإيش كان هذا ؟ فقالت : مخنثا . . قال ، فرحمته ، وذهبت بها إلى منزلي ، وأعطيتها دراهم ، وحنطة ، وثيابا .

ونمت تلك الليلة ، فرأيت كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة الدر ، وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي ، فقلت من أنت ؟ فقال : المخنث ، الذي دفتموني اليوم ، رحمني ربي باحتقار الناس إياي .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

(١) ما كان في وسعك أن تفعله .

مر أبو عمر البيكندی يوماً بسكة ، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة ، لفساده ، وامرأة تبكى ، قيل إنها أمه ، فرحمها أبو عمرو فتشفع له إليهم وقال : هبوه منى هذه المرة ، فان عاد إلى فسادهم فشانكم فوهبوه منه ، فمضى أبو عمرو ، فلما كان بعد أيام ، اجتاز بتلك السكة ، فسمع بكاء للعجوز من وراء ذلك الباب ، فقال في نفسه : لعل الشاب عاد إلى فسادهم ، فنفي من المحلة .

فدق عليها للباب ، وسألها عن حال الشاب ؛ فخرجت العجوز وقالت له : إنه مات !! ..

فسألها عن حاله ، فقالت ، لما قرب أجله ، قال : لا تخبرى الجيران بموتى ، فلقد آذيتهم ، وإنهم يشمتون بى ، ولا يحضرون جنازتى ، وإذا دفنتنى ، فهذا خاتم لى مكتوب عليه « باسم الله » فادفنيه معى ، فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى عز وجل .

قالت : ففعلت وصيته .. فلما انصرفت عن رأس قبره ، سمعت صوته يقول : انصرفى يا أماه ؛ قدمت على رب كريم .

وقيل : أوحى الله تعالى ، إلى داود ، عليه السلام :

قل لهم : إنى لم أخلقهم لأربح عليهم ، وإنما خلقهم ، ليربحوا على .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا بكر الحربى يقول : سمعت إبراهيم الأطروش يقول :

كنا قعوداً ببغداد ، مع معروف الكرخى ؛ على الدجلة ، إذ مر بنا قوم أحداث فى زورق ، بضربون بالدف ويشربون ، ويلعبون ، فقلنا لمعروف :

أما تراهم كيف يعصون الله تعالى مجاهرين ؟ . أدع الله عليهم .

فرفع يده وقال : إلهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة .

فقالوا : إنما سألناك أن تدعو عليهم ..

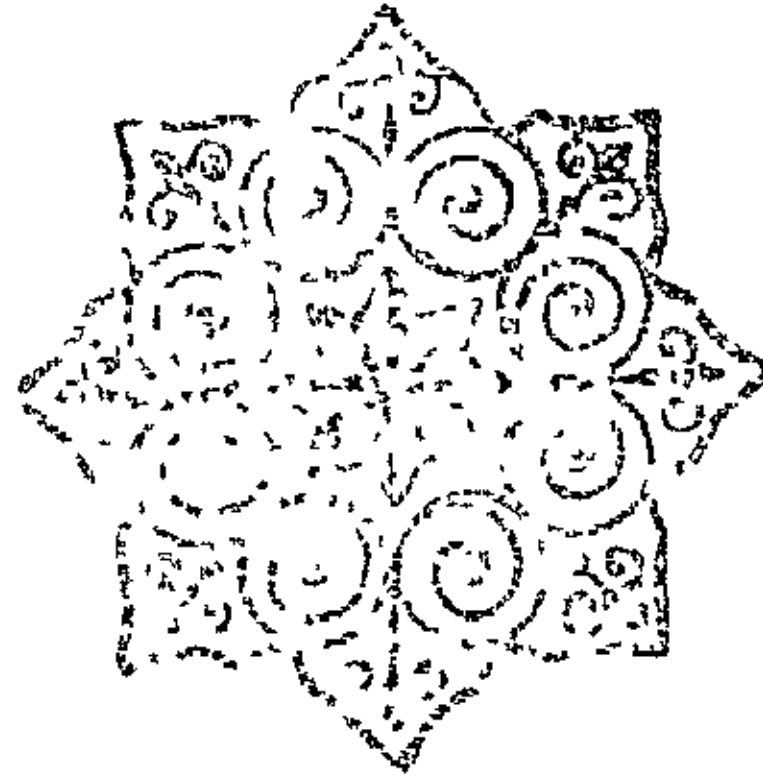
فقال : إذا فرحهم فى الآخرة فقد تاب عليهم .

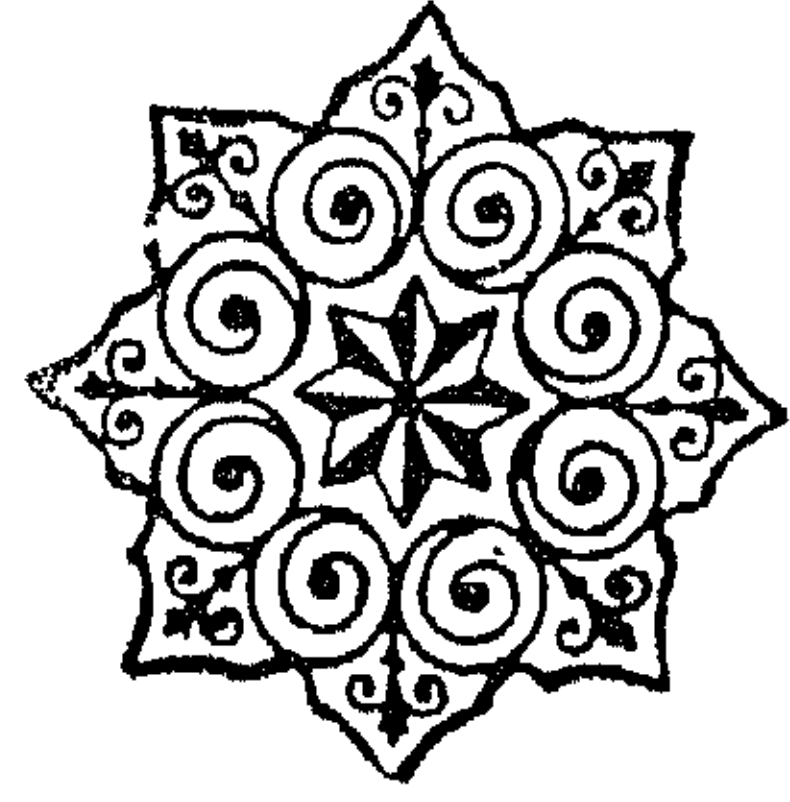
سمعت آبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكي ؛ قال : حدثنا
ابو زكريا يحيى بن محمد^(١) الأديب ؛ قال : حدثنا الفضل بن صدقة قال : حدثنا
أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد ، قال :

كان يحيى بن أكرم القاضي صديقاً لي ، وكان يودني وأوده ، فمات يحيى ،
فكنت أشتهي أن أراه في المنام ، فأقول له : ما فعل الله تعالى بك ، فرأته ليلة في
المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك ؟

قال : غفر لي ، إلا أنه وبخني ، ثم قال لي : يا يحيى ، خلطت على في دار
الدنيا .

فقلت : إى ربى ، إتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش ،
عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنك
قلت ، « إني لأستحي أن أعذب ذا شيبة بالنار » فقال : قد عفوت عنك يا يحيى
وصدق نبي ، إلا أنك خلطت على في دار الدنيا .





الباب الرابع عشر الحزن

- الحزن بكل وجه فضيلة
- ما لم يكن بسبب معصية

باب الحزن

قال الله تعالى : « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » (١) .

أخبرنا على بن أحمد بن عمدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا على بن حبيش قال : حدثنا أحمد بن عيسى قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنا أسامة بن زيد اللتي ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سمعت عطاء بن سار قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من شيء بصيب العبد المؤمن ، من وصب (٢) ، أو نصب (٣) ، أو حزن ، أو لم يهمله (٤) إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته » (٥) .

الحزن : حال يقبض للقلب عن التفرق فى أودية الغفلة .

والحزن من أوصاف أهل السلوك .

سمعت الأستاذ أبا على للدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

صاحب الحزن يقطع من طريق الله فى شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين ، وفى الخبر :

« إن الله يحب كل قلب حزين » .

وفى التوراة :

« إذا أحب الله عبداً جعل فى قلبه نائحة ، وإذا بغض عبداً جعل فى قلبه مزماراً » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الأحزان ، دائم الفكر .

وقال بشر بن الحارث .

(١) آية ٣٤ من سورة فاطر .

(٢) مرض .

(٣) تعب .

(٤) يقلقه .

(٥) رواد الترمذى .

الحزن ملك ، فاذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد .

وقيل :

القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن للدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب .

وقال أبو سعيد القرشي :

بكاء الحزن يعمى ، وبكاء الشوق يعشى البصر ولا يعمى : قال الله تعالى : «وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم» (١) .

وقال ابن خفيف :

الحزن : حصر النفس عن الهوض في الطرب .

وسمعت رابعة العدوية رجلاً يقول : واحزنه . . فقالت : قل : واقلة حزنه ، لو كنت محزوناً لم تهياً لك أن تتنفس .

وقال سفيان بن عيينه : لو أن محزوناً بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه .

وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن ، وكان يقول بالليل : إلهي ، همك عطل على الهموم ، وحال بيني وبين الرقاد .

وكان يقول : « كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت ؟ » .

وقيل : الحزن : يمنع من الطعام ، والخوف : يمنع من الذنوب .

وسئل بعضهم : مم يستدل على حزن الرجل ؟ فقال : بكثرة أنينه .

وقال سري السقطي : وددت أن حزن كل الناس ألقى على .

وتكلم الناس في الحزن ؛ فكلهم قالوا : إنما يحمد حزن الآخرة ، وأما حزن الدنيا فغير محمود ، إلا أبا عثمان الخيري ، فإنه قال :

الحزن بكل وجه فضيلة ، وزيادة للمؤمن ؛ ما لم يكن بسبب معصية ؛ لأنه إن لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً .

وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له :

(١) آية ٨٤ من سورة يوسف .

إن رأيت محزوناً ، فاقرئه من السلام .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون ؟

وكان الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حدث عهد بمصيبة .

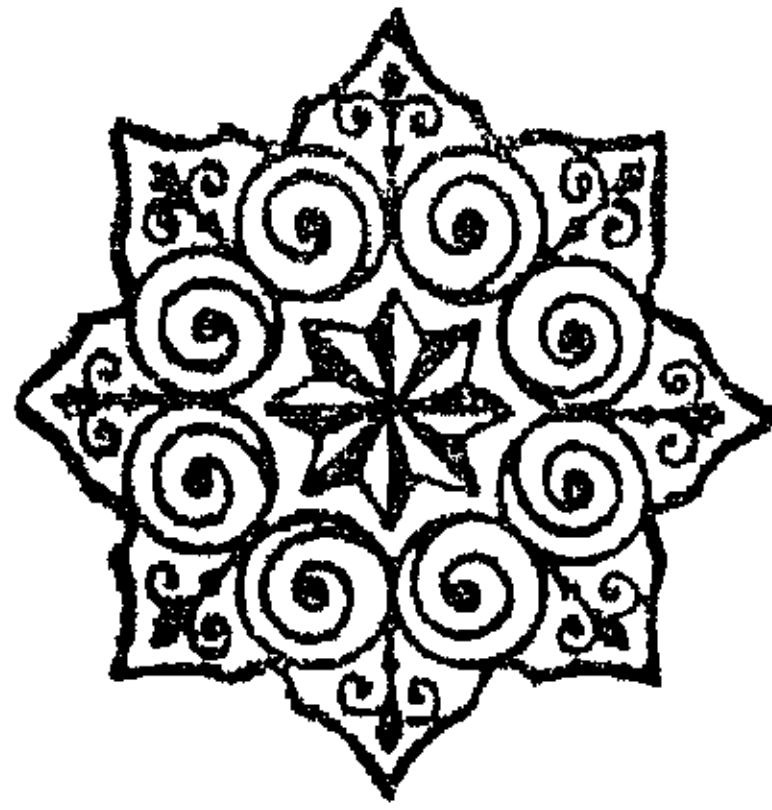
وقال وكيع لما مات الفضيل ، ذهب الحزن اليوم من الأرض .

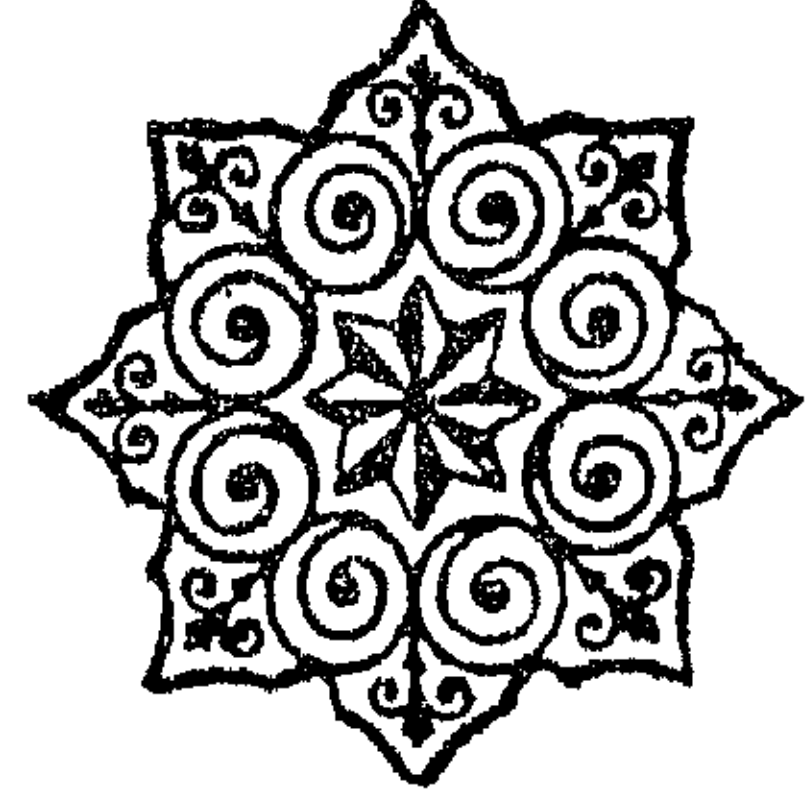
وقال بعض السلف ، أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات المهم ، والحزن .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول ، سمعت علي بن بكران يقول : سمعت محمد بن علي المروزي يقول ، سمعت أحمد بن أبي روح يقول : سمعت أبي يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول . كان السلف يقولون : إن على كل شيء زكاة وزكاة للعقل^(١) طول الحزن .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن أحمد للفراء يقول : سمعت أبا الحسين الوراق يقول ، سألت أبا عثمان الجبيري يوماً عن الحزن فقال :

الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن ، فاجتهد في طلب الحزن ، ثم سل .





الباب الخامس عشر الجوع وترك الشهوة

- الجوع نور •• والشبع نار ••
- والشهوة مثل الخطيئة ••
- يتولد منه الاحتراق ••
- ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه ••

باب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع »^(١) .

تم قال في آخر الآية : « وبشر الصابرين » فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع .

وقال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة »^(٢) .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال : حدثنا عبد الله بن أيوب قال : حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال : حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال : « جاءت فاطمة ، رضى الله عنها ، بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه لكسرة يا فاطمة ؟ » .

قالت : قرص خبزته ، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة .

فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

وفي بعض الروايات : جاءت فاطمة ، رضى الله عنها ، بقرص شعير .

ولهذا كان الجوع من صفات القوم^(٣) ، وهو أحد أركان المجاهدة ؛ فان أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع ، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التيمي يقول : سمعت ابن سالم يقول : أدب الجوع أن لا ينقص^(٤) من عادته إلا مثل أذن السنور .

(٢) خصاصة : فقر وحاجة .

(٤) أى الصوفية .

(١) آية ١٥٥ من سورة البقرة .

(٣) آية ٩ من سورة الحشر .

(٥) أى العبد .

وقيل : كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً ؛
فاذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال ، وكان ينظر كل ليلة على
الماء القراح (١) .

وقال يحيى بن معاذ : لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة
إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره .

أخبرنا محمد بن عبد الله عبيد الله قال : حدثنا علي بن الحسين الأرجاني قال :
حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصبخري بمكة - حرسها الله تعالى - قال :
قال سهل بن عبد الله :

لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع : المعصية والجهل ، وجعل في الجوع :
العلم والحكمة .

وقال يحيى بن معاذ :

الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة . وللعارفين
مكرمة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

دخل بعضهم على بعض الشيوخ ، فرآه يبكي ، فقال له : مالك تبكي ؟
فقال : إني جائع .

فقال : ومثلك يبكي من الجوع ؟

فقال : أسكت ، أما علمت أن مراده من جوعي أن أبكي .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : حدثنا محمد بن بشر قال :
حدثنا الحسين بن منصور قال : حدثنا داود بن معاذ قال : سمعت مخرمداً (٢) يقول :
كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام ، فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ،
ولا يشبع من شيء يأكله .

وسمعت أبا بكر الغزالي يقول : سمعت محمد بن علي يقول :

سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول : دخل أبو تراب النخشي من بادية البصرة مكة - حرسها الله تعالى - فسألناه عن أكله ، فقال : خرجت من البصرة . وأكلت بنجاج^(١) . . تم بذات عرق . . ومن ذات عرق إليكم . فقطع البادية بأكلتين .

وسمعته يقول : حدثنا علي بن النحاس المصري قال : حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال : حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال : حدثنا أحمد بن أبي الحورى قال : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : تجوَّع صنف من الطير أربعين صباحاً ، ثم طاروا في الهواء ، فرجعوا بعد أيام ، فكان يفوح منهم رائحة المسك . وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوى ، وإذا أكل شيئاً ضعف .

وقال أبو عثمان المغربي : الرباني لا يأكل في أربعين يوماً ، والصمداني في ثمانين يوماً .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت محمد بن العلوى يقول : سمعت علي بن إبراهيم القاضي بدمشق ، يقول سمعت محمد بن علي ابن خلف يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : مفتاح الدنيا الشعب ، ومفتاح الآخرة الجوع .

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول : سمعت علي بن الحسين الأرجاني يقول : سمعت أبا محمد الإصطخرى يقول : سمعت سهل بن عبد الله ، وقيل له : الرجل يأكل في اليوم أكلة ، فقال أكل الصديقين . قال : فأكلتين . قال : أكل المؤمنين . قال : فثلاثة : قال : قل لأهلك يبنون لك معلفاً .

وسمعته يقول : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا أبو بكر السائح قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الجوع نور ، والشبع نار ، والشهوة مثل الخطب تتولد منه الاحتراق ، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول : دخل يوماً رجل من الصوفية على شيخ ، فقدم إليه طعاماً . . ثم قال له : منذ كم يوم لم تأكل ؟ .

فقال : منذ خمسة أيام . فقال جوعك جوع بخل ! عليك ثياب وأنت تجوع ؟ .
ليس هذا جوع فقر !!

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول :
سمعت العباس بن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : قال أبو سليمان
لداراني .

لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلى من أن أقوم الليل إلى آخره .
وسمعتة يقول : سمعت أنا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول :
اشتهى أبو الخير العسقلاني السمك سنين ، ثم ظهر له ذلك من موضع حلال ،
فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه ، فذهبت في ذلك يده ،
فقال : يارب ، هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال ، فكيف بمن مد يده بشهوة إلى
حرام ؟ .

سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول :
شغل للعيال (١) نتيجة متابعة الشهوة بالحلال . فما ظنك بقضية شهوة الحرام ؟ .
سمعت رستم الشيرازي للصوفي يقول : كان أبو عبد الله بن خفيف في دعوة ،
فقد واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ ، لما كان به من الفاقة ، فأراد بعض
أصحاب الشيخ أن ينكروا عليه لسوء أدبه ، حيث مد يده إلى الطعام قبل الشيخ ،
فوضع شيئاً بين يدي هذا الفقير ، فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه ، فاعتقد (٢) أن
لا يأكل خمسة عشر يوماً ، عقوبة لنفسه ، وتأديباً لها ، وإظهاراً لتوبته من سوء أدبه .
وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : حدثنا أبو الفرج اللورثاني قال : حدثنا
عبد الله بن محمد بن جعفر ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث ، قال :
حدثنا سليمان بن داود قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول :
من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق (٣) للشيطان من ظله .

وسمعتة يقول : سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول : سمعت أبا علي
للروذباري يقول :

(٢) عزم .

(١) أي الاشتغال بهم .

(٣) يفرق : يخاف ، وفي نسخة « يفر » .

إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ، وأمروه بالكسب .
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ، حاكياً عن بعض المشايخ أنه قال :
إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم ، فلذلك افتضحوا .

وسمعتة يقول : قيل لبعضهم : ألا تشتهي ؟ . فقال : أشتهى ولكن أحتمي .
قال : وقيل لبعضهم : ألا نشتهي ؟ فقال : أشتهى أن لا أشتهى . وهذا أتم .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : أخبرنا أحمد بن منصور قال :
أخبرنا ابن مخلد قال : حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال : سمعت
أبا نصر التمار ، يقول :

أتاني بشر ليلة ، فقلت : الحمد لله الذي جاء بك ، جاءنا قطن من خراسان ،
فغزلته للبنت ، وباعته ، واشترت لنا لحماً ، فتفطر عندنا .

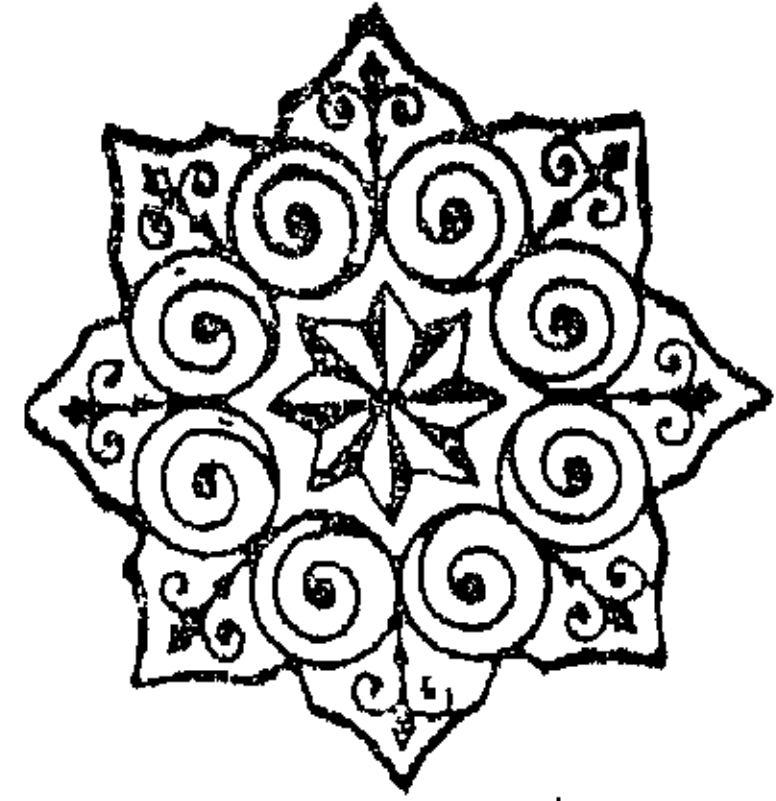
فقال : لو أكلت عند أحد أكلت عندهم . ثم قال : إني لأشتهى الباذنجان منذ
سنين ، ولم يتفق لي أكله . . فقلت : إن فيها الباذنجان من الحلال . فقال : حتى
يصفو لي حب الباذنجان .

سمعت عبد الله بن باكويه الصوفي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد
الصغير يقول :

أمرني أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب ، لإفطاره ،
فليلة أشفقت عليه ، فحملت إليه خمسين عشرة حبة ، فنظر إلى وقال :
من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر حبات ، وترك الباقي .

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن
محمد بن عبد الله بن الفرغاني يقول : سمعت أبا الحسين الرازي يقول : سمعت
يوسف بن الحسين يقول : سمعت أبا تراب النخشي يقول :

ما تمنعت نفسي من الشهوات ، إلا مرة واحدة ، تمننت خبزاً وبيضاً وأنا في
سفر ، فعدلت إلى قرية ، فقام واحد وتعلق بي وقال : هذا كان مع اللصوص .
فضربوني سبعين درة . ثم عرفني رجل منهم ، فقال : هذا أبو تراب النخشي . .
فاعتذروا لي ، فحملني رجل إلى منزله ، إكراماً لي ، وشفقة علي . . وقدم لي
خبزاً وبيضاً ، فقلت لنفسي : كلي بعد سبعين درة ! !



الباب السادس عشر الخشوع والتواضع

الخشوع من خمدت نيران
شهوته .. وسكن دخان
صدره .. وأشرق نور
التعظيم في قلبه .. فماتت
شهوته ..

باب الخشوع والتواضع

قال الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » (١) .

أخبرني أبو الحسن عبد الرحم بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى ، قال : أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ، قال حدثنا علي بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن حماد قال : حدثنا شعبة ، عن أبان بن ثعلب ، عن فضل الفقيمي ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة بن قيس ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فقال رجل : يا رسول الله ، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً . فقال : إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، الكبر من بطل الحق (٢) ، وغمص (٣) الناس » .

وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال : حدثنا علي بن مسهر ، عن مسلم الأعور ، عن أنس بن مالك ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ، ويشيع الجنائز ، ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف ، عليه إكاف (٤) من ليف » .

الخشوع : الانقياد للحق .

والتواضع : هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم .

وقال حذيفة : أول ما تفقدون من دينكم : للخشوع .

وسئل بعضهم عن الخشوع ، فقال :

الخشوع : قيام القلب بن يدى الحق ، سبحانه ، بهم (٥) مجموع .

(١) آية ١ ، ٢ من سورة المؤمنون .

(٢) أى : رده وإبطاله .

(٣) غمص احتقار والحديث رواه مسلم .

(٤) بردعة .

(٥) أى بهمة عظيمة .

وقال : من علامات الخشوع للعبد : أنه إذا أغضب أو خولف ، أو رد عليه أن يستقبل ذلك بالقبول .

وقال بعضهم : خشوع القلب : قيد العيون عن النظر .

وقال محمد بن علي الترمذي : الخاشع : من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم في قلبه ، فماتت شهوته ، وحي قلبه ؛ فخشعت جوارحه .

وقال الحسن البصري : الخشوع : الخوف الدائم لللازم للقلب .

وسئل الجنيد عن الخشوع ، فقال : تذلل القلوب لعلام الغيوب .

قال الله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً » (١) سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول ما معناه : متواضعين ، متخاشعين . وسمعته يقول : هم الذين لا يستحسنون شمع نعالهم إذا مشوا .

واتفقوا على أن الخشوع محله القلب .

ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر ، منكسر الشاهد (٢) ، قد زوى (٣) منكبيه ، فقال له :

يا فلان ، الخشوع ها هنا ، وأشار إلى صدره ، لا ها هنا وأشار إلى منكبيه . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً بعبث في صلاته بلحيته ، فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (٤) .

وقيل ، شرط الخشوع ، في الصلاة أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله .

قال الأستاذ الإمام : ويحتمل أن يقال ،

الخشوع ، إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه وتعالى .

ويقال ، الخشوع ، ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب .

ويقال ، الخشوع ، ذوبان القلب وانحناسه عند سلطان الحقيقة .

ويقال ، الخشوع ، مقدمات غلبات الهيبة .

(١) آية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٢) أي غاض البصر .

(٣) جمع .

(٤) رواه الحكيم عن أبي هريرة بسند ضعيف .

ويقال : الخشوع : قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة .
وقال الفضيل بن عياض : كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه .

وقال أبو سليمان الداراني : لو اجتمع الناس على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي لما قدروا عليه .

وقبل : من لم تتضع عند نفسه لم يتضع عند غيره .
وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصري ، قال :
حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن يزيد الفرائضي ، قال :
حدثنا محمد بن كثير ، وهو المصيصي ، عن هارون بن حيان ، عن حصيف ،
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » (١) .

وقال مجاهد ، رحمه الله : لما أغرق الله سبحانه ، قوم نوح شمخت الجبال ،
وتواضع الجودي (٢) ، فجعله الله سبحانه ، قراراً لسفينة نوح عليه السلام .

وكان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أسرع في المشى ، ويقول : إنه
أسرع للحاجة ، وأبعد من الزهو .

وكان عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، يكتب ليلة شيئاً ، وعنده ضيف ،
فكاد السراج ينطفئ ، فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ، فقال :

لا ، ليس من الكرم استخدام (٣) الضيف .

قال : فأنبه الغلام .

قال : لا ، هي أول نومة نامها .

فقام إلى البطة (٤) ، وجعل الدهن في المصباح ، فقال الضيف :

قمت بنفسك يا أمير المؤمنين !

(١) رواد مسلم .

(٢) جبل .

(٣) وفي نسخة « استعمال » .

(٤) إلى فيه الدهن .

فقال له عمر : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر .

وروى أبو سعيد الخدري ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان بعلف البعير ، ويقم^(١) البيت ، ويخصف^(٢) النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، وبأكل مع الخادم ، ويطحن معه إذا أعيأ^(٣) ، وكان لا يمنع الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، ولا يحتقر ما دعى إليه ، ولو إلى حشف^(٤) التمر ، وكان هين المئونة^(٥) ، لين الخلق ؛ كريم للطبيعة^(٦) جميل المعاشرة ، طلق الوجه بساماً من غير ضحك ، محزوناً من غير عبوسة ؛ متواضعاً من غير مذلة ؛ جواداً من غير سرف ؛ رقيق القلب ؛ رحماً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ؛ ولم يمد يده إلى طمع » .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ؛ رحمه الله يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : قراء الرحمن ، عز وجل ، أصحاب خشوع وتواضع ، وقراء القضاة^(٧) أصحاب عجب وتكبر .

وقال الفضيل بن عياض : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب .
وسئل الفضيل عن التواضع ، فقال : تخضع للحق ، وتنقاد له ، وتقبله ممن قاله .

وقال الفضيل : أوحى الله ؛ سبحانه وتعالى ؛ إلى الجبال : أنى مكلم على واحد منكم نبياً . فتطاولت الجبال ؛ وتواضع « طور سينا » ؛ فكلم الله سبحانه عليه موسى ، عليه السلام ، لتواضعه .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر ، يقول : سمعت ابراهيم بن فاتك ، يقول : سئل الجنيد عن التواضع ؛ فقال :
خفض الجناح للخلق : ولين الجانب لهم .

(٣) تعبه .

(٢) يخرز .

(١) يكنسه .

(٤) أبدأ التمر ؛ وهو الذى يجهف من غير نصيح ولا إدراله .

(٥) أى يرضى بما ليس منها ولا يتكلف الزيادة . (٦) أى كرمياً بجهلياً بدون تكلف .

(٧) الولاة .

وقال وهب : مكتوب في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب : « إني أخرجت الذر^(١) من صلب آدم ، فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى ، عليه السلام ، فلذلك اصطفيته وكلمته » .

وقال ابن المبارك : التكبر على الأغنياء ، والتواضع للفقراء من التواضع .

وقيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعاً ؟

فقال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ؛ ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه .

وقيل : التواضع نعمة لا يحسد عليها ، والكبر محنة لا يرحم عليها . والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول : سمعت ابراهيم بن شيبان يقول : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والحرية في القناعة .

وسمعت أيضاً يقول : سمعت الحسن الساوى يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول :

بلغنى أن سفيان الثورى قال : أعز الخلق خمسة أنفس :

عالم زاهد ، وفقه صوفى ، وغنى متواضع ، وفقير شاكر ، وشريف سنى .

وقال بحى بن معاذ : التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن ، والتكبر سمج في كل أحد لكنه في الفقراء أسمج . . .

وقال ابن عطاء : التواضع : قبول الحق ممن كان .

وقيل : ركب زيد بن ثابت ، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه ، فقال له :

مه^(٢) يا ابن عم رسول الله . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت :

يا أمير المؤمنين ، لا ينبغي لك هذا ! !

(٢) اكفف وامتنع .

(١) أى بنى آدم .

فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين ، دخلت في نفسي نخوة^(١) فأحببت أن أكسرهما . . . ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها .
سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول :
رئي أبوهريرة ، وهو أمير المدينة ، وعلى ظهره حزمة حطب ، وهو يقول :
طرقوا^(٢) للأمير .

وقال عبد الله الرازي : التواضع ترك التمييز في الخدمة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول : سمعت محمد بن العباس الدمشقي يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول :
من رأى لنفسه قيمة لم يندق حلاوة للخدمة .

وقال يحيى بن معاذ : التكبر^(٣) على من تكبر عليك بماله تواضع .

وقال الشبلي رحمه الله : ذلي عطل ذل اليهود^(٤) .

وجاءه رجل ، فقال له الشبلي : ما أنت ؟

فقال : يا سيدي النقطة التي تحت الباء^(٥) .

فقال له : أنت شاهدي^(٦) ، ما لم تجعل لنفسك مقاماً .

وقال ابن عباس ، رضى الله عنهما ، : من التواضع أن شرب الرجل من
سؤره^(٧) أخيه .

وقال بشر : سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم .

وقال شعيب بن حرب : بينا أنا في الطواف إذ لكزني إنسان بمرفقه ، فالتفت إليه ، فاذا هو الفضيل بن عياض ، فقال : يا أبا صالح إن كنت تظن أنه شهد الموسم
شر مني ومنك فبئس ما ظننت ! !

(١) كبر وعظمة .

(٢) أوسعوا الطريق .

(٣) المقصود به الإعراض .

(٤) ذل اليهود المذكور في قوله تعالى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا . والمعنى : أن ذلي في نفسي أعظم من ذل اليهود في أنفسهم ، لأن دهم قهري ، وذلي عن علم بما عليه نفسي من النقص .

(٥) فتميز الباء عن غيرها من الحروف كذلك حاله متميزاً عن غيره من المحلوقات .

(٦) حاضري يعنى : حالك مستقيم .

(٧) بقية مشروب .

وقال بعضهم : رأيت في الطواف إنساناً بن يديه « شاكراً »^(١) ممنعون الناس لأجله عن الطواف . . ثم رأيت بعد ذلك ممدّة على جسر بغداد بسأل الناس شيئاً . . فتعجبت منه . . ، فقال لي :

أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك ، فابتلاني الله ، سبحانه ، بالتدلل في موضع يترفع فيه الناس .

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم . . فكتب إليه عمر :

« بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فبعه الخاتم ، وأشع ألف بطن واتخذ خاتماً من درهمين ، واجعل فيه حديدًا صينيًا ، واكتب عليه « رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه » .

وقيل : عرض على بعض الأمراء مملوك بألف درهم ، فلما أحضر الثمن استكثره فبداله في شرائه . فرد الثمن إلى الخزانة . فقال العبد :

يا مولاي ، اشترني ، فإن في كل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوي أكبر من ألف درهم ، فقال : وما هي ؟ فقال : أقلها وأدناها مالوا اشتريتني وقدمتني على جمع ممالكك لا أغلظ في نفسي ، واعلم أنني أنا عبدك . فاشتراه .

وحكى عن رجاء بن حيوة أنه قال : قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهماً ، وكانت : قباء ، وعمامة ، وقميصاً ، وسراويل ، وخفين ، وقلنسوة .

وقيل : مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشياً لا يحمد^(٢) فقال له أبوه : وتدرى بكم اشتريت أملك : بثلاثمائة درهم ، وأبوك لا أكثر الله في المسلمين مثله أباً ، وأنت تمشي هذه المشية ! !

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن الفراء يقول : سمعت عبد الله ابن منازل يقول : سمعت حمدون القصار يقول :

(١) أي : يشكره ويمدحونه .

(٢) متخفراً .

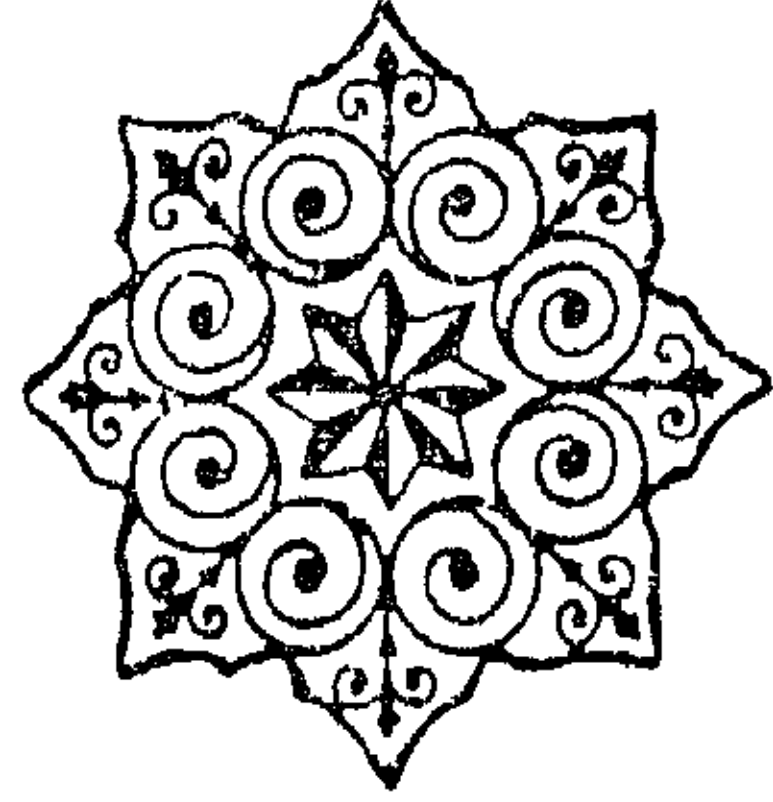
للتواضع : أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة ، لا في الدين ، ولا في الدنيا .
وقال إبراهيم بن أدهم : ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات :
مرة كنت في سفينة ، وفيها رجل مضحك^(١) كان يقول : كنا نأخذ العاج^(٢) في بلاد الترك هكذا (وكان يأخذ شعر رأسي ، ويهزني) ؛ فيسرني ذلك ؛ لأنه لم يكن في السفينة أحد أحقر في عينه مني .
والأخرى : كنت عليلاً في مسجد ، فدخل المؤذن ، وقال أخرج . . فلم أطق ، فأخذ برجلي وجرتني إلى خارج المسجد .
والثالثة : كنت بالشام ، وعلى فرو ، فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين اللقمل ؛ لكثرة ، فسرنى ذلك .
وفي حكاية أخرى عنه قال : ما سررت بشيء كسرورى أنى كنت يوماً جالساً فجاء إنسان وبال على .
وقيل : تشاجر أبو ذر وبلال ، رضى الله عنهما ، فعبر أبو ذر بلالا بالسواد . . فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا ذر ، إنه بقى في قلبك من كبر الجاهلية شيء .
فأتى أبو ذر نفسه . . . وحلف أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه . . فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك .
ومر الحسن بن علي ، رضى الله عنهما ، بصبيان معهم كسر خبز ، فاستضافوه ، فنزل ، وأكل معهم . . . تم حملهم إلى منزلة ، وأطعمهم ، وكساهم ، وقال : اليد^(٣) لهم ، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ، ونحن نجد أكثر منه .
وقيل : قسم عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الحلل بين الصحابة من غنيمة ، فبعث إلى معاذ حلة يمانية ، فباعها واشترى ستة أعبد ، وأعتقهم . فبلغ عمر ذلك ، فكان يقسم الحلل بعده ؛ فبعث إليه حلة دون تلك ، فعاتبه معاذ ، فقال له عمر : لا معاتبة ، لأنك بعت الأولى .
فقال معاذ : وما عليك . . ادفع إلى نصيبي ، وقد حلفت لأضربن بها رأسك^(٤) .
فقال عمر : هذا رأسي بين يديك ، وقد يرفق الشيخ بالشيخ .

(١) كثير الضحك .

(٢) الرجل من الكفار .

(٣) النعمة .

(٤) أى لأضربن رأسك بهذه الحلة .



الباب السابع عشر مخالفة النفس وذكر عيوبها

- جرد أولا قلبك عن السهو
- ونفسك عن اللهو ••
- ولسانك عن اللغو
- ثم اسلك حيث شئت ••

باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ؛ فإن الجنة هي المأوى » (١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد قال : أخبرنا تمام قال : حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال : حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن أبي لهب ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أخوف ما أخاف على أمتي : إتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما إتباع الهوى فيصعد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة » (٢) .

تم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة . . وقد سئل المشايخ عن الإسلام ، فقالوا : ذبح النفس سيوف المخالفة .

واعلم أن من نجمت طوارق نفسه (٣) أفلت (٤) شوارق أنسه .

وقال ذو النون المصري : مفتاح العبادة : الفكرة ، وعلامة الإصابة : مخالفة النفس والهوى ، ومخالفتهما ترك شهواتهما .

وقال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة الأدب ، فالنفس تجرى بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردّها بجهد عن سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : النفس الأمانة بالسوء : هي الداعية إلى المهالك ، المعينة للأعداء المتبعة للهوى ، المهمة بأصناف الأسواء .

(١) آية ٤٠ من سورة النازعات .

(٢) رواه ابن على عن جابر بسند ضعيف .

(٣) طلعت آثار خواطره .

(٤) غربت من قلبه .

وقال أبو حفص : من لم يهتم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها .

وكيف يصح لعقل : الرضا عن نفسه ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الحلي ، يقول : « وما أرى نفسي ، إن النفس لأماراة بالسوء » .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول : سمعت ابن عطاء يقول : قال الجنيد : أرقّت ليلة ، فقمّت إلى وردى^(١) ، فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة والتلذذ بمناجاتي لربي ، فتحبرت ، فأردت أن أنام ، فلم أقدر عليه ، ففقدت . . فلم أطق القعود ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق . . فلما أحس بي . . رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم ، إلى الساعة^(٢) فقلت : يا سيدي من غير موعد؟ فقال : بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك^(٣) .

فقلت : فقد فعل فما حاجتك؟

فقال : متى يصير داء النفس دواءها؟

فقلت : إذا خالفت هواها صار دأؤها دواءها .

فأقبل على نفسه ، وقال اسمعي ، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ، فقد سمعت ، وانصرف عني ولم أعرفه . ولم أقف عليه بعد .

وقال أبو بكر الطمستاني : النعمة العظمى : الخروج من النفس ؛ لأن أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل .

وقال سهل بن عبد الله : ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله

(٢) أي تأخرت عني .

(١) من الصلاة .

(٣) أي فالوقت الذي طلبتك فيه منه هو أول ماحركك ، فهو الموعد .

يقول : سمعت ابا عمر الأنماطي يقول : سمعت ابن عطاء ، وقد سئل عن اقرب شيء إلى مقت الله تعالى ، فقال :

رؤية النفس وأحوالها ، وأشد من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها^(١) .

وسمعه يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : كنت في جبل « اللكام »^(٢) فرأيت رماناً فاشتيتته . . فدنوت منه ، فأخذت منه واحدة ، فشققتها ، فوجدتها حامضة ، فمضيت ، وتركت الرمان ، فرأيت رجلاً مطروحاً . . قد اجتمع عليه الزنابير ، فقلت : السلام عليك . فقال : وعليك السلام يا إبراهيم ، فقلت له : وكيف عرفتنى ؟ فقال : من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء . فقلت : أرى لك حالا مع الله تعالى ، فلو سألته أن يحملك ويقيك الأذى من هذه الزنابير ؟ . فقال : وأنا أرى لك حالا مع الله تعالى ، فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان . . فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا . فتركته ، ومضيت .

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال : مابت تحت سقف ، ولا في موضع عليه غلق أربعين سنة ، وكنت أشتهى في أوقات أن أتناول شبة عدس ، فلم يتفق . . فكنت وقتاً بالشام ، فحمل إلى غضارة^(٣) فيها عدس ، فتناولت منه ، وخرجت . . فرأيت قوارير^(٤) معلقة فيها شيء شبه « نموذجات »^(٥) . . فظنننه خلا . . فقال لي بعض الناس : إيش تنظر . . هذه نموذجات الحمر ؛ وهذه الدنان خمر .

فقلت في نفسي : لزمى فرض . . فدخلت حانوت الحمار ، ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنى أصبها بأمر السلطان . فلما علم ، حملني إلى ابن طولون . . فأمر بضربي مائتي خشبة . . وطرحني في السجن . . فبقيت فيه مدة ، حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذى ذلك البلد ؛ فشفع لى ، فلما وقع بصره على ، قال : إيش فعلت ؟ فقلت : شبة عدس ومائتي خشبة فقال لى : نجوت مجاناً^(٦) .

(١) أى تطلع المبدأ إلى الجزاء على أعماله وفي نسخة : ومعه ومطالعة الأعراض .

(٢) بلدة بالشام .

(٣) آية من بلين .

(٤) آية من زجاج .

(٥) أى بلا عقوبة في الآخرة بعد هذه العقوبة الدنيوية .

(٥) فطرات من مائع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس
البغدادي يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري
السقطي يقول :

إن نفسى تطالبني ، منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، أن أغمس جزرة في دبس^(١)
فما أطعتها^(٢) .

وسمعتة يقول : سمعت جدى يقول : آفة العبد : رضاه من نفسه بما هو فيه .

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت الحسين بن
على القرمسنى يقول : وجه عصام بن يوسف البلخى شيئاً إلى حاتم الأصم ، فقبله منه .
فقليل له : لم قبلته ؟ .

فقال : وجدت في أخذه ذلى وعزه ، وفي رده عزى وذله ؛ فاخترت عزه على
عزى وذلى على ذله .

وقيل لبعضهم : إني أريد أن أحج على التجريد .

فقال له : جرد أولاً قلبك عن السهو ، ونفسك عن اللهو ؛ ولسانك عن
الغو ، ثم اسلك حيث شئت .

وقال أبو سليمان الداراني :

من أحسن في ليله كوفىء في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفىء في ليله ، ومن
صدق في ترك شهوة كفى مؤنتها ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله .

وأوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام :

يادادود ، حذر ، وأنذر أصحابك أكل الشهوات ؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات
للدنيا عقولها عنى محجوبة .

ورئى رجل جالساً^(٣) في الهواء ، فقليل له : بم نلت هذا ؟

فقال : تركت الهوى فسخر لى الهواء .

(٢) وفي نسخة « فمأطعتها » .

(١) الدبس : غسل الثمر وغسل النحل .

(٣) وفي نسخة « جالس » .

وقيل : لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ، ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف .

وقيل : لا تضع زمامك في يد الهوى ، فانه يقودك إلى الظلمة .

وقال يوسف بن أسباط : لا تمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج^(١) أو شوق مقلق^(٢) .

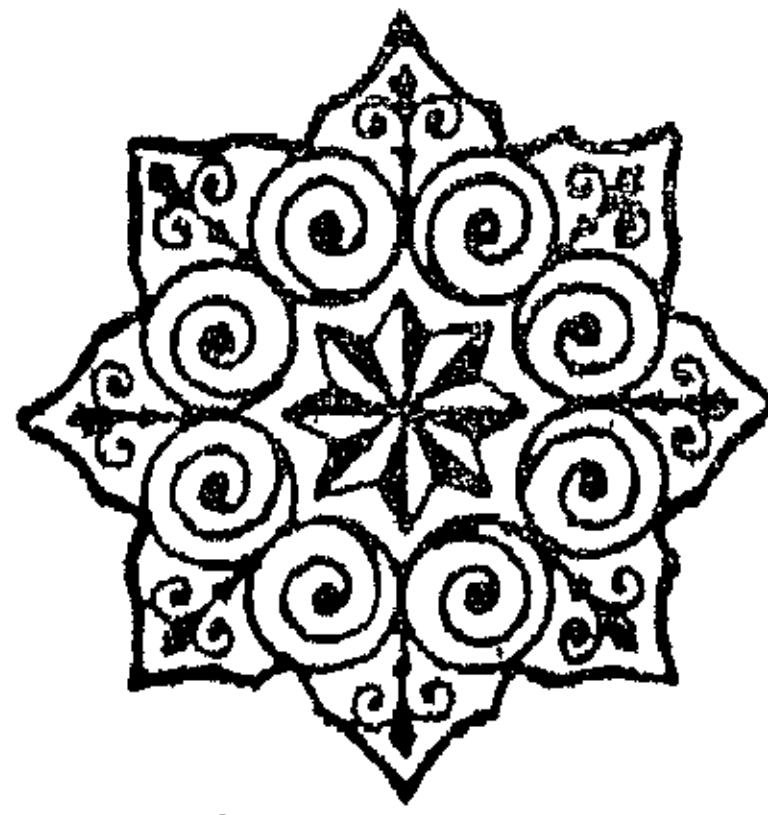
وقال الخواص : من ترك شهوة ، فلم يجد عوضها في قلبه ، فهو كاذب في تركها .

وقال جعفر بن نصر : دفع إلى الجنيد درهماً ، وقال : اشتر لي به التين والوزيري فاشتريته له ، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ، ثم ألقاها ، وبكى ، وقال : أحمله .

فقلت له في ذلك . فقال : هتف في قلبي أما تستحي ؟ شهوة تركتها من أجل^(٣) ثم تعود إليها .

وأنشدوا :

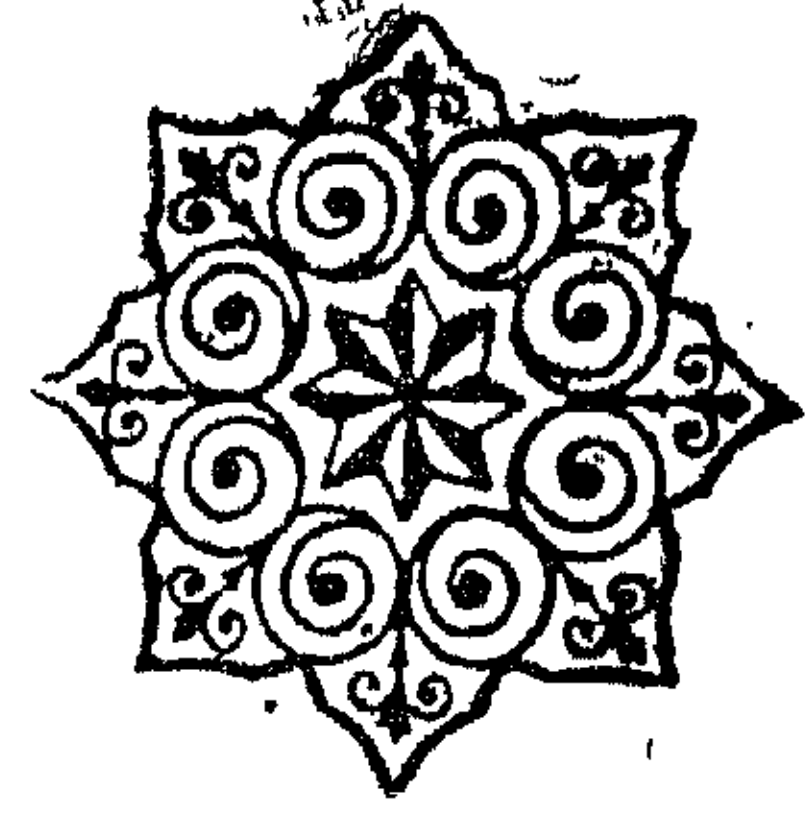
نون الهوان من الهوى مسروقة وصرير كل هوى صرير هوان
واعلم أن للنفس أخلاقاً ذميمة ، فمن ذلك : الحسد .



(١) كامل .

(٢) قوى .

(٣) في نسخة «من أجله» .



الباب الثامن عشر

الحاسد

من علامات الحاسد .. أن
يتملق إذا شهد .. ويفتأب
إذا غاب .. ويشمت بالمصيبة
إذا نزلت .. !!

باب الحسد

قال الله تعالى : « قل أعوذ برب الفلق ؛ من شر ما خلق » .

ثم قال « ومن شر حاسد إذا حسد » .

فختم السورة التي جعلها عوذة^(١) بذكر الحسد .

أخبرنا أبو الحسين الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا إسماعيل بن الفضل قال : حدثنا يحيى بن مخلد ، قال : حدثنا معاذ بن عمران ، عن الحارث بن شهاب ، عن معبد ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن :

إياكم والكبر ؛ فان إبليس حملة الكبر على أن لا يسجد لآدم .

وإياكم والحرص ؛ فان آدم حملة الحرص على أن أكل من الشجرة .

وإياكم والحسد ؛ فان ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً^(٢) .

وقال بعضهم : الحاسد جاحد ؛ لأنه لا يرضى بقضاء الواحد .

وقيل : الحسود لا يسود .

وقيل في قوله تعالى : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »^(٣) ، قيل ما بطن : الحسد . وفي بعض الكتب : الحاسد عدو نعمي .

وقيل : أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك .

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً أتى عليه مائة وعشرون سنة ، فقلت له : ما أطول عمرك ...

فقال : تركت الحسد فبقيت .

وقال ابن المبارك : الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميرى ما جعله في قلب حاسدي .

(١) عوذة بفتح العين وضمة هاء ؛ أي : تعويذاً . (٢) رواه ابن عساكر عن ابن مسعود .

(٣) آية ٣٣ من سورة الأعراف .

و في بعض الآثار (١) إن في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد ؛ له ضوء كضوء الشمس ، فيقول له الملك : قف فأنا ملك الحسد . اضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد .

وقال معاوية : كل إنسان أقدر على أن أرضيه ، إلا الحاسد ، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة .

ونقال : الحاسد ظالم غشوم ، لا يبقى ولا نذر .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد : غم دائم ونفس متتابع .

وقيل : من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ، ويغتتاب إذا غاب ، وبشمت بالمصيبة إذا نزلت .

وقال معاوية : ليس في خلال (٢) الشر خلة أعدل من الحسد ، تقتل الحاسد قبل المحسود (٣) .

وقيل : أوحى الله سبحانه ، إلى سليمان بن داود ، عليهما السلام : أوصيك بسعة أشياء : لا تغتابن صالح عبادي ، ولا تحسدن أحداً من عبادي . . فقال سليمان :
بارب ، حسبي !!

وقيل : رأى موسى عليه السلام ، رجلاً عند العرش فغبطه (٤) . فقال : ما صفته ؟ .
فقيل :

كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .

وقيل : الحاسد إذا رأى نعمة بهت ، وإذا رأى عثرة شمت .

وقيل : إذا أردت أن تسلم من الحاسد ، فلبس عليه أمر (٥) .

وقيل : الحاسد مغتاض على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه .

(١) وفي نسخة « الأخبار »

(٢) خصال .

(٣) وفي « نسخة يقتل الحاسد » أي : هما وغما ، كما قتل المحسود أي : يزوال . نعمه أن زالت .

(٥) أي أسر نعم الله عليك .

(٤) أي تمنى أن ينال مثل ما ناله .

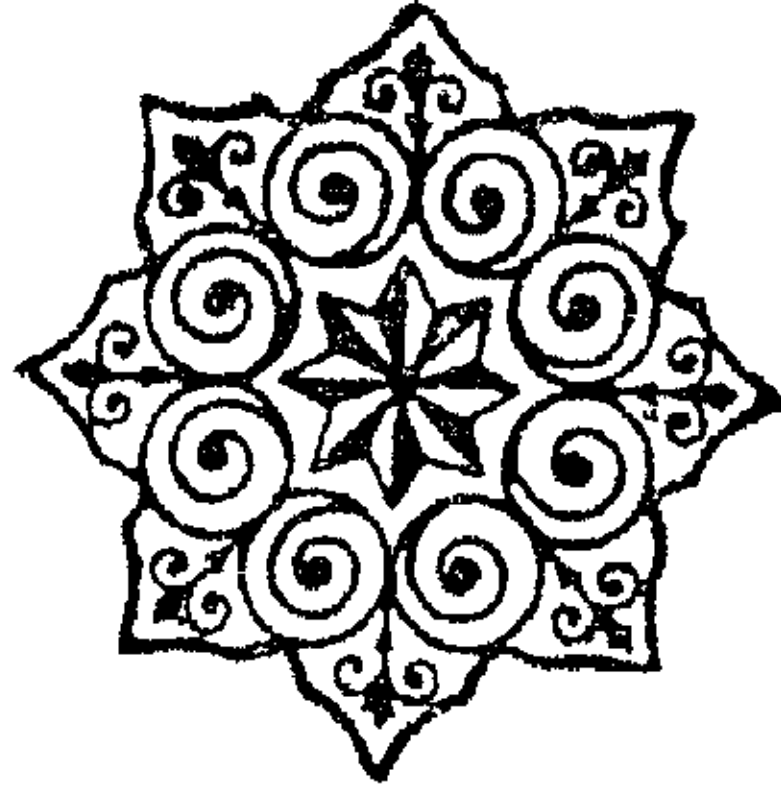
وقيل : إياك أن تتعنى (١) في مودة من يحسدك ، فانه لا يقبل إحسانك .
وقيل : إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسده :
وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرى ترى حاسديه له راحمين
وأنشدوا :

كل العداوة قد ترجى إمامتها (٢) إلا عداوة من عاداك من حسد
وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس : طعنة (٣) باظالمأ وكأنه مظلوم
وأنشدوا :

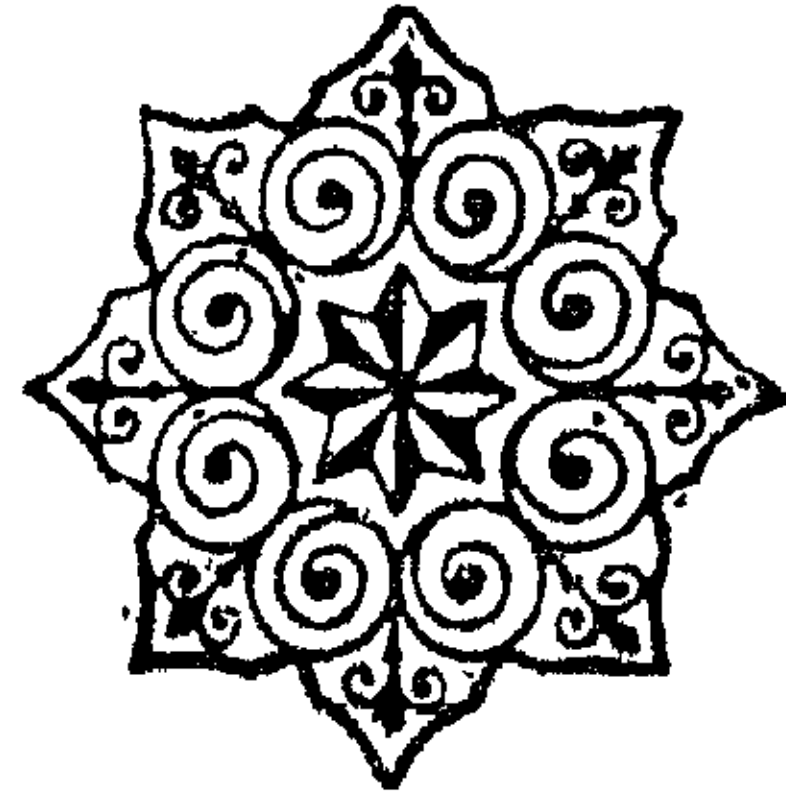
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
ومن الأخلاق المدمومة للنفس : اعتياد الغيبة .



(٢) وفي نسخة « مودتها » .

(١) تمنع نفسك .

(٣) أى : درفك الله بطعنة .



الباب التاسع عشر الغيبية

من القى جلباب
الحياء .. فلا غيبة له ..

باب الغيبة

قال الله سبحانه : « ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » (١) . . الآية .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسين بن الخليل ، قال : حدثنا علي بن الحسن قال : حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند ، قال حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن موسى ابن وردان ، عن أبي هريرة : أن رجلاً قام ، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك جالس ، فقال بعض القوم : ما أعجز فلاناً .. ، فقال صلى الله عليه وسلم : أكلم أخاكم واغتبتموه (٢) .

وأوحى الله ، سبحانه — إلى موسى عليه السلام — :

« من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصرأً عليها فهو أول من يدخل النار » .

وقال عوف : دخلت على ابن سيرين ، فتناولت الحجاج (٣) ، فقال ابن سيرين : إن الله ، تعالى ، حكم عدل ؛ فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج ، وإنك إذا لقيت الله عز وجل غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

وقيل : دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة ، فحضر ، فذكروا رجلاً لم يأتهم ، فقالوا : إنه ثقيل . . فقال إبراهيم : إنما فعل بي هذا نفسي ، حيث حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس ، فخرج ، ولم يأكل ثلاثة أيام .

وقيل : مثل الذي يغتاب الناس ، كمثل من نصب « منجنيقاً » ، يرمى به حسناته شرقاً وغرباً ، يغتاب واحداً خراسانياً ، وآخر تركياً ، فيفرق حسناته ، ويقوم لا شيء معه !!

(١) آية ١٢ من سورة الحجرات .

(٢) اغتبتته .

(٣) دواء أبو يحيى والطبراني .

وقيل : يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ، فلا يرى فيه حسنة ، فيقول : ابن صلاتي ، وصيامي ، وطاعتي . . . فيقال :
ذهب عملك كله .

وقيل : من اغتیب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه .
وقال سفيان بن الحسين : كنت جالسا عند إياس بن معاوية ، فقلت من إنسان . .
فقال لي : هل غزوت في هذا العام للرك والروم ؟ . فقلت : لا .
فقال : سلم منك الرك والروم ، وما سلم منك أخوك المسلم ؟
وقيل : يعطى الرجل كتابه . . فيرى فيه حسنات لم يعملها . فيقال له :
هذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر .

وسئل سفيان الثوري عن قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يغمض أهل البيت
للحميين » فقال : هم الذين يغتابون الناس . . يأكلون لحومهم .
وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك ، فقال :

لو كنت مغتاباً أحداً لا غتبت والدي ؛ لأنهما أحق بحسناتي .
وقال يحيى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال :
إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تسره فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه .
وقيل للحسن البصري : إن فلانا اغتابك . . فبعث إليه طبق حلواء وقال : بلغني
أنك أهدت إلى حسناتك ، فكافأتك .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال :
أخبرنا أحمد بن عمرو القطواي قال : حدثنا سهل بن عثمان العسكري قال : حدثنا
الربيع بن بدر ، عن ابن ، عن أس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

« من ألقى جلاب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » (١) .

سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول ، سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد
الرقبي يقول ، سمعت جعفر بن محمد بن بصير يقول ، قال الجنيدي :

(١) رواه البيهقي عن أس بن مالك بصد ضعيف .

كنت جالساً في مسجد « الشونزية » انتظر جنازة أصلي عليها ، وأهل بغداد ، على طبقاتهم^(١) ، جلوس ينتظرون الجنازة ، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك^(٢) يسأل الناس ، فقلت في نفسي ؛ لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به .

فلما انصرفت إلى منزلي ، وكان لي شيء من الورد بالليل ، حتى البكاء والصلاة وغير ذلك ، فثقل على جميع أورادي . . فسهرت وأنا قاعد ، فغلبتني عيناي . . فرأيت ذلك الفقير . . جاءوا به على خوان ممدود . وقالوا لي : كل لحمه ؛ فقد اغتبه . . وكشف لي عن الحال ، فقلت :

ما اغتته . . إنما قلت في نفسي شيئاً ، فقبل لي :

ما أنت ممن يرضى منك بمثله ، إذهب فاستحله .

فأصبحت . . ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء ، عند تزايد^(٣) الماء ، أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل ، فسلمت عليه ، فقال . يا أبا القاسم ، تعود ؟

فقلت : لا .

فقال : غفر الله لنا ولك .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا طاهر الإسفراني يقول : سمعت أبا جعفر البلخي يقول : كان عندنا شاب من أهل بلخ ، وكان بجهده ويتعبد ، إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول فلان كذا ، وفلان كذا ، . . فرأيته يوماً عند المخنثين^(٤) الغسالين ، خرج من عندهم .

فقلت : يا فلان ، ما حالك ؟

فقال : تلك الواقعة في الناس^(٥) أوقعتني إلى هذا ، اتليت ممخنت من هؤلاء ، وأنا هوذا أخدمهم من أجله ، وتلك الأحوال كلها قد ذهبت ، فادع الله أن يرحمني

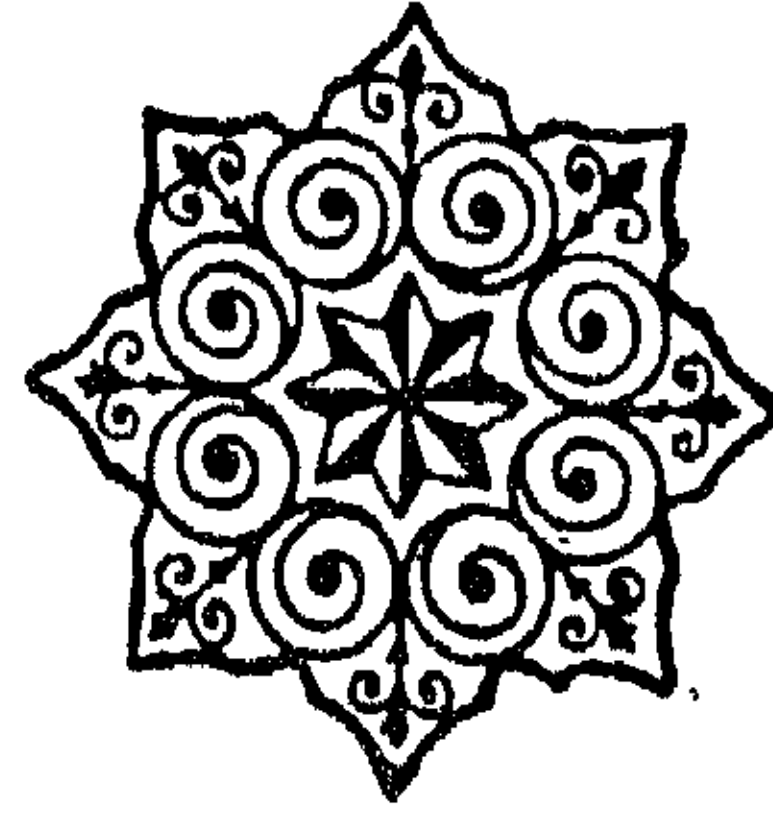
(١) مراتبهم .

(٢) العبادة .

(٣) وفي نسخة . « تراد » .

(٤) المشبهين بالنساء في أفعالهم .

(٥) أى : اغتباي لهم .



الباب العشرون الفتنة

من تبعت عيناها ما في
أيدي الناس طال حزنه ... !

باب القناعة

قال الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة .. » (١) .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر ابن مطر ، قال : حدثنا محمد بن موسى الحلوانى ، قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفارى ، عن المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القناعة كثر لا يفنى » (٢) .

أخبرنا أبو الحسن الأهوازى ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا عبد الله بن أيوب المقرئ قال : حدثنا أبو الربيع الزهرانى ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن أبي رجاء ؛ عن برد بن سنان ، عن مكحول ، عن واثلة ابن الأسقع ؛ عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ؛ وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، وأقل الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب » (٣) .

وقيل : الفقراء أموات ، إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة .

وقال بشر الحافى : القناعة : ملك لا يسكن إلا فى قلب مؤمن .

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعرائى يقول : سمعت اسحق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطى يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : القناعة (٤) من الرضا بمنزلة الورع من الزهد ، هذا (٥) أول الرضا وهذا (٦) أول الزهد .

وقيل : القناعة : السكون عند عدم المألوفات .

(١) آية ٩٧ من سورة النحل .

(٢) رواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف .

(٥) أى القناعة .

(٢) رواه القضاغى عن أنس بنحوه بسند ضعيف .

(٤) أى منزلة القناعة .

(٦) أى الورع .

وقال أبو بكر المراغى : العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسوية وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : القناعة : ترك التشوف إلى المفقود ، والاستغناء بالموجود .

وقيل فى معنى قوله تعالى : « ليرزقهم الله رزقاً حسناً »^(١) معنى القناعة .

وقال محمد بن على الترمذى : القناعة : رضا النفس بما قسم لها من الرزق .

ويقال : القناعة : الاكتفاء بالموجود ، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل .

وقال وهب : إن العز والغنى خرجا يعجولان ، يطلبان رفيقا ؛ فلقيا القناعة ، فاستقرا .

وقيل : من كانت قناعته سميئة^(٢) طابت له كل مرقة^(٣) ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال رزقه الله القناعة^(٤) .

وقيل : مر أبو حازم بقصاب معه لحم سمين ، فقال : خذ يا أبا حازم فانه سمين . فقال : ليس معى درهم .

فقال : أنا أنظرك . فقال : نفسى أحسن نظرة^(٥) لى منك .

وقيل لبعضهم : من أقنع الناس ؟

فقال : أكثرهم للناس معونة ، وأقلهم عليهم مؤونة .

وفى الزبور : القانع غنى وإن كان جائعاً .

وقيل : وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :

العز فى الطاعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والحكمة فى البطن الخالى ، والغنى فى القناعة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ؛ يقول : سمعت نصر بن

(١) آية ٥٨ من سورة الحج .

(٢) أى غزيرة كثيرة .

(٣) أى رضى بالليل المتيسر .

(٤) وهذه العبارة من قوله : ومن رجع . . ساقطة فى بعض النسخ .

(٥) أى تأخيراً وصبراً .

محمد يقول : سمعت سليمان بن أبي سليمان يقول : سمعت أبا القاسم بن أبي نزار يقول :
سمعت إبراهيم المارستاني يقول :

انتقم من حرصك بالقناعة ، كما تنتقم من عدوك بالقصاص .
وقال ذو النون المصري : من قنع استراح من أهل زمانه ، واستطال على أقرانه .
وقيل : من قنع استراح من الشغل . واستطال على الكل .
وقال الكتاني : من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة .
وقيل : من تبعت عيناه ما في أيدي الناس طال حزنه .
وأنشدوا :

وأحسن بالفتى من يوم عار نال به الغنى كرم وجوع
وقيل : رأى رجل حكيم يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء ، فقال :
لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا .
فقال الحكيم : وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان .
وقيل : « العقاب (١) عزيز في مطاره ، لا سمو إليه طرف (٢) صياد . ولا طعمه ،
فاذا طمع في جيفة علقت على حباله (٣) » ، نزل من مطاره ، فتعلق في حباله (٤) » .
وقيل : لما نطق موسى عليه السلام ، بذكر الطمع ، فقال : « لو شئت لا اتخذت
عليه أجراً » (٥) .

قال الخضر له : « هذا فراق بيني وبينك » .
وقيل : لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بن بدي موسى والخضر ،
عليهما السلام ظبي وكانا جائعين ، الجانب الذي بلى موسى عليه السلام غير مشوى ،
والجانب الذي بلى الخضر مشوى .
وقيل في قوله تعالى : « إن الأبرار لفي نعم » (٦) : هو القناعة في الدنيا ، وإن
الفجار لفي جحيم » (٧) هو : الحرص على الدنيا .

(١) النسر .

(٢) شبكه يصاد بها .

(٣) شبكه يصاد بها .

(٤) شبكه يصاد بها .

(٥) آية ٧٧ من سورة الكهف .

(٦) آية ١٤ من سورة الإنفطار .

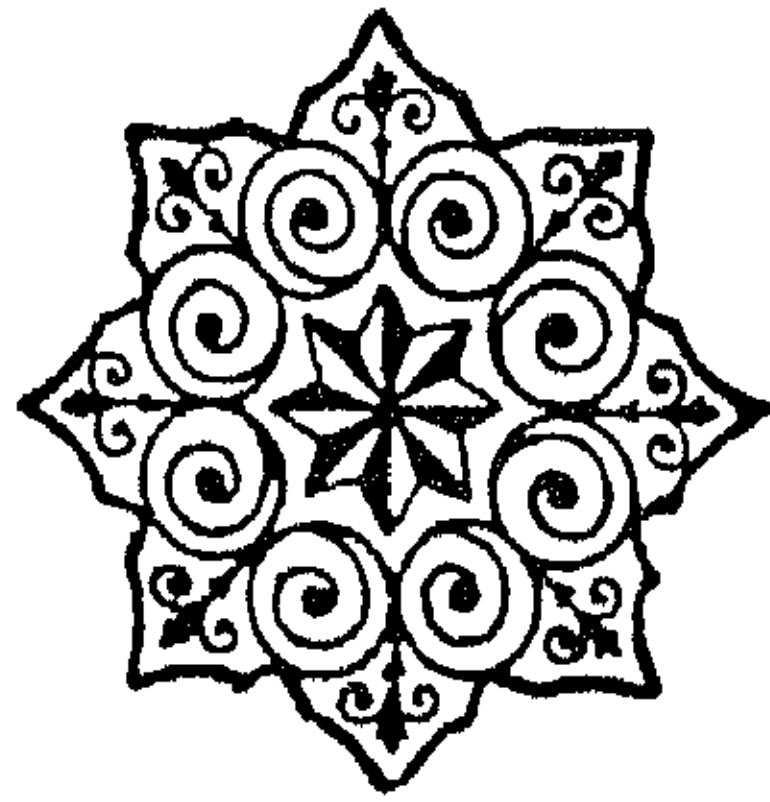
(٢) نظر .

(٤) شبكه .

(٦) آية ١٣ من سورة الإنفطار .

وقيل في قوله تعالى : « فلك رقبة »^(١) أى : فكها من ذل الطمع .
وقيل في قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت »^(٢) يعنى
الخل ، والطمع . « ويطهركم تطهيراً » يعنى : بالسقاء والإيثار .
وقيل في قوله تعالى : « هب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى »^(٣) أى : مقاماً فى
القناعة انفرد به من أشكالى ، وأكون راضياً فيه بقضائك .
وقيل فى قوله تعالى : « لأعذبنه عذاباً شديداً »^(٤) يعنى : لأسلبنه القناعة ، ولأبتلينه
بالطمع ، يعنى : أسأل الله تعالى ، أن يفعل به ذلك .
وقيل لأبى يزيد : بم وصلت إلى ما وصلت ؟
فقال : جمعت أسباب الدنيا ، فربطتها بحبل القناعة ، ووضعيتها فى « منجنيق »
الصدق ، ورميت بها فى بحر اليأس فاسترحت .
سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن فرحان « بسامرة »
يقول : سمعت خالى عبد الوهاب يقول : كنت جالساً عند الجنيد ، أبام الموسم ،
وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين ،
فجاءه إنسان بخمسمائة دينار ، ووضعها بين يديه ، وقال :
تفرقها على هؤلاء الفقراء .

فقال : ألك غيرها ؟ فقال نعم ، لى دنائير كثيرة . فقال : أتريد غير ما تملك ؟
فقال : نعم . فقال له الجنيد : خذها ، فانك أحوج إليها منا . ولم يقبلها .

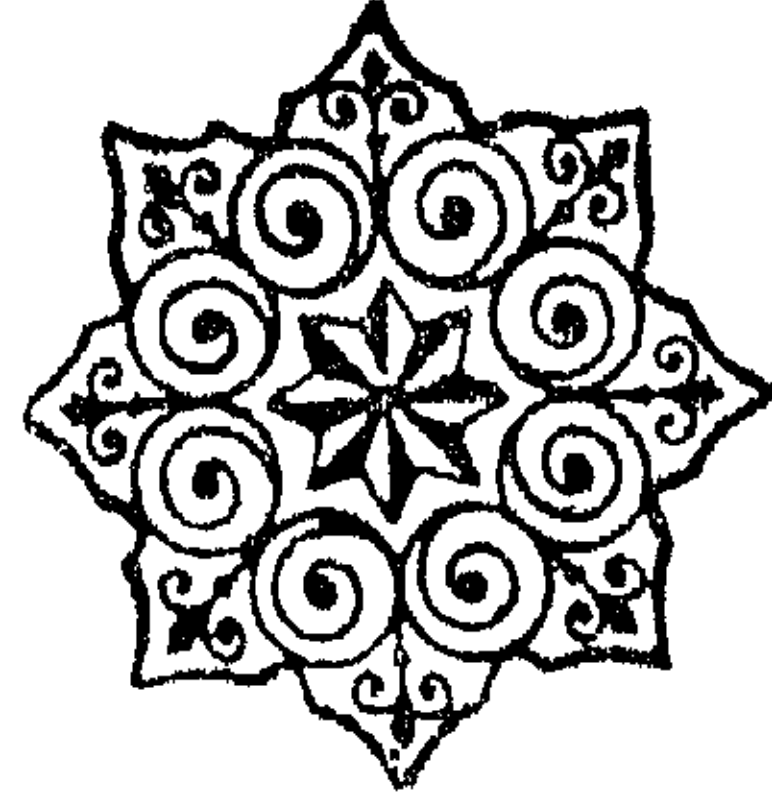


(٢) آية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٤) آية ٢١ من سورة النمل .

(١) آية ١٣ من سورة البلد .

(٣) آية ٣٥ من سورة ص .



الباب الحادي والعشرون التوكل

علامة المتوكل ثلاث ..
لا يسأل .. ولا يرد ..
ولا يحبس .. !

باب التوكل

قال الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١) .

وقال : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢) .

وقال : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » (٣) .

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد الأصبهاني قال : حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال : حدثنا أبو داود الطيالسي قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ؛ عن عبد الله ابن مسعود ؛ رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أريت الأمم بالموسم (٤) ، فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهيشتهم ، فقيل : أرضيت ؟ فقلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، لا يكتوون ، ولا يتطرون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن الأسدي ، فقال :

يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني منهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم .

فقام آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « سبقك بها عكاشة » (٥) .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أبا بكر الوجيهي يقول : قال أبو علي الروذباري قلت : لعمر بن سنان : احك لي عن سهل بن عبد الله حكاية ، فقال إنه قال : علامة المتوكل ثلاث : لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس .

(١) آية ٣ من سورة الطلاق .

(٣) آية ٢٣ من سورة المائدة .

(٢) آية ١١ من سورة إبراهيم .

(٤) أى موسم الحج . (٥) متفق عليه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول : سمعت أبا موسى الديلى يقول : قل لأبى نزيد ؛ ما التوكل ؟ ...

فقال لى : ما تقول أنت ؟ ، فقلت : إن أصحابنا يقولون :

لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك .

فقال أبو نزيد : نعم ؛ هذا قريب ؛ ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون . ثم وقع لك تمييز عليهما^(١) خرجت من جملة للتوكل . وقال سهل بن عبد الله : أول مقام فى التوكل : أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى للغاسل ، يقلبه كيف شاء ؛ لا يكون له حركة ولا تدبير . وقال حمدون : التوكل : هو الاعتصام^(٢) بالله تعالى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلىخى يقول : سمعت محمد بن حامد يقول : سمعت أحمد بن خضروبه يقول : قال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟

فقال : « والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون »^(٣) .

واعلم أن التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب ، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ؛ فان تعسر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسره .

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال : حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال : حدثنا اسماعيل بن مسعود الجحدرى قال : حدثنا خالد ابن يحيى قال : حدثنى عمى المغيرة بن أبى قررة ، عن أنس بن مالك قال : « جاء رجل على ناقة له ، فقال : يا رسول الله ، أدعها^(٤) وأتوكل ؟ . فقال : اعقلها وتوكل » .

وقال إبراهيم الخواص : من صح توكله فى نفسه ، صح توكله فى غيره .

(٢) الا عتماد عليه .

(٤) أتركها .

(١) أى ميزت أحدهما على الآخر .

(٣) آية ٧ من سورة المنافقون .

وقال بشر الحافي : يقول أحدهم . توكلت على الله ، وبكذب على الله تعالى ،
لو توكل على الله لرضى بما دفعه الله به .

وسئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا ؟
فقال : إذا رضى بالله تعالى وكبلا .

سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السامى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن
على بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن للصامت يقول : سمعت إبراهيم
الخواص يقول :

بينما أنا أسير فى المادنة ، وإذا تهاتف يهتف ، فالتفت إليه ، فاذا أعرابى سير
فقال لى : يا إبراهيم : التوكل عندنا : أقم عندنا حتى يصح توكلنا ، ألم تعلم أن رجاءك
لدخول بلد فيه أطعمة بحملك؟ (١) ، إقطع رجاءك عن البلدان ، وتوكل .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أحمد الفلاسى يقول : سمعت ابن عطاء ،
وقد سئل عن حقيقة التوكل ، فقال : أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة
فاقتك إليها ، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : شرط التوكل
ماقاله أبو تراب النخشبى ، وهو : طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ،
والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر وإن منع صبر .

وكما قال ذو النون : التوكل : ترك تدبير النفس ، والانخلاع (٢) من الحول
والقوة ، وإنما يقوى العمد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفرج الأورثانى يقول : سمعت أحمد
ابن محمد الترمسى يقول : سمعت الكتانى يقول : سمعت أبا جعفر بن أبى الفرج
يقول : رأيت رجلا يعرف « جمل عائشة » مع الشطار بضرب بالسياط ، فقلت
له :

أى وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل ؟ فقال :
إذا كان من ضررنا لأجله يرانا .

(١) أى على الإقامة به .

(٢) أى التوى .

وسمعتة يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص : ماذا صنعت في هذه الأسفار ، وقطع هذه المفاوز ؟
قال : بقيت في التوكل أصح نفسي عليه .

فقال الحسين : أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد .
سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : التوكل :
مما قاله أبو بكر المدقاق ، وهو : رد العيش^(١) إلى يوم واحد ، وإسقاط هم غد .
قال : وهو ، كما قال سهل بن عبد الله ، التوكل : الاسترسال مع الله ، تعالى ،
على ما يريد .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامعي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول : سمعت أبا بكر البرزعي يقول سمعت أبا يعقوب النهرجوري ،
يقول :

التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة^(٢) : ما وقع لإبراهيم ، عليه السلام ، في
الوقت الذي قال لجبريل ، عليه السلام : أما إليك فلا ، لأنه غابت نفسه بالله تعالى ،
فلم يرمع الله غير الله عز وجل .

وسمعتة يقول : سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول : سمعت محمد بن أحمد
ابن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول : سمعت دا النون المصري ،
وسأل رجل فقال : ما التوكل . فقال : خلع الأرباب^(٣) وقطع الأسباب .
فقال السائل : زدني .

فقال : إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية .

وسمعتة يقول : سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول . سمعت عبد الله بن
المبارك يقول : سمعت حمدون القصار ، وسئل عن التوكل ، فقال :
إن كان لك عشرة آلاف درهم ، وعليك دانيق^(٤) دين ، لم تأمن أن تموت

(١) أى : هم العيش .

(٢) أى : على الحقيقة الكاملة .

(٣) ترك الاعتماد على ماسوى الله .

(٤) الدانيق : سدس الدرهم .

ويبقى ذلك في عنقك ، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين ، من غير أن تترك لها وفاء ، لا تيأس من الله تعالى أن يقضيه عنك .

وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال : التعلق بالله تعالى في كل حال . فقال السائل : زدني . فقال : ترك كل سبب بوصول إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك .

وقال سهل بن عبد الله : التوكل حال (١) النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ؛ فمن بقى على حاله ، فلا يترك سنته :

وقال أبو سعيد الخراز : التوكل : اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب (٢) وقيل : التوكل : أن يستوى عندك الإكثار والتقليل .

وقال ابن مسروق : التوكل : الاستسلام لجريان القضاء والأحكام .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا عثمان الحيري يقول : التوكل : الاكتفاء بالله ، تعالى ، مع الاعتماد عليه .

وسمعه يقول : سمعت محمد بن غالب يحكي عن الحسين بن منصور ال : المتوكل المحق لا يأكل شيئاً وفي البلد من هو أحق به منه .

وسمعه يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت منصور بن أحمد الحربي يقول : حكى لنا ابن أبي شيخ قال : سمعت عمر بن سنان يقول :

اجتاز بنا إبراهيم الخواص ، فقلنا له : حدثنا بأعجب ما رأيته في أسفارك ، فقال : لقيني الخضر عليه السلام ، فسألني الصعبة ، فخشيت أن يفسد علي توكلي بسكوني إليه . ففارقته .

وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل ، فقال : هو قلب عاشق مع الله تعالى بلا علاقة (٣) .

سمعت الأستاذ أبا علي للدقاق ، رحمه الله ، يقول : للمتوكل ثلاث درجات :

(١) أي صفته وخلقه ومقامه .

(٢) أي جرى وزاء الأسباب بلا سكون إليها وسكون إلى الله بلا اضطراب .

(٣) أي بلا تعلق بغيره .

التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض .
فالتوكل سكن إلى وعده (١) ، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه ، وصاحب
التفويض يرضى بحكمه .

وسمعه يقول : التوكل : بداية ، والتسليم : واسطة ، والتفويض : نهاية .
وسئل الدقاق عن التوكل ، فقال : الأكل بلا طمع .

وقال يحيى بن معاذ :

لبس الصوف (٢) حانوت (٣) ، والكلام في الزهد حرفة ، وصحبة القوافل تعرض
وهذه كلها علاقات (٤) .

وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال ، فقال :

ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله ، تعالى ، فاطرده عنك .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن
علي يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول : قرأت على محمد بن الحسين ، قال
سهل بن عبد الله :

من طعن في الحركة (٥) فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في
الامان .

وسمعه يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت جعفر الخلدی
يقول : قال إبراهيم الخواص : كنت في طريق مكة ، فرأيت شخصاً وحشياً . .
فقلت : جنى أم-إنسى ؟ فقال : جنى . فقلت إلى أين ؟ فقال : إلى مكة . فقلت :
بلا زاد ؟ فقال : . . فينا أبضاً من يسافر على التوكل . فقلت : إيش التوكل ؟ فقال :
الأخذ من الله تعالى .

وسمعه يقول : سمعت أبا العباس البغدادی يقول : سمعت الفرغانی يقول :
كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل ، بدقق فيه ، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط

(١) إلى وعده تعالى في قوله « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » .

(٢) تسبب .

(٣) أى : زى الصالحين .

(٤) أى تملقات بالأسباب .

(٥) أى الكسب .

وركوة (١) . ومقراض (٢) فقل له : يا أبا إسحاق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء ؟ .

فقال : مثل هذا لا ينقض (٣) التوكل ، لأن الله ، سبحانه ، علينا فرائض ، والفقر لا يكون عليه إلا ثوب واحد ؛ فربما تخرق (٤) ثوبه ، فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته ، فتفسد عليه صلاته ، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته ، فاذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ، ولا خيوط ، فاتهمه في صلاته .

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

التوكل : صفة المؤمنين ؛ والتسليم : صفة الأولياء ، والتفويض : صفة الموحدين ؛ فالتوكل : صفة العوام ، والتسليم : صفة الخواص ؛ والتفويض : صفة خواص الخواص .

وسمعته يقول : التوكل صفة الأنبياء ، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام ، والتفويض : صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد ابن عبد الله الفرغاني يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول : مكثت بضع عشرة سنة أعتقد للتوكل (٥) وأنا أعمل في السوق ، وأخذ كل يوم أجرتي ؛ ولا أنتفع منها بشربة ماء ، ولا بدخلة حمام . ولكن كنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في « الشونزية » وأكون مستمرا على حالى .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت للخواص يقول : سمعت الحسين أنا سنان يقول :

حججت أربع عشرة حجة ، حافياً ، على التوكل ، فكان يدخل في رجلى شوكاة فأذكر أنى قد اعتقدت على نفسى التوكل ، فأحكها في الأرض وأمشى .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله اللواخط يقول : سمعت خيراً الناساج يقول : سمعت أبا حمزة يقول : إني لأستحي من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا

(٢) مقص .

(٤) وفي نسخة : « يتسرق » .

(١) دلو صغيرة .

(٣) أى لا يناقض .

(٥) أى عقدته على نفسى .

شعان ، وقد اعتقدت (١) التوكل ، لئلا يكون سعيي على الشئ زاداً اتزود به . .
وسئل حمدون عن التوكل ، فقال :

تلك درجة لم أبلغها بعد ، وكيف تتكلم في التوكل من لم يصح له حال الإيمان ؟
وقيل : المتوكل كالطفل ، لا يعرف شيئاً بأوى إليه إلا ثدى أمه ، كذلك المتوكل
لا يهتدى إلا إلى ربه تعالى .

وعن بعضهم قال : كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحداً . . .
فتسارعت حتى أدركته ، فاذا هي امرأة بيدها عكاز ، تمشي على التؤدة . . .
فظننت أنها آعيت ، فأدخلت يدي في جيبها ، فأخرجت عشرين درهماً ، فقلت :
خذيها وامكي حتى تلحقك القافلة فتكثري بها . . . ثم اثني الليلة حتى أصلح أمرك .
فقلت : بيدها هكذا في الهواء ، فاذا في كفها دنانير ، فقلت : أنت أخذت
الدراهم من الجيب ، وأنا أخذت الدنانير من الغيب .

ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً ممكاً ، لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم . .
فمضى عليه أيام ، فقال له سليمان يوماً :

أرأت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب ؟

فقام ، وقبل رأسه ، وقال : جزاك الله خيراً ، حيث أرشدتني ، فإني كنت
أعد (٢) زمزم منذ أيام . ومضى .

وقال إبراهيم الخواص : رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً ، حسن المراعاة ،
فقال لي :

هل لك في الصحة ؟ فقلت : إني أجوع . فقال : إن جعت جعت معك .

فبقينا أربعة أيام ، ففتح علينا شيء ، فقلت : هلم . فقال : اعتقدت (٣) أنني
لا آخذ بواسطة فقلت : يا غلام دقت (٤) . فقال : يا إبراهيم ، لا تبهرج (٥) ، فان
الناقد بصير ، مالك والتوكل ؟ ثم قال : أقل التوكل : أن ترد عليك موارد المناقات (٦)
فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات .

(١) أي : عزمت عليه .

(٢) أي : مشغولاً بها ساكناً إلى غير الله .

(٣) عزمت .

(٤) أي : الكلام على التوكل .

(٥) لا تمدهني .

(٦) جميع : فاقة : وهي الحاجة .

وقيل : التوكل : نفي الشكوك ، والتفويض إلى ملك الملوك .
 وقيل : دخل جماعة على الجنيد رحمه الله ، فقالوا : أين نطلب الرزق ؟
 فقال : إن علمتم في أى موضع هو ، فاطلبوه منه ، قالوا : فنسأل الله تعالى ذلك .
 فقال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه . فقالوا : ندخل البيت فتوكل ؟ فقال :
 للتجربة شك (١) .

قالوا : فما الحيلة ؟ فقال : ترك الحيلة .
 وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن الحواري :
 يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة ، وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل
 المبارك ، فإني ما شئمت منه رائحة .

وقيل : التوكل : الثقة بما في يد الله تعالى ، واليأس عما في أيدي الناس .
 وقيل : التوكل : فراغ السر عن التفكير في التقاضى في طلب الرزق .
 وسئل الحارث المحاسبي ، رحمه الله ، عن المتوكل : هل يلحقه طمع ؟
 قال : يلحقه من طريق الطباع خطرات ، ولا تضره شيئاً ، ويقويه على
 إسقاط الطمع اليأس مما في أيدي الناس .

وقيل : جاع النورى في البادية ، فهتف به هاتف : أيما أحب إليك : سبب
 أو كفاية (٢) .

فقال : الكفاية ليس فوقها نهاية ، فبني سبعة عشر بوهماً لم يأكل .
 وقال أبو علي الروذباري : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام : أنا جائع ، فإزموه
 للسوق ، ومروه بالعمل والكسب .
 وقيل : نظر أبو تراب النخشي إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد
 ثلاثة أيام .

فقال له : لا يصلح لك التصوف إلزم السوق .

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري :

(١) أى أن فعلتم ذلك مجربين هل يرزقكم الله أم لا ، يكون ذلك بمثابة الشك في أن الله ضامن الأرزاق .

(٢) أى قوة تغنيه عن الطعام والشراب .

جعت مرة بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفاً . . فحدثتني نفسي . . فخرجت إلى الوادى ، لعلى أجد شيئاً يسكن ضعفى . . . فرأيت « سلجمة »^(١) مطروحة . . فأخذتها . . فوجدت فى قلبى منها وحشة . . وكأن قائلاً يقول لى : جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة . فرميت بها . . ودخلت المسجد فقعدت ، فاذا أنا برجل أعجمى ، جلس بين يدى ووضع « قمطرة »^(٢) ، وقال : هذه لك .

فقلت : كيف خصصتني بها ؟ . فقال : اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشر أيام . . وأشرفت السفينة على الغرق . . فنذر كل واحد منا : إن خلصنا الله ، تعالى ، أن يتصدق بشيء ، ونذرت أنا : إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصرى عليه من المجاورين^(٣) . وأنت أول من لقيته .

فقلت : افتحها . ففتحها ، فاذا فيها : كعك سميد^(٤) مصرى ، ولوز مقشور ، وسكر كعاب^(٥) فقبضت قبضة من ذا ، وقبضة من ذا ، وقبضة من ذا .

وقلت : رد الباقي إلى صبيانك ، هو هدية منى لكم ، وقد قبلتها^(٦) .

ثم قلت فى نفسى : رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى !! سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : كنت عند ممشاد الدينورى ، فجرى حديث للدين ، فقال : كان على دين : فاشتغل قلبى . . فرأيت فى النوم كأن قائلاً يقول :

يا بخيل ، أخذت علينا هذا المقدار ، خذ ؛ عليك أخذ ، وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ، ولا قصابا ، ولا غيرهم .

ويحكى عن بنان الحمال ، قال : كنت فى طريق مكة حرسها الله . أجيء من مصر ، ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة ، وقالت لى : يا بنان ، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد ، وتتوهم أنه لا يرزقك . ؟؟ . قال : فرميت بزادى . ثم أتى على ثلاث « لم آكل » فوجدت خلخالاً فى الطريق . . فقلت فى نفسى : أحمله حتى يجيء صاحبه ، فرمى بعطينى شيئاً فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة ، فقالت لى :

(١) وهو النبات المعروف بـ « اللفت »

(٢) القمطرة ، : والقمطر ما يحفظ فيه الكتب .

(٣) أى المجاورين للحرم .

(٤) الدقيق الجيد .

(٥) معقود .

(٦) أى القمطرة بما فيها ، فاقبل هديتى للباقي .

أنت تاجر ؟؟ تقول : حتى يجيء صاحبه فأخذ منه شيئاً ؟ ثم رمت إلى شيئاً من الدراهم ، وقالت : أنفقها فاكثفت بها إلى قريب من مكة (١) .

ويحكى عن بنان أنه احتاج إلى جارية تخدمه ، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها ، وقالوا : هو ذا ، يجيء النفر فتشترى ما يوافقك .

فلما ورد النفر ، اجتمع رأيهم على واحدة ، وقالوا : إنما تصلح له .

فقالوا لصاحبها : بكم هذه ؟ فقال : إنها ليست للبيع . فألحوا عليه ، فقال : إنها لبنان الجمال ، أهدتها إليه امرأة من « سمرقند » فحملت إلى بنان ، وذكرت له القصة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسين الخزومي يقول : حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال : حدثنا محمد بن عبدون ، قال : حدثنا الحسن الخياط قال :

كنت عند بشر الحافي ، فجاء نفر فسلموا عليه ، فقال : من أين أنتم .

قالوا : نحن من الشام ، جئنا لنسلم عليك ، ونريد الحج .

فقال : شكر الله تعالى لكم فقالوا : تخرج معنا . فقال : بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً ، ولا نسأل أحداً شيئاً ، وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبله ؟ قالوا : أما أن لا نحمل ، فنعم . وأما أن لا نسأل ، فنعم ، وأما أن لا نقبل إن أعطينا ، فهذا لا نستطيعه .

فقال : خرجتم متوكلين على زاد الحجيح . ثم قال : يا حسن ، الفقراء ثلاثة :

فقر لا يسأل ، وإن أعطى لا يأخذ ، فذاك من جملة الروحانيين .

وفقر لا يسأل ، وإن أعطى قبل ، فذاك مما يوضع له موائد في حظائر القدس (٢) .

وفقر يسأل ، وإن أعطى قبل قدر الكفاية ، فكفارته صدقة .

وقيل لحبيب العجمي : لم تركت التجارة ؟ فقال : وجدت الكفيل ثقة .

وقيل : كان في الزمن الأول رجل في سفر ومعه قرص ، فقال : إن أكلت مت .

(١) وفي نسخة « من مصر » .

(٢) أي الطهر .

فوكّل الله تعالى به ملكاً ، وقال : إن أكله فارزقه ، وإن لم يأكله فلا تعطه غيره . فلم يزل القرص معه حتى مات ، ولم يأكل ، وبقي عنده القرص .
وقيل : من وقع في ميدان التفويض نزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها ، والفرق بين التضييع والتفويض : أن التضييع في حق الله تعالى ، وذلك مذموم ، والتفويض في حقك ، وهو محمود .

وقال عبد الله بن المبارك : من أخذ فلساً من حرام ، فليس بمتوكل .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، رحمه الله ، يقول : سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول : سمعت علياً بن محمد المصري يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد ، فأصابني فاقة ، فرأيت المرحلة^(١) من بعيد ، فسررت بأني وصلت . . . ثم فكرت في نفسي : أني سكنت واتكلت على غيره ، فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها . . . فحفرت لنفسي في الرمل حفرة . . . وداريت جسدي فيها إلى صدرى ، فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً ، يقول : يا أهل المرحلة ، إن لله تعالى ولياً ، حبس نفسه في هذا الرمل ، فألحقوه . فجاءني جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين الخزومى يقول : سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى : حججت سنة من السنين ، فبينما أنا أمشي في الطريق ، إذ وقعت في بئر ، فنازعني نفسي أن أستغيث ، فقلت : لا والله ، لا أستغيث . . . فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلاً . . . فقال أحدهما للآخر : تعالى حتى نسد رأس هذه البئر ، لئلا يقع فيها أحد . . . فأتوا : بقصب وبارية^(٢) ، وطموا^(٣) رأس البئر ، فهممت أن أصبح ثم قلت في نفسي : أصبح^(٤) إلى من هو أقرب منهما . . . وسكنت . فبينما أنا بعد ساعة ، إذ أنا بشيء جاء . . . وكشف عن رأس البئر ، وأدلى رجله ، وكأنه يقول لى : تعلق بى ، فى همهمة^(٥) له كنت أعرف ذلك منه ، فتعلقت به . . .

(١) أى نهاية المرحلة أى القرية .

(٢) بارية حصير خشن .

(٣) طم البئر بالتراب أى : ملاءها حتى أستوت مع الأرض .

(٤) وفى نسخة أشكو .

(٥) وفى نسخة همهمة .

فاخرجني ، فاذا هو سبع ، فمر (١) . وهتف بي هاتف : يا أبا حمزة ، اليس هذا احسن . . نجيناك من التلف بالتلف (٢) ثم شيت وأنا أقول :

أهانك أن أمدى إليك الذي أخفى وسرى يمدى ما يقول له طرفي (٣)
نهاني حيائي منك أن أكم الهوى وأغنيته بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري . فأبدت شاهدي (٤) إلى غائي (٥) واللف بدرك باللف
ترأيت لي بالغيب ، حتى كأنما تبشرني في الغيب أنك في الكف
أراك وبني من هيتي لك وحشة فتؤنسني باللف منك وباللف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه وإذا عجب كون الحياة مع الحنف (٦)

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا سعدان التاهرتي يقول : سمعت حذيفة المرعشي يقول ، وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم ، وصحبه ، فقيل له : ما أعجب ما رأيت منه ؟ فقال : بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً ، ثم دخلنا الكوفة ، فأوينا إلى مسجد خراب ، فنظر إلى إبراهيم بن أدهم ، وقال : يا حذيفة ، رأى بك أثر الجوع !! : نقلت : هو ما رأى الشيخ . فقال . على بدواة ، وقرطاس .

فجئت به ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع (٧) أنا عارى
هي ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يابارى (٨)
مدحى لغيرك لهب (٩) نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار (١٠)

(١) أى جاورى .

(٢) وفي نسخة « بجيناك بالتلف من التاف » أى خلصتك بسبب التلف من سبب التلف أى خلاصتك بالسبع من تغطية البئر .

(٣) وبعض النسخ سقط فيها البيت الأول .

(٤) حاضر الحاضر .

(٥) الموت .

(٦) وفى نسخة ياجارى أى ياقربيا .

(٧) عطشان .

(٨) أى : من مدح غيرك .

(٩) وفى نسخة وهج .

والنار عندي كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفني دخول النار (١)

تم دفع إلى الرقعة : قال :

أخرج ، ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى ، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك .

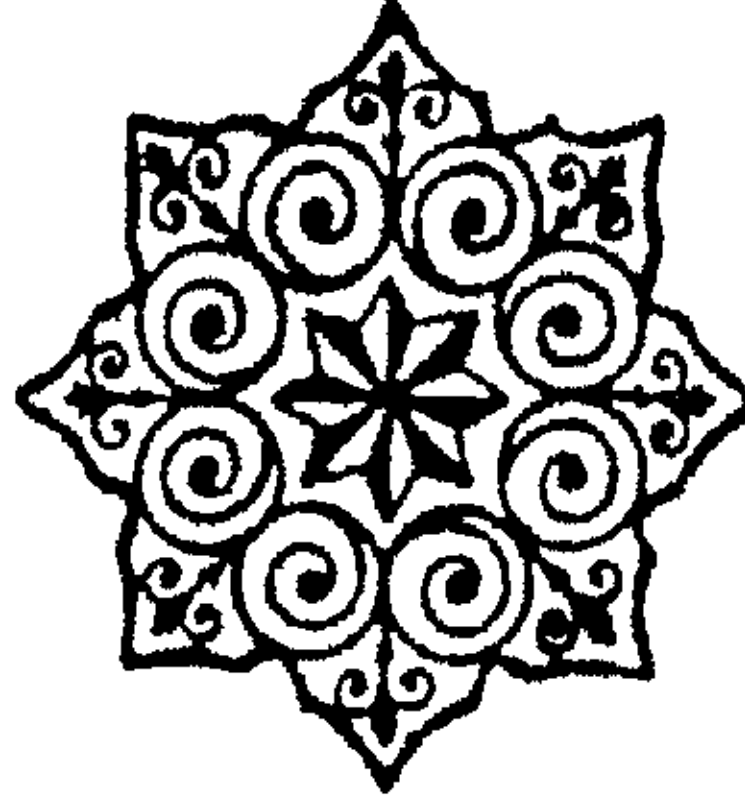
قال : فخرجت . . فأول من لقيني رجل كان على بغلة ، فدفعتها إليه ، فأخذها وبكى ، وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو في المسجد الفلاني .

فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار .

تم لقيت رجلا آخر ، فقلت له : من صاحب هذه البغلة ؟ فقال لي : هو نصراني نجئت إلى إبراهيم بن أدهم ، وأخبرته بالقصة ، فقال :

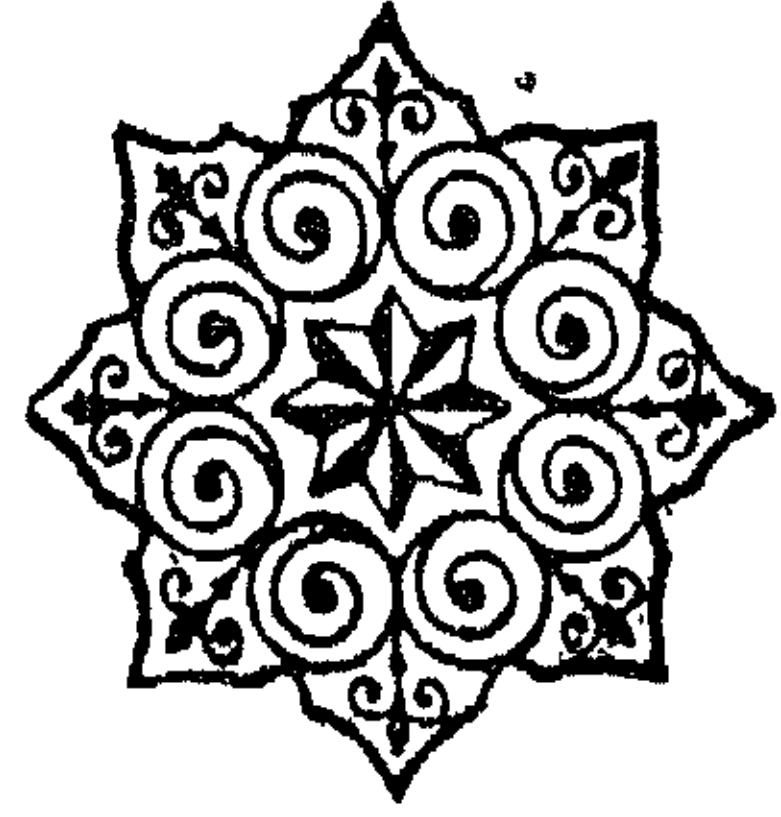
لا تمسها (٢) ، فإنه يجيء الساعة .

فلما كان بعد ساعة ، وافى النصراني ؛ وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم .



(١) وسقط هذا البيت الأخير في بعض النسخ .

(٢) أي الصرة .



الباب الثاني والعشرون الشكر

إذا قصرت يدك على
المكافأة .. فصل لسانك
بالشكر !

باب الشكر

قال الله عز وجل : « لئن شكرتم لأزيدنكم » (١) .

وحدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار ، قال : حدثنا الأسقاطي قال : حدثنا منجاب قال : حدثنا يحيى بن يعلى ، عن أبي خباب ، عن عطاء ، قال :

دخلت على عائشة ، رضى الله عنها ، مع عبيد بن عمير ، فقلت :

أخبرنا بأعجب ما رأيت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فبكت ، وقالت :

وأى شأنه لم يكن عجباً ؟ . . إنه أتاني في ليلة . . فدخل معي في فراشي ، أو قالت : في لحافى : . حتى مس جلدى ، ثم قال : يا بنت أبي بكر ، ذرنى أتعبد لربى .

قالت : قلت : إني أحب قربك (٢) فأذنت له ، فقام إلى قربة من ماء . . فتوضأ . . وأكثر صب الماء . . ثم قام يصلى . . فبكى ، حتى سالت دموعه على صدره . . ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى . . فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه (٣) بالصلاة .

فقلت له : يا رسول الله ، ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .

فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ولم لا أفعل ، وقد أنزل الله على : « إن في خلق السموات والأرض . . . الآية » .

(١) آية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) في ابن كثير : أنى أحب قربك وأحب أن تعبد ربك والحديث رواه ابن مردويه وعباد بن حميد وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والأصهار . .

(٣) أعلمه .

قال الأستاذ :

حقيقة الشكر عند أهل التحقيق : الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ، وعلى هذا القول : يوصف الحق ، سبحانه ، بأنه : شكور ، توسعاً^(١) ، ومعناه : أنه يجازى العباد على الشكر ، فسمى جزاء الشكر شكراً ؛ كما قال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »^(٢) .

وقيل : شكره تعالى : إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير ؛ من قولهم : دابة شكور : إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف .

ويحتمل أن يقال . حقيقة الشكر : الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العبد لله تعالى : ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق ، سبحانه ، للعبد : ثناؤه عليه بذكر إحسانه^(٣) له ، ثم إن إحسان العبد : طاعته لله تعالى ، وإحسان الحق : إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له ، وشكر العبد على الحقيقة ، إنما هو : نطق اللسان ، وإقرار القلب بانعام الرب . والشكر ينقسم إلى :

شكر باللسان : وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة .

وشكر بالبدن والأركان : وهو اتصاف بالوفاء والخدمة .

وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة .

ويقال : شكر هو شكر العالمين ، يكون من جملة أقوالهم .

وشكر : هو نعت العابدين ، يكون نوعاً من أفعالهم

وشكر : هو شكر العارفين ، يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم .

وقال أبو بكر الوراق : شكر النعمة : مشاهدة^(٤) المنة ، وحفظ الحرمة^(٥) .

قال حمدون القصار شكر النعمة : أن ترى نفسك فيه طفيلياً .

وقال الجنيد : الشكر فيه علة ، لأنه^(٦) طالب لنفسه المزيد ، فهو واقف مع الله

سبحانه ، على حظ نفسه .

(١) وفي نسخة « فوصف الحق بأنه شكور توسع » . (٢) آية ٤٠ من سورة الشورى .

(٤) أى معرفتها .

(٦) أى الشاكر .

(٣) طاعته .

(٥) أى معرفة قدرها .

وقال أبو عثمان : الشكر معرفة العجز عن الشكر .

ويقال : الشكر على الشكر أتم من الشكر ، وذلك ، بأن ترى شكرك بتوفيقه ، ويكون ذلك للتوفيق من أجل النعم عليك ، فتشكره على الشكر . . ثم تشكره على شكر الشكر ، إلى ما لا يتناهى .

وقيل : الشكر : إضافة النعم إلى موليا بنعت الاستكانة .

وقال الجنيدي : الشكر : أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة .

وقال رويم : الشكر : استفراغ الطاقة (١) .

وقيل : الشاكر : الذى يشكر على الموجود ، والشكور : الذى يشكر على المفقود .

ويقال : للشاكر : الذى يشكر على الرشد (٢) ، والشكور : الذى يشكر على الرد .

ويقال : الشاكر : الذى يشكر على النفع ، والشكور : الذى يشكر على المنع .

ويقال : الشاكر : الذى يشكر على العطاء ، والشكور : الذى يشكر على البلاء .

ويقال : للشاكر : الذى يشكر عند البذل ، والشكور : الذى يشكر عند المظل .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الأستاذ

أبا سهل الصعلوكي يقول : سمعت المرتعش يقول : سمعت الجنيدي يقول :

كنت بن يدي السرى ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون

في الشكر ، فقال لى : يا غلام ، ما الشكر؟ فقلت : ألا تعصى الله بنعمة .

فقال : يوشك أن يكون حظك من الله لسانك .

قال الجنيدي ، رحمه الله ، فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى .

وقال الشبلى : الشكر : رؤية المنعم ، لا رؤية النعمة .

وقيل الشكر : قيد (٣) الموجود ، وصيد المفقود .

وقال أبو عثمان : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخواص على ما يرد

على قلوبهم من المعانى .

(١) استفراغ الطاقة في الشكر .

(٢) العطاء .

(٣) أى حفظ .

وقيل : قال داود ، عليه السلام ، إلهي ، كيف أشكرك ، وشكري لك نعمة من عندك ؟ .

فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتني .

وقيل : قال موسى عليه السلام في مناجاته :

إلهي ، خلقت آدم بيدك ، وفعلت . . وفعلت . . فكيف شكرك ؟

فقال : علم أن ذلك مني ، فكانت معرفته بذلك شكره لي .

وقيل : كان لبعضهم صديق ، فحبسه السلطان ، فأرسل إليه ، فقال له صاحبه :

أشكر الله تعالى ؛ فضرب الرجل ، فكتب إليه ، فقال :

أشكر الله تعالى ، فجيء بمجوسي مبطون ، وقيد ، وجعلت حلقة من قيده على (١)

رجل هذا ، وحلقة على رجل المجوسي ، فكان يقوم المجوسي بالليل مرات وهذا

يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ ، فكتب إلى صاحبه ، فقال :

أشكر الله تعالى . فقال : إلى متى تقول ، وأي بلاء فوق هذا ؟

فقال له صاحبه : لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك ، كما وضع القيد

للذي في رجله في رجلك ، ماذا كنت تصنع ؟

وقيل : دخل رجل على سهل بن عبد الله ، فقال له : إن اللص دخل داري ،

وأخذ متاعي . . فقال له أشكر الله تعالى ، ولو دخل اللص قلبك - وهو الشيطان -

وأفسد للتوحيد ، ماذا كنت تصنع .

وقيل : شكر العينين : أن تستر عيياً تراه بصاحبك . وشكر الأذنين : أن تستر

عيياً تسمعه فيه .

وقيل : للشكر : التلذذ بشئائه على ما لم يستوجبه من عطائه .

سمعت للسلمي يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسن بن يحيى

يقول : سمعت جعفرأ يقول سمعت الجنيد يقول : كان للسري إذا أراد أن ينفعني

بسألني ؛ فقال لي يوماً : يا أبا القاسم ، ما الشكر . فقلت له : أن لا يستعان بشيء من

نعم الله ، تعالى ، على معاصيه .

فقال : من أين لك هذا . فقلت : من مجالستك .
 وقيل : التزم الحسن بن علي الركن وقال : إلهي . . نعمتي فلم تجدني شاكراً . .
 وابتليتني فلم تجدني صابراً . . فلا أنت سلبت النعمة بتركي الشكر ولا أدمت
 الشدة بتركي الصبر . . إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم .
 وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .
 وقيل : أربعة لا ثمرة لأعمالهم :
 مسارة الأصم ، وواضع النعمة عند من لا يشكر ، والباذر في السبخة ، والمسرج
 في الشمس .

وقيل : لما بشر إدريس ، عليه السلام ، بالمغفرة سأل الحياة^(١) ، ف قيل له فيه ،
 فقال لأشكره فاني كنت أعمل قبله للمغفرة ، فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى
 السماء .

وقيل ، مر بعض الأنبياء عليهم السلام ، بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير ،
 فتعجب منه ، فأنطقه الله معه ، فقال : مذ سمعت الله ، تعالى : يقول ، « ناراً وقودها
 الناس والحجارة »^(٢) وأنا أبكي من خوفه . قال ؛ فدعا ذلك النبي أن يعجير الله ذلك
 الحجر ؛ فأوحى الله تعالى إليه أني قد أجرتك من النار ، فمر ذلك النبي ، فلما عاد
 وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك ؛ فعجب منه فأنطق الله ذلك الحجر معه ، فقال له
 لم تبكي ، وقد غفر الله لك ؟ فقال : ذلك كان بكاء الحزن والخوف ، وهذا بكاء
 للشكر والسرور .

- وقيل : الشاكر مع^(٣) المزيد ؛ لأنه في شهود النعمة^(٤) ، قال الله تعالى : « لئن
 شكرتم لأزيدنكم »^(٥) والصابر مع الله تعالى ، لأنه بشهود المبتلى^(٦) ، قال الله سبحانه :
 « إن الله مع الصابرين » .

وقيل : قدم وفد على عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، وكان فيهم شاب . .
 فأخذ يخطب ، فقال عمر : الكبر . . الكبر . . فقال له الشاب : يا أمير المؤمنين ،
 لو كان الأمر بالسن ، لكان في المسلمين من هو أسن منك . . فقال : تكلم . فقال :

(٢) من آية ٦ من سورة التحريم .

(٤) أي حضورها .

(٦) وفي نسخة « المبتلى له » .

(١) أي إطالتها .

(٣) أي كائن .

(٥) آية ٧ من سورة إبراهيم .

لسنا وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة . أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما
الرهبة فقد آمننا منها عدلك . فقال له : فمن أنتم ؟ فقال : وفد الشكر ، جئناك
نشكرك وننصرف .

وأنشدوا :

ومن الرزية أن شكرى صامت عما فعلت وأن برك ناطق

أرى الصنيعة منك ثم أسرها (١) إني إذن ليد (٢) الكريم لسارق

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أرحم عبادى : المبتلى ، والمعافى .

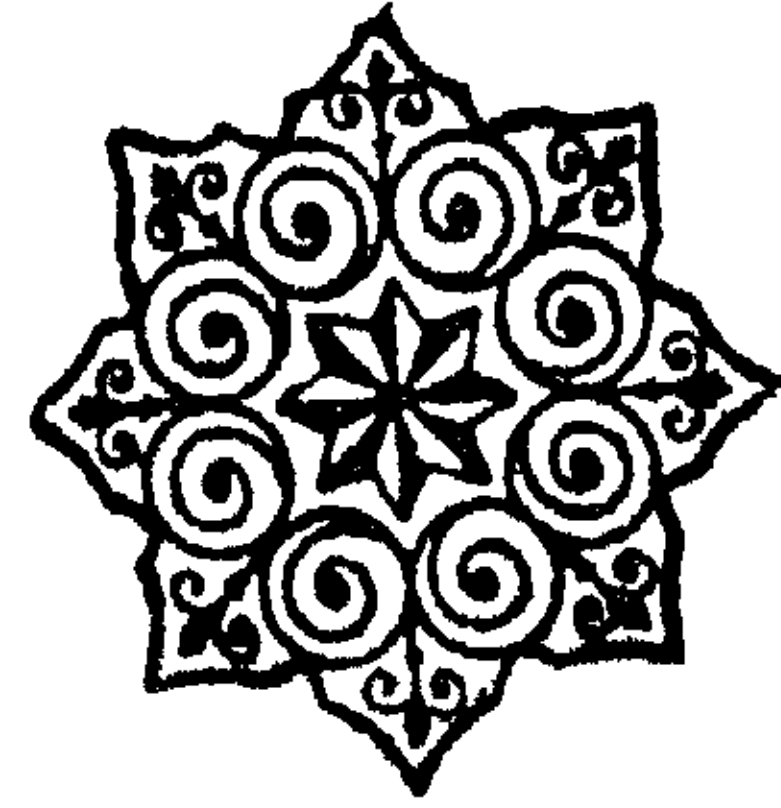
فقال : ما بال المعافى ؟ فقال : لقلة شكرهم على عافيتى إياهم .

وقيل : الحمد على الأنفاس ؛ والشكر على نعم الحواس وقيل : الحمد ابتداء منه
والشكر افتداء منك وفى الخبر الصحيح « أول من يدعى الى الجنة الحامدون لله على
كل حال » وقبل الحمد على مادفع ، والشكر على ماصنع .

وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن فى
السن ، فسألته عن حاله ، فقال : إني كنت فى ابتداء عمري أهوى ابنة عم لى ؛
وهى كذلك كانت تهوانى ؛ فاتفق أنها زوجت منى ، فليلة زفافها قلنا : تعال :
حتى نحى هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا . فصلينا تلك الليلة ، ولم يتفرغ أحدنا
لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك . فمئذ سبعين ؛ أو ثمانين سنة ، نحن على
تلك الصفة كل ليلة : أليس كذلك يا فلانة ، فقالت العجوز : كما يقول الشيخ .

(١) أخفيها .

(٢) لقيته .



الباب الثالث والعشرون اليقين

•• اذا وصل الى القلب
ملأ القلب نورا •••• !

باب اليقين

قال الله تعالى : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » (١)

حدثنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي بها قال : حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال : حدثنا خالد ، يعني « ابن زيد » قال : حدثنا سفيان الثوري ، وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة ، عن سليمان التيمي ، عن خيشمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا ترضين أحداً بسخط الله تعالى ، ولا تحمدن أحداً على فضل الله عز وجل ، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتكم الله تعالى ، فان رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره ، وإن الله تعالى — بعدله وقسطه — ، جعل الروح (٢) والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط » (٣).

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال : حدثنا عياش بن حمزة قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : قال أبو عبد الله الأنطاكي :

ان أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً ، وينفى عنه كل ريب ، ويمتلئ القلب به شكراً ، ومن الله تعالى خوفاً .

ويحكى عن أبي جعفر الحداد قال : رأيته أبو تراب النخشي ، وأنا في البادية جالس على بركة ماء ، ولي ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب فقال لي : ماجلوسك ؟ فقلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه ، يعني « إن غلب على العلم شربت ، وإن غلب اليقين مررت » فقال لي : سيكون لك شأن .

(١) آية ١ من سورة البقرة .

(٢) أي الراحة .

(٣) رواه الطحاوي في المعتمد بسند صحيح .

وقال أبو عثمان الحيرى : اليقين قلة الاهتمام لغد .
 وقال سهل بن عبد الله : لليقين : من زيادة الإيمان ، ومن تحقيقه .
 وقال سهل أيضاً : اليقين : شعبة من الإيمان ، وهو دون التصديق .
 وقال بعضهم : اليقين : هو العلم المستودع فى القلوب . يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب .

وقال سهل : ابتداء اليقين : المكاشفة ، ولذلك قال بعض السلف : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، تم المعاينة والمشاهدة .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات .

وقال أبو بكر بن طاهر : العلم : بمعارضة الشكوك ، واليقين : لاشك فيه .
 أشار إلى العلم الكسبي وما يجرى مجرى البديهي ، وكذلك علوم القوم فى الابتداء كسبي ، وفى الانتهاء بديهي .

سمعت محمد بن الحسين يقول : قال بعضهم : أول المقامات (١) . المعرفة ، ثم اليقين ، ثم التصديق ، ثم الإخلاص ، ثم الشهادة (٢) ، ثم الطاعة . والإيمان اسم يجمع هذا كله . أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات ، هو المعرفة بالله سبحانه . والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها . وهو النظر الصائب ، ثم إذا توالى الأدلة ، وحصل البيان صار تتوالى الأنوار ، وحصول الاستبصار ، كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ، ثم تصديق الحق ، سبحانه ، فيما أخبر عند صغائه إلى إجابة الداعى فيما يخبر من أفعاله ، سبحانه فى المستأنف (٣) ؛ لأن التصديق إنما يكون فى الإخبار ، ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر ، ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة ، ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيما أمر به ، والتجرد عما زجر عنه .
 وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك ، فيما سمعته ، يقول : ذكر اللسان فضيلة بفيض بها (٤) القلب .

وقال سهل بن عبد الله : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى .

(١) درجات الإيمان .

(٢) أى الاقرار باللسان مع الشكر .

(٣) المستقبل .

(٤) فى نسخة : عليها .

وقال ذو النون المصري : اليقين داع إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل بدعو إلى الزهد ، والزهد يورث الحكمة ، والحكمة تورث النظر في العواقب .

وسمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس الغدادي يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

ثلاثة من أعلام اليقين :

قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتتره عن ذمهم عند المنع .

وثلاثة من أعلام يقن اليقين .

النظر إلى الله تعالى في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال .

وقال الجنيد ، رحمه الله : اليقين : هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب .

وقال ابن عطاء : على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين .

وأصل التقوى : مبانة الهوى ، ومبانة الهوى مبانة النفس ، فعلى قدر مفارقتهم النفس وصاوا إلى اليقين .

وقال بعضهم : هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاثة أوجه :

مكاشفة بالإخبار ، ومكاشفة باظهار القدرة ، ومكاشفة بحقائق الإيمان .

واعلم أن المكاشفة في كلامهم ، عبارة : عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب ، وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الراي من اليقظة والنوم . وكثيراً ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة ، « الثبات » .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول : سألت أبا عثمان المغربي ، فقلت : ما هذا الذي تقول ؟

قال : الأشخاص أراهم كذا . . وكذا ، فقلت : تراهم معانة او مكاشفة ؟ فقال : مكاشفة .

وقال عامر بن عبد قيس : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

وقيل : اليقين : رؤية العيان بقوة الإيمان .

وقيل : اليقين : زوال المعارضات .

وقال الجنيد ، رحمه الله ، اليقين : ارتفاع الرب في مشهد الغيب .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول ، في قول النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى ابن مريم عليه السلام : « لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء كما مشيت فيه » .

قال رحمه الله : أنه أشار بهذا إلى حال نفسه ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة المعراج ؛ لأن في لطائف المعراج أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « رأيت البراق قد نبى ومشيت » .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت السري يقول ، وقد سئل عن اليقين ، فقال :

اليقين : سكونك عند جولان الموارد في صدرك ، لتبينك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضياً .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أبا جعفر الأصهباني يقول : سمعت علي بن سهل يقول : الحضور أفضل من اليقين ، لأن الحضور وطئات (١) ، واليقين خطرات .

كانه جعل اليقين ابتداء الحضور ، والحضور دوام ذلك . فكانه جوز حصول اليقين خالياً من الحضور ، وأحال جواز الحضور بلا يقين ؛ ولهذا قال النوري : اليقين : المشاهدة . يعني أن في المشاهدة يقيناً لا شك فيه ، لأنه لا شاهده ، تعالى من لا يثق بما منه .

وقال أبو بكر الوراق : اليقين : ملاك القلب ، وه كمال الإيمان ، وباليقين عرف الله تعالى ، وبالعقل عقل عن الله تعالى .

وقال الجنيد : قد مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفرأ يقول : قال إبراهيم الخواص :

(١) من توطن : أى أقام واستوطن .

لقيت غلاماً في التيه (١) ، كأنه سبيكة فضة ، فقلت : إلى أين يا غلام ؟ فقال : إلى مكة . فقلت : بلا زاد ، ولا راحلة ، ولا نفقة . فقال لي : يا ضعيف اليقين ، الذي يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا علاقة (٢) قال : فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف وهو يقول :

يا عين سحى أبداً يا نفس موتى كمداً
ولا تحي أحداً إلا الجليل الصمداً

فلما رأيته قال لي : يا شيخ ، أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين ؟ .
وسمعتة يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الهرجوري يقول :
إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة ، والرخاء مصيبة .
وقال أبو بكر الوراق : اليقين على ثلاثة أوجه :
يقين خبر ، ويقين دلالة ، ويقين مشاهدة .

وقال أبو تراب للنخشي : رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد ، فقلت : إن لم يكن معه يقين فقد هلك . فقلت : يا غلام ، في مثل هذا الموضع بلا زاد ؟ فقال : يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل ؟ فقلت : الآن إذهب حيث شئت .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت محمد ابن عيسى يقول : قال أبو سعيد الخراز : العلم ما استعملك (٣) ، واليقين : ما حملك (٤) .
وسمعتة يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا عثمان الآدمي يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : طلبت المعاش لأكل الحلال ! فاصطدت السمك ، فيوماً وقعت في الشبكة سمكة ، فأخرجتها وطرحت للشبكة في الماء فوقعت أخرى فيها . فرميت بها تم عدت ، فهتف بي هاتف : لم تجد معاشاً إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتلهم . . . !

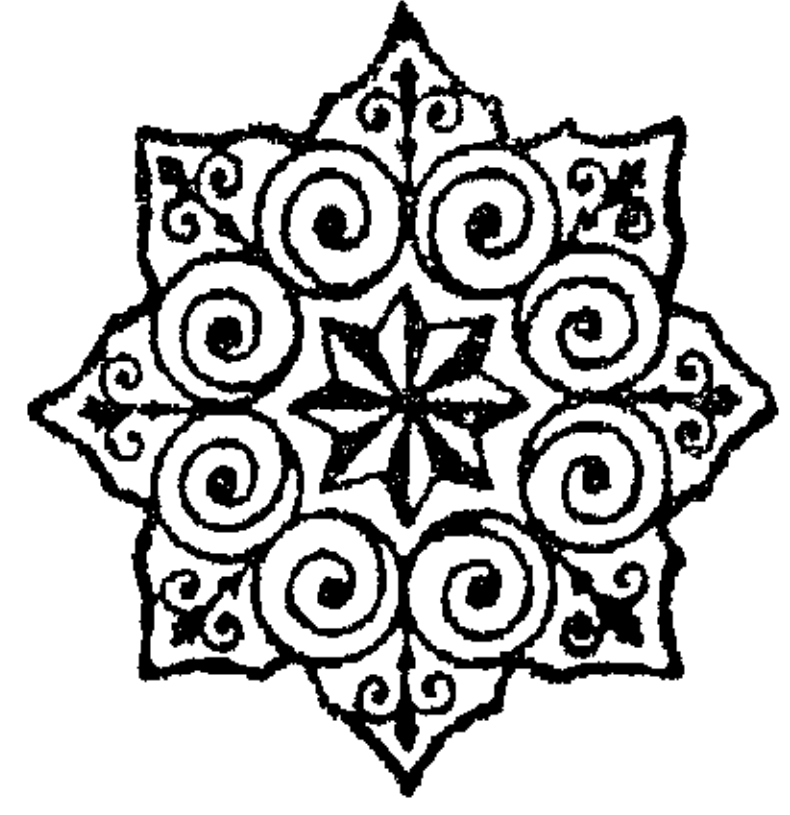
قال : فكسرت للقصبة ، وتركت الاصطياد (٥) .

(١) التيه : الصحراء التي يتاه فيها .

(٢) العلاقة : ما يتبلغ به من العيش ، قال ذلك لقوة يقينه ، ولطف ربه ، وإن كانت السنة حمل الزاد في السفر ، ولا يدل حمله على ضعف اليقين مطلقاً ، فإن الأنبياء والأئمة حملوه في السفر . لكنهم لم يعتمدوا عليه وإنما اعتمدوا على ربهم .

(٣) أي ما قادك إلى العمل . (٤) أي بعثك على الجذل في طاعة الله والرضا بقضائه .

(٥) يقول الشيخ ذكرى الأنصاري : « ليس ذلك إنكاراً للاصطياد ، ولا لطلب الحلال ، بل عادة الله تعالى أن يؤدب أوليائه بخواطر ينهبهم بها على أنهم لا يسكنون إلى غيره تعالى ؟ فتى علم من أحدهم سكوناً إلى غيره نيه ليرجع إليه ويعتمد عليه دون الأسباب » .



الباب الرابع والعشرون الصبر

قيل : « .. الصبر على الطلب
عنوان الظفر .. والصبر في
المحن علامة الفرج .. »

باب الصبر

قال الله ، عز وجل : « واصبر وما صبرك إلا بالله » (١) .

وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا أحمد بن علي الخراز قال : حدثنا أسيد بن زيد قال : حدثنا مسعود بن سعد ، عن الزيات ، عن أبي هريرة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، رفعت (٢) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصبر عند الصدمة الأولى » (٣) .

وأخبرنا علي بن أحمد قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا أحمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن مرداس قال : حدثنا يوسف بن عطية ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصبر عند الصدمة الأولى » (٤) .

ثم الصبر على أقسام :

صبر على ما هو كسب للعبد ، وصبر على ما ليس بكسب له .

فالصبر على المكتسب ، على قسمين :

صبر على ما أمر الله تعالى به ، وصبر على ما نهى عنه .

وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد : فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى ، قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل حين على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب (٤) الله تعالى شديد ، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد ، والصبر مع الله أشد .

وسئل الجليل عن الصبر ، فقال : هو تجرع المرارة من غير تعب .

(١) آية ١٢٧ من سورة النحل .

(٢) أى إلى الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) ، ، متفق عليه .

(٤) أى في طاعته .

وقال على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

وقال أبو القاسم الحكيم : قوله تعالى : « واصبر » أمر بالعبادة ، وقوله « وما صبرك إلا بالله » عبودية ، فمن ترقى من درجة « لك » (١) إلى درجة « بك » ، فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية .

قال صلى الله عليه وسلم : « بك أحيا وبك أموت » .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت أبا جعفر الرازى يقول : سمعت عياشاً يقول : سمعت أحمد يقول : سألت أبا سليمان عن الصبر ، فقال : والله ما نصبر على ما نحب ، فكيف على ما نكره ؟ ! .

وقال ذو النون : الصبر : التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر وساحات المعيشة .

وقال ابن عطاء : الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقيل : هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى .

وقال أبوعثمان : الصبار : الذى عود نفسه الهجوم على المكاره .

وقيل : الصبر : المقام مع البلاء بحسن الصحبة ، كالمقام مع العافية .

وقال أبوعثمان : حسن الجزاء على عبادة : الجزاء على الصبر ، ولا جزاء فوقه ، قال الله عز وجل : « ولنجزى الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) .

وقال عمرو بن عثمان : الصبر . هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة .

وقال الخواصن : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

(١) أشار إلى التفرقة بين الصبر لله ، والصبر بالله . فالصبر لله تشعر بالاستقلال بالفعل . والصبر بالله تؤذن بالتبلى من الحول والقوة .

(٢) آية ٩٦ من سورة النحل .

وقال يحيى بن معاذ : صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجباً ، كيف يصبرون ؟ . وانشدوا :

الصبر بحمد في المواطن كلها إلا عياك فانه لا بحمد

وقال رويم : الصبر : ترك الشكوى .

وقال ذو النون : الصبر : هو الاستعانة بالله تعالى .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الصبر كاسمه .

وانشدني الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : أنشدني أبو بكر الرازي قال :

أنشدني ابن عطاء لنفسه :

صابر ، كي ترضى ، واتلف حسرة وحسبي أن رضى ويتلفني صبرى

وقال أبو عبد الله بن خفيف : الصبر على ثلاثة أقسام : متصبر ، وصابر ، وصبار .

وقال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علي بن عبد الله البصرى يقول : وقف

رجل على الشبلى فقال : أى صبر اشد على الصابر بن ؟

فقال : الصبر في الله عز وجل ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، قال : لا ،

قال : الصبر مع الله ، قال : لا . قال : فأى شيء ؟ قال : الصبر عن الله .

قال : فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه أن تتلف .

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا محمد

الجريري يقول :

الصبر : أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة ، مع سكون الخاطر فيهما ، والتصبر :

هو السكون ، مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة .

وانشد بعضهم :

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن تشكو ضمير صبابي إلى دمعتي سراً فتجرى ولا أدري

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

فاز الصابرون بعز الدارين ؛ لأنهم نالوا من الله تعالى معيته : قال الله تعالى « إن الله مع الصابرين » (١) .

وقيل في معنى قوله تعالى : « اصبروا وصابروا ورابطوا » الصبر : دون المصابرة ، والمصابرة : دون المراقبة .

وقيل : اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى ، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله .

وقيل : اصبروا في الله ، وصابروا بالله ، ورابطوا مع الله .

وقيل : أو : الله تعالى إلى داود عليه السلام : يخاف - خلائ ، وإن من أخلاق أنى أنا الصبور .

وقيل : تجرع الصبر ، فإن قتلك قتلك شهيداً ، وإن أحياء أحياء عزيزاً .

وقيل : الصبر لله : عناء ، والصبر بالله : بقاء ، والصبر في الله : بلاء ، والصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله : جفاء .

وأنشدوا :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود
وأنشدوا :

وكيف الصبر عن حل منى بمنزلة اليمين من الشمال
إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل : الصبر على الطلب عنوان الظفر ، والصبر في المحن علامة الفرج .

سمعت منصور بن خلف المغربي ، رحمه الله ، يقول : جرد واحد للسيات ، فلما رد إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده ، وآتى من فيه دقاق الفضة على يده فسئل ، فقال : كان في في درهمان ، وكان على حاشية الحلقة لى عين ، فلم أرد أن أصبح لرؤيته إياي . . . فكنت أعض على الدرهمين . . فتكسرا في في .

وقيل : حالك التي أنت فيها رباطك ، وما دون الله تعالى أعداؤك ، فأحسن المراقبة في رباط حالك .

(١) آية ٤٦ من سورة الأنفال .

وقيل : المصابرة : هي للصبر على الصبر ، حتى تستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر ، كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبراً
وقيل : حبس الشبلى وقتاً في المارستان ، فدخل عليه جماعة ؛ فقال : من أنتم ؟ فقالوا . أحباؤك جاعوك زائرين .

فأخذ برميهم بالحجر وأخذوا يهربون .
فقال : يا كذابون ، لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي .
وفي بعض الأخبار . بعني ما تتحمل المتحملون من أجلى .
وقال الله تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » (١) .

وقال بعضهم : كنت بمكة . . فرأيت فقيراً طاف بالبيت ، وأخرج من جيبه رقعة ، ونظر فيها ، ومرو ، فلما كان بالغد ، فعل مثل ذلك ، فترقته ألاماً وهو يفعل مثل ذلك ، فيوماً من الألام طاف ونظر في الرقعة ، وتباعد قليلاً . . وسقط ميتاً ، فأخرجت الرقعة من جيبه ، فاذا فيها :
« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » (٢) .

وقيل : رثي حدث يضرب وجه شيخ بنعله ، فقيل له : ألا تستحي . . تضرب حروجه شيخ بمثل هذا ؟ فقال : جرمه عظيم . فقيل : وما ذاك ؟
فقال : هذا الشيخ يدعى أنه يهوانى ، ومنذ ثلاث ما رآنى .

وقال بعضهم : دخلت بلاد الهند ، فرأيت رجلاً بفرد عين « سمي فلانا الصبور » فسألت عن حاله ، فقيل : هذا في عنفوان شبابه سافر صديق له ، فخرج في وداعه ، فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى ، فقال لعينه التي لم تدمع : لم لم تدمعي على فراق صاحبي ؟ لأحرمك النظر إلى الدنيا وغمض عينه ، فمذ ستين سنة لم تفتح عينه .

وقيل في قوله تعالى : « فاصبر صبراً جميلاً » : الصبر الجميل : أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، لو كان الصبر والشكر عبرين ، لم أنال أيهما ركبت .

وكان ابن شبرمة ، رحمه الله ، إذا نزل به بلاء قال : سحابة تم تنقشع .

وفى الخبر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل عن الإيمان ، فقال : « الصبر والسماحة » (١) .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفى قال : حدثنا محمد بن على التيجانى قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى قال : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا سويد بن حام قال : حدثنا عبد الله بن عبيد ، عن عمر ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فقال : « الصبر والسماحة » (٢) .

وسئل السرى عن الصبر ، فجعل يتكلم فيه ، فدب على رجله عقرب ، وهى تضربه بأبرتها ضربات كثيرة ، وهو ساكن . فقيل له : لم لم تنحها ؟ . فقال : استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى الصبر ، ولم أصبر .

وفى بعض الأخبار : الفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة .

وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أنزلت بعبدى بلائى ، فدعانى ، فما طلته بالإجابة ، فشكاني ، فقلت : باعدى ، كيف أرحمك من شىء به أرحمك .

وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى : « وجعلنا مهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا » (٣) قال :

لما أخذوا برأس الأمر (٤) جعلناهم رؤساء (٥) .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : إن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير ؛ فاما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا منافى للصبر ، قال الله تعالى فى قصة أيوب : « إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب » (٦) مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال : « مسى الضر » .

(١) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٢) السجدة : ٢٤ .

(٥) أى أئمة .

(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٤) أى الصبر .

(٦) آية ٤٤ من سورة ص .

وسمعتة يقول : استخرج الله منه هذه المقالة : يعنى قوله : « مسى الضر » لتكون متنفساً لضعفاء هذه الأمة .

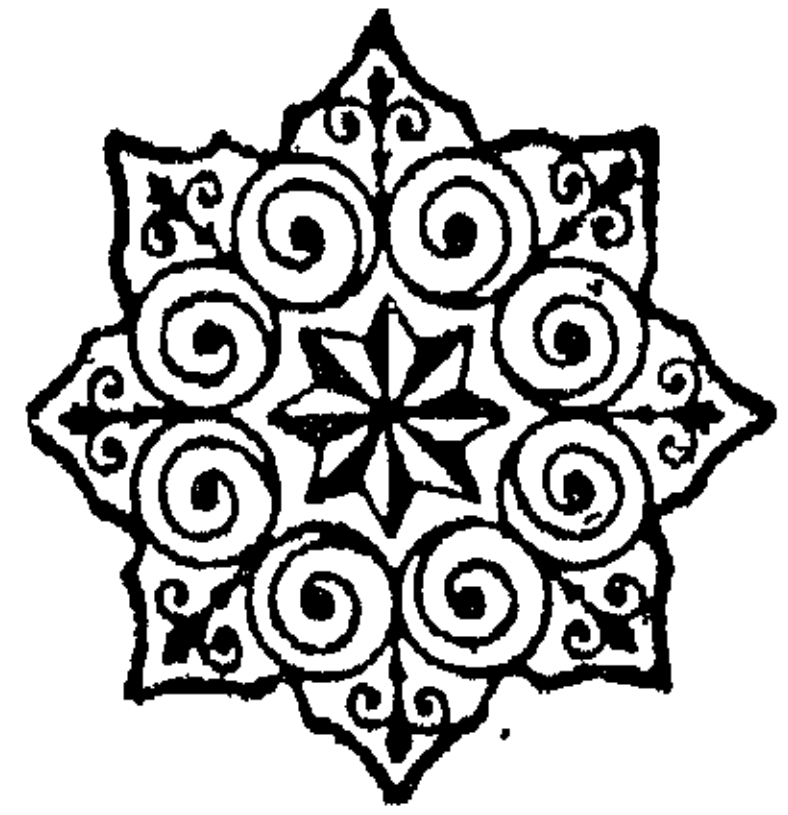
وقال بعضهم : إنا وجدناه صابراً ، ولم نقل « صبوراً » لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر ، بل كان فى بعض أحواله يستلذ البلاء ، ويستعذبه ، فلم يكن فى حال الاستلذاد صابراً ؛ فلذلك لم نقل : « صبوراً » .

سمعت الأستاذ أباعلى ، رحمه الله ، يقول : حقيقة الصبر : الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه ، مثل أيوب عليه السلام فإنه قال فى آخر بلائه : « م نى الضر وأنت أرحم الراحمين » فحفظ أدب الخطاب ، حيث عرض بقوله : « وأنت أرحم الراحمين » ولم يصرح بقوله : « أرحمنى » .

واعلم ان الصبر على ضررين : صبر العابدين ، وصبر المحبين .

فصبر العابدين ، أحسنه : أن يكون محفوظاً^(١) ، وصبر المحبين أحسنه : أن يكون مرفوضاً^(٢) . وفى معناه أنشدوا :

تبين يوم البين أن اعتزامه على الصبر من إحدى الظنون للكواذب
وفى هذا المعنى سمعت الأستاذ أباعلى ، رحمه الله ، يقول : أصبح يعقوب ، عليه السلام ، وقد وعد الصبر من نفسه ، فقال : « فصبر جميل » أى : فشأنى صبر جميل ، ثم لم يمض حتى قال : يا أسفا « على يوسف » .



الباب الخامس والعشرون المراقبة

« .. من راقب الله تعالى في
خواتمه .. عصمه الله في
جوارحه .. »

باب المراقبة

قال الله تعالى : « وكان الله على كل شيء رقيبا » (١) .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق ، قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق ، قال : حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ، قال : حدثنا خالد بن يزيد قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : « جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل ، فقال : يا محمد ، ما الإيمان ؟ . قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر : خيره وشره ، وحلوه ومره . قال : صدقت . قال : فتعجبنا من تصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . قال : صدقت . قال فأخبرني ما الإحسان ؟ قال : الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت . . » الحديث (٢) .

قال الشيخ : هذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » إشارة إلى حال المراقبة ، لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه ، فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه ، وهذا أصل كل خير له ، ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة ، فاذا حاسب نفسه على ما سلف له ، وأصلح حاله في الوقت ، ولازم طريق الحق ، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب ، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس ، وراقب الله تعالى في عموم أحواله ، فيعلم أنه سبحانه ، عليه رقيب ، ومن قلبه قرب ، يعلم أحواله ، ويرى أفعاله ، ويسمع أقواله ، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة ، فكيف عن حقائق القربة .

(١) آية ٥٢ من سورة الأحزاب .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت الجريدي يقول : من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

كان لبعض الأمراء وزير ، وكان بين بديه يوماً ، فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً ، لا لرربة ، ولكن لحركة أو صوت أحسن به منهم ، فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف للوزير أن تتوهم الأمير أنه نظر إليهم ، فيجعل ينظر إليه كذلك ، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير ، وهو أبداً ينظر إلى جانب ، حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه ، وحول فيه . فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق ، فكيف مراقبة العبد لسيدته ؟ .

سمعت بعض الفقراء يقول : كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه ، ولم يكن أكبرهم قيمة ، ولا أحسنهم صورة ؛ فقالوا له في ذلك ، فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره . فيوماً من الأيام كان راكباً ومعه الحشم ، وبالبعد منهم جبل عليه ثلج ، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه ، فركض الغلام فرسه ، ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث إلا سيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج . فقال له الأمير : ما أدراك أتى أردت الثلج ؟ فقال الغلام : لأنك نظرت إليه ، ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح . فقال الأمير : إنما أخصه باكرامى وإقبالي ؛ لأن لكل أحد شغلا ، وشغله مراعاة لحظاتي ، ومراقبة أحوالي .

وقال بعضهم : من راقب الله تعالى في خواطره ، عصمه الله في جوارحه .

وسئل أبو الحسين بن هند : متى يهش الراعي غنمه بعصا للرعاية عن مراتع الهلكة ؟ فقال : إذا علم أن عليه رقيباً .

وقيل : كان ابن عمر ، رضى الله عنه ، فى سفر ، فرأى غلاماً يرعى غنماً ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ .

فقال : إنها ليست لى . فقال : قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة ، فقال العبد : فأن الله . . . فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة : قال ذلك العبد : فأن الله . وقال الجنيد : من تحقق فى المراقبة خاف فوت حظه من ربه عز وجل لاغير .

وكان بعض المشايخ له تلامذة . . فكان يخصص واحداً منهم باقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : أبين لكم ذلك . . فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً ، وقال له : إذبحه بحيث لا يراه أحد ، ودفع إلى هذا أيضاً ، ففوضوا . . ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره ، وجاء هذا بالطائر حياً . فقال : هلا ذبحته ؟ فقال : أمرتنى أن أذبحه فى مكان لا يرانى فيه أحد ولم أجد مكاناً لا يرانى فيه الله فلم أذبحه لأن الله يرانى فى كل مكان لهذا أخصه باقبالى عليه .

وقال ذو النون المصرى : علامة المراقبة : إيثار ما آثر الله تعالى ، وتعظيم ما عظم الله تعالى ، وتصغير ما صغر الله تعالى .

وقال النصرانى : الرجاء : يحركك إلى الطاعات ، والخوف : يبعدك عن المعاصى ، والمراقبة : تؤدبك إلى طرق (١) الحقائق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سألت جعفر بن نصير عن المراقبة ، فقال : مراعاة السر ، للملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطرة .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسن الفارسى يقول : سمعت الجريرى يقول : أمرنا هذا مبنى على فصاين : وهو (٢) أن تلتزم نفسك المراقبة لله تعالى ، ويكون العلم على ظاهره قائماً .

(٢) الأولى أن يقول : « وهما » .

(١) درحات .

وسمعت به يقول : سمعت أبا القاسم البغدادي يقول : سمعت المرتعش يقول :
المراقبة : مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة .

وسئل ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : مراقبة الحق على دوام الأوقات .
وقال إبراهيم الخواص : المراعاة تورث المراقبة ، والمراقبة تورث خلوص
السر والعلانية لله تعالى .

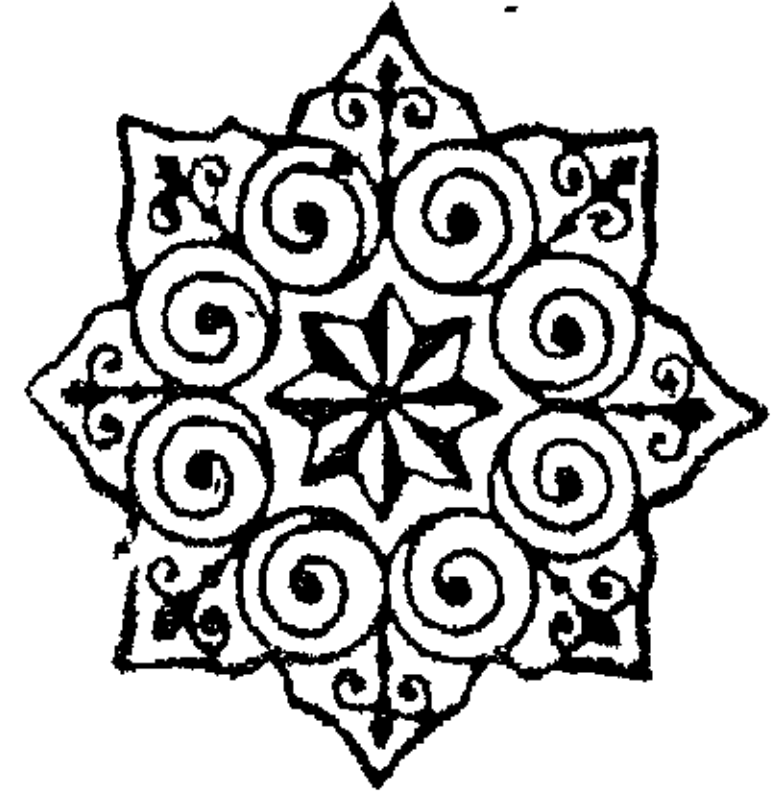
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول سمعت أبا عثمان
المغربى يقول :

أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه في هذه الطريقة : المحاسبة ، والمراقبة ، وسياسة
عمله بالعلم .

وسمعت به يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان : يقول : قال لى
أبو حفص : إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك ، ولا بغرنك إجماعهم
عليك ، فانهم يراقبون ظاهرك ، والله يراقب باطنك .

وسمعت به يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر الصيدالانى
يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : قال لى بعض مشايخى : عليك بمراعاة سر
والمراقبة . . قال : فبينما أنا يوماً أسير فى البادية ، إذ أنا بخشخشة خفى ، فهالنى
ذلك . . وأردت أن التفت فلم التفت . . فرأيت شيئاً واقفاً على كفى . . فانصرف ،
وأنا مراعى لسرى . . ثم التفت ، فاذا أنا بسبع عظيم .

وقال الواسطى : أفضل الطاعات حفظ الأوقات . وهو : أن لا يطالع العد غير
حده ، ولا يراقب غير ربه ، ولا يقارن غير وقته .



الباب السادس والعشرون الرضاء

« . . الرضا : اخراج الكراهية
من القلب . . حتى لا يكون فيه
الافرح وسرور . . »

باب الرضا

قال الله عز وجل : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » . . . الآية (١) .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي ، رحمه الله ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا الكرمي ، قال : حدثنا يعقوب بن إسماعيل السلال ، قال : حدثنا أبو عاصم العباداني ، عن الفضل بن عيسى الرقاشي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « بينا أهل الجنة في مجلس لهم ، إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب تعالى قد شرف عليهم ، فقال : يا أهل الجنة ، سلوني . فقالوا : نسألك الرضا عنا ، قال تعالى : نسألك الزيادة . قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر . . أزمتها زمرد أخضر ، وياقوت أحمر ، فجاءوا عليها ، تضع حوافرها عند منتهى طرفها (٢) ، فيأمر الله ، سبحانه ، بأشجار عليها الثمار وتجيء جوار من الحور العين ، وهن بقلن : نحن للناعمات فلا نبؤس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله ، سبحانه ، بكثبان (٣) من مسك أبيض أذفر ، فتشر عليهم ريحاً يقال لها « المشيرة » حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن ، وهي « قصبة » (٤) الجنة ، فتقول الملائكة : يا ربنا ، قد جاء للقوم . فيقول الله : مرحباً بالصادقين . . مرحباً بالطائعين .

قال : فيكشف لهم الحجاب . . فينظرون إلى الله ، عز وجل . . فيتمتعون بنور الرحمن ، حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ، ثم يقول : أرجعوههم إلى القصور بالتحف . قال : فرجعون ، وقد أبصر بعضهم بعضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذلك قوله تعالى : « نزلنا من غفور رحيم » .

وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا : هل هو من الأحوال ، أو من المقامات ؟

فأهل خراسان قالوا : الرضا : من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه : أنه يثون إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه .

وأما العراقيون ؛ فانهم قالوا : الرضا : من جملة الأحوال ، وليس ذلك كسباً للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال .

(١) آية ٨ من سورة البقرة .

(٢) أى بصرها

(٣) أى تلال .

(٤) أى وسطها والمراد أحسنها .

ويمكن الجمع بين اللسانين^(١) ؛ فيقال : بداية الرضا مكتسبة للعبد ، وهى من المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال ، وليست بمكتسبة .

وتكلم الناس فى الرضا ؛ فكل عبر عن حاله وشره^(٢) ، فهم فى العبارة عنه مختلفون ، كما أنهم فى الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون .

فأما شرط العلم ، والذي هو لا بد منه : فالراضى بالله تعالى ، هو : الذى لا يعترض على نقدره .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : ليس الرضا أن لاتحسن بالبلاء ، إنما الرضا : أن لاتعترض على الحكم والقضاء .

واعلم أن الواجب على العبد : أن يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضا به ؛ إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به ؛ كالمعاصى ، وفنون محن المسلمين .

وقال المشايخ : الرضا باب الله الأعظم . يعنون : أن من أكرم بالرضا فقد لى بالترحيب الأوفى ، وأكرم بالتقرب الأعلى .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : أخبرنا أبوجعفر الرازى قال : حدثنا العباس بن حمزة قال : حدثنا ابن أبى الحواري قال : قال عبد الواحد بن زيد : الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا .

واعلم : أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق ، سبحانه ، إلا بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه ؛ لأن الله عز وجل قال : « رضى الله عنهم ورضوا عنه »^(٣) .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : قال تلميذ لأستاذه : هل يعرف العبد أن الله تعالى راضى عنه ؟ فقال : لا ، كيف يعلم ذلك . ورضاه غيب ؟ فقال التلميذ : بل يعلم ذلك ، فقال : كيف ؟ . فقال : ذا وجدت قلبى راضياً عن الله تعالى ، علمت أنه راضى عني فقال الأستاذ : أحسنت يا غلام .

وقيل : قال موسى عليه السلام : إلهى ، دلنى على عمل إذا عملته رضت به عني . فقال : إنك لا تطيق ذلك . فخر موسى عليه السلام ساجداً له ، متضرعاً ، فأوحى الله تعالى إليه : يا ابن عمران ، إن رضائى فى رضاك بقضائى .

(١) أى القولين .

(٢) أى نصيبه .

(٣) آية ٨ من سورة البينة .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، قال : حدثنا العباس بن حمزة قال : حدثنا ابن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : إذ سلا لئلا عن الشهوات فهو راضٍ .
وسمعت يقول : سمعت للنصر اباذى يقول : من اراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه .

وقال محمد بن خفيف : الرضا على قسمين : رضا به ، ورضا عنه ؛ فالرضا به أن برضاه مدبراً ، والرضا عنه فيما يقضى .
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : طريق السالكين أطول ، وهو طريق الرياضة ، وطريق الخواص أقرب ، لكنه أشق ، وهو أن يكون عملاً بالرضا ، ورضاك بالقضاء .

وقال رويم : الرضا : أن لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره .
وقال أبو بكر بن طاهر : الرضا : إخراج الكراهية من القلب ، حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور .

وقال اللواسطي : استعمل الرضا جهداً ، ولا تدع الرضا ستعملك ؛ فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع .

واعلم أن هذا الكلام الذي قاله اللواسطي شيء عظيم ، وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية ، فإن للسكون عندهم إلى الأحوال : حجاب عن محول الأحوال فإذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه .

ولقد قال اللواسطي أيضاً : إياكم واستحلاء الطاعات ، فإنها (١) سموم قاتلة .
وقال ابن خفيف : الرضا : سكون القلب إلى أحكامه ، وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره له .

وسئلت رابعة العدوية : متى يكون العبد راضياً ؟ فقالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة .

وقيل . قال الشبلي بن بدى الحنيد : لاحول ولا قوة إلا بالله ، فقال له الحنيد . قولك ذا ضيق صدر ، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء ، فسكت للشبلي .

(١) الأول أن يقال . فإنه . أي استحلاء الطاعات . أي التلذذ بنوع منها .

وقال أبو سليمان الداراني : الرضا أن لا يسأل الله تعالى الجنة ، ولا تستعبد به من النار .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس الغدادي يقول : سمعت محمد ابن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون المصري ، رحمه الله ، يقول : ثلاثة من أعلام الرضا :

ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المראה بعد القضاء ، وهيجان الحب في حشو البلاء .

وسمعت محمد بن جعفر الغدادي يقول : سمعت إسماعيل ابن محمد الصفار يقول : سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول : قيل للحسين بن علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنهما : إن أبا ذر يقول : أفقر أحب إلى من الغني ، والسقم أحب إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله عز وجل له .

وقال الفضيل بن عياض لشر الحافي : الرضا أفضل من الزهد في الدنيا ؛ لأن للراضي لا يتمنى فوق ، منزلته .

وسئل أبو عثمان عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أسألك الرضا بعد القضاء » لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا ، والرضا بعد القضاء هو الرضا .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت ابن أبي حسان الأنماطي يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت أبا سليمان يقول : أرجو أن أكون عرفت طرفا من الرضا : لو أنه أدخلني النار لكنت بذلك راضيا .

وقال أبو عمر الدمشقي : الرضا : ارتفاع الجزع في أي حكم كان ، وقال الحنيد : الرضا : رفع الاختيار ، وقال ابن عطاء : الرضا : نظر القلب إلى قدم اختيار الله تعالى للعد ، وهو ترك التسخيط ، وقال رويم . الرضا : استقبال الأحكام^(١) بالفرح ، وقال المحاسبي : الرضا : سكون القلب تحت مجاري الأحكام ، وقال النوري^(٢) : الرضا : سرور القلب بمر القضاء .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت
الحريري يقول : من رضى بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت الحسن بن علوية يقول :
قال أبو تراب النخشي : ليس ينال الرضا من الدنيا شي قله مقدار .

أخبرنا للشيخ ابو عبد الرحمن السلمي ، قال : أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال :
حدثنا عبد الله بن شروبه قال : حدثنا بشر بن الحكم قال : حدثنا عبد العزيز بن
محمد ، عن يزيد بن الهادي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن العباس
ابن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا » .

وقيل : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ، رضى الله عنهما ، :
« أما بعد ، فإن الخير كله في الرضا ، فإن استطعت أن ترضى ، وإلا ،
فاصبر » .

وقيل : إن عتة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح : « إن تعذني فأنا لك محب ،
وإن ترحمني فأنا لك محب » .

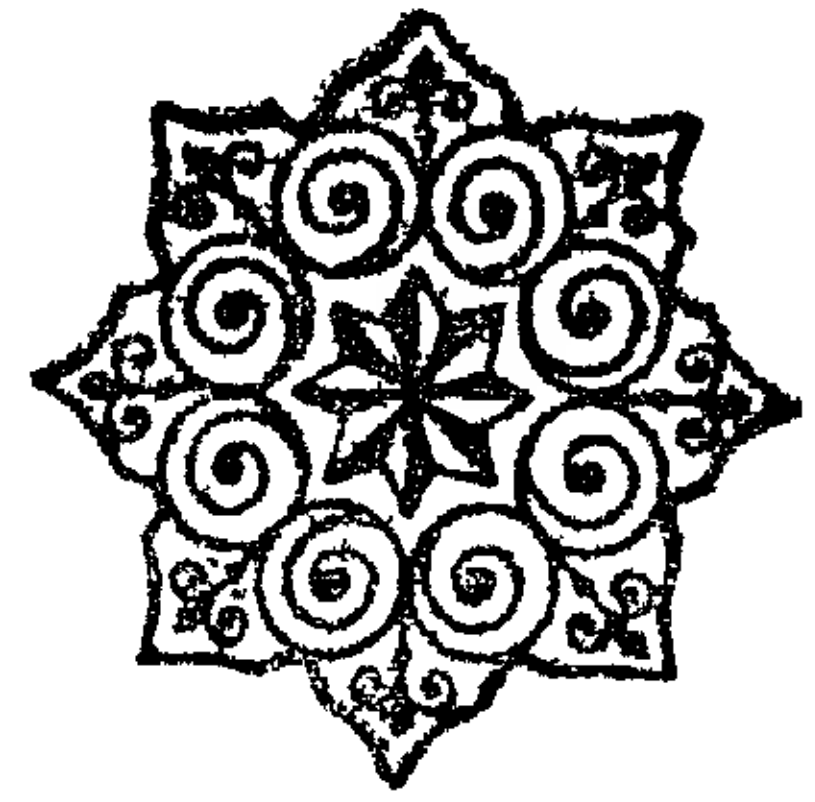
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول : الإنسان خرف ، وليس للخرف من
الخطر ما يعارض فيه حكم الحق تعالى .

وقال ابو عمان الحريري : منذ أربعين سنة ما أقامني الله ، عز وجل ، في حال
فكرهته ، وما نقلني إلى غيره فسخطته .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : غضب رجل على عبد له ، فاستشفع العبد
إلى سيده إنسانا ، فعفا عنه ، فأخذ العبد يبكي ، فقال له لا أفيع : لم تبكي وقد عفا
عناك سيدك ؟

فقال له السيد : إنما بطاب الرضا مني ولا سبيل له إليهِ ، فانما يبكي لأجله (١) .

(١) فان العفو غير الرضا .



الباب السابع والعشرون العبودية

» .. العبودية : .. زينة للعبد
» .. فمن تركها تعطل من الزينة * «

باب العبودية

قال الله عز وجل : (واعبد ربك حتى تأتيك اليقين) (١) .

وأخبرنا أبو الحسن الإهوازي ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصنفار قال حدثنا عبيد بن شريك قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن عمر بن الخطاب ، عن أنى سعيد البخدرى ، وأنى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات حسن وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئاً منه ما تنفق يمينه) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

العبودية أتم من العبادة ، فأولاً : عبادة ، ثم عبودية ، ثم عبودة .

فالعبادة للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخاص الخاص . وسمعتة يقول : العبادة : لمن له علم اليقين ، والعبودية : لمن له عين اليقين ، والعبودة : لمن له حق اليقين .

وسمعتة يقول : العبادة : لأصحاب المجاهدات ، والعبودية : لأرباب المكابدات ، والعبودة : صفة أهل المشاهدات ، فمن لم يدخر عنه نفسه ، فهو صاحب عبادة ، ومن لم يضمن عليه قلبه فهو صاحب عبودية : ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة .

ويقال : العبودية : القيام بحق الطاعات بشرط التوفير (٢) والنظر إلى مامتك بعين التقصير ، وشهود ما حصل من مناقبك من التقدير .

ويقال : العبودية : ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار .

ويقال : للعبودية : التبرؤ من الحول والقوة ، والإقرار بما يعطيك ويولييك من الطول (٣) والمنة .

(١) آية ٩٩ من سورة الحجر .

(٢) أي موفرة كاملة .

(٣) الطول . الغنى .

ونقال : العبودية : معانقة ما أمرت به ، ومفارقة ما زجرت عنه .
وسئل محمد بن خفيف : متى تصح العبودية ؟ فقال : إذا طرح كله (١) على مولاه ، وصبر معه على بلواه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمة الله ، يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت ابن مسروق يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا يصح (٢) التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء : من الجوع ، والعري ، والفقر ، والذل .

وقيل : العبودية : أن تسلم إليه كلك ، وتحمل عليه كلك .
وقيل : من علامات العبودية : ترك التدبير ، وشهود التقدير .
وقال ذو النون المصرى : العبودية : أن تكون أنت عبده فى كل حال ، كما أنه ربك فى كل حال .

وقال الحريرى : عبيد النعم كثير عبيدهم ؛ وعبيد المنعم عزيز وجودهم .
سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : أنت عبد من أنت فى رقه وأسره ، فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبد نفسك ، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة » (٣) .

ورأى أبو رزين رجلاً فقال له : ما حرفتك ؟ فقال : خر ندة (٤) .
فقال : أمارت الله تعالى حمارك ، لتكون عبد الله ، لا عبد الحمار .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول : لا تصفو لأحد قدم فى العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء ، وأحواله دعاوى وسمعته بقول : سمعت عبد الله المعلم يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول : العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادماً ، فإذا طلب لنفسه خادماً فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها .

(١) أى ثقله .

(٢) أى لا يصلح .

(٣) الخميصة : كساء أسود مربع من غز أو صوف . (٤) لفظة غير عربية معناها : خادم حمارى .

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت ابن مسروق يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم ، ولا أثر الغنى في الوجود .
وقيل : العبودية شهود الربوبية .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر اباذي يقول : قيمة العابد بمعبوده ، كما أن شرف العارف بمعروفه .

وقال أبو حفص : العبودية زينة العبد ، فمن تركها تعطل من الزينة .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت ابا جعفر الرازي يقول : سمعت عباس بن حمزة يقول : حدثنا أحمد بن الحواري قال : سمعت الناجي يقول : أصل العادة في ثلاثة أشياء :

لاترد من أحكامه شيئاً ، ولا تدخر عنه شيئاً ، ولا سمعك تسأل غيره حاجة .
وسمعتة يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول : العبودية في أربع خصال : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر عن المفقود .

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الكتاني يقول : سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول : ما رأيت أحداً من المتعبدين ، في كثرة من لقيت بمكة وغيرها ، ولا أحداً ممن قدم علينا في المواسم أشد اجتهاداً ولا أدوم على العادة من المزني^(١) ، رحمه الله تعالى ، ولا رأيت أحداً أشد تعظيماً لأوامر الله تعالى منه ، وما رأيت أحداً أشد تضيقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : ليس شيء أشرف من العبودية ، ولا اسم^(٢) آتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، ولذلك قال سبحانه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج - وكان أشرف أوقاته في الدنيا - (سبحانه الذي أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام) . وقال تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) ، فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به .

(١) من أصحاب الإمام الشافعي .

(٢) أي وصف .

وفي معناه أنشدوا

باعمرو ثارى عند زهرائى بحسرفه السامع والرائى
لا تسدعنى إلا بياعدها فانه اشرف اسمائى

وقال بعضهم : إنما هو شثنان : سكونك إلى اللذة ، واعتمادك على الحركة . فاذا أسقطت عنك هذين فقد أدست العبودية حقها .

كما قال الواسطى : احذروا لذة العطاء ؛ فانها غطاء لأهل الصفاء .

وقال أبو على الحوزجائى : للرضا : دار العبودية ، والصبر بابه ، والتفويض بيته ، فالصوت على الباب والفراغة فى الدار ، والراحة فى البيت .

سمعت الأستاذ ابا على الدقاق يقول : كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول عنه ، فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام .

وأنشد بعضهم :

فان تسألونى قلت : ها انا عبده وإن سألوه قال ها ذاك مولانا (١)

سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت النصر اباذى يقول :
العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الإعواض
والجزاء عليها .

وسمعته يقول : سمعت النصر اباذى يقول : العبودية إسقاط رؤية التعبد فى
مشاهدة المعبود .

وسمعته يقول : سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت
الحربرى يقول : سمعت الحنيد يقول : العبودية ، ترك الأشغال ، والاشتغال بالشغل
الذى هو اصل الفراغة (٢) .

(١) أى عبدي ومملوكى .

(٢) الفراغة . الحرع . قال الشيخ ركريا . بأن يشتغل العبد بالطاعات ويرى الفصل لمحررها عليه فى عموم الأوقات فادأ
وصل إلى هذه الحالة استراح قلبه من هم التقديرات فوض أمره إلى خالق البريات ، وهذه هى الفراغة من كل ما يصر



الباب الثامن والعشرون الجدادة

« لوحة في الفؤاد .. لدغة في
القلب .. غرام في الضمير ..
انزعاج في البساطن .. نيران
تتأجج في القلوب .. »

باب الارادة

قال الله عز وجل : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (١) .

وأخبرنا : على بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا هشام بن علي قال : حدثنا الحكم بن أسلم قال : أخبرنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . فقل له : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت » (٢) .

والإرادة : بدء طريق السالكين ، وهي اسم لأول منزلة للقاصدين إلى الله تعالى . وإنما سميت هذه الصفة : إرادة ؛ لأن الإرادة مقدمة كل أمر ، فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله ، فلما كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سمي : إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها .

والمريد ، على موجب الاشتقاق : من له إرادة ، كما أن العالم : من له علم ؛ لأنه من الأسماء المشتقة .

ولكن المريد في عرف هذه الطائفة : من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً ، كما أن من لا إرادة له ، على موجب الاشتقاق ، لا يكون مريداً . وتكلم الناس في معنى الإرادة ؛ فكل عبر على حسب ملاح لقلبه ، فأكر المشايخ قالوا :

الإرادة : ترك ما عليه العادة وعادة الناس - في الغالب - التعرّيج (٣) في أوطان الغفلة ، والركون إلى اتباع الشهوة ، والإخلاد إلى ماعدت إليه المنية (٤) .

والمريد منسلخ عن هذه الحملة ؛ فصار خروجه اماراً ودلالة على صحة

(١) آية ٥٢ من سورة الأنعام .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس وتماه (... ثم يقبضه عليه) وروى نحوه عمرو بن الحنق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قل وما استعمله ؟ قال يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله » رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک .

(٣) أي الإقامة . (٤) أي المستغنى والمقصود .

الإرادة ، فسميت تلك الحالة : إرادة ، وهي خروج عن العادة ؛ فان (١) ترك العادة أمانة الإرادة .

فأما حقيقتها : فهي نهوض القلب في طلب الحق ، سبحانه ، ولهذا يقال : إنها لوعة تهون كل روعة (٢) .

سمعت : الأستاذ أبا علي الدقائقي ، رحمه الله ، يقول حاكياً عن ممشاد الدينوري ، أنه قال : مذ علمت أن أحوال الفقراء جد كلها لم أمارح فقيراً ؛ وذلك أن فقيراً قدم على فقال : أيتها الشيخ أريد أن تتخذني عصيدة .. فجري على لساني إرادة وعصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر به ، فأمرت باتخاذ عصيدة .. وطلبت الفقير فلم أجده .. فتعرفت خبره .. فقليل لي : إنه انصرف من فيوره ، وكان يقول في نفسه : إرادة وعصيدة .. إرادة وعصيدة .. وهام على وجهه حتى دخل البادية ، ولم يزل يقول هذه الكلمات حتى مات .

وعن بعض المشايخ قال : كنت بالبادية وحدي ، فضاق صدري ، فقلت : يا إنس ، كلموني .. يا جن كلموني ، فهتف بي هاتف : ما تريد ؟ فقلت : أريد الله تعالى ، فقال : متى تريد الله ؟ يعني : أن من قال للجن والإنس : كلموني ، متى يكون مريداً لله عز وجل ؟ . والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار ، فهو في الظاهر بنعت المجاهدات ، وفي الباطن بوصف المكابدات .. فارق الفراش ، ولازم الانكماش ، وتحمل ، المضاعب ، وركب المتاعب ، وعالج الأخلاق ، ومارس المشاق ، وعانق الأهوال ، وفارق الأشكال ، كما قيل :

تم قطعت الليل في مهمة (٣) لا أسد أخشى ولا ذيباً

يغلبني شوقي فأطوى السرى (٤) ولم يزل ذو الشوق مغلوباً

سمعت : الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الإرادة : لوعة في الفؤاد .. لدغة في القلب .. غرام في الضمير .. انزعاج في الباطن .. نيران تتأجج في القلوب .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا بكر السبائك يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : كان بين أبي سليمان وأحمد بن أبي الحوارى عقد : لا يخالفه أحمد في شيء بأمره به .. فجاءه يوماً وهو يتكلم في

(١) وفي نسخة « فاذن » .

(٢) فزعة

(٣) السرى

(٤) السرى

مجلسه ، فقال : إن التنور قد سجر (١) ، فما تاء ؟ فلم يجبه ، فقال مرتين أو ثلاثة ، فقال أبو سليمان : اذهب فاقعد فيه . . كأنه نهاب به قلبه ، وتغافل عنه أبو سليمان ساعة ، ثم ذكر (٢) فقال : ادركوا أحمد فانه في التنور ؛ لأنه آلى على نفسه أن لا يخالفني ؛ فظنوا فإذا هو في التنور لم تحترق منه شعرة .

وسمعت الأستاذ أبا علي ، يقول : كنت في ابتداء صباى مخرقاً (٣) في الإرادة وكنت أقول في نفسي : ليت شعري . . ما معنى الإرادة .

وقيل : من صفات المريدين : التحبب إليه بالنوافل ، والخلوص في نصيحة الأمة ، والأنس بالخلوة ، والصبر على مقاساة الأحكام ، والإيثار لأمره ، والحياء من نظره ، وبذل المجهود في محبوه ، والتعرض لكل سبب يوصل إليه ، وللقناعة بالخمول (٤) ، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب .

وقال أبو بكر الوراق : آفة المريد ثلاثة أشياء : للتزويج ، وكتابة (٥) الحديث ، والأسفار .

وقيل : لم تركت كتابة الحديث ؟ فقال : منعني عنها الإرادة .

وقال حاتم الأصم : إذا رأيت المريد يريد غير مراده ، فاعلم أنه قد أظهر بذاته (٦) .

سمعت : محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت الكتاني يقول : من حكم المريد أن يكون فيه ثلاث أشياء : نومه غلبة ، وأكله فاقة ، وكلامه ضرورة .

وسمعت يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : إذا اراد الله تعالى بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية ، ومنعه صحة القراءة (٧) :

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت الرضي يقول : سمعت

(١) حمى . (٢) تذكر . (٣) أى شديد الطلب .

(٤) أى الرضا بالخفاء ، لسلم من شر الظهور والشهرة .

(٥) أى التفرغ والانقطاع لكتابة الحديث وقراءته ودرسه ، إذ يشغل ذلك الانقطاع عن القيام باصلاح روحه .

(٦) وفى نسخة « بذاته » أى بغيره باطنه . (٧) أى المصنفين على القراءة للتوبة منه . وفى نسخة « الفقه »

الدقاق يقول : سهاية الإرادة أن تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة ، فقلت : فأى شيء يستوعب الإرادة ؟ فقال : أن تجد الله تعالى بلا إشارة .

سمعت : محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت عباس بن أبي الصبحو يقول : سمعت أبا بكر الدقاق يقول : لا يكون المرید مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة .

وقال أبو عيمان الحيرى : من لم تصح إرادته بداراً^(١) لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إداراً .

وقال أبو عيمان : المرید إذا سمع شيئاً من علوم القوم فعمل به صار حكمة في قلبه إلى آخر عمره ، ينتفع به ، ولو تكلم به انتفع به من سمعه . ومن سمع شيئاً من علومهم ، ولم يعمل به ، كان حكاية بحفظها ألباناً ثم ينساها .

وقال الواسطى : أول مقام المرید : إرادة الحق ، سبحانه ، باسقاط إرادته . وقال يحيى بن معاذ : أشد شيء على المریدين : معاشر الأضداد .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا القاسم الرازى يقول : قال يوسف بن الحسين : إذا رأيت المرید بشغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء .

وسمعت يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت جعفر الخلدى يقول : سئل الجنيد : ما للمریدين في محاربة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله تعالى ، يقوى بها قلوب المریدين . فقليل له : فهل لك في ذلك شاهد ؟ فقال : نعم ، قوله عز وجل : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك »^(٢) .

وسمعت يقول : سمعت محمد بن خالد يقول : سمعت جعفرأ يقول : سمعت الجنيد يقول : المرید الصادق غنى عن علم العلماء .

فأما الفرق بين المرید والمراد : فكل مرید على الحقيقة مراد . إذ لو لم يكن مراد الله تعالى بأن يریده لم يكن مريداً ؛ إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى ، وكل مراد مرید ؛ لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة . ولكن القوم فرقوا بين المرید والمراد :

(١) أي الباطن .

(٢) آية ٢٠ من سورة هود .

فالمرید عندهم هو المبتدئ ، والمراد : هو المنتهى ، والمرید : الذى نصب بعین التعب وألوى فى مقاساة المشاق ، والمراد : الذى كفى بالأمر من غير مشقة ، فالمرید متعن ، والمراد : مرفوق به مرفه .

وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة ؛ فأكثرهم يوفقون للمجاهدات ، ثم يصلون ، بعد مقاساة اللثا والتي ، إلى سنى المعانى . وكثير منهم يكشفون فى الابتداء بجليل المعانى ، ويصلون إلا ما لم يصل إليه كثرون من أصحاب الرياضات ، إلا أن أكثرهم يردون إلى المجاهدات بعد هذه الأرقاق ؛ ليستوفى منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : المرید : متحمل ، والمراد : محمول . وسمعته يقول : كان موسى ، عليه السلام ، مریداً ، فقال : « رب اشرح لى صدرى » (١) ، وكان نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، مراداً ، فقال تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك » . وكذلك قال موسى عليه السلام : « رب ، أرنى أنظر إليك ، قال : لن ترانى » (٢) . وقال لنبينا ، صلى الله عليه وسلم : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » (٣) . وكان أبو على يقول : إن المقصود قوله « ألم تر إلى ربك » وقوله « كيف مد الظل » : سر للقصة وتحصين للحالة .

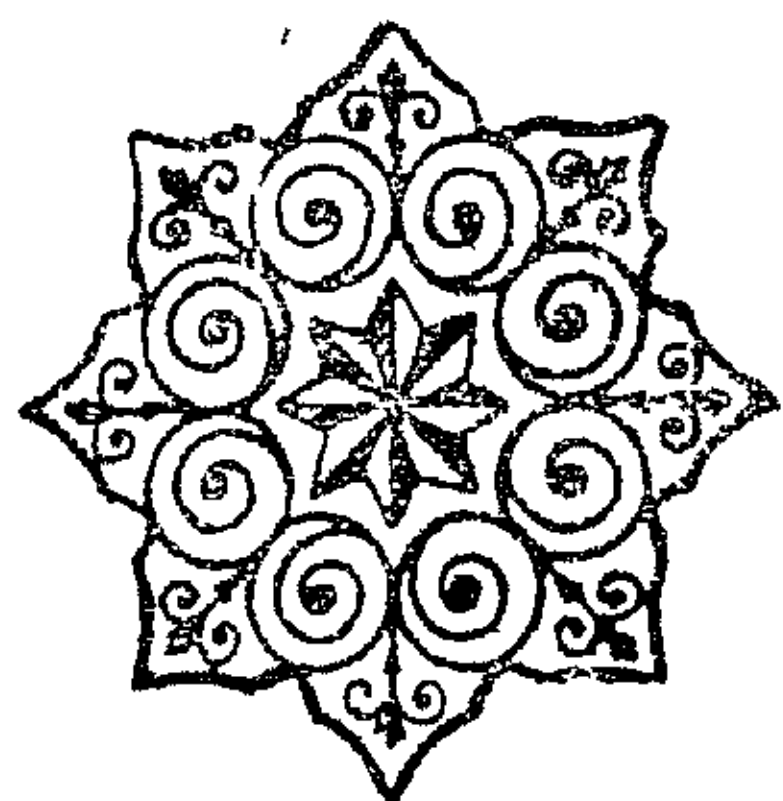
وسئل الجنيد ، رحمه الله ، عن المرید والمراد ، فقال : المرید : تتولاه سياسة العلم ، والمراد : تتولاه رعاية الحق ، سبحانه ، لأن المرید يسير ، والمراد يطير ، ففى يلحق السائر الطائر ؟ وقيل : أرسل ذو النون إلى أبى يزيد رجلاً ، وقال له : قل له إلى مى النوم والراحة ، وقد جازت القافلة ؟ فقال أبو يزيد : قل لأخى ذى النون : الرجل من ينام الليل كله ، ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة .

فقال ذو النون : هنيئاً له ، هذا كلام لا تلغيه أحوالنا .

(١) آية ٢٥ من سورة طه .

(٢) آية ١١٣ من سورة الأعراف .

(٣) آية ٤٥ من سورة الحجر .



الباب التاسع والعشرون الاستقامة

« .. لا يطيقها الا الأكابر ..
لأنها الخروج عن المعهودات
ومفارقة الرسوم والعادات ..
والقيام بين يدي الله تعالى
على حقيقة الصديق .. »

باب الاستقامة

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » (١)

أخبرنا : الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رحمه الله ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال : أخبرنا أبو بشر بونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود الطيالسي قال : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : استقيموا ولن تحصوا (٢) ، واعلموا أن خير دينكم الصلاة ، ولن يحافظ على اللوضوء إلا مؤمن (٣) .

والاستقامة : درجة بها كمال الأمور ونماها ، وبوجودها حصول الخبرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده ؛ قال الله تعالى : « ولا تكونوا كالألى نقضت غزواً من بعد قوة أنكاثاً » (٤) (٥) .

ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره ، ولم يبن ساوكة على صحة ؛ فمن شرط المستأنف : الاستقامة في أحكام البداية ، كما أن من حق العارف الاستقامة في آداب الهاية .

فمن أمارات استقامة أهل البداية : أن لا تشوب معاملهم فرة (٦) .

ومن أمارات استقامة أهل الوسائط : أن لا يصحب منازلهم وقفة (٧) .

ومن أمارات استقامة أهل الهاية : أن لا تتداخل مواصلهم حجة (٨) .

سمعت : الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الاستقامة لها ثلاثة مدارج :

أولها : التقويم ، ثم الإقامة ، ثم الاستقامة ؛ فالتقويم ، من حيث تأديب النفوس . والإقامة : من حيث مهذب القلوب ، والاستقامة : من حيث تقريب الأسرار .

(١) آية ٣٠ من سورة فصلت .

(٢) لن تحصوا : أي لن تستطيعوا القيام بها كاملة فاستقيموا على طاقتكم واستطاعتكم ،

(٣) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه ، والحاكم في المستدرک والبيهق في السنن .

(٤) أنكاثاً : طاقات . (٥) آية ٩٢ من سورة النحل .

(٦) فرة : فتور .

(٧) وقفة : استحسان . (٨) حجة : حجاب .

- وقال أبو بكر ، رضى الله عنه ، فى معنى قوله : « سم استقاموا » : لم يشركوا .
- وقال عمر ، رضى الله عنه ، لم نزوغوا زوغان الثعالب .
- فقول الصديق ، رضى الله عنه ، محمول على مراعاة الأصول فى التوحيد .
- وقول عمر ، رضى الله عنه ، محمول على طلب التأويل والقيام بشرط العهود
- وقال ابن عطاء : استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى .
- وقال أبو على الجوزجاني : كن صاحب الاستقامة ، لاطالب الكرامة ؛ فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة ، وربك عز وجل ، بطالبك بالاستقامة .
- سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا على الشبوري يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت له : روى عنك بارسول الله أنك قلت : « شيتنى هود » (١) فما الذى شيلك منها : قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ فقال : لا ، ولكن قوله تعالى : « فاستقم كما أمرت » .
- وقيل : إن الاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر ؛ لأنها الخروج عن المعهودات ، ومفارقة للرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « استقيسوا ولن تحصوا » .
- وقال الواسطي : « الخصلة الي بها كملت المحاسن ، وبفقدتها قبحت المحاسن : الاستقامة » .
- وحكى عن الشبلي ، رحمه الله ، أنه قال : الاستقامة : أن تشهد الوقت قياماً .
- ويقال : الاستقامة فى الأقوال : بترك الغيبة ، وفى الأفعال : بنى البدعة ، وفى الأعمال بنى الفترة (٢) ، وفى الأحوال بنى الحجة .
- سمعت : الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول :
- السن فى الاستقامة : سن الطلب ، أى : طلبوا من الحق ، تعالى ، أن يقيمهم على توحيدهم ، سم على استدامة عهودهم ، وحفظ حدودهم .

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير عن عمقة بن عامر وعن أبى حنيفة وقال حديث صحيح . وله روايات عدة انظر

(٣) أبى الفتور .

الفيضى القدير شرح الجامع الصغير .

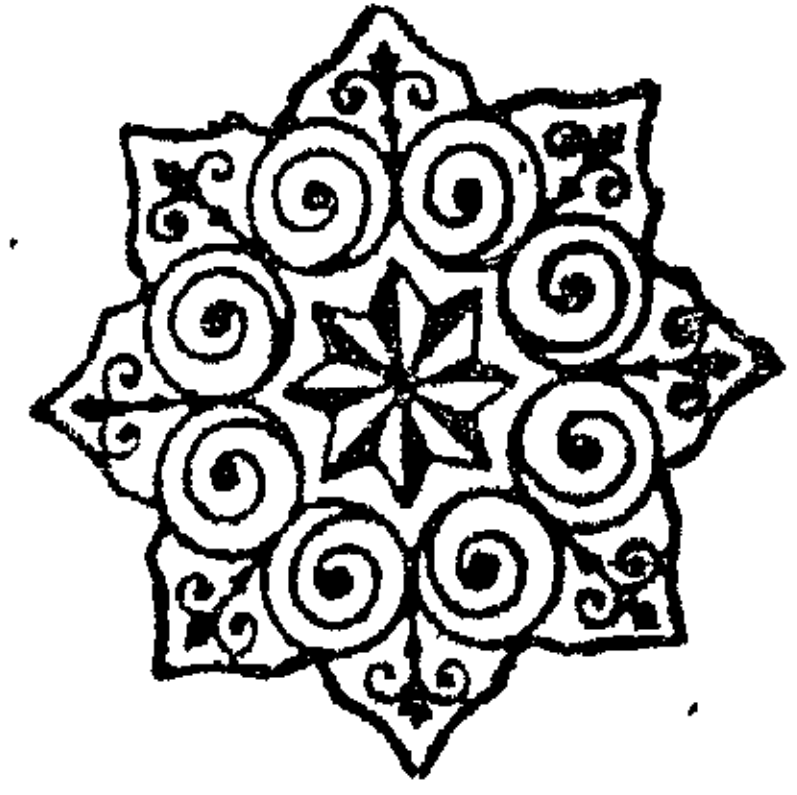
قال الأستاذ : واعلم ان الاستقامة : توجب دوام الكرامات ، قال الله تعالى :
« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » (١) ولم يقل : سقيناهم ، بل
قال : « أسقيناهم » قال : اسقيته إذا جعلت له سقيا ، فهو بشر إلى الدوام .

سمعت : محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن احمد
يقول : سمعت أبا العباس الفرغاني يقول : قال الحنيد : لقيت شابا من المردين
في البادية تحت شجرة من شجر « أم غيلان » فقلت : ما أجلسك هاهنا ؟ فقال : مال
افقدته ، ففضيت وتركته . فلما انصرفت من الحج إذا انا بالشاب قد انتقل إلى موضع
قرب من الشجرة ، فقلت : ما جلوسك هنا ؟

فقال : وجدت ما كنت أطله في هذا الموضع فلزمته .

قال : الحنيد : فلا أدري أيهما كان أشرف : لزومه لافتقاد حاله ، او لزومه
للموضع الذي نال فيه مراده .

(١) آية ١٦ من سورة الحن .



الباب الثلاثون الخلاص

« .. ترك العمل من أجل الناس
رياء .. والعمل من أجل الناس
شرك .. والاخلص : ان يعافيك
الله منهما .. »

باب الاخلاص

قال الله تعالى : « ألا لله الدين الخالص » (١)

أخبرنا : علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الغرباني قال : حدثنا أبو طالوت قال : حدثني هانيء بن عبد الرحمن بن أبي عقبة ، عن إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي قال : حدثني عطية ابن وشاح ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث لا يغفل (٢) عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ؛ ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين » .

وقال الأستاذ : الإخلاص ، أفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أى شيء آخر ؛ من تصنع للمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق ، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى .

ويصح أن الإخلاص : تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين .

ويصح أن يقال الإخلاص : التوقي عن ملاحظة الأشخاص .

وقد ورد خبر مسند : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن جبريل ، عليه السلام ، عن الله سبحانه وتعالى ، أنه قال : الإخلاص سر من سرى ، استودعته قلب من أحببته من عبادي » .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : وقد سأله عن الإخلاص : ماهو ؟ فقال :

سمعت : علي بن سعيد ، وأحمد بن محمد بن زكريا ، وقد سألهما عن الإخلاص ، فقالا :

سمعنا على إبراهيم الشقيبي ، وقد سألناه عن الإخلاص ، فقال :

سمعت : محمد بن جعفر المصنف ، وقد سأله عن الإخلاص ، فقال :

سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :

سألت أبا يعقوب الشربطى عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :

(٢) يغفل : بضم الوسط : بخون ، وبالكسر يحقد .

(١) آية ٣ من سورة الزمر .

سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 سألت الحسن عن الإخلاص : ماهو قال :
 سألت حذيفة عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 سألت رب العزة عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :
 « سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى » .

سمعت : الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الإخلاص : التوفى عن ملاحظة الخلق ،
 والصدق : التنى من مطالعة النفس فالمخلص لارياء له ، والصادق : لا إعجاب له .

وقال ذو النون المصرى : الإخلاص : لا يتم إلا بالصدق فيه ، والصبر عليه ،
 والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه .

وقال أبو يعقوب السوسى : متى شهدوا فى إخلاصهم الخلاص إحتاج إخلاصهم
 إلى إخلاص .

وقال ذو النون : ثلاث من علامات الإخلاص : استواء المدح والذم من العامة ،
 ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ، ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة .

سمعت : الشيخ أباعبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان
 المغربى يقول : الإخلاص : ما يكون للنفس فيه حظ بحال ، وهذا إخلاص للعوام .
 وأما إخلاص الخواص : فهو ما يجرى عليهم ، لا بهم ، فتبدو منهم للطاعات ،
 وهم عنها بمعزل ، ولا يقع لهم عليها رؤية ، ولا بها اعتداد ، فذلك : إخلاص
 الخواص .

وقال أبو بكر الدقاق : نقصان كل مخلص فى إخلاصه : رؤية إخلاصه ؛ فإذا
 أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاقه ، فكون
 مخلصاً (١) لا مخلصاً (٢) .

وقال سهل : لا يعرف الرياء (٣) إلا مخلص .

(٢) من أخلص فى عمله .

(١) وهو من حلصه الله من كل شائبة .

(٣) أى فيتجنبه بعد معرفته

سمعت اباحام السجستاني يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت الوجيهي يقول : سمعت ابا هلي الروذباري يقول : قال لي رويم : قال ابو سعيد الخراز : رياء العارفين افضل من إخلاص المرءدين .

وقال ذو النون : الإخلاص : ما حفظ من العدو أن يفسده .
وقال أبو عثمان : الإخلاص : نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى فضل الخالق .
وقال حذيفة المرعشي : الإخلاص : أن تستوى أفعال العبد في الظاهر والباطن .
وقيل : الإخلاص : ما أريد به الحق سبحانه ، وقصد به الصدق .
وقيل : الإغماض عن رؤية الأعمال .

سمعت : محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علي بن عدا الحميد يقول : سمعت السري يقول : من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى .
وسمعت يقول : سمعت علي بن بندار الصوفي (١) يقول : سمعت عبد الله بن محمود يقول : سمعت محمد بن عبد ربه يقول : سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل للناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص : أن يعافيك الله منهما .
وقال الحنيد : الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله .

وقال رويم : الإخلاص من العمل (٢) هو : الذي لا يريد صاحبه عليه عوضاً من الدارين ، ولا حظاً من الملكين .

وقيل لسهل بن عبد الله : أي شيء أشد على النفس ؟ فقال : الإخلاص ؛ لأنه ليس لها فيها نصيب .

وسئل بعضهم عن الإخلاص : فقال : أن لا تشهد على عمالت غير الله عز وجل وقال بعضهم : دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة بيتاً . فرأت في البت حية . فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، فقال : ادخل لا تبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه . ثم قال : هل لك في صلاة الجمعة ؟ فقلت :

(١) وفي نسخة « الصبري » .

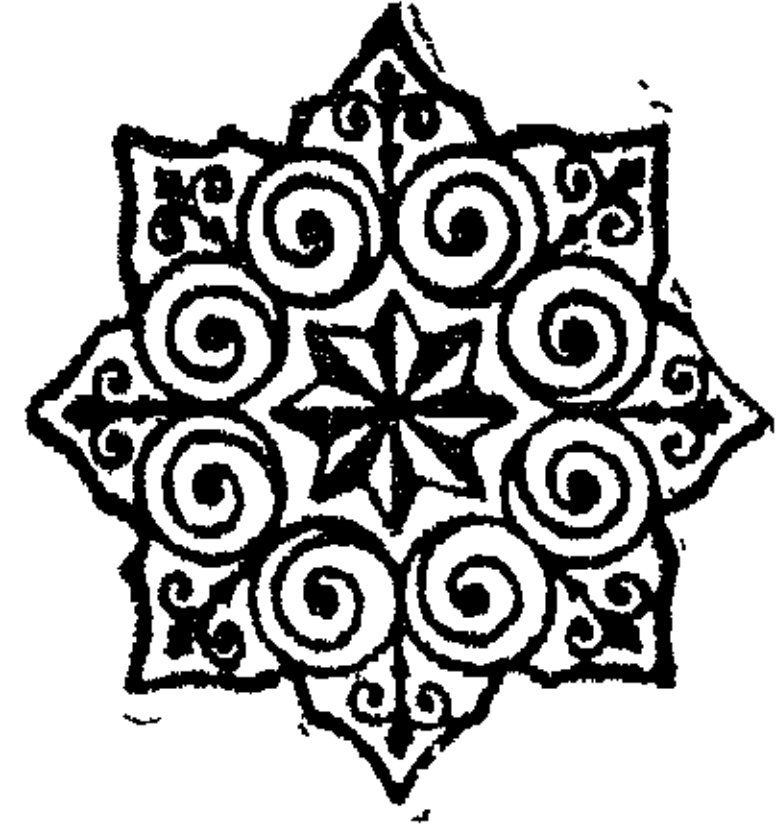
(٢) أي : فيه .

بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة . فآخذ بيدي ، ثم كان إلا قليل حتى رآست
المسجد ، فدخلناه ؛ وصلينا الجمعة . ثم خرجنا ، فوقف بنظر إلى الناس وهم
يخرجون ، فقال : أهل لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل .

أخبرنا : حمزة بن يوسف الجرجاني قال : حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم
قال : حدثنا ابوطالب محمد بن زكريا المقدسي قال : حدثنا أبو قرصافة محمد بن
عبد الوهاب العسقلاني قال : حدثنا زكريا بن نافع قال : حدثنا محمد بن نريد
القرطبيسي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن مكحول قال : ما أخلص عند قط
أربعين يوماً ، إلا ظهرت منابع الحكمة من قلبه على لسانه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن
عبد الله بن شاذان يقول : سمعت عبد الرازق يقول : سمعت يوسف بن الحسين
يقول : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم اجهد في إسقاط الرياء عن قلبي ،
فكأنه نبت فيه على لون آخر .

وسمعتة يقول : سمعت النصر أباذي يقول : سمعت أبا الجهم يقول : سمعت
ابن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان يقول : إذا أخلص العبد انقطعت عنه
كثرة الوسوس والرياء .



الباب الحارثي والسلافون الصلوات

» قال ذو النون المصري :

» الصديق سيف الله » ما

وضع على شيء إلا قطعه !!»

باب الصدق

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (١) .
 اخبرنا : الامام أبو بكر محمد بن فورك ، رحمه الله ، قال : اخبرنا عبد الله ابن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال : حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود الطيالسي قال : حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٢) .

قال الأستاذ : والصدق : عماد الأمر ، وبه تمامه ، وفيه نظامه ، وهو تالى درجة النبوة ، قال الله تعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين . . . » الآية (٣) .

والصادق (٤) الاسم اللازم (٥) من الصدق ، والصدّيق المبالغة منه : وهو الكثير الصدق ، الذى الصدق غالبه ، كالسكير والحمير . . وبابه .

واقل الصدق : استواء السر والعلانية . والصادق : من صدق فى أقواله .
 والصدّيق : من صدق فى جميع أقواله ، وأفعاله وأحواله .
 وقال احمد بن خضروية ؛ من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق ؛
 فان الله تعالى قال : « إن الله مع الصادقين » (٦) .

سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور ابن عبد الله يقول : سمعت الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول : الصادق : يتقلب فى اليوم أربعين مرة ، والمرائى ثبت على حالة واحدة أربعين سنة .

وقال ابو حيان الداراني : لو أراد الصادق أن يصف ما فى قلبه ما نطق به لسانه .
 وغيل الصدق : القول بالحق فى مواطن الهلكة .

وقيل الصدق : موافقة السر النطق .

(٢) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٤) أى : لفظه .

(٦) آية ١٥٣ من سورة البقرة .

(١) آية ١١٩ من سورة التوبة .

(٣) آية ٦٩ من سورة النساء .

(٥) أى : المتفق .

وقال الفناد : للصدق : منع الحرام من الشدق .

وقال عبد الواحد بن زيد : للصدق : للوفاء لله سبحانه بالعمل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجريري يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لاشم رائحة للصدق عبد داهن نفسه أو غيره .

وقال أبو سعيد القرشي : الصادق : الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف ، قال الله تعالى : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (١) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : كان أبو علي الثقفى يتكلم يوماً ، فقال له عبد الله بن منازل : يا أبا علي ، استعد للموت فلا بد منه . فقال أبو علي : وأنت يا عبد الله ، استعد للموت فلا بد منه . فتوسد عبد الله ذراعه ، ووضع رأسه ، وقال : قد مت .

فانقطع أبو علي ؛ لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل ، لأنه كان لأبي علي علاقات (٢) وكان عبد الله مجرداً لا شغل له .

سمعت للشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : كان أبو العباس للدينورى يتكلم .. فصاحت عجوز فى المجلس صيحة ، فقال لها أبو العباس للدينورى : موتى .. فقامت وخطت خطوات .. ثم التفتت إليه ، وقالت : قد مت . ووقعت ميتة .

وقال الواسطى : الصدق : صحة التوحيد مع القصد .

وقيل : نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه ، فقال : يا غلام ، أتدبم الصوم ؟

فقال : ولا أدبم الإفطار . فقال : أتدبم القيام بالليل ؟ فقال : ولا أدبم النوم .

فقال : فما الذى أنحللك ؟ فقال : هوى دائم .. وكتان دائم عليه . فقال عبد

(١) آية ٩٤ من سورة البقرة .

(٢) أسباب وأمور دنيوية .

لواحد : اسكت ؟ فما أجرآك . . فقام الغلام ، وخطا خطوتين ، وقال : إلهي ، إن كنت صادقاً فخذني ، فخر ميتاً .
وحكى عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال : ماتت أمي . . فورثت منها داراً ، فبعها بخمسين ديناراً . . وخرجت إلى الحج ، فلما بلغت « بابل » استقبلني واحد من « اللقائنه »^(١) وقال : مامعك ؟

فقلت في نفسي : الصديق خير . . ثم قات : خمسون ديناراً . فقال : ناولنيها . فناولته الصرة . . فعدها ؛ فإذا هي خمسون ديناراً . فقال : خذها ؛ فلقد أخذني صدقك . ثم نزل عن الدابة ، وقال : اركبها . فقلت : لا أريد . . فقال : لا بد . وألح علي .

فركبتها . فقال : وأنا على اترك .

فلما كان العام المستقبل لحق بي ، ولأزمني حتى مات .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت جعفر الخواص يقول :

سمعت إبراهيم الخواص يقول : الصادق . لانراه إلا في فرض يؤدبه ، او فضل يعمل فيه .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول : سمعت جعفر الخواص يقول : سمعت الجنيد يقول : حقيقة الصديق : أن تصدق في موطن لا تنجيك منه إلا الكذب .

وقيل : ثلاثة لا تخطيء الصادق : الحلاوة ، والهيبة ، والملاحة .

وقيل : أوحى الله سبحانه ، إلى داود عليه السلام ، داود من صدقي في سريره صدقته عند المخلوقين في علانيته .

وقيل : دخل « إبراهيم بن دوحه » مع « إبراهيم بن ستنة » البادية ، فقال إبراهيم بن ستنة : اطرح مامعك من العلائق . قال : فطرح كل شيء إلا ديناراً فقال : يا إبراهيم ، لا تشغل سري ، اطرح مامعك من العلائق . . قال : فطرحت الدنار ، ثم ال :

(١) اللقائنه . وجب قنن . وهو الدليل الهادي والبصر بالماء في حفر القنن .

يا إبراهيم ، اطرح مامعك من العلائق . . فتذكرت أن معي شسوعا^(١) للنعل ، فطرحها ، فما احتجت في الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدي .
فقال إبراهيم بن ستنبة : هكذا من عامل الله تعالى بالصدق .
وقال ذو النون المصري ، رحمه الله : الصدق سيف الله ، ما وضع على شيء إلا قطعه .

وقال سهل بن عبد الله : أول خيانة الصديقين حديهم مع أنفسهم .
وسئل فتح الموصل عن الصدق ، فأدخل يده في كير الحديد . . وأخرج الحديد المحماة . . ووضعها على كفه ، وقال : هذا هو الصدق .
وقال يوسف بن أسباط : لأن آبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله تعالى .
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول : الصدق أن تكون مع الناس كما ترى من نفسك ، أو أن ترى من نفسك كما تكون^(٢) .
وسئل الحمارت المحاسبي عن علادة الصدق ، فقال :

الصادق : هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الدر من حسن عمله ، ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله ؛ فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين .

وقال بعضهم : من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت^(٣) .
قيل له : ما الفرض الدائم ؟ قال : الصدق .
وقيل : إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .

(١) أربطة .

(٢) أي كما تكون منهم ، بأن يستوى عندك السر والعلانية .

(٣) أي المؤقت بوقت ؟ كالمهمات الظاهر .

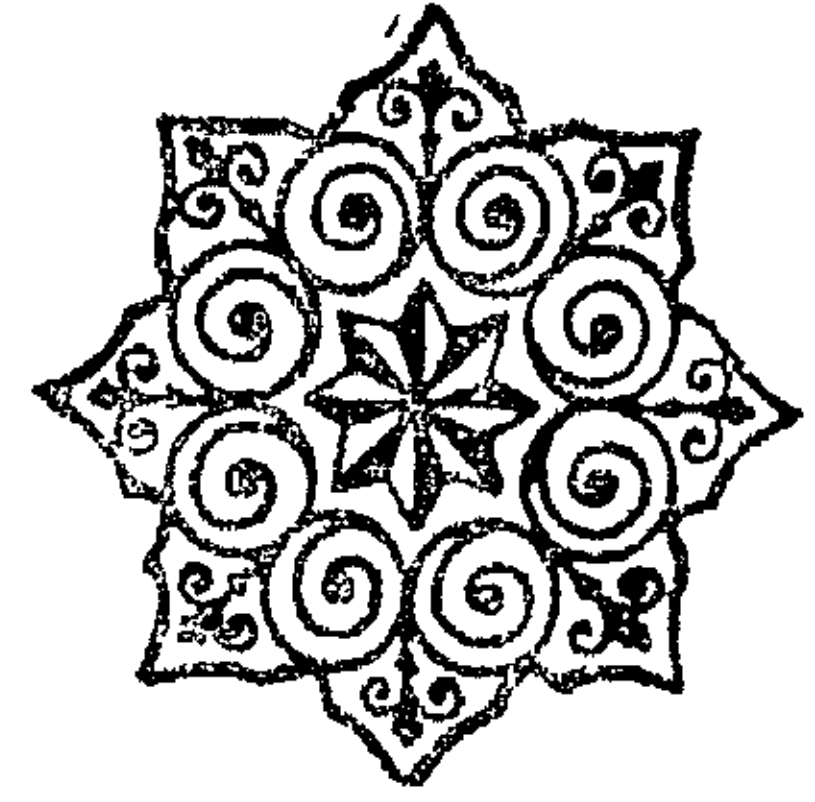
وقيل : عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرک فانه ينفعک ، ودع الکذب حيث ترى أنه ينفعک ؛ فانه يضرک .

وقيل : کل شیء شیء ، ومصادقة الکذاب لاشيء .

وقيل : علامة الکذاب جوده باليمين (١) بغير مستحلف .

وقال ابن سيرين : الکلام أوسع من أن یکذب ظریف .

وقيل : ما أملق (٢) تاجر صدوق .



الباب الثاني والستون الحسنة

« من أستحيا من الله مطيعا • •
استحيا الله تعالى منه وهو مذنّب • »

باب الحياء

قال الله تعالى : « ألم تعلم بان الله برى » (١) .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبدوس الحيرى المزكى قال : أخبرنا أبو سهل أحمد ابن محمد بن زياد النحوى ببغداد قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال : حدثنا موسى بن حيان قال : حدثنا المقدمى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء من الإيمان » .

وأخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعىلى قال : حدثنا أبو عمان عمرو بن عبد الله البصرى قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال : حدثنا بعل بن عبيد قال : حدثنا أبان بن إسحق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة الهمدانى ، ابن مسعود ، رضى الله عنه ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، قال ذات يوم لأصحابه : « استحيوا من الله حق الحياء قالوا : إنا نستحي بنا نبى الله ، والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » (٢) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : أخبرنا أبو نصر الوزيرى قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنا محمد بن مخلد ، عن أبيه قال : قال بعض الحكماء : أحيوا الحياء بمجالسة من يستحي منه .

وسمعت بقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت ابن عطاء يقول : العلم الأكبر : الهيبة والحياء ؛ فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير (٣) .

وسمعت بقول : سمعت أبا الفرج الورثانى يقول : سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول : حدثنى محمد بن عبد الملك قال : سمعت ذا النون المصرى يقول : الحياء وجود فى القلب ، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى .

وقال ذو النون المصرى : الحب ينطق ، والحياء يسكب ، والخوف يقلق .

(١) آية ١٤ من سورة العلق .

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه والحاكم فى المستدرک والبيهقى فى الشعب .

(٣) أى فى القلب .

وقال أبو عمان : من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عز وجل فيما يتكلم به ، فهو مستدرج .

سمعت أبا بكر بن أشكيب ، يقول : دخل الحسن بن الحداد على عبد الله ابن منازل ، فقال : من أين تجيء ؟ فقال : من مجلس أبي القاسم المذكر . قال : فيما ذا كان تتكلم ؟ فقال : في الحياء . فقال عبد الله : واعجبا . . من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء ؟ .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت أحمد بن صالح يقول : سمعت محمد بن عبدون يقول : سمعت أبا العباس المؤدب يقول : قال السري :

إن الحياء والأنس يطرقان القلب ؛ فان وجدافيه الزهد والورع حطا ، وإلا رحلا .

وسمعه يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الجريري يقول : تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين ، حتى رق للدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار للناس يتعاملون بالرغبة والرغبة .

وقبل في قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » (١) : الرهان : أنها ألقت ثوباً على وجه صنم في زاوية البيت ، فقال يوسف عليه السلام : ماذا تفعلين ؟ فقالت : أستحي منه ، قال يوسف عليه السلام : أنا أولى منك أن أستحي من الله تعالى .

وقيل في قوله تعالى : « فجاءته إحداهما تمشي على استحياء » (٢) قيل : إنما استحييت منه ؛ لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة ، فاستحييت ان لا يجيب موسى عليه السلام ، فصفة المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله . يقول : سمعت عبد الله بن الحنين يقول : سمعت أبا محمد البلاذري يقول : سمعت أبا عبد الله العمرى يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : قال الله تعالى :

(١) آية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) آية ٢٥ من سورة القصص .

« يا عبدى إنك ما استحييت منى ؛ أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت نقاع الأرض ذنوبك ، ومحوت من أم الكتاب زلاتك ، ولا أناقشك فى الحساب يوم القيامة » .

وقيل : رأى رجل بصلى خارج المسجد ، فقيل له : لم لا تدخل المسجد فتصلى فيه ؟ فقال : أستحي منه تعالى أن أدخل بيته ، وقد عصيته . .

وقيل : من علامات المستحي : أن لا يرى بموضع يستحي منه .

وقال بعضهم : خرجنا ليلة فقررنا بأجمة^(١) ، فاذا رجل نائم ، وفرس عند رأسه ترعى ، فحركناه ، وقلنا له : ألا تخاف أن تنام فى مثل هذا الموضع المحوف وهو مسبح ؟^(٢) .

فرفع رأسه ، وقال : أنا أستحي منه تعالى ، أن أخاف غيره ، ووضع رأسه ونام .

وأوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام : عظ نفسك ؛ فان اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستح منى أن تعظ الناس .

وقيل : الحياء على وجوه :

حياء الجنابة ؛ كآدم ، عليه السلام ، لما قيل له : أفراراً منا . . فقال : لا ، بل حياء منك .

وحياء للتقصير ؛ كالملائكة يقولون : سبحانهك ، ما عندناك حق عبادتك .
وحياء للإجلال ؛ كاسرافيل ، عليه السلام ، تسربل بجناحه حياء من الله عز وجل .

وحياء للكرم ؛ كالنبي صلى الله عليه وسلم ، كان يستحي من امته ، أن يقول لهم : اخرجوا ، فقال الله عز وجل : « ولا مستأنسين لحديث »^(٣) .

وحياء حشمة ؛ كعلي ، رضى الله عنه ، حين سأل المقداد بن الأسود حى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «حكم خروج المذى» ، لمكان فاطمة رضى الله عنها .

(١) الأجمة : الشجر الملتف .

(٢) كثير السباع .

(٣) آية ٥٣ من سورة الأحزاب .

وحياء الاستحقار ؛ كموسى عليه السلام ، قال : إني لتعرض لى الحاجة من الدنيا ، فاستحى أن أسألك يارب ، فقال الله عز وجل له : سلنى حتى عن ملح عجيتك ، وعلف شاتك .

وحياء الإنعام ، هو حياء الرب سبحانه ، يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر الصراط ، وإذا فيه : فعلت ما فعلت ، وقد استحيت أن أظهره عليك ، فاذهب ، فإني قد غفرت لك .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر : إن يحيى بن معاذ قال : سبحانه من بذنب العبد فيستحى هو منه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت زنجويه اللباد يقول : سمعت على بن الحسين الهلالى يقول : سمعت إبراهيم ابن الأشعث يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : خمس من علامات الشقاء : للقسوة فى القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل . وفى بعض الكتب : ما أنصفنى عدى ؛ بدعونى فاستحى أن أردده ، ويعصينى فلا يستحى منى .

وقال يحيى بن معاذ : من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله تعالى منه وهو مذنب .

واعلم أن الحياء : بوجوب التدويب ، فيقال : الحياء : ذوبان الحشا لاطلاع المولى .

ويقال : الحياء : انقباض القلب ، لتعظيم الرب .

وقيل : إذا جلس ليعظ الناس ناداه ملكاه : عظ نفسك بما تعظ به أخاك ، وإلا فاستحى من سيدك ؛ فانه براك .

وسئل الجنيد عن الحياء ، فقال : رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، فيتولد من بينهما حالة تسمى « الحياء » .

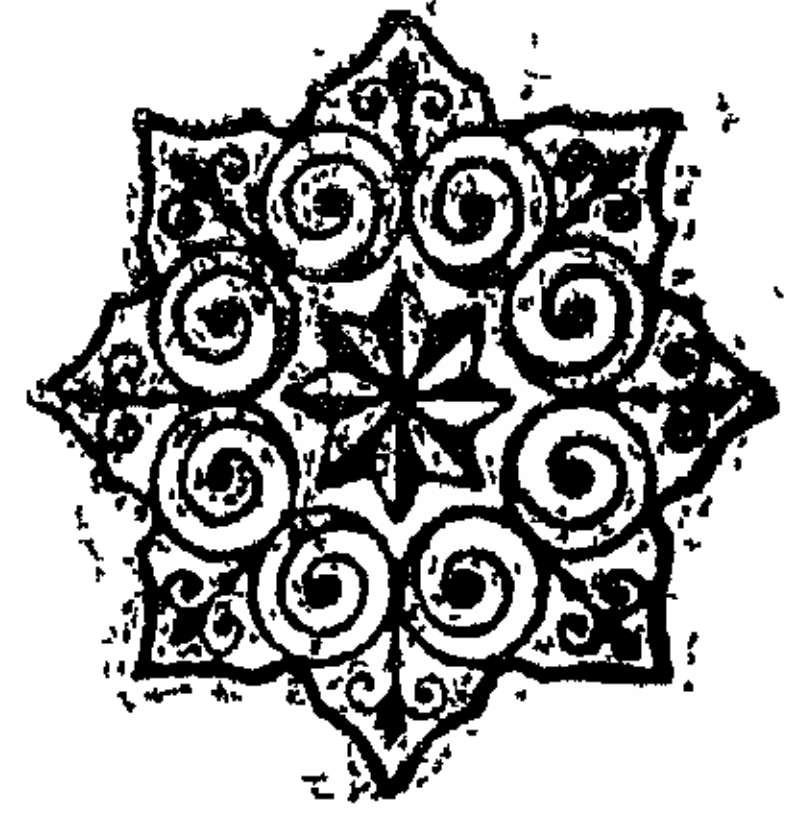
وقال الواسطى : لم يذق لذعات الحياء من لاسى خرق حد^(١) أو نقض عهد .

(١) أى ارتكب منهياً عنه واعتدى على حد من حدود الله .

وقال الواسطي ايضا : المستحى سبل منه العرق ، وهو الفضل الذي فيه ، ومادام في النفس شيء فهو مصروف عن الحياء .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الحياء : ترك الدعوى بين يدي الله عز وجل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزني يقول : سمعت محمد بن أحمد الجوزجاني يقول : سمعت أبا بكر الوراق يقول : ربما أصلى لله تعالى ركعتين ، فأنصرف عنهما ، وأنا بمنزلة من يتصرف عن السرقة من الحياء .



الباب الثالث والستون الحرية

« .. انك لا تصل الى صريح الحرية
وعليك من حقيقة عبودية بقية .. »

باب الحرية

قال الله عز وجل : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (١) .

قال (٢) : إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم (٣) عما خرجوا منه ، وآثروا به .

أخبرنا : علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا ابن أبي قماش قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال : حدثنا نعيم بن مورع بن توبة ، عن إسماعيل المكي ، عن عمرو بن دينار ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه ، وإنما بصير إلى أربعة أذرع وشبر (٤) ، وإنما يرجع الأمر إلى آخر » (٥) .

«ال : الحرية : أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجري عليه سلطان المكونات ، وعلامة صحته : سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض (٦) .

قال حارثة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : عزفت نفسى عن الدنيا ، فاستوى عندى حجرها وزهرها .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : من دخل الدنيا وهو عنها حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا محمد المراغى يحكى عن الرقى ، عن الدقاق : يقول : من كان فى الدنيا حراً منها كان فى الآخرة حراً منها .

واعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية ؛ فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حرته .

فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عذار العبودية ، ويحيد بلحظه عن حد الأمر والنهى وهو مميز ، فى دار التكليف ، فذلك انسلاخ من الدين .

(١) آية ٩ من سورة الحشر .

(٢) الإمام المؤلف .

(٣) فى نسخة لتحررهم .

(٤) أى القبر .

(٥) وروى نحوه ما أخرجه الطبرانى والبيهقى عن خباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما يكفي أحدكم ما كان

، الدنيا مثل زاد الراكب) حديث حسن .

(٦) وفى نسخة « الأعراس » والمجاهد أن لا يفرق بين نفسه ونفسه فى مخالطته .

قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : « واعبد ربك حتى يأتياك اليقين » (١) يعنى : الأجل ، وعليه أجمع المفسرون .

وأن الذى اشار إليه القوم من الحرية هو : أن لا يكون العبد تحت رق شئ من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ، ولا من أعراض الآخرة ؛ فرداً لفرد (٢) لم يسترقه عاجل دنيا ، ولا حاصل هوى ، ولا أجل منى ، ولا سؤال ، ولا قصد ولا آرب (٣) ، ولا حظ .

وقيل للشبلى : ألم تعلم أنه تعالى رحمن ؟ فقال : بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمنى .

ومقام الحرية عزيز .

سمعت الشيخ أبا على رحمه الله ، يقول : كان أبو العباس السيارى يقول : لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت :

آتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

وأما أقاويل المشايخ فى الحرية ؛ فقال الحسين بن منصور : من أراد الحرية فليصل (٤) العبودية .

وسئل الجنيد عن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة ، فقال : المكاتب عبد ما بى عليه درهم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : إنك لاتصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية .

وقال بشر الحافى : من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية (٥) فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى .

وقال الحسين بن منصور : إذا استوفى العبد مقامات العبودية (٦) كلها بصير حراً من تعب العبودية (٧) ، فيرسم (٨) بالعبودية بلاعناء ولا كلفة ، وذلك مقام الأنبياء

(١) آية ٩٩ من سورة الحجر .

(٤) بأن يوالها ويدم عليها .

(٦) لله .

(٨) وفى نسخة فيتوسم أى يتصف ويتحل .

(٣) أى حاجة .

(٢) أى الله .

(٥) لغير الله .

(٧) لغير الله .

والصديقين ، يعنى يصير محمولاً ، لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحلياً بها شرعاً ،
أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال : أنشدنا أبو بكر الرازى قال : أنشدنى منصور الفقيه
لنفسه :

ما بقى فى الإنسان حر لا ، ولا فى الجن حر
قد مضى حر الفريقين فحلوا العيش مر

واعلم أن معظم الحرية فى خدمة الفقراء .

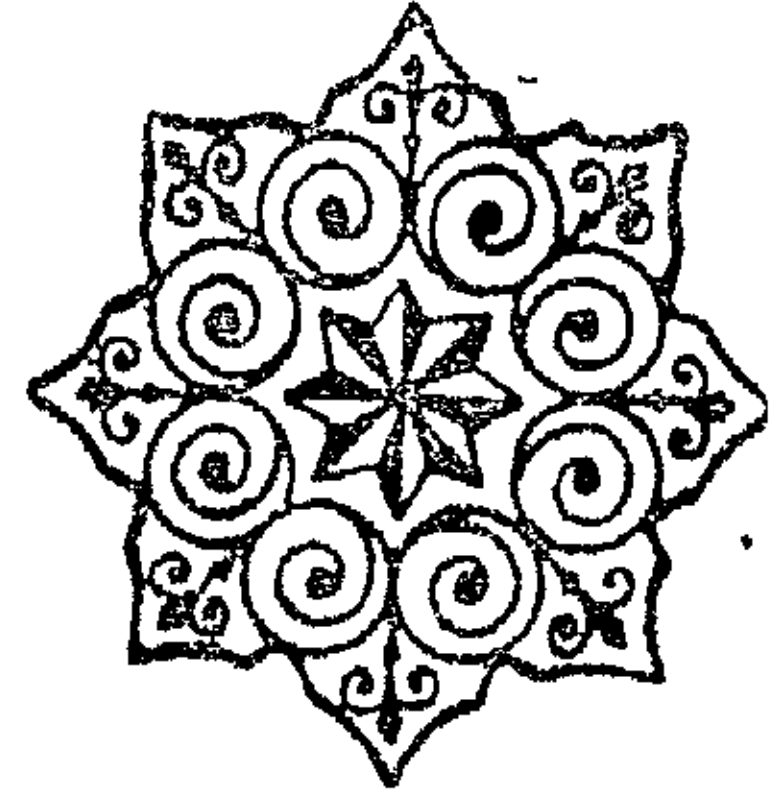
سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله ، يقول : أوحى الله تعالى إلى داود
عليه السلام : إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سيد القوم خادهم » .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول . سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضل
يقول : سمعت محمد بن الرومى يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : أبناء الدنيا
تخدمهم الإماء والعبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار .

وسمعتة يقول : سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول : سمعت على بن محمد
المصرى يقول : سمعت يوسف بن موسى يقول : سمعت بن خبيق يقول : سمعت
محمد بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : إن الحر الكريم يخرج
من الدنيا قبل أن يخرج منها .

وقال إبراهيم بن أدهم : لا تصحب إلا حراً كريماً ؛ يسمع ولا يتكلم .



الباب الرابع والسلاسون التذكر

« .. سئل الوسطى عن الذكر فقال:
الخروج من ميدان الغفلة الى قضاء
المشاهدة على غلبة الخوف
« .. وشدة الحب له .. »

باب الذكر

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » (١) .

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشر ببغداد ، قال أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال : حدثنا هارون بن معروف قال : حدثنا أنس بن عياض قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي بحريه ، عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَارْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَأَنْ تَلْقَوْا عِدْوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ »

قالوا : ماذا يا رسول الله ؟

قال : ذكر الله تعالى :

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا الديري ، عن عبد الرزاق ، عن معمر : عن الزهري ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ . . اللَّهُ . »

وأخبرنا علي بن أحمد بن عدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا معاذ قال : حدثنا أبي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى (٢) لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ . . اللَّهُ . »

قال الأستاذ : والذكر ركن قوى في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر . والذكر على مرتين :

ذكر اللسان ، وذكر القلب . فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب . والتأثير لذكر القلب ؛ فإذا كان العبد ذا كراً بلسانه وقلبه ، فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه .

(١) آية ٤١ من سورة الأحزاب .

(٢) معني حتى : إلى أن والحديث أخرجه أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه والترمذي عن أنس وقال صحيح الإسناد .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الذكر منشور (١) أو لاية ؛ فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل .

وقيل : إن الشبلي كان في ابتداء أمره ينزل كل يوم سرباً (٢) ويحمل مع نفسه حزمة من القصبان (٣) ، فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه ، فربما كانت الحزمة تفتى قبل أن يمسي ، فكان يضرب بيده ورجليه على الحائط .

وقيل : ذكر الله بالقلب سيف المرشدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وإن البلاء إذا أظلم العبد ؛ فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى بحيد عنه في الحال كل ما يكرهه .

وسئل الواسطي عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف ، وشدة الحب له .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت عبد الله بن الحمين يقول : سمعت أبا محمد البلاذري يقول : سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء ، وكان له عوضاً عن كل شيء .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول : سمعت أحمد المسجدي يقول : سئل أبو عيمان ؛ فقيل له : نحن نذكر الله تعالى ، ولا نجد في قلوبنا حلاوة ؟

فقال : احمداوا الله تعالى ، على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته .

وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« وإذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها . فقيل له : وما رياض الجنة ؟ فقال : هلق الذكر » (٤) .

(١) المنشور ، هو ما يكتب لمن وله ولاية على جهة من الجهات ، ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم . والمراد أن الذكر يشهد الذاكر بالولاية كما يشهد المنشور للوالي بولايته على القوم .

(٢) طريقاً . (٣) الخشب .

(٤) رواه أنس وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي والبيهقي وقال حديث صحيح وروى نحوه فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أمرتكم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس العلم » ورمز له السيوطي الصنف .

أخبرنا أبو الحسن علي بن بشر ببغداد قال : حدثنا أبو علي بن صفوان قال :
ابن أبي الدنيا قال : حدثنا الهيثم بن خارجة قال : حدثنا إسماعيل ابن عياش ، عن
عمر بن عبد الله : أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال :
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أيها الناس ؛ ارتعوا في رياض
الجنة . قلنا يارسول الله ، ما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » اغدوا ،
وروحوا ، واذكروا ، من كان يحب أن يعلم منزلة عند الله فلينظر كيف منزلة
الله عنده ؟ فان الله سبحانه ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه (١) .

وسمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت محمداً الفراء يقول : سمعت الشبلي
يقول : أليس الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرني ؟ ما الذي استفدت من مجالسة
الحق سبحانه ؟ .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن موسى السلامي يقول : سمعت الشبلي ينشد
في مجلسه :

ذكرتك ، لا آني نسيته لحظة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني للوجد أنك حاضري شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان
ومن خصائص الذكر : أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد
مأمور بذكر الله : إما فرضاً ، وإما ندباً . والصلاة ، وإن كانت أشرف العبادات ،
فقد لا تجوز في بعض الأوقات . والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات .

قال الله تعالى : « للذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . . » (٢) .
سمعت الإمام أبا بكر من فورك ، رحمه الله ، يقول : قياماً : بحق للذكر ،
وقعوداً : عن الدعوى فيه .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يسأل الأستاذ أبا علي للدقاق ، فقال :

(١) رواه أبو الدنيا وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني والحاكم ، والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد ، وقال الحافظ
المنذرى أسانيده ثقات مشهورون محتج بهم والحديث حسن . وروى بنحوه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مررت برياض الجنة فارتعوا : قيل وما رياض الجنة ؟ قال المساجد قال : وما الرتع ؟ قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر أخرجه الترمذى .

(٢) آية ١٩١ من سورة آل عمران .

الذكر أتم أم الفكر ؟ فقال الأستاذ أبو علي : ما الذي يقول الشيخ فيه ؟
قال الشيخ أبو عبد الرحمن : عندي الذكر أتم من الفكر ؛ لأن الحق ، سبحانه ،
يوصف بالذكر ، ولا يوصف بالفكر ، وما وُصف به الحق سبحانه أتم مما اختص
به الخلق . فاستحسنه الأستاذ أبو علي ، رحمه الله .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت محمد بن عبد الله
يقول : سمعت الكتاني يقول ، لولا أن ذكره فرض على لما ذكرته إجلاله ،
مثلي يذكره . . . ولم يغسل فيه بألف توبة متقبلة عن ذكره .
وسمعت الأستاذ أبا علي ، رحمه الله ، ينشد لبعضهم :

ما إن ذكرتك إلا هم يزجرني قلبي وسرى وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ، ويحك والتذكار إياك (١)
ومن خصائص الذكر : أنه جعل في مقابله الذكر (٢) . قال الله تعالى :
« فاذكروني أذكركم » .

وفي خبر : « أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن
الله تعالى يقول : أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم ، فقال : وما ذاك يا جبريل ؟
فقال : قوله تعالى : (فاذكروني أذكركم) ؛ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة » .
وقيل : إن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه .

وفي بعض الكتب : أن موسى ، عليه السلام ، قال يارب : أين تسكن ؟
فأوحى الله تعالى إليه ، في قلب عبدي المؤمن . ومعناه : سكون الذكر في القلب
فإن الحق سبحانه وتعالى منزله عن كل سكون وحلول ، وإنما هو (٣) : إثبات ذكر
وتحصيل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول :
سمعت فارساً يقول : سمعت الثوري يقول : سمعت ذا النون ، وقد سأله عن
الذكر فقال : هو غيبة الذاكر عن الذكر ، ثم أنشأ يقول :

لأنني أنساك أكثر ذكراك ، ولكن بذاك يجري لساني

(١) والمعنى ، كما ذكره الشيخ العروسي أي : إذا شرعت في ذكرك يآلمني قام زاجر بقلبي وسرى وروحي يبعدني عن
ذكرك . وكان محذراً يحذرنى بقوله : إياك أن تقرب الذكر إياك ، لكوى لست أهلاً له .

(٢) أي ذكر الله لمن يذكره . (٣) أي السكون .

وقال سهل بن عبد الله : ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى : يا عبدى ، ما أنصفتنى ؛ أذكرك وتنساني ، وأدعوك إلى وتذهب إلى غيرى ، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، يا ابن آدم ، ما تقول غداً إذا جئتني ؟ .

وقال أبو سليمان الداراني : إن في الجنة قيعاناً^(١) ، فاذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها ، فربما يقف بعض الملائكة ، فيقال له : لم وقفت ؟ فيقول : فتر صاحبي .

وقال الحسن^(٢) : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، والذكر ، وقراءة القرآن ، فان وجدتم ، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .

وقال حامد الأسود . كنت مع إبراهيم الخواص في سفر ، فجيئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة . فوضع ركوته^(٣) وجلس ، وجلست ، فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات ، فصحت بالشيخ ، فقال : اذكر الله . فذكرت فرجعت ، ثم عادت ، فصحت به ، فقال مثل ذلك . فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة . فلما أصبحنا قام ، ومشى ، ومشيت معه ، فسقطت من وطائه^(٤) حية عظيمة وقد تطوقت به ، فقلت : ما أحسست بها ؟

فقال : لا ، منذ زمان مابت ليلة أطيّب من البارحة .

قال أبو عثمان : من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الديباني يقول : سمعت الجريري يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول :

مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى : « إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقتة » .

وبأسناده : أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « بي فافرحوا ، وبذكرى فتنعموا » .

وقال الثوري : لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر .

(١) القيعان : الأمكنة المستوية من الأرض . (٢) البصري .

(٣) الركوة : الدلو الصغيرة . (٤) الوطاء : المهاد الوطى .

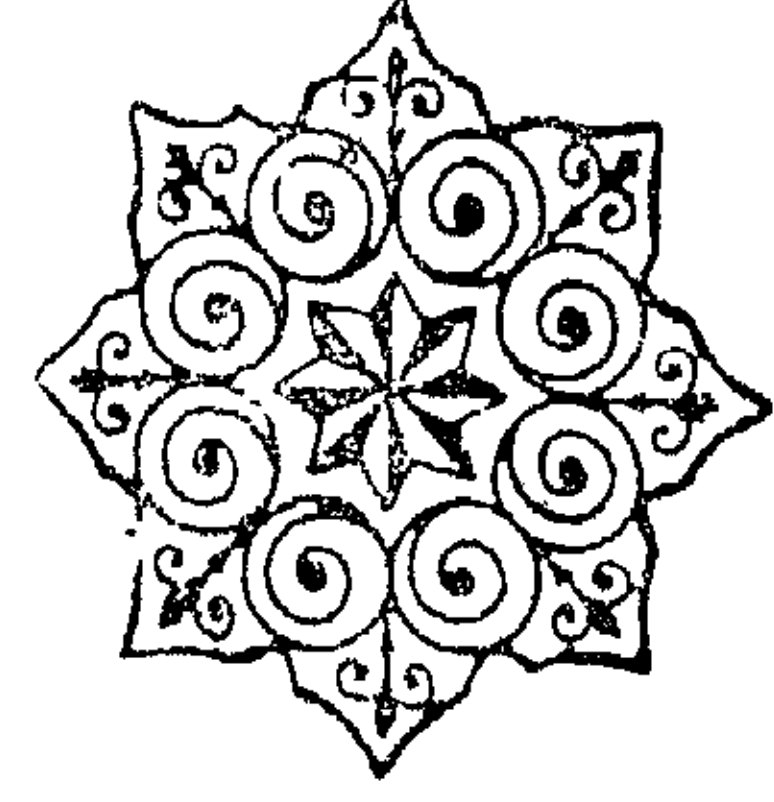
وفي الإنجيل اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ، وارض بنصرتي لك ؛
فان نصرتي لك خير لك من نصرتك لنفسك .

وقيل لراهب : أنت صائم ؟ فقال : صائم بذكره ، فاذا ذكرت غيره أفطرت .
وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب ، فان دنا منه الشيطان صرع ، كما يصرع
الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال :
قد مسه الإنس .

وقال سهل : ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب تعالى .
وقيل الذكر الحثي لا يرفعه الملك ، لأنه لا اطلاع له عليه ، فهو سر بين العبد
وبين الله عز وجل .

وقال بعضهم : وصف لي ذاكر في أجمه ، فأثيته ، فبينما هو جالس إذا سبع
عظيم ضربه ضربة ، واستلب منه قطعة ، فغشى عليه وعلى ، فلما أفاق ، قلت
ما هذا ؟ فقال : قبض الله هذا السبع على ، فكلما دخلتني فترة عضني عضة ، كما
رأيت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول :
سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجريري يقول : كان من بن أصحابنا
رجل يكثر أن يقول : الله الله . . فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط
الدم ، فاكتب على الأرض : الله . . الله .



الباب الخامس والستون الفتوة

قال الجنيد : الفتوة كف الأذى ..
وبذل الندى ..
وقيل : الفتوة - فضيلة تأتيها ولا ترى
نفسك فيها ..

باب الفتوة

قال الله تعالى : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (١) .

قال الأستاذ : أصل الفتوة (٢) أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره .

قال صلى الله عليه وسلم : (لا يزال الله تعالى في حاجة للعبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم) .

أخبرنا به علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا به أحمد بن عبيد قال : حدثنا به إسماعيل بن الفضل قال : حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال : حدثنا به ابن أبي حازم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عبد الرحمن بن هومز الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يزال الله تعالى في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه المسلم) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : هذا الخلق (٣) ، لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فان كل أحد في القيامة يقول : نفسي . . نفسي ؛ وهو ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : أمتي . . أمتي .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول : الفتوة بالشام ، واللسان بالعراق ، والصدق بخراسان .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت محمد بن نصر ابن منصور الصائغ يقول : سمعت محمد بن مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل يقول : الفتوة : الصفح عن عثرات الإخوان .

وقيل : الفتوة : أن لا ترى لنفسك فضلاً عن غيرك .

وقال أبو بكر الوراق : الفتى من لا خصم له .

وقال محمد بن علي الترمذى : الفتوة : أن تكون خصماً لربك على نفسك ويقال : الفتى : من لا يكون خصماً لأحد .

(١) آية ١٣ من سورة الكهف .

(٢) والأولى أن يقال في معناها ، هي : ملكة في الشخص تحمل على البذل والجود ، بل تقتضى قوة الإينار (العروسى) .

(٣) أى الفتوة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر اباذي يقول :
سمى أصحاب الكهف « فتية » ؛ لأنهم آمنوا بربهم بلا واسطة .

وقيل : الفتى : من كسر الصنم ؛ قال الله تعالى : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ^(١) » وقال تعالى : « فجعلهم جذاذاً » ^(٢) وصنم كل إنسان نفسه ؛ فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .

وقال الحارث المحاسبي : الفتوة : أن تنصف ولا تنتصف .

وقال عمر بن عثمان المكي : الفتوة : حسن الخلق .

وسئل الجنيد عن الفتوة ، فقال : أن لا تنافر فقيراً ، ولا تعارض غنياً .

وقال النصر اباذي : المروءة شعبة من الفتوة ، وهو الإعراض عن الكونين ، والأنفة منهما .

وقال محمد بن علي الترمذي : الفتوة أن يستوى عندك المقيم والطارىء .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت علي بن عمر الحافظ يقول :

سمعت أبا سهل بن زياد يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول :
سئل أبي : ما الفتوة ؟ فقال : ترك ما تهوى لما تخشى .

وقيل لبعضهم : ما الفتوة ؟ فقال : أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولى أو كافر .

سمعت بعض العلماء يقول : استضاف مجوسى إبراهيم الخليل عليه السلام ،
فقال : بشرط أن تسلم ، فمر المجوسى ، فأوحى الله تعالى إليه : منذ خمسين سنة
نطعمه على كفره ، فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه ؟ . ففضى إبراهيم
عليه السلام ، على أثره ، حتى أدركه . . واعتذر إليه ، فسأله عن السبب ، فذكر
له ذلك ؛ فأسلم المجوسى .

وقال الجنيد : الفتوة : كف الأذى ، وبذل الندى .

وقال سهل بن عبد الله : الفتوة : اتباع السنة .

وقيل : الفتوة : الوفاء والحفاظ .

وقيل : الفتوة : فضيلة تأتيا ولا ترى نفسك فيها .

(١) آية ٦٠ من سورة الأنبياء .

(٢) آية ٥٨ من سورة الأنبياء .

وقيل : الفتوة : أن لا تهرب إذا أقبل السائل .

وقيل : أن لا تحجب من القاصدين .

وقيل : أن لا تدخر ولا تعتذر .

وقيل : إظهار النعمة ، وإسرار المحنة .

وقيل : أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر .

وقيل : الفتوة : ترك المميز .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : قال أحمد بن خضرويه لامرأته أم علي : أريد أن أتخذ دعوة أدعو فيها « عياراً شاطراً » كان في بلدهم « رأس الفتيان » .

فقلت : امرأته : إنك لا تهتدى إلى دعوة الفتيان . فقال : لا بد . ٣١

فقلت : إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحمر ، وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك . ٣٢

فقال : أما الأغنام والبقر فأعلم . فما بال الحمر ؟

فقلت : تدعو فتى إلى دارك ، فلا أقل من أن يكون لكلا ب المحلة خير .
وقيل : اتخذ بعضهم دعوة ، وفيهم شيخ شيرازى ، فلما أكلوا وقع عليهم النوم في حال السماع .

فقال الشيخ الشيرازى لصاحب الدعوة : ما للسبب في نومنا ؟ فقال : لا أدري . .
اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان ، فلم أسأل عليه .

فلما أصبحوا سألوا بائع الباذنجان ، فقال : لم يكن لى شىء ، فسرقت الباذنجان ، الموضع الفلانى « وبعته » فحملوه إلى صاحب الأرض ليضعه في حل ، فقال جل : تسألون منى ألف باذنجانة ؟ قد وهبته تلك الأرض ، ووهبته ثورين ، حماراً ، وآلة الحرث ، لثلا يعود إلى مثل ما فعل .

وقيل : تزوج رجل بامرأة . . فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدرى ، فقال الرجل : اشتكت عيني ، تم قال : عميت ، فزفت إليه المرأة . . ثم ماتت بعد عشرين سنة . . ففتح الرجل عينيه ، ففيل له في ذلك فقال : لم أعم ، ولكن تعاميت حذار أن تحزن ، ففيل له : سبقت الفتيان .

وقال ذو النون المصرى : من أراد الظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد .

ف قيل له : كيف هو (١) ؟ فقال : لما حملت إلى الخليفة ، فيما نسب إلى من الزندقة ، رأيت سقاء عليه عمامة ، وهو مترد بمنديل مصرى ، وبيده كيزان خزف رقاق ، نقلت : هذا ساق السلطان ، فقالوا : لا ، هذا ساق العامة . فأخذت الكوز وشربت . وقلت لمن معى : أعطه ديناراً . فلم يأخذه ، وقال : أنت أسير ، وليس من الفتوة أن آخذ منك شيئاً .

وقيل : ليس من الفتوة أن تربح على صديقك . قاله بعض أصدقائنا ، رحمه الله تعالى .

وكان فتي يسمى « أحمد بن سهل » التاجر ، وقد اشترت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت له : ألا تأخذ ربحاً ؟ فقال : أما الثمن فأخذه ، ولا أحملك منة ؛ لأنه ليس له من الخطر ما أتخلق به معك ، ولكن لا آخذ الربح ؛ إذ ليس من الفتوة أن تربح على صديقك .

وقيل : خرج إنسان يدعى الفتوة من « نيسابور » إلى « نسا » فاستضافه رجل ، ومعه جماعة من الفتيان ، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم ، فانقبض النيسابورى عن غسل اليد ، وقال : ليس من الفتوة أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال . .

فقال واحد منهم : أنا من سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلاً .

سمعت منصوراً المغربى يقول : أراد واحد أن يمتحن نوحاً النيسابورى العيار (٢) . فباع منه (٣) جاريه فى زى غلام ، وشرط أنه غلام ، وكانت وضئته الوجه ، فاشتراها نوح على أنها غلام ، ولبثت عنده شهوراً كثيرة ، فقيل للجارية : هل علم أنك جارية ؟ فقالت : لا ، إنه ما مسنى ، وتوهم أنى غلام .

وقيل : إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان ، فأبى ، فضربه ألف سوط ، فلم يسلم ، فاتفق أنه احتمل تلك الليلة ، وكان برداً شديداً ، فلما أصبح اغتسل بالماء البارد ، فقيل له : خاطرت بروحك ، فقال : استحيت

(٢) العيار أى الشجاع .

(١) أى حاله .

(٣) أى باع له .

من الله تعالى أن أصبر على ، ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ، ولا أصبر على مقاساة
برد الاغتسال لأجله .

وقيل : قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعى الفتوة ، فقال الرجال :
يا غلام قدم السفارة ، فلم يقدم . فقال له الرجل ذلك ثانياً وثالثاً . فنظر بعضهم
إلى بعض ، وقالوا ، ليس من الفتوة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم
السفرة كل هذا . فقال الرجل : لم أبطأت بالسفرة ؟ فقال الغلام : كان عليها نمل ،
فلم يكن من الأدب تقديم السفارة إلى الفتيان مع النمل ، ولم يكن من الفتوة إلقاء
النمل من السفارة ، فلبثت حتى دب النمل . فقالوا له : دققت يا غلام ، مثلك من
يخدم الفتيان .

وقيل : إن رجلاً نام بالمدينة من الحاج ، فتوهم أن « هميانه »^(١) سرق ،
فخرج ، فرأى جعفر الصادق ، فتعلق به ، وقال له : أنت أخذت همياني ؟ فقال
له : ماذا كان فيه ؟ فقال : ألف دينار .

فأدخله داره . ووزن له ألف دينار ، فرجع الرجل إلى منزله ، ودخل
بيته ، فرأى هميانه في بيته وقد كان توهم أنه سرق ؛ فخرج إلى جعفر معتذراً ،
ورد عليه الدنانير ، فأبى أن يقبلها ، وقال : شيء أخرجته من يدي لأسترده .
فقال الرجل : من هذا ؟ فقيل : جعفر الصادق .

وقيل : سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة ، فقال : ما تقول أنت ؟
فقال شقيق : إن أعطينا شكرنا . وإن منعنا صبرنا .

فقال جعفر : الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل . .

فقال شقيق : يا ابن بنت رسول الله ، ما الفتوة عندكم ؟

فقال : إن أعطينا آثرنا ، وإن منعنا شكرنا .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر
الرازي يقول : سمعت الجريري يقول : دعانا الشيخ أبو العباس بن مسروق ليلة
إلى بيته ، فاستقبلنا صديق لنا ، فقلنا له : ارجع معنا ، فنحن في ضيافة الشيخ ، فقال :

(١) الهيمان : بكسر الهاء : الدراهم أو كيس الدراهم .

إنه لم يدعى . . فقلنا : نحن نستثنى (١) ، كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها .

فرددناه (٢) ، فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال ، وقلنا . فقال :

جعلت موضعي من قلبك أن تجيء إلى منزلي من غير دعوة ، على كذا وكذا إن (٣) مشيت إلى الموضع الذي تقعد فيه منه إلا على خدي ، وألح عليه . . ووضع خده على الأرض ، وحمل الرجل ، فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه ، وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه .

واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء ، لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول للنصر اباذى كثيراً : إن عليا القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار ، وكان لا يسمع فيه ما يقال ، فاتفق أنه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر علياً بذلك عنده فوجد علياً مطروحاً في موضع ، وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فيه ، فقال الرجل : إلى كم نقول فيه للشيخ ولا يسمع ؟ . هذا على على الوصف الذي نقول . فنظر إليه النصر اباذى وقال للعدول (٤) : احمله على رقبتك ، وانقله إلى منزله . فلم يجد بداً من طاعته فيه .

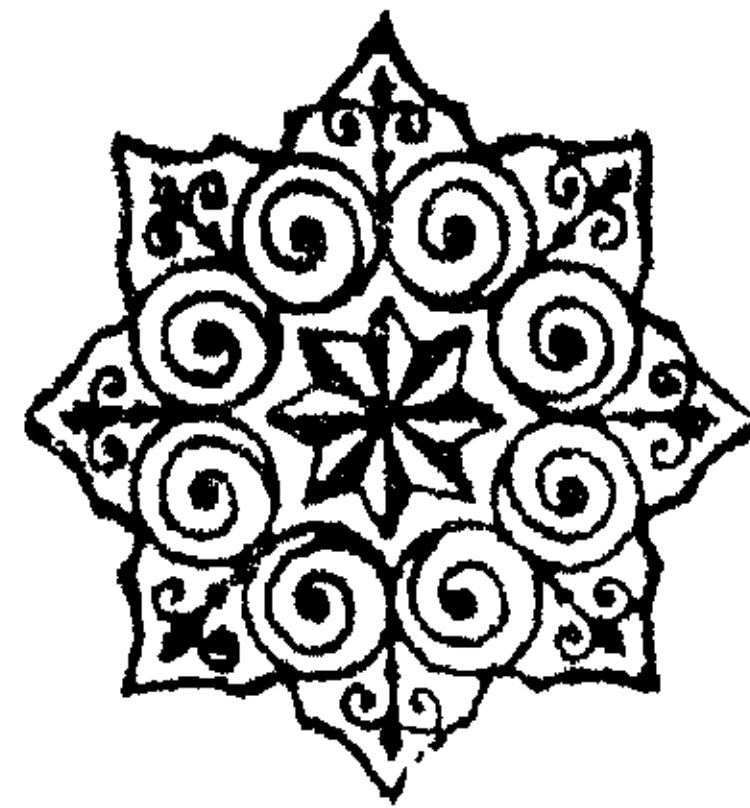
وسمعه يقول : سمعت أبا علي الفارسي يقول : سمعت المرتعش يقول : دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوذه ، ونحن جماعة ، فقال للمريض : أتحب أن تبرأ ؟ فقال : نعم فقال لأصحابه : تحملوا عنه . . فقام العليل . . وخرج معنا . وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد .

(١) أى نستأذن لك عند الدخول .

(٢) وفى نسخة ، فأخذناه معنا .

(٣) أى : ما مشيت .

(٤) أى : اللائم له .



الباب السادس والثلاثون الفراسة

من غض بصره عن المحارم .. وأمسك
نفسه عن الشهوات .. وعمر باطنه
بدوام المراقبة .. وظاهره باتباع
السنة .. وتعود على أكل الحلال ..
لم تخطيء فراسته ..

باب الفراسة

قال الله تعالى : « إن في ذلك لآيات للمتوسمين »^(١) . قيل : للمتفرسين .
 أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله تعالى ، قال : أخبرنا أحمد
 ابن علي بن الحسين الرازى قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن السكن قال : حدثنا
 موسى بن داود قال : حدثنا محمد بن كثير الكوفى قال : حدثنا عمرو بن قيس :
 عن عطية ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل »^(٢) .

والفراسة : خاطر على القلب فينبى ما يضاده . وله على القلب حكم اشتقاقاً
 من : فريسة السبع ، وليس في مقابلة الفراسة مجوزات^(٣) للنفس .
 وهى على حسب قوة الإيمان : فكل من كان أقوى إيماناً كان أحد فراسة .
 وقال أبو سعيد الخراز : من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق ، وتكون مواد
 علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة ، بل حكم حق جرى على لسان عبد .
 وقوله : « نظر بنور الحق » يعنى : بنور خصه به الحق سبحانه .

وقال الواسطى : إن الفراسة : سواطع أنوار لمعت في القلوب ، وتمكن معرفة
 حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب ، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده
 الحق ، سبحانه ، إياها ، فيتكلم على ضمير الخلق .

ويحكى عن أبي الحسن الديلمى أنه قال :

دخلت (أنطاكية) لأجل (أسود) قيل لى : إنه يتكلم على الأسرار . فأقمت فيها
 إلى أن خرج من جبل (لكام)^(٤) ومعه شيء من المباح يبيعه ، وكنت جائعاً منذ
 يومين لم آكل شيئاً فقلت له : بكم هذا ؟ وأوهمته أنى أشتري ما بين يديه فقال :
 قعد ثم : حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً . فتركته وسرت إلى غيره ؛
 همه أنى أساومه . ثم رجعت إليه ، وقلت له :

إن كنت تبيع هذا فقل لى بكم ؟ فقال : إنما جعت يومين ، أقعد ثم ، حتى إذا
 بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً . فقعدت . فلما باعه أعطانى شيئاً ومشى ، فتبعته .

(١) آية ٧٥ من سورة الحجر .

(٢) أخرجه البخارى في التاريخ والترمذى عن أبي سعيد الحكيم وسوية والطبرانى في المعجم الكبير ، وابن عدى في الكامل
 عن أبي أمامة وابن جرير عن ابن عمر .

(٣) أى : احتمالات .

(٤) جبل بالشام .

فالتفت إلى وقال لى : إذا عرضت لك حاجة ، فأنزلها بالله تعالى ، إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن حاجتك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت الكتاني يقول : الفراسة : مكاشفة اليقين ، ومعاينة الغيب ، وهو (١) من مقامات الإيمان .

وقيل : كان الشافعى ، ومحمد بن الحسن ، رحمهما الله تعالى ، فى المسجد الحرام فدخل رجل ، فقال محمد بن الحسن : أتفرس أنه نجار ، وقال الشافعى : أتفرس أنه حداد . فسألاه ، فقال : كنت قبل هذا حداداً . والساعة أنجر .

وقال أبو سعيد الخراز :

المستنبط : من يلاحظ الغيب أبداً . ولا يغيب عنه . ولا يخفى عليه شيء ، وهو الذى دل عليه قوله تعالى :

(لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٢) .

والمتوسم : هو الذى يعرف الوسم (٣) ، وهو العارف بما هو فى سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات ، قال الله تعالى : « إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » (٤) . أى : للعارفين بالعلامات التى يبدىها على الفريقين من أوليائه وأعدائه .

والمتفرس : ينظر بنور الله تعالى ، وذلك : سواطع أنوار لمعت فى قلبه فأدرك بها المعانى ، وهو (٥) من خواص « الإيمان » ، والذين هم أكبر منه (٦) حظاً « الربانيون » قال الله تعالى : (كونوا ربانيين) (٧) يعنى : علماء ، حكماء ، متخلقين بأخلاق الحق نظراً وخلقاً ، وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق ، والنظر إليهم ، والاشتغال

٣٢٠

وقيل : كان أبو القاسم المنادى مريضاً . وكان كبير الشأن ، من مشايخ (نيسابور) فعاده أبو الحسن البوشنجى . والحسن الحداد ، واشترى بنصف درهم تفاحاً فى الطريق نسيئة ، وحمله إليه ، فلما قعدا قال أبو القاسم : ماهذه الظلمة ؟

(٢) آية ٨٣ من سورة النساء .

(٤) آية ٧٥ من سورة الحجر .

(٦) أى من المتوسم .

(١) أى مقام الفراسة .

(٣) أى العلامة .

(٥) أى نور الله .

(٧) آية ٧٩ من سورة آل عمران .

فخرجنا . وقال : ماذا فعلنا ؟ . وتفكرا . فقالا : لعلنا لم نؤد تمن التفاح ، فأعطيناه الثمن ، وعادا إليه ، فلما وقع بصره عليهما قال : هذا عجب ، أيمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة ؟ . أخبراني عن شأنكما . فذكرا له هذه القصة ، فقال : نعم ، كان يعتمد كل واحد منكما على صاحبه في إعطاء الثمن ، والرجل يستحي منكما في التقاضي ، فكان تبقى التبعة ، وأنا السبب ، إنما رأيت ذلك فيكما ، وكان أبو القاسم المنادي هذا يدخل السوق كل يوم ينادي . فاذا وقع بيده ما فيه كفايته من دائق إلى نصف درهم خرج منه . وعاد إلى رأس وقته ، ومراعاة قلبه . وقال الحسين بن منصور :

الحق إذا استولى على سر ملكه الأسرار ؛ فيعانيها ، ويخبر عنها .
وسئل بعضهم عن الفراسة ، فقال : أرواح تتقلب في الملكوت ، فتشرف على معاني الغيوب ، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة ، لا نطق ظن وحسبان .
وقيل : كان بين زكريا الشختي وبين امرأة سبب قبل توبته ، فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عثمان الخيري ، بعد ما صار من خواص تلاميذه ، فتفكر في شأنها ، فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال : أما تستحي ؟ .
قال الأستاذ الإمام ، رحمه الله :

كنت في ابتداء وصلي بالأستاذ أي على الدفاق ، رضى الله عنه ، عقد لي المجلس في مسجود « المطرز » فاستأذنته وقتاً للخروج إلى (نسا) فأذن لي فيه ، فكنت أمشي يوماً في طريق مجلسه ، فخطر ببالي : ليت يَنوب عني في مجالس أيام غيبتى .
فشيت قليلاً : فخطر ببالي أنه عليل يشق عليه أن ينوب عني في الأسبوع يومين ، فليته يقتصر على يوم واحد في الأسبوع ؛ فالتفت إلى وقال : إن لم يمكني في الأسبوع يومان أنوب عنك في الأسبوع مرة واحدة ، فشيت معه قليلاً ؛ فخطر ببالي شيء ثالث ، فالتفت إلى وصرح بالإخبار عنه على القطع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدى أبا عمرو بن تجيد يقول :

كان شاه الكرمانى حاد الفراسة ، لا يخطيء ، ويقول : من غص بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وتعود أكل الحلال ، لم تخطيء فراسته .

وسئل أبو الحسن النورى : من أين تولدت فراسة المتفرسين ؟

فقال : من قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحي) (١) ، فمن كان حظه من ذلك النور أتم ، كانت مشاهدته أحكم ، وحكمه بالفراسة أصدق ، ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه (٢) السجود له بقوله تعالى :

(فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

وهذا الكلام من أبي الحسن النورى فيه أدنى غموض وإبهام ؛ يذكر نفخ الروح (٣) ، لتصويب من يقول بقدم الأرواح ، ولا كما يلوح لقلوب المستضعفين فان الذى يصح عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير . وذلك من سمات الحدوث ، وأن الله ، سبحانه وتعالى ، خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفكرون ، وهى فى الحقيقة معارف ، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم : (فانه ينظر بنور الله) أى بعلم وبصيرة يخصه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله ، وتسمية العلوم والبصائر أنواراً : غير مستبعد ، ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ ، والمراد منه : الخلق .

وقال الحسين بن منصور :

المتفرس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده ، ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان .

وقيل : فراسة المريدين تكون ظناً يوجب تحقيقاً (٤) ، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة .

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى :

إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ؛ فانهم جواسيس القلوب ؛ يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسبون .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الخاضى يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول : الفراسة أول خاطر بلا معارض ؛ فان عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس .

(١) آية ٢٩ من سورة الحجر وآية ٧٢ من سورة ص . (٢) أى فى آدم .
(٣) أى لجعل نفخ الروح هو السبب الموجب لسجود الملائكة . (٤) أى يقيناً .

ويحكى عن أبي عبد الله الرازى (نزيل نيسابور) قال :

كسانى (ابن الأنبارى) صوفياً ، ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف ، فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعاً لى . فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلى . . فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلى ، فلما دخل داره دخلت ؛ فقال لى : انزع الصوف . فنزعته . . فلفه وطرح القلنسوة عليه ، ودعا بنار فأحرقهما .

وقال أبو حفص النيسابورى :

ليس لأحد أن يدعى الفراسة ، ولكن يتقى الفراسة من الغير ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اتقوا فراسة المؤمن) ولم يقل : تفرسوا فكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو فى محل اتقاء الفراسة ؟ .

وقال أبو العباس بن مسروق :

دخلت على شيخ من أصحابنا أعوده . . فوجدته على حال رثة ، فقلت فى نفسى : من أين يرتزق هذا الشيخ ؟ فقال لى : يا أبا العباس : دع عنك هذه الخواطر الدنيئة ، فان لله ألطافاً خفية .

ويحكى عن الزبىدى قال :

كنت فى مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء ، فلم يفتح علينا بشيء أياما ، فأتيت الخواص لأسأله شيئاً ، فلما وقع بصره على قال : الحاجة التى جئت لأجلها يعلمها الله أم لا ؟ فقلت : بلى ؛ فقال : اسكت ولا تبدها لمخلوق ، فرجعت ولم ألبث إلا قليلاً حتى فتح علينا بما فوق الكفاية . وقيل : كان سهل بن عبد الله يوماً فى الجامع ، فوقع حمام فى المسجد من شدة مالحقه من الحر والمشقة ، فقال سهل : إن شاهها الكرمانى مات الساعة ، إن شاء الله تعالى ، فكتبوا ذلك . . . فكان كما قال .

وقيل : خرج أبو عبد الله التروغندى - وكان كبير الوقت - إلى «طوس» فلما بلغ «خر» وقال لصاحبه : اشتر الخبز . فاشترى ما يكفهما ، فقال : اشتر أكثر من ذلك . فاشترى صاحبه ما يكفى عشرة أنفس تعمداً ، فكأنه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقاً قال : فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم للصوم ، لم يأكلوا منذ مدة ، فسألونا الطعام ، فقال : قدم إليهم السفرة .

وقال الأستاذ الإمام : كنت بين يدي الأستاذ الإمام أبي علي رحمه الله يوماً فجرى حديث الشيخ أبي عبد الرحمن السلمى رحمه الله ، وأنه يقوم في السماع موافقة للفقراء ، فقال الأستاذ أبو علي : مثله في حاله ؛ لعل السكون أولى به . ثم قال في ذلك المجلس امض إليهِ فستجده وهو قاعد في بيت كتبه ، وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور . فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئاً وجئني بها . وكان وقت الهجرة . . فدخلت عليه فإذا هو في بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر ، فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى في الحديث وقال : كان بعض الناس^(١) ينكر على أحد من العلماء حركته في السماع فرؤى ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدور كالمتواجد ، فسئل عن حاله فقال : كانت مسألة مشكلة علي ، فتبين لي معناها ، فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور ، فقليل له : مثل هذا يكون حالهم .

فلما رأيت ما أمرني به الأستاذ أبو علي ، وما وصف لي على الوجه الذي قال وجرى على لسان الشيخ أبي عبد الرحمن ما كان قد ذكره به ، تحيرت ، وقلت : كيف أفعل بينهما ؟ .

ثم فكرت في نفسي وقلت : لا وجه إلا الصدق ، فقلت : إن الأستاذ أبا علي وصف لي هذه المجلدة وقال لي أحملها من غير أن تستأذن الشيخ . وأنا هو ذا أخافك ، وليس يمكنني مخالفته ، فأى شيء تأمرني به ؟ . فأخرج^(٢) « مسدساً » من كلام الحسين ، وفيه تصنيف له سماه : كتاب « الصهيور في نقض الدهور » وقال : أحمل هذا إليهِ ، وقل له : إني أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي . . فخرجت .

ويحكى عن الحسن الحداد ، رحمه الله ، أنه قال :

كنت عند أبي القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء . فقال لي : أخرج وأتهم بشيء ، فسررت : حيث أذن لي في التكلف للفقراء وأن آتهم بشيء بعد ما علم فقرى ، قال : فأخذت « مكتلاً »^(٣) وخرجت . . فلما أتيت سكة « سيار » رأيت شيخاً بهياً فسلمت عليه وقلت : جماعة من الفقراء في موضع ، فهل لك أن تتخلق^(٤) معهم بشيء ؟ فأمر . . حتى إذا أخرج إلى شيئاً من الخبز واللحم والعنب ،

(١) أى إنسان .

(٢) فأخرج مجلداً آخر من كلام الحسين بن منصور .

(٣) زنبيل .

(٤) تكرم وتعطي .

فلما بلغت الباب نادى أبو القاسم المنادى من وراء الباب : رده إلى الموضع الذى أخذته منه ، فرجعت واعتذرت إلى الشيخ ، وقلت : لم أجدهم . . وعرضت بأنهم تفرقوا ، ورددت السبب^(١) عليه ثم جئت إلى السوق ففتح على بشىء ، فحملته ، فقال : ادخل .

فقصصت عليه القصة . فقال : نعم ، ذاك (ابن سيار) رجل سلطاني^(٢) ، إذا جئت للفقراء بشىء فأتهم بمثل هذا ، لا بمثل ذاك .

قال أبو الحسين القرافي : زرت أبا الخير التيناني ، فلما ودعته . . خرج معى إلى باب المسجد ، وقال لى : يا أبا الحسين ، أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً ، ولكن أحمل معك هاتين التفاحتين .

فأخذتهما . . ووضعتهما فى جيبي ، وسرت ، فلم يفتح لى بشىء ثلاثة أيام ، فأخرجت واحدة منهما ، وأكلتها ، ثم أردت أن أخرج الثانية ، فاذا هما جميعاً فى جيبي ، فكنت آكل منهما ويعودان . . إلى^(٣) باب الموصل ، فقلت فى نفسى : إنهما يفسدان على حال توكلى : إذ صارتا معلوماً لى . .

فأخرجتهما من جيبي بكرة . فنظرت فاذا فقير ملفوف فى عباءة يقول : أشتى تفاحة . .

فناولتهما إياه . . فلما عبرت وقع لى : أن الشيخ إنما بعتهما إليه . وكنت فى رفقه فى الطريق . . . فانصرفت إلى الفقير ، فلم أجده .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أبا عمر ابن علوان يقول :

كان شاب يصحب الجنيد . . وكان يتكلم على خواطر الناس ، فذكر للجنيد ، فقال له الجنيد : ما هذا الذى ذكر عنك ؟ فقال الجنيد : اعتقد شيئاً . فقال : اعتقدت !! فقال الشاب : اعتقدت كذا وكذا ؟ فقال الجنيد : لا . فقال : اعتقد ثانياً ، ففعل ، فقال : اعتقدت كذا وكذا . فقال : لا فقال : ثالثاً . فقال : مثله فقال الشاب هذا عجب ، أنت صدوق ، وأنا أعرف قلبى ؟ ! . فقال الجنيد : صدقت فى الأول والثانى والثالث ، ولكنى أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك . .

(١) أى الطعام .

(٢) أى منسوب إلى السلطان وطعامه لبس بصف (العروسى) .

(٣) أى إلى أن وصلت فى سفرى .

وسمعتة يقول : سمعت أبا عبد الله الرازي يقول : اعتل ابن الرقي . فحمل إليه دواء في قدح ، فأخذه ، ثم قال : وقع اليوم في المملكة حدث : لا آكل ، ولا أشرب حتى أعلم ماهو ؟ فورد الخبر بعده بأيام : أن القرمطي دخل مكة في ذلك اليوم ، وقتل بها تلك المقتلة العظيمة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول :

ذكر الكاتب هذه الحكاية ، فقال : هذا عجب . . فقلت له : هذا ليس بعجب ، فقال لي أبو علي بن الكاتب : ما خبر مكة اليوم ؟ فقلت : هو ذا : تحارب الطالحيون وبنو الحسن . ومقدم الطالحيين أسود عليه عمامة حمراء . وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم . فكتب أبو علي إلى مكة . فكان كما ذكرت له . ويروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال :

دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكنت رأيت في الطريق امرأة تأملت محاسنها ، فقال عثمان رضي الله عنه : يدخل على أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه ، فقلت له : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال : لا ، ولكن تبصرة . وبرهان ، وفراسة صادقة .

وقال أبو سعيد الخراز : دخلت المسجد الحرام ، فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً ، فقلت في نفسي : مثل هذا كل على الناس . . فنظر إلى وقال : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) (١) .

قال : فاستغفرت في سري ، فناداني ، وقال :

« وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » (٢) .

وحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال :

كنت ببغداد في جامع المدينة ، وهناك جماعة من الفقراء ، فأقبل علينا شاب ظريف ، طيب الرائحة ، حسن الخرمة (٣) ، حسن الوجه ، فقلت لأصحابنا : يقع لي أنه يهودي . . فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت ، وخرج الشاب ، ثم رجع

(١) آية ٢٣٥ من سورة البقرة .

(٢) آية ٢٥ من سورة الشورى .

(٣) وفي نسخة « الخدعة » ، وفي أخرى ، الجملة « وهي مجتمع شعر الرأس ، وهي الأصواب .

إليهم وقال : ماذا قال الشيخ في ؟ . فاحتشموه . فألح عليهم ، فقالوا : قال إنك يهودى . قال : فجاءنى وأكب على يدى ، وأسلم . فقيل له : ما السبب ؟ قال : نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطىء فراسته . فقلت : أمتحن المسلمين ؛ فتأملتهم ، وقلت : إن كان فيهم صديق فى هذه الطائفة (١) ؛ لأنهم يقولون (٢) حديثه سبحانه ، فلبست عليكم . . فلما اطلع هذا الشيخ على ، وتفرس فى علمت أنه صديق ، وصار الشاب من كبار الصوفية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله ، يقول سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء ، يقول : سمعت محمد بن داود يقول :

كنا عند الجريرى ، فقال : هل فيكم من إذا أراد الحق ، سبحانه ، أن يحدث فى المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يبدىه ؟ قلنا : لا . فقال ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئاً .

وقال أبو موسى الديلمى : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل ، فقال : لو أدخلت يدك فى فم التنين (٣) حتى تبلغ الرسغ لا تخاف مع الله تعالى شيئاً غيره . فقال : فخرجت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل ، فدققت عليه الباب ، فقال : أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية ؟ . فقلت : افتح الباب . فقال : ما زرتنى ، أتاك الجواب من وراء الباب ، ولم يفتح لى الباب ؛ فضيت ، ولبت سنة ، ثم قصده ، فقال : مرحباً ، جئتني زائراً فكنت عنده شهراً ، فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا حدثني عنه . فعند وداعه لى قلت :

أفدنى فائدة . فقال : حدثتني أمى : أنها كانت حاملاً بى ، فكانت إذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه ، وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه .

وقال إبراهيم الخواص :

دخلت البادية ، فأصابتني شدة ، فلما بلغت مكة ، داخلى شيء من الإعجاب ، فنادتني عجوز : يا إبراهيم ، كنت معك فى البادية فلم أكلمك ؛ لأنى لم أرد أن أشغل شرك أخرج عنك هذا الوسواس . .

وحكى أن الفرغانى كان يخرج كل سنة إلى الحج ، ويمر بـ « نيسابور » ، ولا يدخل على أبي عثمان الحيرى قال : فدخلت عليه مرة ، وسلمت ، فلم يرد على

(٢) وفى نسخة « يتلون حديثه » أى كلامه .

(١) أى الصوفية .

(٣) نوع من الحيات الكبيرة .

السلام ، فقلت في نفسي : مسلم يدخل عليه ويسلم عايه فلا يرد سلامه ؟ فقال أبو عثمان : مثل هذا يحج ويدع أمه لا يبرها ؟ .

قال : فرجعت إلى « فرغانة » ولزمتها حتى ماتت . ثم قصدت أبا عثمان ، فلما دخلت استقبلني ، وأجلسني ، ثم إن الفرغاني لازمه وسأله سياسة دابته^(١) ، فولاه ذلك حتى مات أبو عثمان .

وقال خير النساء :

كنت جالسا في بيبي ، فوق لي : أن الجنيد بالباب ، فنفيت عن قلبي ، فوق لي ثانياً ، وثالثاً ، فخرجت فاذا بالجنيد ، فقال : لم لم تخرج مع المخاطر الأول ؟ .

وقال محمد بن الحسين البسطامي :

دخلت على أبي عثمان المغربي ، فقلت في نفسي : لعله يتشهى^(٢) على شيئاً ؟ فقال أبو عثمان : لا يكفي الناس أن آخذ منهم حتى يريدوا مسألتي إياهم .

وقال بعض الفقراء :

كنت ببغداد ، فوق لي : أن المرتعش يأتي بخمسة عشر درهماً ؛ لأشترى بها الركوة^(٣) ، والحبل ، والنعل ، وأدخل البادية :

قال : فدخل على الباب ، ففتحت ، فاذا أنا بالمرتعش معه خريقة ، فقال : خذها . فقلت : يا سيدي ، لا أريدها . . فقال : فلم تؤذينا ؟ . كم أردت ؟ فقلت : خمسة عشر درهماً . فقال : هي خمسة عشر درهماً .

وقال بعضهم في قوله تعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه »^(٤) أي : ميت الذهب فأحياه الله تعالى بنور الفراسة ، وجعل له نور التجلي والمشاهدة ، لا يكون كمن يمشي بين أهل الغفلة غافلاً .

وقيل : إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول : قدم علينا شيخ ، فكان يتكلم علينا في هذا الشأن^(٥) بكلام حسن . وكان عذب اللسان ، جيد الخاطر ، فقال لنا في بعض كلامه : كل ما وقع لكم في خاطركم

(١) أي خدمتها .

(٢) وفي نسخة : يشهى أي يسألني قضاء شيء .

(٣) الركوة : الدلو الصغيرة .

(٤) آية ١٢٢ من سورة الأنعام .

(٥) أي في الصوفية .

فقولوه لى . فوقع فى قلبى أنه يهودى ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول . فذكرت ذلك للجريرى ، فكبر عليه ذلك ، فقلت : لا بد لى أن أخبر الرجل بذلك ؛ فقلت له : تقول لنا ما وقع لى فى خاطركم فقولوه لى ؛ إنه يقع : إنك يهودى . . فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : صدقت ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . وقال : قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول : إن كان مع قوم^(١) منهم شىء فمع هؤلاء ؛ فداخلكم لأختبركم ، فأنتم على الحق . وحسن إسلامه .

ويحكى عن الجنيد : أنه كان يقول له السرى : تكلم على الناس^(٢).

فقال الجنيد : وكان فى قلبى حشمة^(٣) من الكلام على الناس ؛ فانى كنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك . . فرأيت ليلة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكانت ليلة جمعة ، فقال لى : « تكلم على الناس » . فانتبهت . . وأتيت باب السرى قبل أن أصبح ؛ فدققت عليه الباب ، فقال : لم تصدقنا حتى قيل لك ؟ فقعد للناس فى الجامع بالغد ، فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ؛ فوقف عليه غلام نصرانى متنكراً ، وقال له : أيها الشيخ ، ما معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

« اتقوا فراسة المؤمن ؛ فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى ؟

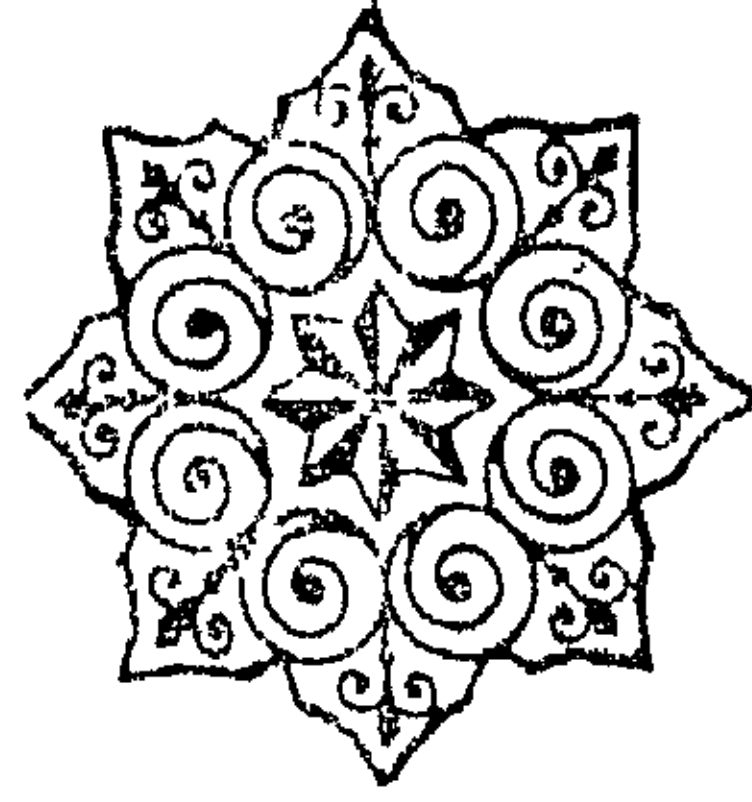
» قال : فاطرق الجنيد . . ثم رفع رأسه وقال :

أسلم ؛ فقد حان وقت إسلامك . فأسلم الغلام .

(١) وفى نسخة « مع أحد » .

(٢) أى عظمهم وذكركم .

(٣) أى مهابه .



الباب السابع والثلاثون الخلق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن
ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن
الخلق •

باب الخلق

قال الله تعالى : « وإنك لعلی خلق عظیم » (١) .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري : قال : حدثنا هشام (٢) بن محمد بن غالب قال : حدثنا معلى بن مهدي قال : حدثنا بشار بن ابراهيم النميري ، قال : حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال : « قيل يا رسول الله : أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً » (٣) .

إذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جواهر الرجال ، والإنسان مستور بخلقه مشهود بخلقه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : إن الله تعالى ، خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به ، ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثني بخلقه ؛ فقال عز من قائل :

« وإنك لعلی خلق عظیم » (٤) .

وقال الواسطي : وصفه بالخلق العظيم ؛ لأنه جاد بالكونين (٥) ، واكتفى بالله تعالى .

وقال الواسطي أيضاً : الخلق العظيم : أن لا يخاصم ولا يخاصم ، من شدة معرفته بالله تعالى .

وقال الحسين بن منصور : معناه :

لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق . .

وقال أبو سعيد الحراز : لم يكن لك همة غير الله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت الكتاني يقول :

التصوف خلق ، من زاد عليك بالخلق ، فقد زاد عليك في التصوف .

ويروى عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أنه قال :

إذا سمعتموني أقول لمملوك : أخزاه الله فاشهدوا أنه حر .

(١) آية ٤ من سورة القلم .

(٢) وفي نسخة : تمام .

(٣) أخرجه الإمام البخارى في صحيحه .

(٤) آية ٤ من سورة القلم .

(٥) بالدنيا والآخرة .

وقال الفضيل :

لو أن العبد أحسن الإحسان كله^(١)، وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين .

وقيل : كان ابن عمر ، رضى الله عنهما ، إذا رأى واحداً من عبده يحسن الصلاة يعتقه . فعرفوا ذلك من خلقه ، فكانوا يحسنون الصلاة مراعاة له ، وكان يعتقهم ، ف قيل له في ذلك فقال : من خدعنا في الله انخدعنا له .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارث المحاسبي يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وسمعتة يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول :

الخلق : استصغار ما منك إليه واستعظام ما منه إليك .

وقيل للأحنف : ممن تعلمت الخلق ؟ فقال : من قيس بن عاصم المنقري قيل : وما بلغ من خلقه ؟ قال : بينا هو جالس في داره إذ جاءت خادماً له بسفود^(١) عليه شواء ، فسقط من يدها ، فوقع على ابن له ، فمات ، فدهشت الجارية ، فقال : لا روعة عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال شاه الكرمانى :

علامة حسن الخلق : كف الأذى ، واحتمال المؤن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق »^(٢) .

وقيل لذي النون المصري : من أكثر الناس همماً ؟ قال : أسوأهم خلقاً .

وقال وهب : ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحاً إلا جعله الله طبيعة فيه .

وقال الحسن البصري في قول الله تعالى : « وثيابك فطهر » أي : وخلقك

فحسن . .

(١) حديد يشوى عليه اللحم .

(٢) رواه البزار ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية والهاكم في المستدرک والبيهقي في الشعب .

وقيل : كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم^(١) . فقال : من فعل بها هذا ؟ فقال غلام له : أنا ، فقال : لم ؟ قال : لا غمك بها . . فقال : لا ، بل لأغمن من أمرك بذلك . اذهب فأنت حر .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : هل فرحت في الدنيا قط ؟ . فقال : نعم ، مرتين إحداهما : كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال على ؛ والثانية : كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني .

وقيل : كان أويس القرني إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة ، فيقول : إن كان ولا بد فارموني بالصغار^(٢) : كيلا تدقوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة .

وشتم رجل الأحنف بن قيس . . . وكان يتبعه . . . فلما قرب من الحى وقف ، وقال : يافتي ، إن بقي شيء فقله ؛ كيلا يسمعك بعض سفهاء الحى فيجيبوك^(٣) .

وقيل لحاتم الأصم : أيعتدل الرجل من كل أحد ؟ . . فقال : نعم ، إلا من نفسه . وروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٤) رضى الله عنه ، دعا غلاماً له ، فلم يجبه ، فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه ، فقام إليه فرآه مضطجعاً ، فقال : أما تسمع يا غلام ؟ فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابي ؟ فقال : أمنت عقوبتك فتكاسلت . فقال : امض ؛ فأنت حر لوجه الله تعالى .

وقيل : نزل معروف الكرخي الدجلة ليتوضأ ، ووضع مصحفه وملحفته ، فجاءت امرأة وحملتهما ، فتبعها معروف ، وقال : يا أختي ، انا معروف ولا بأس عليك ، ألك ابن يقرأ ؟ قالت : لا . قال : فزوج ؟ قالت : لا ، قال : فهاتي المصحف وخذي الثوب .

ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمن السلمى بـ « المكابرة » ، وحملوا ما وجدوا ، فسمعت بعض أصحابنا يقول : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : اجتزت بالسوق ، فوجدت جبتى على من يزيد^(٥) ، فأعرضت ، ولم ألتفت إليه .

—

(١) والرابعة قطعت .

(٢) أى الصغار من الحجارة .

(٣) وفى نسخته فيؤدرك .

(٤) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم الله وجهه ورضي

عنه ، وقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبينه ، وقال له أنت منى بمنزلة هارون من موسى وله من المواقف المحموده ما شهدت به السيرة أنظر أسد الغابه ، والإصابة والسيرة النبوية . (٥) أى تباع في المزاد .

سمعت الشيخ أباحاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول : سمعت الوجهي يقول : قال الجريري : قدمت من مكة ، حرسها الله تعالى ، فبدأت بالجديد ، لكيلا يتعنى إلى ، فسلمت عليه ، ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح في المسجد إذا أنا به خلني في الصف ، فقلت : إنما جئتكم أمس لثلاثا تتعنى ، فقال : ذاك فضلك ، وهذا حقلك .

وسئل أبو حفص عن الخلق ، فقال : هو ما اختار الله - عز وجل - لنبهه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ تَخَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ (١) . الآية .

وقيل : الخلق : أن تكون من الناس قريبا ، وفيما بينهم غريبا .

وقيل : الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق ، وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق .

وقيل : كان أبو ذر على حوض يستقى إبلأ له ، فاسرع بعض الناس إليه ، فأنكسر الحوض ، فجلس ، ثم اضطجع ، فقبل له في ذلك فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فان ذهب عنه . وإلا فليضطجع . وقيل : مكتوب في الإنجيل : عبادي . . اذكروني حين تغضب أذكرك حين اغضب .

وقالت امرأة لمالك بن دينار : يا مرأى . . فقال : ياهذه ، وجدت اسمي الذي اضله أهل البصرة .

وقال لقمان لابنه : لا تعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة : الحلم عند الغضب والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة إليه .

وقال موسى ، عليه السلام : إلهي ، أسألك ان لا يقال ما ليس في ؛ فأوحى الله سبحانه إليه : ما فعلت ذلك لنفسي ، فكيف أفعله لك ؟

وقيل ليحيى بن زياد الحارثي ، وكان له غلام سوء : لم تمسك هذا الغلام ؟ فقال : لا تعلم عليه الحلم .

وقيل في قوله تعالى : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (٢) : الظاهرة : تسوية الخلق ، والباطنة : تصفية الخلق .

وقال الفضيل (١) : لأن بصحني فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحني عابد سيء الخلق .

وقيل : الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداواة .

وحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي ، فقال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فضرب رأسه وأوضحه ، فلما جاوزه ، قيل له : إنه إبراهيم بن أدهم زاهد «خراسان» فجاءه يعتذر إليه ، فقال : إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة . فقال : لم ؟ فقال علمت أني أؤجر عليه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير ، ونصيبك مني الشر .

وحكى أن أبا عثمان الحيري دعاه إنسان إلى ضيافة ، فلما وافى باب داره قال : يا أستاذ ، ليس الآن وقت دخولك ، وقد ندمت ، فانصرف ، فرجع أبو عثمان ، فلما وافى منزله عاد إليه الرجل ، وقال : يا أستاذ ، ندمت . . وأخذ يعتذر إليه ، وقال : احضر الساعة . . . فقام أبو عثمان ومضى ، فلما وافى باب داره قال : مثل ما قال في الأولى ، ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعة ، وأبو عثمان ينصرف ويحضر . فلما كان بعد مرات قال : يا أستاذ ، أردت اختبارك . وأخذ يعتذر وممدحه ، فقال أبو عثمان :

لا تمدحني على خلق تجد مثله مع (٢) الكلاب : الكلب إذا دعي حضر ، وإذا زجر انزجر .

وقيل : إن أبا عثمان اجتاز بسكة وفت الهاجرة ، فالتقى عليه من سطح طشت رماد ، فتغير أصحابه ، وبسطوا ألسنتهم في الملقى ، فقال أبو عثمان :

[لا تقولوا شيئاً ، من استحق أن يصب عليه النار ، فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب .

وقيل : نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة ، فكان جعفر يخدمه جدا ، والفقير يقول : نعم الرجل أنت لو لم تكن يهودياً . . فقال جعفر : عقيدتي لا تقدر فيما تحتاج إليه من الخدمة ؛ فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية .

(١) ابن عياض .

(٢) وفي نسخة « في » .

، وقيل : كان لعبد الله الخياط حربف مجوسى ، يخيط له ثياباً ، ويدفع إليه دراهم زيوفاً ، وكان عبد الله يأخذها . . فاتفق أنه قام من حانوته يوماً لشغل ، فجاء بالدراهم الزيوف ، فدفعها إلى تلميذه ، فلم يقبلها ، فدفع إليه الصحاح ، فلما رجع عبد الله قال لتلميذه .

أين قميص المجوسى ؟

فذكر له القصة . . فقال : بشما عملت ؟ إنه منذ مدة يعاملنى بمثلها ، وأنا أصبر عليه ، وألقيها فى بئر ، لئلا يغير بها غيرى .

! وقيل : الخلق السىء يضيق قلب صاحبه ؛ لأنه لايسع فيه غير مراده ، كالملك الضيق لايسع فيه غير صاحبه .

وقيل . حسن الخلق : أن لا تتغير ممن يقف فى الصف بجانبك .

وقيل : من سوء خلقك : وقوع بصرك على سوء خلق غيرك .

وسئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الشؤم ، فقال :

« سوء الخلق » (١) .

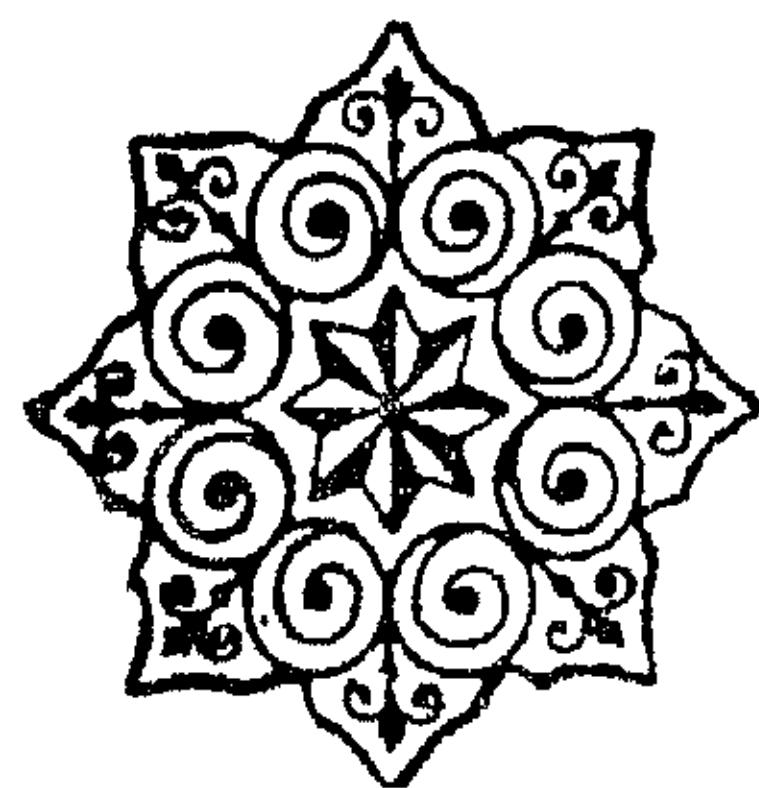
أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي ، قال : حدثنا أبو الحسن الصفار البصرى قال : حدثنا معاذ بن المشي قال : حدثنا يحيى بن معن قال : حدثنا مروان الفزارى قال : حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

قيل : يا رسول الله ، ادع الله تعالى على المشركين .

فقال : « إنما بعثت رحمة ، ولم أبعث عذاباً » (٢) .

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى المعجم الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية عن عائشة ، وأخرجه الدرا قطنى فى الأفراد ، والطبرانى فى الأوسط عن جابر ، ورمز له السيوطى بالضعف .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ عن أبي هريرة ورمز له السيوطى بالحسن .



الباب الثامن والثلثون الجلود والسقاء

أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن
وان كان أميرا .. قيامه من مجلسه
لأبيه .. وخدمته لضييفه .. وخدمته
لعالم يتعلم منه .. والسؤال عما
لم يعلم ..

باب الجود والسخاء

قال الله عز وجل : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (١) (٢)
 أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا
 الحسن بن العباس قال : حدثنا سهل قال : حدثنا سعيد بن مسلم ، عن يحيى بن
 سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عائشة ، رضي الله عنهما ، قالت :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السخي : قريب من الله تعالى ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد
 من النار .

والبخل : بعيد من الله تعالى ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب
 من النار .

والجاهل السخي أحب إلى الله تعالى من العابد البخل (٣) .

قال الأستاذ : ولا فرق - على لسان القوم - بين الجود والسخاء ولا يوصف
 الحق ، سبحانه ، بالسخاء والسماحة ؛ لعدم التوقيف .
 وحقيقة الجود : أن لا يصعب عليه البذل .

وعند القوم ، السخاء : هو الرتبة الأولى ، ثم الجود بعده ، ثم الإيثار ؛ فمن
 أعطى البعض وأبى البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر ، وأبى لنفسه
 شيئاً ، فهو صاحب جود ، والذي قاسى الضرر وأثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ،
 كذلك سمعت الأستاذ أبا علي للدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال أسماء بن خارجة :
 ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها مني ؛ لأنه إن كان كريماً أصون عرضه ، وإن
 كان لثيماً أصون عنه عرضي .

وقيل : كان مورك العجلي يتلطف في إدخال الرفق على إخوانه ؛ يضع عندهم
 ألف درهم ، فيقول : أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم . ثم يرسل إليهم : أنتم
 منها في حل .

(١) خصاصة . ففر وحاجة .

(٢) آية ٩ من سورة الحشر .

(٣) قال كشف الخفا . ج ٢ ص ٥٤٥ ، رواه الترمذي والعقيلي في الصغفاء وغيرهما عن أبي هريرة رفعه وقال الترمذي
 غريب ، وإنما يروى عن عائشة مرسلًا ورواه الطبراني في الأوسط بسند فيه سعيد بن محمد الوراق ضعيف عن عائشة ، وقال ابن
 الجوزي في الموضوعات لما ذكر هذا الحديث عن الدارقطني قال لهذا الحديث طرق لا يثبت منها شيء ، قال الحافظ بن حجر : ولا يلزم
 من هذه العبارة أن يكون موضوعاً إذ تصدق بالضعيف ، والحكم عليه بالوضع ليس بجيد ، وقال النجم وفيه زيادة عند الترمذي :
 والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل ، وزاد الدارقطني : وأدوأ الداء البخل « أه .

وقيل : لقي رجل من أهل « منبج » رجلاً من أهل المدينة ، فقال : من الرجل ؟ فقال : من أهل المدينة ، فقال له : لقد أتانا رجل منكم يقال له « الحكم بن عبدالمطلب فأغنانا . فقال له المدنى : وكيف ؟ وما أتاكم إلا فى جنبه صوف . فقال : ما أغنانا بمال ، ولكنه علمنا الكرم . فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : لما سعى غلام الخليل (١) بالصويرة إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم ، فأما الجنيد فانه تسر بالفقه ، وكان يقى على مذهب « ألى ثور » ، وأما الشحام ، والرقام ، والنورى . وجماعة ، فقبض عليهم ؛ فبسط النطع لضرب أعناقهم . فتقدم النورى فقال له السيف : تدرى إلى ماذا تبادر ؟ فقال : نعم . فقال : وما يعجلك ؟

فقال : أوثر على أصحابى بحياة ساعة .

فتحبر السيف ، وأنهى الخبر إلى الخليفة ، فردهم إلى القاضى ؛ ليتعرف حالهم ؛ فألقى القاضى على أبى الحسين النورى مسائل فقهية ، فأجابه الكل ، ثم أخذ يقول : وبعد ؛ فان لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضى فأرسل القاضى إلى الخليفة . وقال : إن كان هؤلاء زنادقة . فما على وجه الأرض مسلم .

وقيل : كان على بن الفضيل (٢) يشتري من باعة المحلة ؛ فقبل له : لو دخلت للسوق فاسترخصت .

فقال : هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا .

وقيل : بعث رجل إلى « جبلة » (٣) بجارية ، وكان بين أصحابه . فقال : قبيح أن اتخذها لنفسى وأنتم حضور ؛ وأكره أن أخص بها واحداً . وكلكم له حق وحرمة . وهذه لا تحتمل القسمة ؛ وكانوا ثمانين ؛ فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف .

وقيل : عطش عبيد الله بن أبى بكرة يوماً فى طريقه ، فاستقى من منزل امرأة ، فأخرجت له كوزاً ، وقامت خلف الباب ، وقالت : تنحوا عن الباب ، وليأخذه بعض غلمانكم ، فانى امرأة من العرب : مات خادى منذ أيام ، فشرب عبيد الله الماء . وقال لغلामه : احمل إليها عشرة آلاف درهم . فقالت : سبحان الله

(١) ابن أحمد .

(٢) ابن عياض .

(٣) اس سخم .

تسخر بي ؟ . فقال : احمل إليها عشرين ألف درهم . فقالت : اسأل الله تعالى العافية . فقال : يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم ، فردت الباب وقالت : أف لك . فحمل إليها ثلاثين ألف درهم . فأخذتها فما أمست حتى كثر خطاها .

وقيل : الجود : إجابة الخاطر الأول :

سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي ، رحمه الله ، يقول : كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء ، فدعا تلميذاً له ، وقال له : انزع عني هذا القميص ، وادفعه إلى فلان ؛ فقبل له : هلا صبرت حتى تخرج من الخلاء ؟ فقال : لم آمن على نفسي أن يتغير على ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص .

وقيل لقيس بن سعد بن عبادة : هل رأيت أحداً أسخى منك ؟ فقال له : نعم ، نزلنا بالبادية على امرأة ، فحضر زوجها ، فقالت له : إنه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة ونحرها ، وقال : شأنكم بها . .

فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم بها ، فقلنا : ما آكلنا من التي نحرنا لنا البارحة إلا اليسير . .

فقال : إني لا أطعم أضيافي الغاب^(١) . فبقينا عنده يومين أو ثلاثة ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك . .

فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه . . ومضينا ، فلما متع^(٢) النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أمها الركب اللئام : أعطيتموني ثمن قرأى . . . ثم إنه لحقنا وقال : لنأخذنه ، وإلا طعنتكم برمحى هذا . فأخذناه وانصرف ، فأنشأ يقول .

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته فكفى بذلك لنائل تكديرا . .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : دخل أبو عبد الله الروزبارى دار بعض أصحابه ، فوجده غائبا ، وباب بيت له مقفل ، فقال : صوفى وله باب بيت مقفل . . اكسروا القفل ، فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد في الدار والبيت ، وأنفذه إلى السوق ، وباعوه ، وأصلحوا وقتاً من^(٣) الثمن ، وقعدوا في الدار . . فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئاً .

(٣) أى واشتروا بعض حاجات لهم من الثمن الذى باعوا به .

(٢) ارتفع وقوى .

(١) البائت .

فدخلت امرأته بعدهم الدار ، وعليها كساء ، فدخلت بيتاً ، ورمت الكساء ، وقالت : يا أصحابنا ، هذا أيضاً من جملة المتاع فيبعوه . فقال الزوج لها : لم تكلفت هذا باختيارك ؟

فقالت له : اسكت ، مثل هذا الشيخ يباسطنا ، ويحكم علينا ، ويبقى لنا شيء ندخره عنه ؟ .

وقال بشر بن الحارث : النظر إلى البخيل يقسى القلب .

وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة ، فاستبطأ إخوانه . فسأل عنهم ، ف قيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين ؛ فقال : أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة . . . ، ثم أمر من ينادى^(١) من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل ، فكسرت عتبه بالعشي ، لكثرة من عاده .

وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك تبذل الكثير إذا سئلت ، وتضمن في القليل إذا نوجزت .

فقال : إني أبذل مالي وأضن بعقلي .

وقيل : خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له . . فنزل على نخيل قوم ، وفيها غلام أسود يعمل فيها ؛ إذ أتى الغلام بقوته ، فدخل كلب الحائط^(٢) ودنا من الغلام ، فرمى إليه الغلام بقرص ، فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني ، والثالث ، فأكله ، وعبد الله بن جعفر ينظر إليه فقال له : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟

قال : ما هي بأرض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت رده .

قال : فما أنت صانع اليوم ؟ . قال له : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : أألام على السخاء ؟ . إن هذا الأسخى منى ، فاشترى الحائط والغلام وما فيها من آلات ، فأعتق الغلام ووهبها له .

وقيل : أتى رجل صديقاً له ، ودق عليه الباب ، فلما خرج إليه قال : لماذا جئتني ؟ .

(١) وفي نسخة « مناديا » .

(٢) الحديقة التي بها النخل .

قال لأربعمائة درهم دين ركبتي ، فدخل الدار ، ووزن له أربعمائة درهم وأخرجها إليه ، ودخل الدار باكياً ، فقالت له امرأته : هلا تعلت حين شق عليك الإجابة ؟ .

فقال : إنما أبكى لأني لم أفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتيحي به .
وقال مطرف بن الشخير : إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفها في رقعة ؟ فاني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة .

وقيل : أراد رجل أن يضار عبد الله بن العباس ، فأتى وجوه البلد وقال لهم : يقول لكم ابن العباس تغدوا عندي اليوم . فأتوه ، فملئوا الدار ، فقال : ماهذا ؟ فأخبر الخبر : فأمر بشراء الفواكه في الوقت ، وأمر بالخبز ، والطبخ ، وأصلح أمراً ، فلما فرغوا قال لو كلائه :

أوجود لنا كل يوم هذا ؟ فقالوا : نعم . فقال : فليغد هؤلاء كلهم عندنا كل يوم .

سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : كان الأستاذ أبوسهل الصعلوكى يتوضأ يوماً في صحن داره ، فدخل إليه إنسان وسأله شيئاً من الدنيا ، ولم يحضره شيء . فقال : اصبر حتى أفرغ .

فصبر . . فلما فرغ قال له : خذ القمقمة واخرج . فأخذها ، وخرج ، ثم صبر حتى علم أنه بعد ، فصاح وقال : دخل إنسان وأخذ القمقمة . فمشوا خلفه ، فلم يدركوه .

وإنما فعل ذلك : لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل .
وسمعه يقول : وهب الأستاذ أبوسهل جبته من إنسان في الشتاء ، وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس ، إذ لم تكن له جبة أخرى ، فقدم الوفد المعروفون من فارس ، ففهم من كل نوع : إمام من الفقهاء ، والمتكلمين ، والنحويين ، فأرسل إليه صاحب الجيش أبوالحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس دراعة فوق تلك الجبة التي للنساء ، وركب ، فقال صاحب الجيش : إنه يستخف بى أمام البلد : يركب في جبة النساء . . ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم في كل فن .

وسمعه يقول : لم يناول الأستاذ أبوسهل أحداً شيئاً بيده ، وكان يطرحه على

الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض ، وكان يقول : الدنيا أقل خطراً من أن أرى لأجلها يدي فوق يد أحد .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (١) .

وقيل : كان أبو مرتد ، رحمه الله ، أحد الكرام ، فمدحه بعض الشعراء ، فقال : ما عندي ما أعطيك ، ولكن قدمني إلى القاضي ، وادع على عشرة آلاف درهم ، حتى أقر لك بها ، ثم أحبسني ، فان أهلي لا يتركوني مسجوناً ، ففعل ذلك ، فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم ، وخرج من السجن .

وقيل : سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وقال : ائت بحمال يحمله لك . فأنى بحمال فأعطاه « طيلسانه » وقال : يكون كراء الحمال من قبلي .

وسألت امرأة الليث بن سعد « سكرجة » عسل ، فأمر لها بزق من عسل فقبل له في ذلك ، فقال : إنها سألت على قدر حاجتها ، ونحن نعطيها على قدر نعمنا . وقال بعضهم : صليت في مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريماً لي ، فلما سلمت وضع بين يدي كل واحد حلة ونعلين (٢) . وكذلك وضع بين يدي ، فقلت : ما هذا ؟

فقالوا : إن الأشعث قدم من مكة ، فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده .

فقلت : إنما جئت أطلب غريماً لي ، ولست من جماعته .

فقالوا : هو لكل من حضر .

وقيل : لما قربت وفاة الشافعي ، رضي الله تعالى عنه ، قال : مروا فلانا يغسلني .

وكان الرجل غائباً . فلما قدم أخبر بذلك ، فدعا بتذكرته (٣) . فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً ، ففضاها ، وقال : هذا غسلي إياه .

وقيل : لما قدم الشافعي من « صنعاء » إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار ، فقيل له : تشتري بها « قنية » (٤) فضرب خيمته خارج مكة ، وصب الدنانير ، فكل

(١) حديث صحيح وتامه وأبدأ بمن تمول أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عمر .

(٢) وفي نسخة « ونعلان » وهي الأصوب . (٣) أي بدقر الشافعي .

(٤) أي شيئاً يفتنى .

من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء .

وقيل : خرج السري يوم عيد ، فاستقبله رجل كبير الشأن ، فسلم السري عليه سلاماً ناقصاً . فقيل له : هذا رجل كبير الشأن . فقال : قد عرفته ، ولكن روى مسنداً : أنه إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة : تسعون لأبشهما ، فأردت أن يكون معه الأكثر .

وقيل : بكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني .

وروى عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أنه قال : زكاة^(١) الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة .

وقيل في قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . . . «^(٢) قيل قيامه عليهم بنفسه ، وقيل : لأن ضيف الكريم كريم .

وقال إبراهيم بن الجنيد : كان يقال : أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن ، وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته لعالم يتعلم منه ، والسؤال عما لم يعلم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً »^(٣) : إنهم كانوا يتخرجون في أن يأكل أحدهم وحده ؛ فرخص لهم في ذلك .

وقيل : أضاف «عبد الله بن عامر بن كريز» رجلاً ، فأحسن قراه ، فلما أراد الرجل أن يرحل عنه لم يعنه غلمانه ، فقيل له في ذلك . فقال عبد الله : إنهم لا يعينون من يرحل عنا .

أنشد عبد الله بن باكوية الصوفي قال : أنشدنا المتنبي في معناه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا يفارقهم فالراحلون هم

(١) أي بركتها ونموها .

(٢) آية ٢٤ من سورة الذاريات .

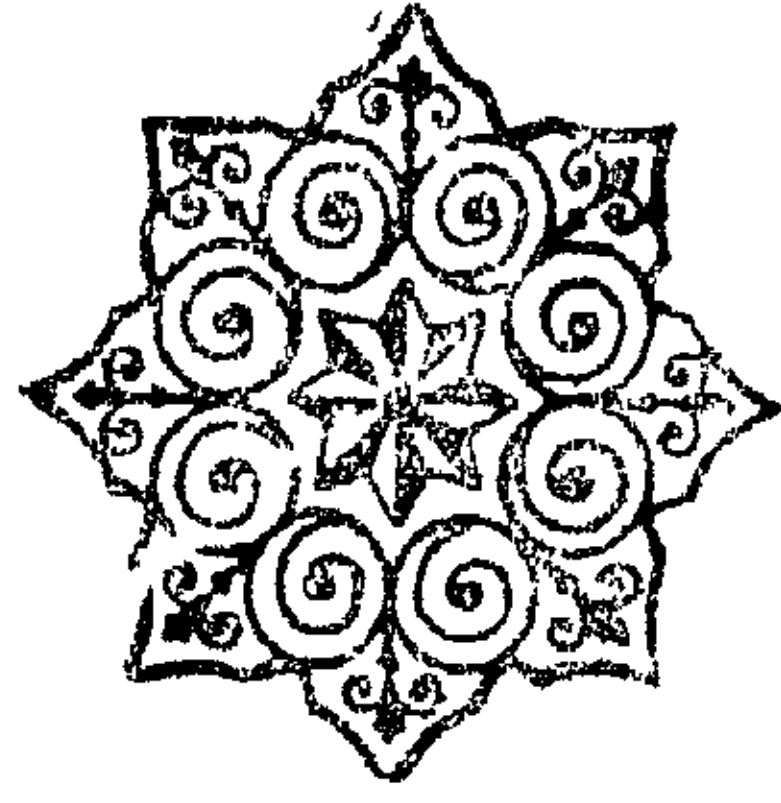
(٣) آية ٦١ من سورة النور .

وقال عبد الله بن المبارك : سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل .

وقال بعضهم : دخلت على بشر بن الحمارت في يرم ثدييه البرد وقد نمرى من الثياب وهو ينتفض . فقلت : يا أبا نصر . الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت ؟ ...

فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه . ولم يكن لي ما أواسيهم به . فأردت أن أرافقهم بنفسى في مقاساة البرد .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الدقاق يقول : ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم . إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .



الباب التاسع والستون الغيرة

يقول الشبلي : الغيرة غيرتان - غيرة
البشرية على النفوس .. وغيرة الالهية
على القلوب ..

باب الغيرة

قال الله تعالى : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (١) .
 أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال : أخبرنا أبو أحمد حمزة ابن العباس البزاز ببغداد قال : حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال : حدثنا عبد الله ابن مسلم . قال : حدثنا محمد بن الفرات ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد أغير من الله تعالى . ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٢) .
 أخبرنا على بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال : حدثنا على بن الحسن بن بنان قال : حدثنا عبد الله بن رجاء قال : أخبرنا حرب بن شداد قال : حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلامة : أن أباهريرة رضى الله عنه ، حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيره الله تعالى : أن يأتى العبد المؤمن ما حرم الله عليه » (٣) .
 والغيرة : كراهية مشاركة الغير . وإذا وصف الله سبحانه بالغيرة ، فمعناه : أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له .
 حكى عن السرى السقطى : أنه قرىء بين يديه : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » (٤) . فقال السرى لأصحابه : أتدرون ما هذا الحجاب ؟ . هذا حجاب الغيرة . ولا أحد أغير من الله تعالى .
 ومعنى قوله : « هذا حجاب الغيرة » يعنى : أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين .

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ، رحمه الله : يقول : إن أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان (٥) ، فاختار لهم البعد عنه ، وأخبرهم عن محل القرب : ولذلك تأخروا .

(١) آية ٢٣ من سورة الأعراف .

(٢) وروى بحوه عن عائشة فيما أخرجه البخارى : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزدى ، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم اصحبكم قلباً وليكبتم كثيراً .

(٣) والمراد بالغيرة هنا عدم الرضا والحديث أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم فى صحيحهما ، والترمذى وقال حديث صحيح .

(٤) آية ٤٥ من سورة الإسراء .

(٥) والمعنى كما قاله الإمام العروسى يعنى ربط أقدامهم بمقننات الخذلان عن العبادة بحيث يتمنونها ولا يجدون عليها عوناً .

وأنشدوا :

أنا صب لمن هويت ولكن ما احتيالى لسوء رأى الموالى
وفى معناه أيضاً قالوا : سقيم ليس يعاد . ومريد ولا يراد .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول : سمعت العباس الزوزنى يقول :
كان لى بداية حسنة . . . وكنت أعرف كم بقى بينى وبين الوصول إلى مقصودى
من الظفر بمرادى ، فرأيت ليلة من الليالى فى المنام تكأنى أتدهده (١) من حالق
جبل ، فأردت الوصول إلى ذروته . قال : فبحزنت ، فأخذنى النوم فرأيت قائلاً
يقول : يا عباس ، الحق لم يرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب ، ولكنه فتح على
لسانك الحكمة ، قال : فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة .

وسمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول : كان شيخ من الشيوخ له حال
ووقت مع الله ، فعفى مدة لم ير بين الفقراء ، ثم إنه ظهر بعد ذلك لأعلى ما كان
عليه من الوقت . فسئل عنه فقال : آه . وقع حجاب .

وكان الأستاذ أبو على ، رحمه الله تعالى ؛ إذا وقع شيء فى خلال المجلس
يشوش قلوب الحاضرين يقول : هذا من غير الحق سبحانه ، يريد أن لا يجرى
عليهم ما يجرى من صفاء هذا الوقت .

وأنشدوا فى معناه :

همت باتياننا حتى إذا نظرت إلى المرأة نهاها وجهها الحسن
وقيل لبعضهم : تريد أن تراه ؟ فقال : لا ، فقيل : لم ؟
فقال : أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى .
وفى معناه أنشدوا :

إنى لأحسد ناظرى عليك حتى أغض إذا نظرت إليك
وأراك تخطر فى شمائلك التى هى فتنى فأغار منك عليك
وسئل الشبلى : متى تستريح ؟ (٢) فقال : إذا لم أر له ذا كراً .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم
فى مبايعته فرساً من أعرابى ، وأنه استقاله فأقاله ، فقال الأعرابى : عمرك الله تعالى ،
ممن أنت ؟

(٢) أى من الغيرة .

(١) أتدحرج .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : امرؤ من قريش .
فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابي : كفاك جفاء أن لاتعرف نبيلك .
وكان رحمه الله يقول : إنما قال امرؤ من قريش غيرة ، وإلا كان واجباً
عليه التعرف إلى كل أحد : أنه من هو ؟ . . ثم إن الله ؛ سبحانه ، أجرى على لسان
ذلك الصحابي التعريف للأعرابي بقوله : كفاك جفاء أن لاتعرف نبيلك . .
ومن الناس من قال : إن الغيرة من صفات أهل البداية ، وإن الموحد لا يشهد الغيرة ،
ولا يتصف بالاختيار ، وليس له فيما يجري في المملكة تحكم ، بل الحق سبحانه ،
أولى بالأشياء فيما يقضى على ما يقضى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان
المغربى يقول : الغيرة عمل المريدين ، فأما أهل الحقائق فلا .

وسمعته يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت الشبلى يقول : الغيرة
غيرتان : غيرة البشرية على النفوس ، وغيرة الإلهية على القلوب .
وقال الشبلى أيضاً : غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى ،
والواجب أن يقال : الغيرة غيرتان :

غيرة الحق ، سبحانه ، على العبد : وهو أن لا يجعله للخلق ، فيضن به عليهم
وغيرة العبد للحق ، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى
فلا يقال : أنا أغار على الله تعالى ، ولكن يقال : أنا أغار لله ، فاذن الغيرة على الله
تعالى جهل ، وربما تؤدي إلى ترك الدين ؛ والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية
الأعمال له .

واعلموا أن من سنة الحق ، تعالى ، مع أوليائه : أنهم إذا ساكنوا غيراً ،
أو لاحظوا شيئاً ، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً ، شوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم
بأن يعيدها خالصة لنفسه ، فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه ، كآدم ،
عليه السلام ، لما وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه منها .

وإبراهيم ، عليه السلام ، لما أعجبه إسماعيل ، عليه السلام ، أمره بذبحه حتى
أخرجه من قلبه « فلما أسلما وتله للجبين »^(١) وصفا سره منه أمره بالفداء عنه .

(١) آية ١٣ من سورة الصافات .

سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا زيد المروزى ، رحمه الله ، يقول : سمعت إبراهيم بن شيان يقول . سمعت محمد بن حسان يقول : بينا أنا أدور فى جبل لبنان ، إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم^(١) والرياح ، فلما نظر إلى ولى هارباً ، فتبعته ، وقلت له تعظى بكلمة ؟ فقال لى : احذر ، فانه غيور ، لا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه .

سمعت الشيخ أباعبد الرحمن ، رحمه الله ، يقول : قال النصر اباذى : الحق تعالى غيور ، ومن غيرته : أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه .

وقيل : أوحى الله ، سبحانه ، إلى بعض أنبيائه : أن لفلان إلى حاجة ، ولى أيضاً إليه حاجة ، فان قضى حاجتى قضيت حاجته ؛ فقال ذلك النبى ، عليه السلام فى مناجاته : إلهى ؛ كيف يكون لك حاجة ؟ فقال : إنه ساكن بقلبه غيرى فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته .

وقيل : إن أبا يزيد البسطامى رأى جماعة من الحور العين فى منامه . . فنظر إليهن ، فسلب وقته أياماً ، ثم إنه رأى فى منامه جماعة منهن ، فلم يلتفت إليهن وقال : إنكن شواغل .

وقيل : مرضت رابعة العدوية ، فقيل لها : ماسبب علتك ؟

فقالت : نظرت بقلبي إلى الجنة فأدبني ، فله العتبي ، لا أعود .

ويحكى عن السرى أنه قال : كنت أطلب رجلاً صديقاً لى مدة من الأوقات ففررت فى بعض الجبال ، فاذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى ، فسألت عن حالهم ، فقالوا : هاهنا رجل يخرج فى السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء ، فصبرت حتى خرج . . ودعا لهم فوجدوا الشفاء ، فقفوت أثره وتعلقت به ، وقلت له : بى علة باطنة . . فما دواؤها ؟

فقال : يا سرى ، خل عني ، فانه - تعالى - غيور لا يراك تساكين غيره فتسقط من عينه .

قال الأستاذ : ومنهم من غيرته ، حين يرى الناس يذكرونه ، تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك وتشق عليه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : لما دخل الأعرابي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبال فيه^(١) ، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه ، قال ، رحمه الله ، إنما أساء الأعرابي الأدب ، ولكن الخجل وقع على أصحابه ، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته ، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره ، سبحانه يشق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة ، وطاعة من لا يعبد بالحرمة .

حكى أن أبا بكر الشبلي مات له ابن كان اسمه «أبا الحسن» فجزعت أمه عليه ، وقطعت شعر رأسها ، فدخل الشبلي الحمام وتنور^(٢) بلحيته ، فكل من أتاه معزياً قال : ما هذا يا أبا بكر ؟ فكان يقول : موافقة لأهلي .

فقال له بعضهم : أخبرني يا أبا بكر لم فعلت هذا ؟ فقال : علمت أنهم يعزوني على الغفلة^(٣) ، ويقولون : آجرك الله تعالى ، ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة^(٤) بلحيتي .

وسمع النوري رجلاً يؤذن ، فقال^(٥) : طعنة وسم الموت ، وسمع كلباً ينبح فقال : لبيك وسعديك . ف قيل له : إن هذا ترك للدين . . فانه يقول للمؤمن في تشهده طعنة وسم الموت ، ويلبي عند نباح الكلاب ، فسئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة ، وأما الكلب فتمال تعالى : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »^(٦) .

وأذن الشبلي مرة ، فلما انتهى إلى الشهادتين قال : لولا أنك أمرتني ماذا كنت معك غيرك .

وسمع رجل رجلاً يقول : جل الله . فقال له : أحب أن تجله عن هذا .

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن أس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعرابياً سرل في المسجد فقال . دعوه حتى إذا فرغ دعا بناء فحمد الله . وفيما رواه أبو هريرة قال : قام أعرابي فمال في المسجد فتبارله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم . دعوه ودعوا على بركة سجلا من ماء أو ذرياً من ماء فامما بعتم ميسرين ، ولم تبرزوا ميسرين ، أخرج البخاري .

(٢) أي أنه حلها

(٣) أي رحم غافلون عن نعمم الله .

(٤) أي مع الغفلة .

(٥) داعماً عليه .

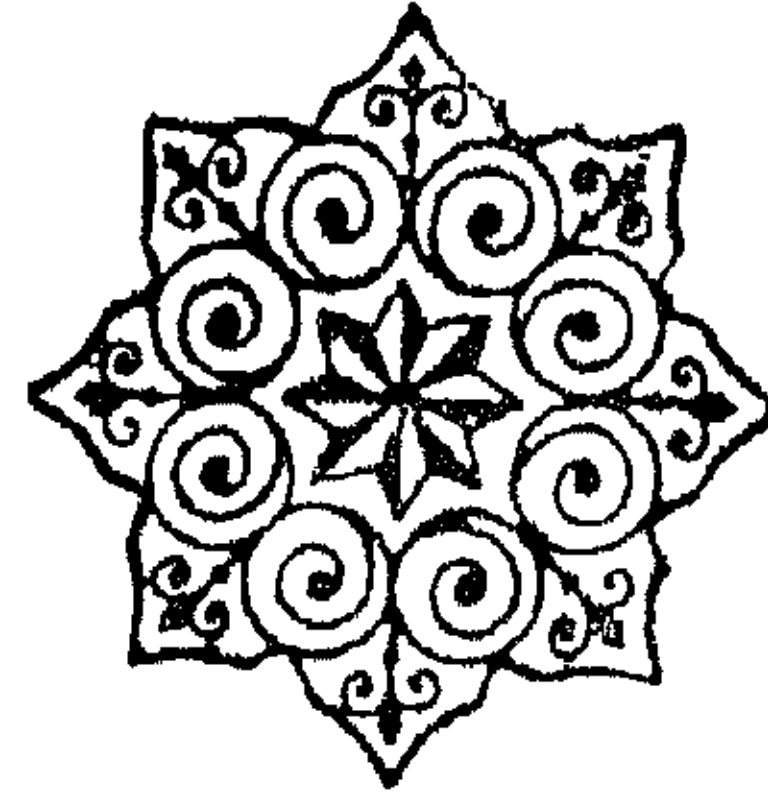
(٦) آية ٤٤ من سورة الاسراء .

سمعت بعض الفقراء يقول : سمعت أبا الحسن الخزفاني رحمه الله يقول :
 لا إله إلا الله من داخل القلب^(١) . محمد رسول الله من القرط^(٢) ومن نظر إلى ظاهر
 هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع . ولا كما يخطر بالبال ، إذ الإختار للأغيار
 بالإضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة في التحقيق^(٣) .

(١) أى يقولها من داخل قلبه .

(٢) والذي يقول محمد رسول الله يقولها من خلف القرط : أى بغير اختيار - والقرط (بضم القاف وإسكان الراء) هو ما يعلق في شحمة الأذن .

(٣) وقد عقب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على هذا التأويل بقوله « وإذا كان التأويل محتملا إلا أن بشاعة هذا القول وشناعته وقبح ظاهره لا يخفى على من له أدنى ذوق في طريق الأدب ، لأن تعظيم رسل الله بأمر الله تعظيم لله .



الباب الأربعون الولاية

قال أبو تراب الغشبي : اذا ألف
القلب الاعراض عن الله صحبته
الوقية في أولياء الله تعالى ..

باب الولاية

قال الله تعالى : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (١) .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي ، رحمه الله ، قال : حدثنا عبد الله بن عدي الحافظ ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد . قال : حدثنا محمد بن هارون المقرئ قال : حدثنا حماد الحياط ، عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من آذى ولياً فقد استحل محاربي ، وما تقرب إلى العبد بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددى في قبض روح عبدى المؤمن ؛ لأنه بكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» (٢) .

الولى : له معنيان : أحدهما : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ؛ قال الله تعالى : « وهو يتولى الصالحين » (٣) فلا يكله إلى نفسه لحظة ، بل يتولى الحق ، سبحانه ، رعايته .

والثاني : فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى ، من غير أن يتخللها عصيان .

وكلا الوصفين واجب (٤) حتى يكون الولى ولياً : يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء . ودوام حفظ الله تعالى إياه فى السراء والضراء .

ومن شرط الولى : أن يكون محفوظاً ، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله ، يقول : قصد أبو يزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية ، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه ، فخرج الرجل ،

(١) آية ٦٢ من سورة يونس .

(٢) وروى : ما تقرب إلى عبدى شيء أحب إلى مما أفترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطيته ولئن استعاذنى لأعذته وما ترددت في شيء أنا فاعله أنظر الجامع الصغير ورياض الصالحين باب المجاهدة . الخ .

(٣) من آية ١٩٦ من سورة الأعراف

(٤) أى وكلا المعينين واجب تحقيقه

وتنخم في المسجد ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون أميناً على أسرار الحق ؟ .
واختلفوا في أن الولي : هل يجوز أن يعلم أنه ولي ، أم لا ؟

فمنهم من قال : لا يجوز ذلك ؛ وقال : إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرراً ، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً ؛ لخوف سقوطه عما هو فيه ، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله ، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية : وفاء المآل .

وقد ورد في هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون ، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار ، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك ، رحمه الله .

ومنهم من قال : يجوز أن يعلم الولي أنه ولي ، وليس من شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل .

تم إن كان ذلك من (١) شرطه أيضاً فيجوز أن يكون هذا الولي خص بكرامة هي : تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة ؛ إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب ، وهو وإن قارفه (٢) خوف العاقبة ، فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أتم وأشد ؛ فان اليسير من التعظيم والهيبة أهد للقلوب من كثير من الخوف .

ولما قال صلى الله عليه وسلم : « عشرة في الجنة من أصحابي » ، فالعشرة – لا محالة – صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم ، ثم لم يقدح ذلك في حالهم .

ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوة : الوقوف على حد المعجزة ، ويدخل في جملته العلم بحقيقة الكرامات ، فاذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها ، فاذا رأى شيئاً من ذلك علم أنه في الحال على الحق . ثم يجوز أن يعرف أنه في المآل يبق على هذه الحالة ، ويكون هذا التعريف كرامة له . والقول بكرامات الأولياء صحيح .

(٢) أي خالطه .

(١) أي الوفاء في المآل .

وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك (كما نذكر طرفاً من ذلك في باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى) .

وإلى هذا القول كان يذهب من شيوختنا الذين لقيناهم ، الأستاذ أبو علي الدقاق ، رحمه الله .

وقيل : إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل : أتحب أن تكون لله ولياً ؟ فقال : نعم ، فقال : لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة ؛ وفرغ نفسك لله تعالى ، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك .

وقل يحيى بن معاذ في صفة الأولياء : هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة ، واعتنقوا الروح^(١) بعد المجاهدة ، بوصولهم إلى مقام الولاية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمي السطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : أولياء الله تعالى عرائس الله . . . ولا يرى العرائس إلا المحرومون . . وهم مخدرون^(٢) عنده في حجاب الأنس ، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة .

سمعت أبا بكر الصيدلاني - كان رجلاً صالحاً - قال : كنت أصاح اللوح في قبر « أبي بكر الطمستاني » أنقر فيه اسمه في مقبرة « الحيرة » كثيراً ، وكان يقلع ذلك اللوح ويسرق . . ولم يقع مثله في غيره من القبور ، فكنت أتعجب منه ، فسألت أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يوماً عن ذلك فقال : إن ذلك الشيخ أثر الخفاء في الدنيا ، وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه ، وإن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره ، كما أثر هو ستر نفسه .

وقال أبو عثمان المغربي : الولي قد يكون مشهوراً ، ولكن لا يكون مفتوناً . .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر ابادي يقول : ليس للأولياء سؤال ؛ إنما هو الذبول والحمول .

قال : وسمعت يقول : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء .

(١) أي الراحة والنعم .

(٢) أي وعرائس الله محبوبون .

وقال سهل بن عبد الله : الولي : هو الذي توات أفعاله على الموافقة .

وقال يحيى بن معاذ : الولي لإيرائي ، ولا ينافق ، وما أقل صديق من كان هذا خلقه . .

وقال أبو علي الجوزجاني : الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته فتوات عليه أنوار التولى ، لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار .

وقال أبو يزيد : حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء ، وقيام كل فريق منهم باسم : وهو : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، فمضى في عنها بعد ملابتها فهو الكامل التام ، فمن كان حظه من اسمه تعالى « الظاهر » لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه « الباطن » لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره . ومن كان حظه من اسمه « الأول » كان شغله بما سبق ، ومن كان حظه من اسمه « الآخر » كان مرتبطاً بما يستقبله ، وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق ، سبحانه ببره ، وقام عنه بنفسه :

وهذا الذي قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام ، فلا العواقب هم في ذكرها ، ولا السوابق هم في فكرها ، ولا الطوارق هم في أسرها . . . وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوراً عن نعوت الخلائق كما قال الله تعالى « وتحسبهم ايقاظا وهم رقود » (١)

وقال يحيى بن معاذ : الولي ربحان الله ، تعالى ، في الأرض ، يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم .

وسئل الواسطي : كيف يغذى (٢) الولي في ولايته ؟ فقال : في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته ، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ، ثم يذوقه طعم قيامه به في أوقاته .

وقيل : علامة الولي ثلاثة : شغله بالله ، وفراره إلى الله ، وهمه إلى الله .

(١) آية ١٨ من سورة الكهف .

(٢) أي يربي .

وقال الخراز : إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية . وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلاهو فحينئذ صار العبد زمناً فانياً ، فوقع في حفظه سبحانه ، وبرىء من دعاوى نفسه . .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا علي الروزباري يقول : قال أبو تراب النخشي : إذا ألفت القلب الإعراض عن الله صحبته الوقية في أولياء الله تعالى .

وقالوا : من صفة الولي أن لا يكون له خوف ؛ لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل ، أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف^(١) ، والولي ابن وقته ، ليس له مستقبل فيخاف شيئاً .

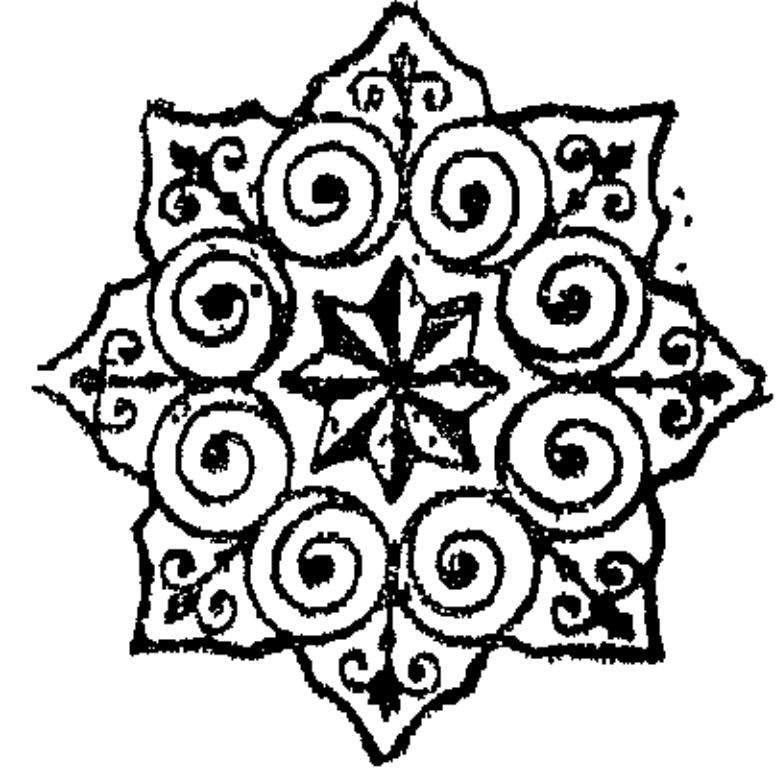
وكما لا خوف له لا رجاء له ؛ لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف ، وذلك في الثاني من الوقت^(٢) .

وكذلك لا حزن له ؛ لأن الحزن من حزوته^(٣) القلب ، ومن كان في ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن ؟ . قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

(١) أي المستقبل .

(٢) أي المستقبل .

(٣) صغرية .



الباب الحادي والأربعون الدعاء

الدعاء : مفتاح الحاجة ..
وأسنانها : لقم الحلال

باب الدعاء

قال الله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » (١) .

وقال عز وجل : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » (٢) .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أبو الحسين الصغار البصري قال : حدثنا محمد بن أحمد العودي قال : حدثنا كامل ، قال : حدثنا بن هيمة قال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء مخ العبادة » (٣) .

والدعاء : مفتاح الحاجة ، وهو مستروح أصحاب الفاقات ، وملجأ المضطرين ، ومتنفس ذوى المآرب ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى : قوماً تركوا الدعاء فقال : « ويقبضون أيديهم » (٤) قيل : لا يمدونها إلينا في السؤال .

وقال سهل بن عبد الله : خلق الله تعالى الخلق وقال ناجوني ، فان لم تفعلوا فانظروا إلى ، فان لم تفعلوا فاسمعوا مني ، فان لم تفعلوا فكونوا ببائي ، فان لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال سهل بن عبد الله : أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال .

ودعاء الحال : أن يكون صاحبه مضطراً لا بد له مما يدعو لأجله .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي ، رحمه الله ، قال سمعت أبا عبد الله المكناسي يقول : كنت عند الجنيد ؛ فأتت امرأة إليه ، وقالت : ادع الله أن يرد علي ابني ، فان ابناً لي ضاع فقال لها : اذهبي واصبري ، ففضت ، ثم عادت فقالت له مثل ذلك ، فقال لها الجنيد : اذهبي واصبري ، ففضت ثم عادت ، ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها : اصبري ، فقالت له : عيل صبري ، ولم يبق لي طاقة عليه ، فادع لي ، فقال لها الجنيد : إن كان الأمر كما قلت فاذهبي ، فقد رجع ابنك ،

(١) آية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٦٠ من سورة غافر .

(٣) أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب .

(٤) من آية ٦٧ من سورة التوبة .

فمضت ، فوجدته ، ثم عادت تشكر له فقليل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء »^(١) .

وقد اختلف الناس في أن : الأفضل الدعاء ، أم السكوت والرضا ؟ فمنهم من قال : الدعاء في نفسه عبادة ، قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » والإتيان بما هو عبادة أولى من تركه^(٢) ، ثم هو حق الله تعالى فان لم يستجب للعبد ، ولم يصل^(٣) إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه ؛ لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية ، وقد قال أبو حازم الأعرج : لئن أحرم الدعاة أشد على من أن أحرم الإجابة . وطائفة قالوا : السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم ، والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ، ولهذا قال اللواسطي : اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم خبراً عن الله تعالى :

« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »^(٤) وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه : ليأتى بالأمرين جميعاً .

والأولى أن يقال : إن الأوقات مختلفة ، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت ، وهو الأدب ، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء ، وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك في الوقت ، لأن علم الوقت إنما يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى .

ويصح أن يقال : ينبغي للعبد أن لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ، ثم يجب عليه أن يراعى حاله ، فان وجد من الدعاء زيادة بسط^(٥) في وقته فالدعاء له أولى . . . وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض ،

(١) آية ٦٣ من سورة النمل .

(٢) وفي نسخة تركها .

(٣) أى العبد .

(٤) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن . وأخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن ولفظه : عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكرى ، ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » وقال الترمذي حديث حسن غريب .

(٥) وفي نسخة « بسطة »

ويحكى عن يحيى بن سعيد القطان ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى الحق ،
سبحانه فى المنام ، فقال : إلهى ، كم أدعوك فلا تجيبنى . .
فقال يا يحيى ؛ لأننى أحب أن أسمع صوتك .

بينما هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس . . فصاح بالتاجر : قف . قف . . فوقف له التاجر ، وقال له : شأنك بمالي وخل سبيلي . فقال له اللص : المال مالي ، وإنما أريد نفسك . فقال له التاجر : ما تريد بنفسى ؟ . شأنك والمال وخل سبيلي . قال : فرد عليه اللص مثل المقالة الأولى ، قال له التاجر : أنظرني حتي أتوضأ وأصلي وأدعو ربي عز وجل .

(۲) آخر مجده ابن ماجه .

قال افعل ما بدالك . قال فقام التاجر ، وتوضأ ، وصلى أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فكان من دعائه أن قال : ياودود . . ياودود . . يا ذا العرش المجيد ، يامبدىء يامعيد ، يافعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شيء ، لا إله إلا أنت ، يا مغيث أغثنى (ثلاث مرات) . فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب . . عليه ثياب خضر ، بيده حربى من نور ، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس ، فلما دنا منه شد الفارس على اللص ، فطعنه طعنة أذراه^(١) عن فرسه . . ثم جاء إلى التاجر فقال له : قم فاقتله ، فقال له التاجر : من أنت ؟ فما قتلت أحداً قط ولا تطيب نفسى بقتله . . قال ، فرجع الفارس إلى اللص وقتله ، ثم جاء إلى التاجر ، وقال : اعلم أنى ملك من السماء الثالثة ، حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة ، فقلنا أمر حدث . . ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادى : من لهذا المكروب ؟ فدعوت ربي أن يوليئى قتلته ، واعلم - يا عبد الله - أنه من دعا بدعائك هذا فى كل كربة ، وكل شدة ، وكل نازلة فرج الله تعالى عنه ، وأعانه . قال وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد لقنك الله عز وجل ، أسماؤه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب ، وإذا سئل بها أعطى » .

ومن آداب الدعاء : حضور القلب ، وأن لا يكون ساهياً ؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ، لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه »^(٢) .

ومن شرائطه : أن يكون مطعمه حلالاً ؛ فلقد قال صلى الله عليه وسلم لسعد : « أظب كسبك تستجيب دعوتك »^(٣) .

وقد قيل : الدعاء : مفتاح الحاجة ، وأسنانها^(٤) : لقم الحلال .

(١) ألقاه .

(٢) البخارى ومسلم .

(٣) البخارى وأحمد فى مسنده .

(٤) الأولى أن يقال « وأسنانها » أى أسنان المفتاح .

وكان يحيى بن معاذ يقول : إلهى ، كيف أدعوك وأنا عاص ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟ .

وقيل : مر موسى ، عليه السلام ، برجل يدعو ويتضرع ، فقال موسى عليه السلام : إلهى ، لو كانت حاجته بيدي قضيتها ؛ فأوحى الله ، تعالى إليه : أنا أرحم به منك ، ولكنه يدعونى ، وله غم وقلبه عند غنمه ، وإنى لأستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غري . فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك ، فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته .

وقيل لجعفر الصادق : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : ظهر يعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء ، فقالوا له : فى ولايتك رجل صالح يسمى « سهل بن عبد الله » لودعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له ؛ فاستحضر سهلا وقال : ادع الله عز وجل لى . فقال سهل : كيف يستجاب دعائى فيك ، وفى مجلسك^(١) مظلومون ؟ . فأطلق كل من كان فى حبسه ، فقال سهل : اللهم كما أريته ذل المعصية^(٢) فأره عز الطاعة وفرج عنه . فعوفى ، فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله ، فقبل له : لو قبلته ودفعته إلى الفقراء .

فنظر إلى الحصباء فى الصحراء فاذا هى جواهر ، فقال لأصحابه : من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث ؟ .

وقيل : كان صالح المرى يقول كثيرا : من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له . فقالت له رابعة : إلى متى تقول هذا ؟ متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح ؟ فقال صالح : شيخ جهل وامرأة علمت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا بكر الحربى يقول : سمعت السرى يقول : حضرت مجلس معروف الكرخى . فقام إليه رجل فقال : يا أبا محفوظ ، ادع الله تعالى

(١) وفى نسخة « حبسك » .

(٢) وفى نسخة « المصيبة » .

أن يرد على كيسى ؛ فانه سرق وفيه ألف دينار . فسكت ، فأعاد ، ثم سكت فأعاد ، فقال معروف : ماذا أقول ؟ أقول ما زويته^(١) عن أنبيائك وأصفياك . فردّه عليه . فقال الرجل : فادع الله تعالى لى . فقال : اللهم خر له^(٢) .

وحكى عن الليث أنه قال : رأيت عقبة بن نافع ضريراً ، ثم رأيت بصيراً ، فقلت له ، بم رد عليك بصرك ؟

فقال : أتيت^(٣) فى منامى ، فقبل قل : يا قريب ، يا مجيب ، يا سميع الدعاء ، يا لطيفاً لما يشاء ، رد على بصرى . فقلتها ، فرد الله عز وجل على بصرى .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : كان لى وجع العين ابتداء ما رجعت إلى « نيسابور » من « مرو » ، وكنت مدة أيام لم أجد النوم ، فتناغست صباحاً ، فسمعت قائلاً يقول لى : أليس الله بكاف عبده^(٤) ؟ فانتبهت ، وقد فارقتى الرمد ، وزال فى الوقت الوجع ، ولم يصبنى بعد ذلك وجع العين .

وحكى عن محمد بن خزيمة ، أنه قال : لما مات أحمد بن حنبل كنت فى الإسكندرية ، فاغتممت . . فرأيت فى المنام أحمد بن حنبل وهو يتبختر ، فقلت : يا أبا عبد الله ، أى مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدام فى دار السلام فقلت : ما فعل الله عز وجل بك ؟ فقال : غفر لى ، وتوجنى ، وألبسنى نعلين من ذهب ، وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ، ثم قال : يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغت عن سفیان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا . فقلت : يارب كل شيء بقدرتك على كل شيء ، اغفر لى كل شيء ، ولا تسألنى عن شيء . فقال : يا أحمد هذه الجنة فادخلها ، فدخلها .

وقيل : تعلق شاب بأستار الكعبة ، وقال : إلهى ، لا شريك لك فيؤتى ، ولا وزير لك فيرشى ، إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد ، وإن عصيتك فبجهلى ولك الحجة على ، فبإثبات حجتك على وانقطاع حجتي لديك إلا غفرت لى . فسمع هاتفاً يقول : الفقى عتيق من النار .

(١) أى قبضته .

(٢) أى أفعل له خير الأمرين عندك .

(٣) أى أتانى آت فى منامى . .

(٤) آية ٣٦ من سورة الزمر .

وقيل : فائدة الدعاء : إظهار الفاقة بين يديه تعالى ، وإلا فالرب يفعل ما يشاء .
وقيل : دعاء العامة بالأقوال ، ودعاء الزهاد بالأفعال ، ودعاء العارفين بالأحوال .

وقيل : خير الدعاء : ما هيجته الأحران .

وقال بعضهم : إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت ، فاسأل الله عقب ذلك الجنة ؛ فلعل ذلك يوم إجابتك .

وقيل : السنة المبتدئين منطلقة بالدعاء ، والسنة المتحققين^(١) خرسست عن ذلك .
وسئل الواسطي أن يدعو ، فقال : أخشى أني إن دعوت أن يقال لي : إن سألتنا ما لك عندنا فقد آتهمنا^(٢) ، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الشاء علينا ، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور .
وروى عن عبد الله بن منازل انه قال : ما دعوت منذ خمسين سنة ، ولا أريد أن يدعو لي أحد .

وقيل : الدعاء سلم^(٣) المذنبين .

وقيل : الدعاء المراسلة ، وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد .

وقيل : لسان المذنبين دعاؤهم^(٤) .

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل .

وفي معناه أنشدوا :

دموع الفتى عما يجن ترجم وأنفاسه يبدين ما القلب يكرم
وقال بعضهم : الدعاء ترك الذنوب .

وقيل : الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب .

وقيل : الإذن في الدعاء خير للعبد من العطاء .

وقال الكتاني لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة .

وقيل : الدعاء يوجب الحضور ، والعطاء يوجب الصرف^(٥) ، والمقام على الباب أتم من الانصراف بالمثاب .

(١) أي العارفين بالله .

(٢) أي وسيلتهم .

(٥) وفي نسخة : الانصراف

(٢) أي بسبب تأخيرته .

(٤) وفي نسخهم دموعهم وهي الأنسب .

وقيل : الدعاء مواجهة الحق ، تعالى ، بلسان الحياء .

وقيل : شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوصف الرضا .

وقيل : كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سادت طريقها بالهفوة ؟

وقيل لبعضهم : ادع لي . فقال : كفأك من الأجنبية^(١) أن تجعل بينك وبينه واسطة .

سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول : سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول : سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول : سمعت أبي يقول : جاءت امرأة إلى أبي بن مخرمة ، فقالت : إن ابني قد أسره الروم ، ولا أقدر على مال أكثر من « دوبرة » ولا أقدر على بيعها ، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنه ليس لي ليل ولا نهار ، ولا نوم ولا قرار .

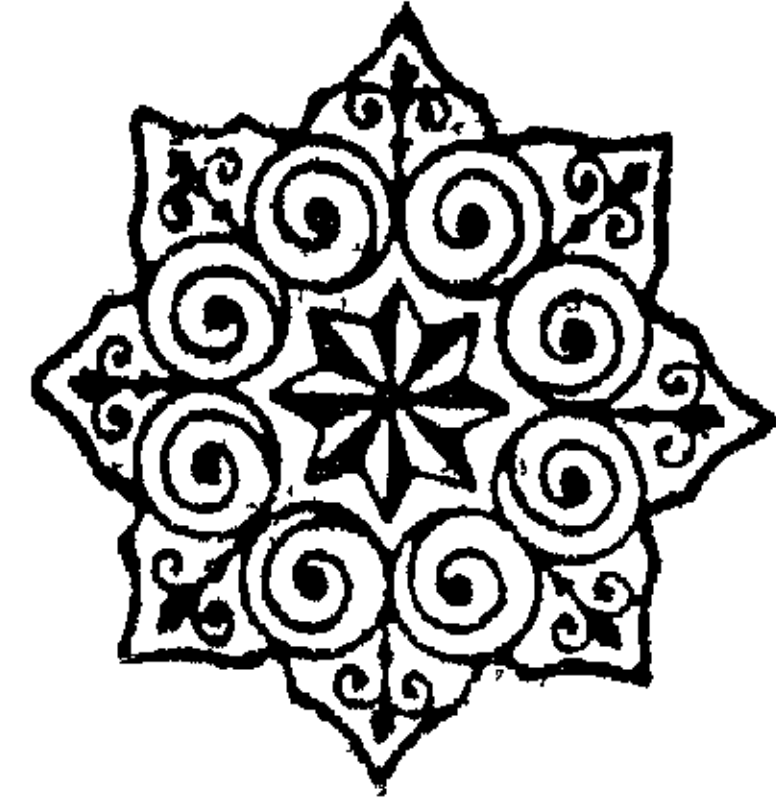
فقال لها : نعم ، انصربي حتى أنظر في أمره إن شاء الله تعالى .

قال : فأطرق الشيخ وحرك شفتيه ، قال : فلبثنا مدة ، فجاءت المرأة ومعها ابنها ، وأخذت تدعو له وتقول : قد رجع سالماً ، وله حديث يحدثك به . فقال للشاب : كنت في^(٢) يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى ، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم . فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ، ثم يردنا وعلينا قيودنا ، فبينما نحن نجيء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة ، ودعا الشيخ ، قال : فنهض إلى الذي كان يحفظني وصاح على وقال لي : كم مررت القيد . . قات : لا ، إنه سقط من رجلى قال : فتيخير . . وأحضر أصحابه ،

(١) أي إليها عن الله تعالى .

(٢) وفي نسخة : بين يدي .

وأحضروا الحداد ، وقيدوني . . فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ، فتحيروا
فى أمرى . . فدعوا رهبانهم ، فقالوا لى : ألك والدة ؟ قلت : نعم فقالوا : وافق
دعؤها الإجابة . وقد أطلقك الله عز وجل ، فلا يمكننا تقييدك .
فزودوني ، وأصبحوني بمن أوصلنى إلى ناحية المسلمين .



الباب الثاني والأربعون

الفقر

●● قيل ليحيى بن معاذ :

ما الفقر ؟

قال : خوف الفقر ..

قيل : فما الغنى ؟

قال : الأمن بالله تعالى

قال الله تعالى :

« للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ، لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » (١) .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين بن موسى البزاز ببغداد قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري قال : حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « يدخل الفقراء (٢) الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام : نصف يوم » (٣) .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري ببغداد ، قال : حدثنا أبو أحمد حمزة بن أبي أسباط البزاز ببغداد ، قال : حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال : حدثنا عبد الله بن مسleme قال : حدثنا محمد بن أبي المرات . عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمر والتمرتان ، قال : فقيل : من المسكين يا رسول الله ؟

قال : « الذي لا يجد ما يغنيه ويستحي أن يسأل الناس ولا يفتن له فيتصدق عليه » (٤) .

قال الأستاذ : معنى قوله : يستحي أن يسأل الناس : أي يستحي من الله ، تعالى ، أن يسأل الناس ، لأنه يستحي من الناس .

والفقير شعار الأولياء ؛ وحلية الأصفياء ؛ واختيار الحق ، سبحانه ، لحواصه من الأتقياء والأنبياء ..

(١) آية ٢٧٣ من سورة البقرة :

(٢) يقول الإمام العروسي : لعل المراد بالفقراء في الحديث الشريف المتجردون عن الدنيا رغبة فيما عند ربهم ، لا مطلق التحلي عن المال والكسب .

(٣) وتلك الأعوام بمثابة نصف يوم من أيام الآخرة .

(٤) انظر رياض الصالحين للنووي .

والفقراء : صفوة الله عز وجل من عباده ، ومواضع أسرارهِ بين خلقهِ ، هم يصون الحق الخلق ، وبركاتهم يبسط عليهم الرزق .
والفقراء الصبر^(١) جلساء الله تعالى ، يوم القيامة ؛ بذلك ورد الخبر عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن رجاء الفزارى ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خشيش البغدادى قال : حدثنا عثمان بن معبد قال : حدثنا عمر بن راشد ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة : حب المساكين ، والفقراء الصبر : هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » .

وقيل : إن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه . وقال له : تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم : لا أفعل . . . وقال معذ النفسى : ما أهلك الله ، تعالى ، فوماً وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلّوهم .

وقيل : أو لم يكن للفقراء إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة أرزاق المسلمين ؟ ورخص أسعارهم لكفاه ذلك ؛ لأنه يحتاج إلى شرائها والغنى يحتاج إلى بيعها . هذا لعوام الفقراء^(٢) ، فكيف حال خواصهم ؟

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت أبا بكر بن سمعان يقول : سمعت أبا بكر بن مسعود يقول : سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

حقيقته : أن لا يستغنى العبد إلا بالله ، ورسمه^(٣) عدم الأسباب كلها .

وسمعت يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم التقي يقول : الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق^(٤) لعدم فيه .

(١) الكثير والصبر . (٢) وفي نسخة هذا « حال العوام من الفقراء » .

(٣) أى تعريف الفقر بجهة أخرى من جهات التعريف وهى : الرسم .

(٤) أى تمكن .

وقدم على الأستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة : خمس ، أو أربع وتسعين وثلاثمائة من « زوزن » وعليه « مسح »^(١) وقلنسوة مسح ، فقال له بعض أصحابه : بكم اشتريت هذا المسح ؟ (على وجه المطاوعة)^(٢) .

فقال : اشتريته بالدنيا وطاب مني بالآخرة فلم أبعه بها . .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : قام فقير في مجلس يطاب شيئاً ، فقال : إني جائع منذ ثلاث . وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال : كذبت . . إن الفقير سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمّله إلى من يريد .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن انفراد يقول سمعت زكريا النخشي يقول : سمعت حمدون الفصار يقول : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء :

رجل مؤمن قتل مؤمناً ؛ ورجل يموت على الكفر ، وقاب فيه خوف الفقر . وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن عطا . يقول : سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول : سمعت الجنيد يقول :

(يادعشر النقرء : إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون الله ، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خاوتم به ؟) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول : سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول : سمعت الجنيد ، وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى : أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى ؟ فقال :

إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل فقد صح الاستغناء بالله تعالى ، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به ، فلا يقال : أيهما أتم الافتقار أم الغنى . . لأنهما حالتان لا أتم إحداهما إلا بالآخرى .

وسمعه يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت جعفرأ يقول : سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت الفقير ، فقال : « إرسال النفس في أحكام الله تعالى » .

(١) ثوب .

(٢) أي المداعبة .

وقيل : نعت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .
وقيل لأبي سعيد الخزاز : لم تأخر عن الفقراء رفني الأغنياء ؟
فقال لثلاث خصال :

لأن ما في أيديهم غير طيب ، ولأنهم (١) غير موفقين ، ولأن الفقراء مرادون بالبلاء .

وقيل : أوحى الله عز وجل إلى موسى ، عليه السلام :
إذا رأيت الفقراء فسائلهم (٢) ، كما تسائل الأغنياء ، فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب .

وروى عن أبي الدرداء ، أنه قال :
لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلى من مجالسة الغني : لأنني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« إياكم ومجالسة الموتى . » قيل : يا رسول الله ، ومن الموتى ؟ قال : الأغنياء .
وقيل للربيع بن خيثم : قد غلا السعر . .

فقال : نحن أهون على الله من أن يجيعنا ، إنما يجيع أوليائه .
وقال إبراهيم بن أدهم : طلبنا الفقر فاستقبلنا الغني ، وطلب الناس الغني فاستقبلهم الفقر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت الحسن ابن علويه يقول : قيل ليحيى بن معاذ : ما الفقر ؟ قال : خوف الفقر .
قيل : فما الغني ؟ قال : الأمن بالله تعالى .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت الجريري يقول : سمعت ابن الكريني يقول :

إن الفقر الصادق ، ليحترز من الغني حذراً أن يدخله الغني فيفسده عليه فقره ،
كما أن الغني يحترز من الفقر حذراً أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه .
وسئل أبو حفص : بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل ؟

(١) أي الأغنياء .

(٢) أي سألهم .

فقال : وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :

أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع ؟ .

قال : نعم .

قال : عد المريض ، وكن لثياب الفقراء فالياً ، فجعل موسى ، عليه السلام ، على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى .

وقال سهل بن عبد الله : خمسة أشياء من جوهر النفس :

فقير يظهر الغنى ، وجائع يظهر الشبع ، ومحزون يظهر الفرح ؛ ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر المحبة ، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفاً .

وقال بشر بن الحارث : أفضل المقامات :

اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر .

وقال ذو النون : علامة سخط الله على العبد : خوفه من الفقر .

وقال الشبلي : أدنى علامات الفقر^(١) : أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم تم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل ؟ وعندي : أن الأفضل : أن يعطى الرجل كفايته ثم يصاب فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا محمد بن ياسين يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : وقد سألت عن الفقر ، فسكت ، حتى خلا ، ثم ذهب ورجع عن قريب ، ثم قال :

كان عندي أربعة دوانيق^(٢) فاستحييت من الله عز وجل ، أن أتكلم في الفقر فذهبت وأخرجتها ثم قعدت وتكلم في الفقر .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي ، يقول : سمعت إبراهيم ابن المولد يقول : سألت ابن الجلاء :

متي يستحق الفقير اسم الفقر ؟

(١) أي الافتقار إلى الله .

(٢) جمع دائق ؛ وهو سلس الدرهم .

فقال : إذا لم يبق عليه بقية منه .

فقلت : كيف ذلك ؟

فقال : إذا كان^(١) له فليس له ، وإذا لم يكن له فهو له .

وقيل : صحة الفقر : أن لا يستغنى الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره .

وقال عبد الله بن المبارك : إنظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، يقول : سمعت هلال بن محمد يقول : سمعت النقاش يقول : سمعت بنانا المصري يقول : كنت بمكة قاعداً وشاب بين يدي ، فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضعها بين يديه . فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : فرقه على المساكين ، فلما كان العشاء رأيت في الوادي يطلب شيئاً لنفسه .

فقلت : لو تركت لنفسك مما كان معك شيئاً ؟ .

قال : لم أعلم أنني أعيش إلى هذا الوقت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت علي بن بندار الصيرفي ، يقول : سمعت محفوطاً يقول : سمعت أبا حفص يقول : أحسن ما يتوصل^(١) به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال ، وملازمة السنة في جميع الأفعال . وطلب الفوت من وجه حلال .

وسمعت يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : سمعت المرعشي يقول : ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته .

وسمعت يقول : سمعت أبا الفرج الورثاني يقول : سمعت فاطمة أخت أبي علي الروذباري تقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كان أربعة في زمانهم :

واحد : كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئاً ، وهو : يوسف بن أسباط ، ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئاً وكان يعمل الخوص بيده .

(١) أي الدهر .

(٢) وفي نسخة أخرى « أحسن ما يتوصل » .

وآخر : كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً ، وهو : أبو إسحاق الفزاري فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذي لا يتحركون ، والذي يأخذه من السلطان كان يخرج به إلى مستحقه من أهل « طرسوس » .

والثالث : كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو : عبد الله بن المبارك ، وكان يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه .

والرابع : كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو : محمد بن الحسين كان يقول : السلطان لا يمن والإخوان يمنون .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : جاء في الخبر : « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » .

إنما كان ذلك ؛ لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه ؛ فإذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه ، فلو اعتقد فضله^(١) بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله .

وقيل : أفل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء :

علم يسوسه ؛ وورع يحجزه ، ويقين يحمله ؛ وذكر يؤنسه .

وقيل : من أراد الفقر لشرف مات فقيراً ؛ ومن أراد الفقر لثلا يشتغل عن الله تعالى مات غنياً .

وقال المزين : كانت الطرق الموصلة إلى الله أكثر من نجوم السماء ، فما بقي منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح الطرق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن يوسف القزويني يقول : سمعت إبراهيم بن المولد يقول : سمعت الحسن بن علي يقول : سمعت النوري يقول :

نعت الفقير : السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود .

سئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال : ألا يستغنى العبد بشيء دون الله عز وجل .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن خلف المغربي يقول : قال لي أبو سهل

الحشاش الكبير : الفقر : فقر وذل^(٢) ، فقلت : لا بل فقر وعز^(٣) ، فقال : فقر

(١) أي تواضع له

(٢) أي لله .

(٣) أي بالله .

وثرى^(١) ، فقلت : لا ، بل فقير وعرش^(٢) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم :
« كاد الفقر أن يكون كفراً »^(٣) .

قال : فقلت . آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره : فكُلما كان في نفسه أفضل فضده وآفته أنقص : كالإيمان ، لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر ، فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دل على أنه : أشرف الأوصاف .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا نصر الهروى يقول .
سمعت المرتعش يقول : سمعت الجعيد يقول :

إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ، ولا تلقه بالعلم : فان الرفق بؤنسه . والعلم يوحشه ، فقلت له : يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم ؟

فقال : نعم ، الفقير إذا كان صادقاً في فقره فطرح عليه علامات ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

وسمعت يقول : سمعت أبا عبد الله الرازى . يقول : سمعت مزيل الرميثى يقول :

الفقر : هو الذى لا يكون له إلى الله حاجة .

قال الأستاذ أبو القاسم :

وهذا اللفظ فيه أدنى غموض لمن سمعه على وجه الغفلة عن معنى الفوم . وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار ، والرضا بما يجريه الحق سبحانه .

وقال ابن خفيف :

الفقر : عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات .

وقال أبو حفص :

لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ ، وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم : إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .

(١) أى تواضع ونزول إلى الأرض . (٢) أى ارتفاع .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحيلة عن أنس وتمايه (. . .) وكاد الحسد أن يكون سبق القدر .

(٤) أى الفقر إلى الله .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت
الدقي يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :

لولا شرف التواضع لله لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر .

وقال يوسف بن اسباط :

منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين .

وقال بعضهم :

رأيت كأن القيامة قد قامت ، وقيل : أدخلوا مالك بن دينار ، ومحمد بن
واسع الجنة ، فنظرت أيهما يتقدم : فتقدم محمد بن واسع ، فسألت عن سبب
تقدمه ، فقيل لي : إنه كان له قميص واحد وللمالك قميصان .

وقال محمد الموحى :

الفقير : الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب .

وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير ؟

فقال : إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه .

وتذاكروا عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى ، فقال :

لا يوزن غداً لا الفقر ولا الغنى ، وإنما يوزن الصبر والشكر : فيقال : يشكر

ويصبر .

وقيل : أوحى الله تعالى ، إلى بعض الأنبياء عليهم السلام ؛ إن أردت أن

تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك ؟

وقال أبو بكر الزقاق : من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام المحض .

وقيل : كان الفقراء في مجلس سفيان الثوري : كأنهم الأمراء .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول :

سمعت أبا بكر بن طاهر يقول :

من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة في الدنيا ، فإن كان ولا بد فلا تجاوز

رغبته كفايته .

وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : أنشدني عبد الله بن إبراهيم

ابن العلاء قال : أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم ؛ قال :

قالوا : غداً العيد ماذا أنت لابس ؟ فقلت : خلعة ساق حبسه جرعاً^(١)
 فقصر وصبر ، هما ثوباي . تحتكما
 أخرى الملايس أن تلقى الحبيب بسه يوم التزاور في الثوب الذي خلعه
 الدهر لي مأنم إن غبت يسأ ألى والعيد ما كنت لي مرأى ومستعماً
 وقيل : إن هذه الأبيات لأب على الروذباري .

وقال أبوبكر المصري ، وقد سئل عن الفقير الصادق ، فقال :

الذي لا يملك ولا يميل .

وقال ذو النون المصري :

دوام الفقر إلى الله تعالى ، مع التخليط أحب إلى من دوام الصفاء مع العجب .
 سمعت أبا عبد الله الشرازي ، يقول : سمعت عبداً الواحد بن أحمد ، يقول :
 سمعت أبا بكر الجوال ، يقول : سمعت أبا عبد الله الحصري ، يقول :
 مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار ، وينفقه على الفقراء ،
 ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق عليه من الأبواب .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا علي الحسين بن يوسف القزويني ،
 يقول : سمعت إبراهيم بن الموند ، يقول : سمعت الحسن بن علي ، يقول : سمعت
 النوري ، يقول :

نعت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجود

وسمعت يقول : سمعت منصور بن عبد الله ، يقول : سمعت محمد بن علي
 الكتاني ، يقول :

كان عندنا بمكة فتى عليه أظمار^(٢) رثة ، وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا . فوقع
 محبته في قلبي ، ففتح لي بمائتي درهم من وجهه حلال ، فحملتها إليه . ووضعها على
 طرف سجاده وقلت له : إنه فتح لي ذلك من وجهه حلال . تصرفه في بعض أمورك .
 فنظر إلى شراً ، ثم كشف عما هو مستور عني ، وقال : اشتريت هذه الجلابة مع
 الله تعالى ، على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات ، زيد أن

(١) أي كسوة حبيب لي سقاي محبته جرعاً .

(٢) أي أثواب .

تخذه عنى عنها^(١) . . . وقام وبددها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مر ،
ولا كالى حين كنت ألتقطها .

وقال أبو عبد الله بن خفيف :

ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولى قبول عظيم بين الخاص والعام .
سمعت الشيخ أبا عبد الله بن با كويه الصوفى ، يقول : سمعت أبا عبد الله بن
خفيف يقول ذلك .

وسمعتة يقول : سمعت أبا أحمد الصغير ، يقول :

سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة أيام يخرج
ويسأل مقدار كفايته : إيش يقال فيه ؟ . فقال : يقال فيه : مكد . . . كلوا واسكتوا ،
فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت عبد الله بن على الصوفى ، يقول :
سمعت الدقى يقول - وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى ، فى أحوالهم -
فقال :

هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم .

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن عبد الله الطبرى ؛ يقول : سمعت خيراً
السااج يقول :

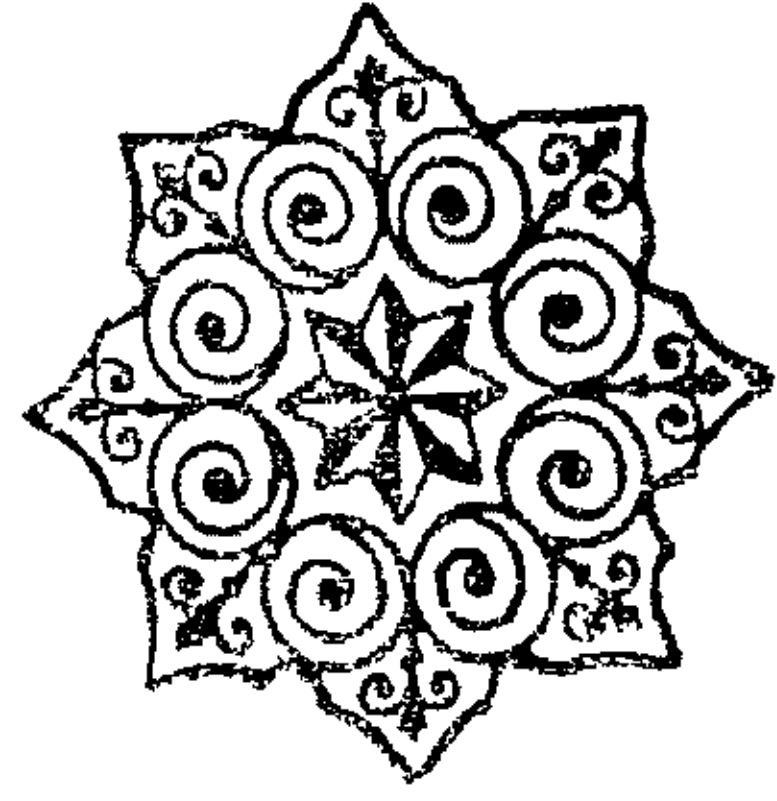
دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير ، فلما رآنى تعلق بى . .
وقال : أيها الشيخ تعطف على ؛ فان محنتى عظيمة . .
فقلت : وما هى ؟

فقال : فقدت البلاء وقويت بالعافية . فنظرت فاذا قد فتح عليه بشىء من الدنيا .
وسمعتة يقول : سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول : سمعت أبا بكر الوراق ،
يقول :

طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة .

فسأله عنه ، فقال : لا يطلب السلطان منه فى الدنيا : الحراج ، ولا الجبار
فى الآخرة : الحساب .

(١) تفسدها على .



الباب الثالث والأربعون

التصوّف

« قال الكنائى :

التصوف خلق .. فمن زاد عليك فى

الخلق .. فقد زاد عليك فى الصفاء »

باب التصوف

: الصفاء محمود بكل لسان ، وضده الكدورة : وهي مذمومة .
 أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال : أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال :
 حدثنا الحسين بن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن نوفل قال : حدثنا أبو بكر بن
 عياش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن أبي جحيفة قال :
 خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال : « ذهب صفو
 الدنيا وبني الكدر ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم » .
 ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ؛ فيقال : « رجل صوفي » ، وللجماعة
 « صوفية » ، ومن يتوصل إلى ذلك (١) يقال له : « متصوف » ، وللجماعة :
 « المتصوفة » .

وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق . والأظهر فيه :
 أنه كالقلب ، فأما قول من قال : إنه الصوف ، ولهذا يقال : تصوف إذا لبس
 الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه . ولكن القوم لم
 يختصوا بلبس : الصوف . .

ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي . .
 ومن قال : إنه مشتق من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى
 اللغة .

وقول من قال : إنه مشتق من الصف ، فكأنهم (٢) في الصف الأول بقلوبهم
 فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف .
 ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق
 اشتقاق .

وتكلم الناس في التصوف : ما معناه ؟ وفي الصوفي : من هو ؟
 فكل عبر بما وقع له . واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز .
 وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حد التلويح ، إن شاء الله تعالى .

(١) بالتشبه بهم

(٢) الأولى « لأنهم » .

سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التيمي يقول : سئل أبو محمد الجريدي عن التصوف . فقال : الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ذني .

سمعت عبد الرحمن بن يوسف الأصهباني يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمداني يقول : سمعت أبا محمد المرعشي يقول : سئل شيخني عن التصوف ، فقال : سمعت الجنيد وقد سئل عنه فقال : هو أن يملك الحق عنك ، ويحييك به .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسي يقول : سمعت أبا الفاتك يقول : سمعت الحسين بن منصور ، وقد سئل عن الصوفي ، فقال :

وحداني الذات لا يقبله أحد ، ولا يقبل أحداً .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت أبا علي الوراق يقول : سمعت أبا حمزة البغدادى يقول : علامة الصوفي الصادق : أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة . وعلامة الصوفي الكاذب : أن يستغنى بالدنيا بعد الفقر ، ويعز بعد الذل ، ويشتهر بعد الخلفاء .

، وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف ، فقال : أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت .

وقال محمد بن علي القصاب : التصوف : أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وسئل سحنون عن التصوف فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء .

وسئل رويم عن التصوف فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وسئل الجنيد عن التصوف فقال : هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصهباني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي

يقول : أخبرني محمد بن الفضل قال : سمعت علي بن عبد الرحيم الواسطي يقول : سمعت روثم بن أحمد البغدادي يقول : التصوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار إلى الله ، والتحقيق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار .

وقال معروف الكرخي : التصوف : الأخذ بالحقائق (١) ، واليأس مما في أيدي الخلائق .

قال حمدون القصار : اصحب الصوفية ؛ فان للقبيح عندهم وحوها من المعاذير .

وسئل الخراز عن أهل التصوف فقال : قوم أعطوا حتى بسطوا (٢) ، ومنعوا حتى فتدوا (٣) ، ثم نودوا من أسرار قريبة ألا فابكوا علينا (٤) .

وقال الجنيد : للتصوف : عنوة لا صلاح فيها .

وقال أيضاً : هم أهل بيت واحد ، لا يدخل فيهم غيرهم .

وقال أيضاً : التصوف : ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع .

وقال أيضاً : الصوفي كالأرض ، يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منها إلا كل مبيع .

وقال أيضاً : إنه كالأرض ؛ يطؤها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء .

وقال : إذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره ، فاعلم أن باطنه خراب .

وقال سهل بن عبد الله : الصوفي : من يرى دمه هدرأ ، وملكه مباحأ .

وقال النوري : نعت الصوفي السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود .

وقال الـكتاني : التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء .

وقال أبو علي الروذباري : الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه .

(١) أي الناسك بها والعمل على تنقيتها .

(٢) أي فرحوا وانسرح صدرهم .

(٣) قال العروسي : أي معوا عن الالتفات إلى غير الله حتى فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها .

(٤) أي أسر إليهم في سرائرهم أن ينولوا لغيرهم : ابكوا علينا لعدم وصولنا إلى مقصودنا .

وقال أيضاً : صموة القرب بعد كدوره البعد .
 وقيل : أقبح من كل قبيح صوفي صحيح .
 وقيل : التصوف : كف فارغ ، وقلب طيب .
 وقال الشبلي : التصوف الجالوس مع الله^(١) بلاهم .
 وقال أبو منصور : الصوفي : هو المشير عن الله تعالى ؛ فان الخلق أشاروا إلى الله تعالى .
 وقال الشبلي : الصوفي منقطع عن الخلق ، متصل بالحق : كهو الله تعالى .
 « واصطنعتك لنفسى »^(٢) قطعه عن كل غير ، ثم قال له « لن تراني » .
 وقال : الصوفية أطفال في حجر الحق .
 وقال أيضاً : التصوف برفقة محرقة .
 وقال أيضاً : هو العصمة عن روبة الكون^(٣) .
 وقال رويم : ما تزال الصوفية بخير ما نأفروا^(٤) ، فاذا اصطالحوا^(٥) فلا خير فيهم^(٦) .
 وقال الجريري : التصوف مراقبة الأحرار . ونزوم الأدب .
 وقال المزين : التصوف : الانقياد للحق .
 وقال أبو تراب النخشي : الصوفي لا يكدره شيء . وبصنفوه به كل شيء .
 وقيل : الصوفي لا يتعبه طلب ، ولا يزعجه سبب .
 سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ذو النون المصري عن أهل التصوف فقال : هم قوم آثروا الله . عز وجل . على كل شيء فآثروهم . عز وجل ، على كل شيء .

(١) أي ملارمه طاعة الله .

(٢) آية ٤١ من سورة طه .

(٣) رؤية استحسان وميل لا رؤية بحث وعلم .

(٤) أي مدة لإرشاد بعضهم بعضاً .

(٥) أي ففروا عن الإرشاد والتبليغ .

(٦) فقد طردوا عن معنى التصوف .

وفال الواسطي رحمه الله : كان للقوم إشارات . . ثم صارت حركات . . ثم لم يبق إلا حسرات . .

وسئل النوري عن الصوفي ، فقال : من سمع السماع وآثر الأسباب (١) .
سمعت أبا حاتم السجستاني ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : قلت للحصري : من الصوفي عندك ؟ فقال : الذي لا تقله الأرض (٢) ، ولا تظله السماء .

قال الأستاذ أبو القاسم : إنما أشار إلى حل « المحو » .

وقيل : الصوفي من إذا استقبله حالان ، أو خلقان كلاهما حسن ، كان مع أحسن منهما .

وسئل الشبلي : لم سميت الصوفية بهذه التسمية ؟

فقال : لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ؛ ولولا ذلك لما تعلق بهم تسمية .
سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ابن الجلاء : ما معنى قولهم صوفي ؟ فقال : ليس نعرفه في شرط العلم ، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب ، وكان مع الله تعالى بلا مكان ، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى « صوفياً » .

وقال بعضهم : التصوف : إسقاط الجاه ، وسواد الوجه في الدنيا والآخرة (٣) .

وقال أبو يعقوب المزائلي : التصوف : حال تضحل فيها معالم الإنسانية .

وقال أبو الحسن السيرواني : الصوفي : من يكون مع الواردات لامع الأوراد .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال : هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل ، ولهذا قال رحمه الله يوماً : لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها .

(١) الأسباب : هي فعل المأمورات وترك المنهيات .

(٢) أى لا تطيق حمله .

(٣) سواد بالجر عطفاً على الجاه ويكسر المعنى إسقاط الجاه ، إسقاط سواد الوجه يعنى ؟ كذا فعل يؤدى إلى سواد الوجه في الدنيا والآخرة .

وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكي : للتصوف : الإعراض عن الاعتراض

وقال المحضرن : للصوفي لا يوجد بعد عدمه . ولا بعدم بعده .

قال الأستاذ القشيري : وهذا فيه إشكال . ومعنى قوله : لا يوجد بعد عدمه أى إذا فنيت آفاته لاتعود تلك الآفات . وقوله : ولا بعدم بعده وجوده ، يعنى : إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق . فالحداثات لاتؤثر فيه .

ويقال : للصوفي : المصطلم عنه^(١) بما لاح له من الحق .

ويقال : للصوفي : مقهور بتصريف الربوبية مستور بتصريف للعبودية .

ويقال : للصوفي لا يتغير ، فان تغير لا بتكدر .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول : سمعت أبا بكر المصري يقول : سمعت الخراز يقول : كنت فى جامع « قيروان » يوم جمعة ، فرأيت رجلا يداور فى الصنف ، ويقول .

تصدقوا على ؛ فقد كنت صوفياً فضعت . .

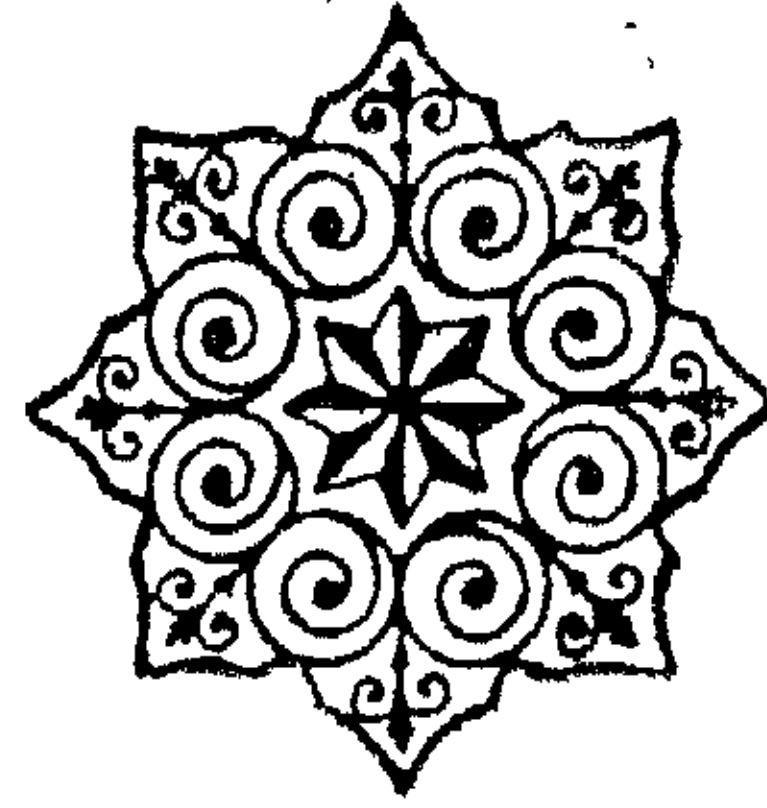
فرفقته^(٢) بشىء . فقال لى . مر^(٣) . ويلك . . ليس هذا من ذلك . .

ولم يقبل الرفق .

(١) أى المستغرق عن نفسه .

(٢) أعليته .

(٣) اتركه .



الباب الرابع والأربعون الأدب

أنه قال :

من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله
بالاخلاص ..

وقيل : كمال الأدب لا يصفو
الا للأنبياء والصديقين
» حكى عن سهل بن عبد الله

باب الآداب

قال الله عز وجل: «ما زاغ البصر وما طغى» (١) .

قيل : حفظ آداب الحضرة .

وقال تعالى : «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» (٢) . جاء في التفسير عن ابن عباس:

فقهوهم ، وأدبوهم .

أخبرنا : علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري

قال : حدثنا غنام قال : حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال : حدثنا عبد الملك بن

الحسين ، عن عبد الملك بن عمير ، عن مصعب بن شيبة ، عن عائشة ، رضى الله

عنها . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«حق الولد على والده : أن يحسن اسمه ، ويحسن مرضعه ، ويحسن أدبه»

ويحكي عن سعيد بن المسيب أنه قال : من لم يعرف ما لله عز وجل ، عليه

في نفسه ، ولم ينأدب بأمره ونهيه كان من الأدب في عزلة .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال :

«إن الله ، عز وجل ، أدبني فأحسن تأديبي» (٣) .

وحقيقة الأدب : اجتماع جميع خصال الخير ؛ فالأديب : هو الذي اجتمع فيه

خصال الخير . ومنه أخذت «المأدبة» اسم للمجتمع (٤) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : العبد يصل بطاعته إلى

الجنة ، وبأدبه في طاعته إلى الله .

وسمعت أيضاً يقول : رأيت من أراد أن يمد يده في الصلاة بين يدي الله إلى

أنفه ، ايزيل ما به ، فقبض على يده .

قال الأستاذ : وإنما أشار بذلك إلى نفسه ؛ لأنه لا يمكن الإنسان أن يعرف

من غيره أنه قبض على يده .

وكان الأستاذ أبو علي ، رحمه الله ، لا يستند إلى شيء ، وكان يوماً في مجمع ،

فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره ؛ لأنني رأيت غير مستند . . فتنحى عن الوسادة

(٢) آية ٦ من سورة التحريم .

(١) آية ١٧ من سورة النجم

(٣) حديث صحيح أخرجه السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود .

(٤) أي للاجتماع للطعام .

قليلاً . . فتوهمت أنه توفى الوسادة . لأنه لم يكن عليها حرقرة أو سجادة . فقال :
لا أريد الاستناد .

فتأملت بعده حاله ؛ فكان لا يستند إلى شيء .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج . يقول : سمعت
أحمد بن محمد البصري يقول : سمعت الجلاجلي البصري يقول : التوحيد موجب
يوجب الإيمان ؛ فمن لا إيمان له فلا توحيد له . والإيمان موجب يوجب الشريعة ؛
فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد ، والشريعة موجب يوجب الأدب ؛ فمن
لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد .

وقال ابن عطاء : الأدب : الوقوف مع المحسنات^(١) ، فقليل : وما معناه ؟
قال : أن تعامل الله بالأدب سرّاً وعلناً ؛ فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإن
كنت أعجمياً .

تم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل ملاحية وإن سكنت جاءت بكل دليح
أخبرنا . محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت
عبد الله الجريري يقول : منذ عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى في الخلوة
فان حسن الأدب مع الله أولى .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق . رحمه الله ، يقول : من صاحب الملوك بغير
أدب أسلمه الجهل إلى القتل .

وروى عن ابن سيرين أنه سئل : أى الآداب أقرب إلى الله تعالى ؟

فقال : معرفة ربوبيته . وعمل بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر
على الضراء .

وفال يحيى بن معاذ : إذا ترك العارف أدبه مع معروفه^(٢) . فقد هلك مع
الهالكين .

سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله ، يقول : ترك الأدب موجب يوجب الطرد ؛

(١) وفي نسخة المحسنات أى ما يعبر به العمل حساً .

(٢) أى مع الله .

فمن أساء الأدب على الساطع رد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة (١) الدواب .

وفيل للحسن البصري : قد أكثر الناس في علم الأدب . فما أنفعها عاجلا وأوصلها آجلا ؟

فقال : التفقه في الدين ، والزهد في الدنيا ، والمعرفة بما لله ، عز وجل عليه . وقال يحيى بن معاذ : من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل شبة الله تعالى . وقال سهل : القوم الذين استعانوا بالله ، على أمر الله ، وصبروا على آداب الله . وروى عن ابن المبارك أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعت العباس بن حمزة يقول : حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : قال الوليد بن عتبة : قال : ابن المبارك : طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون :

وقيل : ثلاث خصال ليس معهن غربة :

مجانبة أهل الريب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى :

وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربي ، رضى الله عنه ، في هذا المعنى :

يزين الغريب إذا ما أغرب ثلاث : فمن حسن الأدب

وثانيه : حسن أخلاقه وثالثه : اجتناب الريب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنيد : لقد أذيت أصحابك أدب السلاطين ،

فقال له أبو حفص : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن .

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال : الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف (٢) .

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول : قيل لبعضهم : يأسىء الأدب .

فقال : لست بسىء الأدب ، فقليل له : من أدبك ؟ فقال : أدبني الصوفية

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا النصر الطوسي السراج يقول :

الناس في الأدب على ثلاث طبقات

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسبأ الملوك وأشعار الرب .

وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأدب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .

وأما أهل الخصوصية^(١) فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعات الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر . وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال : من قهر نفسه بالأدب فهو عبد الله بالإخلاص .

وقيل : كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين .

وقال عبد الله بن المبارك : قد أكثر الناس في الأدب ، ونحن نقول : هو معرفة النفس .

وقال الشبلي : الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب .

وقال ذو النون المصري : أدب العارف فوق كل أدب ؛ لأن معرفة مؤدب قلبه . وقال بعضهم : يقول الحق ، سبحانه : من ألزمته القيام مع أمهائي و صبنائي ألزمته الأدب ، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب ، فاختر أيهما شئت : الأدب أو العطف .

وقيل : مد ابن عطاء رجله يوماً بين أصحابه وقال : ترك الأدب بين أهل الأدب أدب .

ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر ، وعمر ، فدخل عثمان فغطى فخذه وقال : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »^(٢) نبه صلى الله عليه وسلم : أن حشمة عثمان ، رضي الله عنه ، وإن عظمت عنده فالحالة التي بينه وبين أبي بكر وعمر كانت أصفى .

وفي قريب من معناه أنشدوا :

في انقباض وحشمة فاذا جالست أهل الوفاء والكرم

(١) وهم العارفون بالله . (٢) أخرجه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

أرسلت نفسي على سجيئها وقلت ما قلت غير محتشم
وقال الجنيد : إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب .
وقال أبو عثمان : إذا صحت المحبة تأكد على الحب ملازمة الأدب .
وقال النوري : من لم يتأدب للوقت فوقته (١) المقت .
وقال ذو النون المصري : إذا خرج المريد عن استعمال الأدب ، فانه يرجع
من حيث جاء .

سمعت الأستاذ أبا علي . رحمه الله ، يقول في قوله عز وجل : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » (٢) قال : لم يقل « أرحمنى » لأنه حفظ آداب الخطاب .

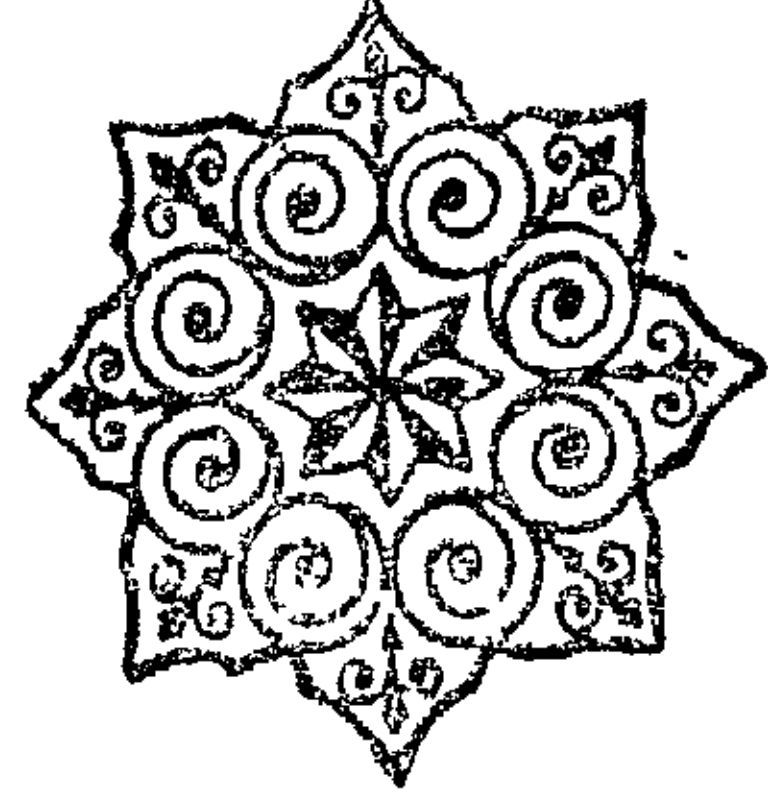
وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال : « إن تعذبهم فانهم عبادك » (٣) ، وقال « إن كنت قلته فقد علمته » (٤) ولم يقل « لم أقل » ؛ رعاية لآداب الحضرة .
سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول : سمعت الجنيد يقول : جاءني بعض الصالحين يوم الجمعة فقال لي : ابعث معي فقيراً يدخل على سروراً ، ويأكل معي شيئاً ، فالتفت ، فاذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة ... فدعوته ... وقلت له : امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً ، فلم ألبث أن جاءني الرجل فقال لي : يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة ، وخرج . .

فقلت : لعلك قلت كلمة جفاء عليه ، فقال لي : لم أقل شيئاً .
فالتفت فاذا أنا بالفقير جالس ، فقلت له : لم لم تم عليه السرور ؟
فقال : يا سيدى ، خرجت من الكوفة وقدمت « بغداد » ولم آكل شيئاً . .
وكرهت أن يبدو سوء أدب منى من جهة العاقبة في حضرتك . . . فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك ، فضيت وأنا لا أرضى له الجنان . . . فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال لي : كل ، فهذا أحب إلى من عشرة آلاف درهم . فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنىء الهمة ، فنطرقته (٥) أن آكل طعامه ، فقال الجنيد : ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه ، فقال : يا أبا القاسم . . التوبة ، فيسأله أن يمضى معه ويفرحه .

(١) أى حاله ، (٢) آية ٨٣ من سورة الألباء ، (٣) آية ١١٧ من سورة المائدة

(٤) آية ١١٥ من سورة المائدة .

(٥) فتجنبته .



الباب الخامس والأربعون أحكامهم في السفر

قال أبو يعقوب السوسى :
يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في
سفره ..
علم يسوسه .. وورع يخجزه ..
ووجد يحمله .. وخلق يصونه ..
وقيل سمي السفر سفرا .. لأنه
يسفر عن أخلاق الرجال ..

باب احكامهم في السفر

قال الله عز وجل : « هو الذي يسيركم في البر والبحر . . . » الآية (١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا محمد بن الفرج الأزرق قال : حدثنا حجاج قال : قال ابن جريج : أخبرني أبو زبير : أن علياً الأزدي أخبره : أن ابن عمر أعلمهم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ، ثم قال :

سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين (٢) وإنا إلى ربنا لمنقلبون » (٣) ثم يقول : اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى (٤) ، اللهم هون علينا سفرنا .

اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل . . اللهم إني أعوذ بك من وعشاء (٥) السفر ، وكآبة المنقلب (٦) ، وسوء المنظر في المال والأهل ، وإذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : آيبون . . تائبون . . لربنا حامدون .

ولما كان رأى كثير من أهل هذه الطائفة اختيار « السفر » أفردنا لذكر « السفر » في هذه الرسالة باباً ؛ لكونه من أعظم شأنهم ؛ وهذه الطائفة مختلفون ؛ فمنهم من أثر الإقامة على السفر ، ولم يسافر إلا لفرض ، كحجة الإسلام ، والغالب عليهم الإقامة ، مثل : الجنيد ، وسهل بن عبد الله ، وأبي يزيد البسطامي ، وأبي حفص ، وغيرهم .

ومنهم من أثر السفر ، وكانوا على ذلك ، إلى أن أخرجوا من الدنيا ، مثل : أبي عبد الله المغربي ، وإبراهيم بن أدهم ، وغيرهم .

وكثير منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال شبابهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم ، مثل : أبي عثمان الحيري ، والشبلي ، وغيرهم ، ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم .

(١) آية ٢٢ من سورة يونس .

(٢) مطيعين

(٣) آية ١٤ من سورة الزخرف .

(٤) تداثته ومشافه .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٦) أي الحر والغم في العودة .

واعلم أن السفر على قسمين :

سفر بالبدن : وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة .

وسفر بالقلب : وهو الارتقاء من صفة إلى صفة ؛ فترى ألفاً يسافر بنفسه^(١) وقليل من يسافر بقلبه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله . يقول : كان بـ « فرخك » (قرية بظاهر « نيسابور ») شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، وله على هذا اللسان تصانيف ، سأله بعض الناس : هل سافرت أيها الشيخ ؟

فقال : سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا ، وسفر السماء ، بلى . سمعته ، رحمه الله ، يقول : جاءني بعض الفقراء يوماً ، وأنا بمرور ، فقال لي : قطعت إليك شقة بعيدة ، والمقصود لقاءك .

فقلت له : كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك .

وحكاياتهم في السفر تختلف على ما ذكرنا من أقسامهم وأحوالهم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن علي العلوي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أحنف الهمداني يقول : كنت في البادية وحدي ، فأعيت ، فرفعت يدي وقلت : يارب ، إني ضعيف زمن . وقد جئت إلى ضيافتك ، فوقع في قلبي أن يقال لي : من دعاك ؟ فقلت يا رب هي مملكة تحتل الطفيلي . . فإذا أنا بهاتف من ورائي . . فالتفت إليه فإذا أعرابي على راحلة ، فقال : يا أعجمي ، إلى أين ؟ . . قلت : إلى مكة ، قال : أودعاك ؟ قلت : لأدرى ، فقال : أليس قال : « من استطاع إليه سبيلاً »^(٢) ؟ فقلت : المملكة واسعة تحتل الطفيلي ، فقال : نعم الطفيلي أنت ، يمكنك أن تخدم الجمل ؟ قلت : نعم ، فنزل عن راحلته وأعطانيها ، وقال : سر عليها .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول ؟ سمعت الكناني يقول ؛ وقد قال له بعض الفقراء : أوصني ، فقال : اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ، وأن لا تموت إلا بين منزلين^(٣) .

(٢) من آية ٩٧ من سورة آل عمران ،

(١) أي ببدنه .

(٣) وفي نسخة « منزلين » أي المنزلة التي أنت فيها والمنزلة التي تطلبها ،

ويحكى عن الحصرى أنه كان يقول : جلسة خير من ألف حجة .

ولإنما أراد جلسة تجمع الهم^(١) على نعت الشهود^(٢).

ولعمري ، إنها أتم^(٣) من ألف حجة ، على وصف الغيبة عنه .

سمعت محمد بن أحمد الصوفي ، رحمه الله ، يقول : سمعت علي بن عبد الله الميمى يقول : حكى عن محمد بن إسماعيل الفرغانى أنه قال : كنا نساferظقدار عشرين سنة أنا وأبوبكر الزقاق ، والكتانى ، لانختلط بأحد ، ولا نعاشر أحداً ، فإذا قدمنا بلداً ؛ فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه ، وجالسناه إلى الليل . . ثم نرجع إلى مسجد ، فيصلى الكتانى من أول الليل إلى آخره ويختم القرآن ؛ ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ؛ وكنت أستلقى متفكراً ، ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر على وضوء العتمة^(٤) ، فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت عيسى القصار يقول : سئل رويم عن أدب السفر ، فقال : أن لا يجاوز همه قدمه ؛ وحيثما وقف قلبه يكون منزله .

وحكى عن مالك بن دينار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : اتخذ نعلين من حديد ، وعصاً من حديد ، ثم سح فى الأرض ، فاطلب الآثار والعبر ، حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا .

وقيل : كان أبو عبد الله المغربى يسافر أبداً ومعه أصحابه ، وكان يكون محرماً : فإذا تحال من إحرامه أحرم ثانياً ، ولم يتسخ له ثوب ، ولا طال له ظفر ولا شعر .

وكان يمشى معه أصحابه بالليل وراءه ، فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق ، يقول : يمينك يافلان ، يسارك يافلان ، وكان لا يمد يده إلى ما وصلت إليه يد الآدميين وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيقلع لأجله .

وقيل : كل صاحب تقوى له « قم » ، فيقول : إلى أين ؟ فليس بصاحب .

(١) أى الهم .

(٢) أى حضور القلب .

(٣) أى أفضل .

(٤) أى العشاء .

وفى معناه أنشدوا :

إذا استسجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم لأى مكان
وحكى عن أبى على الرباطى قال : صحبت عبد الله المروزى ، وكان يدخل
البادية قبل أن أصبح به بلا زاد ولا راحة . فلما صحبتته ، قال لى : أما أحب إليك ،
أن تكون أنت الأمير أم أنا ؟ فقلت : لا ، بل أنت ؛ فقال : وعليك الطاعة ؟
فقلت : نعم .

فأخذ مخلاة ، ووضع فيها زاداً ، وحملها على ظهره ، فاذا قلت : أعطنى
حتى أحملها .

قال : الأمير أنا وعليك الطاعة .

قال : فأخذنا المطر ليلة . . فوقف إلى الصباح على رأسى وعليه كساء يمنع
عنى المطر ، فكنت أقول فى نفسى : يا ليتنى مت ولم أقل له أنت الأمير .
ثم قال لى : إذا صحبت إنساناً فاصحبه كما رأيتنى صحبتك .

وقدم شاب على أبى على الروذبارى ، فلما أراد الخروج ، قال : يقول الشيخ
شيئاً ؛ فقال : يافى كانوا لا يجتمعون عن موعد ، ولا يتفرقون عن مشورة^(١) .
وعن المزين الكبير قال : كنت يوماً مع إبراهيم الخواص فى بعض أسفاره ،
فاذا عقرب تسعى على فخذه . فقمتم لأقتلها ، فنعنى وقال : دعها ، كل شىء
مفتقر إلينا . ولسنا مفتقرين إلى شىء .

وقال أبو عبد الله النصيبى : سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط خرقة على مرقعنى ،
ولا عدلت إلى موضع علمت أن لى فيه رفيقاً . ولا تركت أحداً يحمل معى شيئاً .
واعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات . ثم أرادوا أن
يضيفوا إليها شيئاً ، فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك ؛ رياضة لنفوسهم ، حتى^(٢)
أخرجوها عن المعلومات^(٣) ، وحملوها على مفارقة المعارف . كى يعيشوا مع الله
بلاعلاقة ولا واسطة ، فلم يتركوا شيئاً من أورادهم فى أسفارهم .

(١) أى لا يتعلقون بغير الله فى الاجتماع ولا فى الافراق .

(٢) وفى نسخة « حيين » .

(٣) أى المألوفات .

وقالوا : الرخص لمن كان سفره ضرورة ، ونحن لاشغل لنا ولا ضرورة في أسفارنا علينا .

سمعت أبا صادق بن حبيب قال : سمعت النصر اباذى يقول : ضعفت في البادية مرة ، فأيست من نفسي ، فوقع بصرى على القمر ، وكان ذلك بالنهار ، فرأيت مكتوباً عليه : « فسيكفيكمهم الله »^(١) فاستقلت^(٢) ، وفتح على من ذلك الوقت هذا الحديث .

وقال أبو يعقوب السوسى : يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره :

علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخلق يصونه .

وقيل : سمي السفر سفراً ؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال .

وكان الكتانى إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرة أخرى يأمر بهجرانه وإنما كان يفعل ذلك ؛ لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق .

وقيل : كان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئاً في السفر ، وكان لا يفارق « الإبرة » و « الركوة »^(٣) أما الأبرة فليخياطة ثوبه إن تمزق سترأ للعورة ، وأما الركوة فللطهارة ، وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوماً .

وحكى عن أبى عبد الله الرازى قال : خرجت من « طرسوس » حافياً ، وكان معى رفيق ، فدخلنا بعض قرى الشام ، فجاءنى فقير بحداء فامتنعت من قبوله ؛ فقال لى رفيقى : البس هذا ، فقد عييت ، فانه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى . فقلت : مالك ؟ فقال : نزعت نعلى^(٤) موافقة لك ، ورعاية لحق الصحبة .

وقيل : كان الخواص في سفره ومعه ثلاثة نفر ، فبلغوا مسجداً في بعض المفاوز وباتوا فيه ، ولم يكن عليه باب . . وكان برد شديد فناموا ، فلما أصبحوا رأوه واقفاً على الباب ، فقالوا : له في ذلك فقال : خشيت أن تجدوا البرد . وكان قد وقف طول ليلته .

وقيل : إن الكتانى استأذن أمه في الحج مرة فأذنت له ، فخرج ، فأصاب ثوبه البول في البادية ، فقال : إن هذا الخلل فى حالى ، فانصرف . . فلما دق باب داره

(٢) أى : قويت .

(٤) من هذا السفر .

(١) من آية ١٣٧ من سورة البقرة .

(٣) القرية .

أجابته أمه ، ففتحت . . فرآها جالسة خلف الباب . . فسألها عن سبب جلوسها فقالت : منذ خرجت اعتقدت^(١) أن لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول : سمعت إبراهيم بن المولود يقول : سمعت إبراهيم القصار يقول : سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء .

وقيل : زار رجل داود الطائى فقال : يا أبا سلمان ، كانت نفسى تنازعنى إلى لقائك منذ زمان ، فقال : لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلقى أيسر .

سمعت أبا نصر الصوفى ، وكان من أصحاب النصراباذى ، يقول : خرجت من البحر بـ « عمان » وقد أثر فى الجوع ، فكنت أمر فى السوق . . فبلغت حانوت حلاوى . . فرأيت فيه حملاً^(٢) مشوية ، وجلواء . . فتعلقت برجل وقلت : اشترى لى من هذه الأشياء .

فقال : لماذا ؟ ألك على شىء ، أو على دين ؟

فقلت : لا بد أن تشتري لى من هذا .

فرآنى رجل فقال : خله يا فتى (إن الذى يجب عليه أن يشتري لك ما تريد) أنا لاهو ، اقترح على ، واحكم بما تريد . ثم اشترى لى ما أردت ، ومضى .

وحكى عن أبى الحسين المصرى قال : اتفقت مع الشجرى فى^(٣) السفر من « طرابلس » . . فسرنا أياماً لم نأكل شيئاً ، فرأيت قرعاً مطروحاً . . فأخذت آكله ، فالتفت إلى الشيخ ولم يقل شيئاً ، فرميت به ، وعلمت أنه كره ذلك . . ثم فتح علينا بخمسة دنانير . . فدخلنا قرية ، فقلت : يشتري الشيخ (لنا شيئاً) لا محالة . فمر . . ولم يفعل . . ثم قال : لعلك تقول نمشى جوعاً ولم يشتري لنا شيئاً ، هو ذا . فوافى « اليهودية » (قرية على الطريق) ، وثم رجل صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا ، فادفعها إليه ؛ لينفقها علينا وعلى عياله .

(١) عزمت .

(٢) خرافاً .

(٣) أى على السفر .

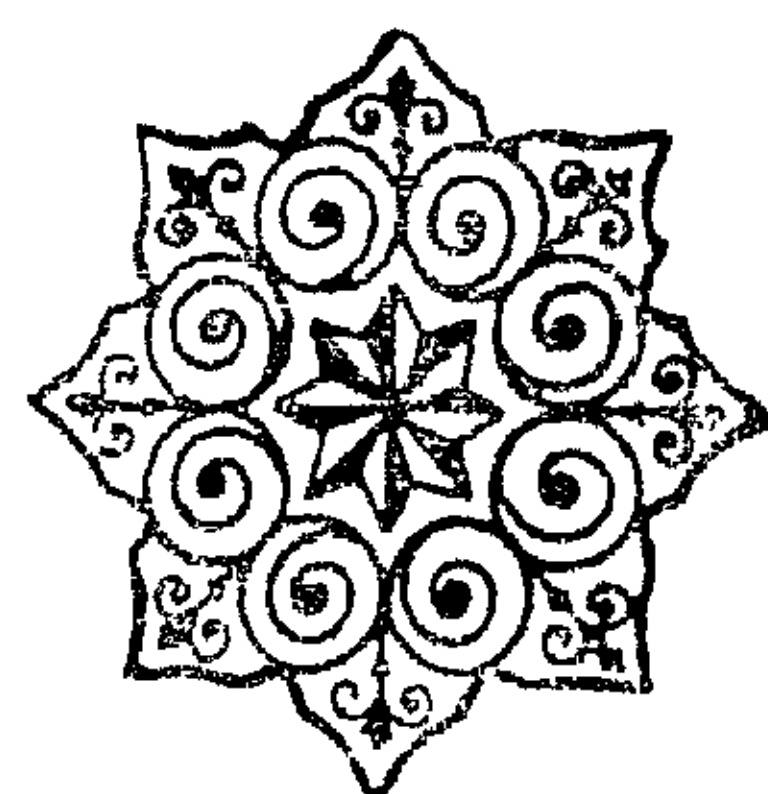
فوصلنا إليه ، ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها فلما خرجنا قال لي : إلى أين يا أبا الحسين ؟

فقلت : أسير معك . فقال : لا ، إنك تخونني في قرعة وتبجحني ، لا تفعل وأبى أن أصحبه .

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد الصغير يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : كنت في حال حداثة استقبلني بعض الفقراء .. فرأى في اثر الضر والجوع ، فأدخلني داره وقدم لي طعاماً طبخ بالكشك واللحم متغير . فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره . فلقمني لقمة ، فأكلتها بجهد .. ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقة .. فرأى ذلك ونحجل ، ونحجلت لأجله ، فخرجت وانزعجت^(١) في الحال للسفر .

فأرسلت إلى والدتي من يخبرها ويحمل إلى مرقعتي . فلم تعارضني الوالدة .. ورضيت بخروجي ، فارتحلت من « القادسية » مع جماعة من الفقراء .. فتهنا .. ونفذ ما كان معنا .. وأشرفنا على التلف ، فوصلنا إلى حي من أحياء العرب ، ولم نجد شيئاً ، فاضطررنا إلى أن اشترينا منهم كلباً بدنانير ، وشووه ، وأعطيني قطعة من لحمه .. فلما أردت أكله فكرت في سحالي ، فوقع لي أنه عقوبة نحجل ذلك الفقير . فتبت في نفسي .. فدلونا على الطريق .. ففضيت .. وحججت .. ثم رجعت معذراً إلى الفقير .

(١) أي تحركت .



الباب السادس والأربعون الصحة

قال الجريري :
ليس لعلم التوحيد الا لسان
التوحيد ***

باب الصحبة

قال الله عز وجل : « ثانی اثنين إذ هما فی الغار إذ یقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (١) .

لما أثبت الله سبحانه للصدیق الصحبة بین أنه أظهر علیه الشفقة ؛ فقال تعالى : « إذ یقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

فالحر شفیق علی من یصحبه .

أخبرنا علی بن أحمد الإهوازی ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد بن عیید البصری ، قال : حدثنا یحیی بن محمد البجانی قال : حدثنا عثمان بن عبد الله القرشی ، عن نعیم بن سالم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : « متى ألقى أحبابی ؟ فقال أصحابه : بأیئنا أنت وأمننا ، أو لسنا أحبابك ؟ فقال : أنتم أصحابی ، أحبابی : قوم لم یرونی ، وآمنوا بی ، وأنا إلیهم بالأشواق أكثر » (٢) .

والصحبة علی ثلاثة أقسام :

صحبة مع من فوقك : وهی فی الحقيقة خدمة ، وصحبة مع من دونك : وهی تقضى علی المتبوع بالشفقة والرحمة ، وعلى التابع بالوفاق والحرمة .

وصحبة الأكفاء والنظر : وهی مبنیة علی الإیثار والفتوة ؛ فمن صحب شیخاً فوقه فی الرتبة ، فأدبه ترك الاعتراض ، وحمل ما یبدو منه علی وجه جمیل ، وتلقى أحواله بالإیمان به .

سمعت منصور بن خلف المغربی وسأله بعض أصحابنا : كم سنة صحبت أبا عثمان المغربی ؟ فنظر إلیه شراً (٣) وقال : إنی لم أصحبه ، بل خدمته مدة . وأما إذا صحبتك من هو دونك ، فالخیانة فی حق صحبته أن لاتنهمه علی ما فیہ من نقصان فی حالته ؛ ولهذا كتب أبو الخیر التینانی إلی جعفر بن محمد بن نصیر : وزر جهل الفقراء علیکم ؛ لأنکم اشتغلتم بنفوسکم عن تأديبهم ، فبقوا جهلة .

.. وأما إذا صحبت من هو فی درجتك ، فسبیلك التعامی (٤) عن عیوبه ، وحمل

(١) آية ٤٠ من سورة النوبة .

(٢) أخرجه الترمذی فی صحیحه .

(٣) أى بمؤخر العین .

(٤) وی نسخة « التفاضی » .

ما ترى منه على وجه من الأول جميل . ما أمكنك ، فإن لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالهمة وإلى التزام اللانته .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان الداراني : إن فلاناً لا يقع من قلبي . فقال أبو سليمان : وليس يقع أيضاً من قلبي ، ولكن يا أحمد ، لعلنا أنينا من قبلنا ، لسنا من جملة الصالحين ، فليسنا نحبهم .

وقيل : صاحب رجل إبراهيم بن أدهم ، فلما أراد أن يمارقه قال له الرجل : إن رأيت في عيباً فنبهني عليه . فقال إبراهيم : إنني لم أربك عيباً ، لأن لاحظتك بعين الوداد ، فاستحسننت منك ما رأيت ، فسل غيري عن عيبك . وفي معناه أنشدوا :

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال : كنا لانصحب من يقول « نعلي »^(١) .
سمعت أبا حاتم الصوفي ، يقول : سمعت أبا نصر السراج ، يقول : قال أبو أحمد القلانسي ، وكان من أستاذي الجنيدي : صحبت أقواماً بـ « البصرة » فأكرموني . . فقلت مرة لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم^(٢) .
وسمعت أبا حاتم يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الدقي يقول : سمعت الزقاق يقول :

منذ أربعين سنة أصبح هؤلاء . فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض ، أو ممن يحبهم ، ومن لم يصحبه التقوى والورع في هذا الأمر أكل الحرام النص^(٣) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : قال رجل لسهل بن عبد الله : أريد أن أصحبك يا أبا محمد . فقال : إذا مات احدنا فمن يصحبه الباقي ؟

(١) فانه أضاف الشيء إلى نفسه ، فقال : « نعلي » والإضافة تؤذن بالملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وذلك غير مذهبهم .
(٢) لانهم كما قال الإمام العروسي . يرون أن الدنيا إنما هي زاد يستعان بها على سلوك طريق الآخرة فلا يليق بأحد منهم ، لكون أديهم متساوية فيما يحتاجونه أن يختص شيء دون بشئ فلا يقول : نعلي ولا إزارى ولا طعامي بل إذا سأل قال : أين . العل وأين الإزار وأين الطعام ، فإن خالطهم من بدعي ملكا لنفسه سقط من أعينهم لمخالصه ما هم عليه . (٣) أي الخالص .

فقال : الله . فقال له : فليصحبه الآن .

وصحب رجل رجلاً مائة ، ثم بدا لأحدهما المنار قد ، فاستأذن صاحبه ، فقال : بشرط ألا تصحب أحداً إلا إذا كان فوقنا ، وإن كان أيضاً فوقنا فلا تصحبه ، لأنك صحتنا أولاً . فقال الرجل : زال من قلبي إرادة المفارقة .

سمعت أبا حاتم الصوفي ، يقول : سمعت أبا نصر السراج ، يقول : سمعت الدقي يقول : سمعت الكناني يقول : صحبتني رجل ، وكان على قلبي ثقيلاً ، فوهبت له شيئاً ، ليزول ما في قلبي ، فلم يزل فحملته إلى بيتي ، وفلت له : ضع رجلك على خدي . فأبى ، فقلت : لا بد . ففعل ، واعتقدت^(١) أن لا يرفع رجله من خدي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده ، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده ، قلت له : ارفع رجلك الآن .

وكان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغيره ، وينفق على أصحابه .

وقيل : كان مع جماعة من أصحابه ، فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ، ويجتمعون بالليل في موضع وهم صيام^(٢) . فكان يبطن في الرجوع من العمل ، فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه ، حتى يعود بعد هذا أسرع ، فأفطروا ، وناموا ، فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً ، فقال : مساكن ، لعلهم لم يكن لهم طعام ، فعمد إلى شيء من الدقيق كان هناك ، فعجنه ، وأوقد على النار ، وطرح الملة^(٣) ، فانتبهوا ، وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له في ذلك ، فقال : قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً . . فنمتم . . فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت^(٤) .

فقال بعضهم لبعض : انظروا ما الذي عملنا ، وما الذي به بعاملنا .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم إذا صاحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء : أن تكون الخدمة والأذان له^(٥) ، وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدهم .

(١) أي عزمت .

(٢) الأولى أن يقال صوام .

(٣) الملة بفتح الميم . الرماد الحار .

(٤) أي نضج نخبزها .

(٥) وهذان هما الشرطان الأولان .

فقال له يوماً رجل من أصحابه : أنا لا أقدر على هذا ؟

فقال : أعجبني صدقك .

وقال يوسف بن الحسين : قلت لذي النون : مع من أصحب ؟

فقال : مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك .

وقال سهل بن عبد الله لرجل : إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسن العلوي يقول : حدثنا

عبد الرحمن بن حمدان قال : حدثنا أبو القاسم بن منبه قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار .

وحكى الجنيد قال : لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشيء . . فسألت أصحاب أبي حفص عن حاله ، فقالوا : هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم ، واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه ، ولا يرخص له أبو حفص أن يتكلم بحرف .

وقال ذو النون : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناسبة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

وقال رجل لذي النون : مع من أصحب ؟ فقال :

مع من إذا مرضت عادك ، وإذا أذنبت تاب عليك .

سمعت الأستاذ أبا علي . رحمه الله ، يقول : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبت به أحد يورق ولكنه لا يثمر ، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء .

وكان الأستاذ أبو علي ، يقول : أخذت هذا الطريق عن النصراباذي ، والنصراباذي عن الشبلي ، والشبلي عن الجنيد . والجنيد عن السري ، والسري عن معروف الكرخي ، ومعروف الكرخي عن داود الطائي ، وداود الطائي أتى التابعين .

وسمعه يقول : لم أختلف إلى مجلس النصراباذي قط إلا اغتسلت قبله .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : ولم أدخل أنا على الأستاذ أبي علي في وقت بدايتي إلا صائماً ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع

من الباب ؛ احتشاماً منه أن أدخل عليه ، فاذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر^(١) ، حتى لو غرز في إبرة - مثلاً - لعل كنت لأحس بها ، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لي لم أحتج أن أسأله بلساني عن المسألة^(٢) ، فكما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتي ، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً ، وكنت أفكر في نفسي كثيراً أنه لو بعث الله في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أن أزيد من حشمته على قلبي فوق ما كان منه ، رحمه الله ، فكان لا يتصور لي أن ذلك ممكن ، ولا أذكر أنني في طول اختلافي إلى مجلسه ، ثم كوني معه بعد حصول الوصلة ، أن جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط اعتراض ، إلى أن خرج رحمه الله من الدنيا .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني ، رحمه الله قال : أخبرنا محمد ابن أحمد العبدى ، قال : أخبرنا أبو عوانة ، قال : حدثنا يونس ، قال : حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص ، عن محمد بن النضر الحارثي ، قال : أوحى الله سبحانه ، إلى موسى عليه السلام :

كن يقظاناً . . مرتاداً^(٣) لنفسك أخداناً . وكل خدن لا يؤاتيك^(٤) على مسرة فاقصه^(٥) . ولا تصحبه ؛ فانه يقسى قلبك ، وهو لك عدو ، وأكثر من ذكرى تستوجب على شكرى والمزيد من فضلى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله ابن المعلم يقول : سمعت أبا بكر الطمستاني يقول :

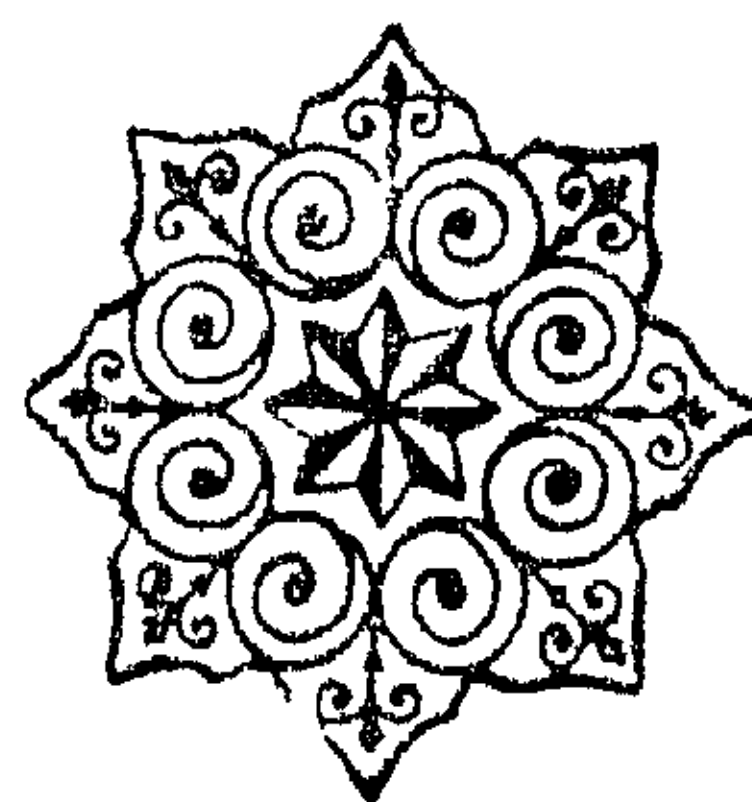
أصبحوا مع الله ، فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ، لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عز وجل .

(١) أى : الواقعة .

(٢) طالياً .

(٣) يوافقك ويطيعك .

(٤) فأبعده وفي نسخة فأقصه .



الباب السابع والأربعون التوحيد

قال الجنيد :

إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيدية
•• تناهت إلى الحيرة ••

باب التوحيد

قال الله عز وجل : وإلهكم إله واحد^(١).

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رضى الله عنه ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن محمود بن خرزاذ قال : حدثنا مسيح بن حاتم العكلي قال : حدثنا الحجاجي عبد الله بن عبد الوهاب قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن سعيد بن سعد ابن حاتم العتكي ، عن ابن أبي صدقة : عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد ، فقتل لأهله : إذا مت فاحرقوني ، ثم اسحقوني ، ثم ذروا نصفي في البر ونصفي في البحر في يوم ريح . ففعلوا . فقال الله عز وجل للريح : أدى ما أخذت ، فاذا هو بين يديه ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : استحياء منك ، فغفر له . . . »

للتوحيد : هو الحكم بأن الله^(٢) واحد ، والعلم بأن الشيء واحد أيضاً توحيد ، ويقال^(٣) : وحدته : إذا وصفته بالوحدانية ، كما يقال : شجعت فلانا إذا نسبته إلى الشجاعة ، يقال في اللغة : وحد يحد فهو واحد ووحد ، ووحد : كما يقال : فرد فهو فارد ، وفرد ، وفريد .

وأصل أحد « وحد » فقلبت الواو همزة ، والواو المفتوحة قد تقلب همزة ، كما تقلب المكسورة والمضمومة ، ومنه امرأة أسماء ، بمعنى وساء ، من الوسامة ، ومعنى كونه ، سبحانه ، واحداً على لسان العلم ، قيل : هو الذي لا يصح في وصفه الوضع والرفع ، بخلاف قولك : إنسان واحد ، لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل ، فيصح رفع شيء منه ، والحق ، سبحانه ، أحدي الذات ، بخلاف الاسم الجملة^(٤) الحاملة .

وقال بعض أهل التحقيق في معنى أنه واحد : نفي التقسيم لذاته ، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته ، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته .

(١) آية ١٦٣ من سورة البقرة .

(٢) وفي بعض النسخ « الشيء » .

(٣) أي في اللغة .

(٤) قال الإمام العروسي : أي الاسم الموصوع للدلالة على جملة مركبة من حيوانية وناطقنة وحاملة لأجزاء تركبت منها الشخصية التي هي تحت النوعية .

والتوحيد ثلاثة :

توحيد الحق للحق ، وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد .
والثاني : توحيد الحق سبحانه لخالقه وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد ،
وخالقه توحيد العبد .

والثالث . توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن الله عز وجل ،
واحد ، وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد .
فهذه جملة في معنى التوحيد على شرط (١) الإيجاز والتحديد .

واختلفت عبارات الشيوخ عن (٢) معنى التوحيد : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن
السامي رحمه الله يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت يوسف
ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول : وقد سئل عن التوحيد ، فقال :
أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلامزاج (٣) ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة
كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، ومهما تصور في نفسك شيء فالله بخلافه .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول : سمعت أحمد بن
عطاء يقول : سمعت عبد الله بن صالح يقول : قال الجريري : ليس لعلم التوحيد إلا
لسان التوحيد .

وسئل الجنيد عن التوحيد . فقال : أفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال (٤)
أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، بنى (٥) الأضداد والأنداد والأشباه بالاتشبيه
ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل :

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٦) .

وقال الجنيد : إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول : سمعت
جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول ذلك . وسئل الجنيد عن التوحيد ،
فقال :

(٢) وفي نسخة « في » .
(٤) أي مع كمال .
(٦) آية ١١ من سورة الشورى .

(١) أي طريقة .
(٣) طماع .
(٥) أي مع نفي .

معنى تضمحل فيه الرسوم ، وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل (١)

وقال الحصري : أصولنا في التوحيد خمسة أشياء :

رفع الحدث (٢) ، وإفراد القدم (٣) ، وهجر الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وجهل (٤) .

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول : كنت (٥) في صحن « الجامع » ببغداد (يعني جامع المنصور) والحصري يتكلم في التوحيد ، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ، فقال أحدهما لصاحبه : الذي يقول هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيره ، يعني (٦) كنت بين اليقظة والنوم .

وقال فارس : التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام ، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر بن شاذان يقول : سمعت الشبلي يقول : التوحيد : صفة الموحّد حقيقة وحلية الموحّد رسماً .^٤

وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال : أن يكون العبد شبحاً (٧) بين يدي الله سبحانه ، تجري عليه تصارييف تدبيره في مجارى أحكام قدرته ، في لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته ، في حقيقة قرب به بذهاب حسه وحركته . لقيام الحق سبحانه له فيما

(١) قال الشيخ ركباً « أى هو معنى نخله الله في قلب الموحّد العارف به ويغلب على فاه حتى لا يرى غيره تعالى كما كان في الأزل » .

(٢) أى الإعراض عن غير الله .

(٣) أى كمال الاشتغال بالله .

(٤) المراد بالجهل الإعراض عن المعلوم .

(٥) أى بين اليقظة والنوم .

(٦) أى بقوله « كنت » .

(٧) أى شخصاً ملئ .

أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله . فيكرن كما كان قبل أن يكون^(١) .

وسئل البوشنجي عن التوحيد فقال : غير مشبه الذوات ولا منفي الصفات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا الحسين الغنري يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول ، وقد سئل عن ذات الله ، عز وجل ، فقال : ذات الله تعالى موصوفة بالعلم . غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون في العقبي ظاهراً في ملكه وقدرته ، قله حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته . فالقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال الجنيد : أشرف كلمة في التوحيد : ما قاله أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه :

سبحان من لم يجعل لخالقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

قال الأستاذ أبو القاسم : ليس يريد الصديق رضي الله عنه ، أنه لا يعرف ؛ لأن عند المحققين : العجز عجز عن الوجود ، دون المعدوم ، كالمقعد عاجز عن قعوده إذ ليس بكسب له ولا فعل ، والقعود موجود فيه ، كذلك العارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه : لأنها ضرورية .

وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه في الانتهاء ضرورية .

فالمعرفة الكسبية في الابتداء ، وإن كانت معرفة على التحقيق ، فلم يعد لها الصديق رضي الله عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية . كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عايه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن سعيد البصري بالكوفة يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال الجنيد : التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو :

(١) والمراد ، كما قال الإمام الأنصاري ، أن حق العبد أن يكون راصياً بما يجزيه الله عليه مما يرضاه له وتشهد بصحته الشريعة ، وربه - حيثئذ - لكمال حمدته ومحبه له لا يجرى عليه إلا ما ينفعه .

إفراد القدم عن الحدث^(١) والخروج عن الأوطان ، وقطع المحاب^(٢) وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق . سبحانه ، مكان الجمع .

وقال يوسف بن الحسين : من وقع في بحار التوحيد لايزداد على عمر الأوقات إلا عطشاً :

وقال الجنيد : علم التوحيد مبين لوجوده ، ووجوده مفارق^(٣) لعلمه .

وقال الجنيد أيضاً : علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون في حواشيه . .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد الأصماني يقول : وقف رجل على الحسين بن منصور ، فقال : من الحق الذي يشيرون إليه ؟ فقال : مع الأنام ولا يعتل^(٤) .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشبلي يقول : من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة^(٥) لثقل ما حمله .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل الشبلي ؛ فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرد^(٦) . ولسان حق مفرد .

فقال : ويحك . . من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار^(٧) إليه فهو ثنوي^(٨) ، ومن أو ما إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه^(٩) فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم ، محدث مصنوع مثلكم .

(١) أي الحدث .

(٢) أي شبهوات النفوس .

(٣) مبين .

(٤) أي الذي وجوده علته كل موجود ولا علة لوجوده .

(٥) حالص .

(٥) وفي نسخة « نفسه » .

(٧) أي أحاب بالإشارة .

(٨) ثنوي : نسبه إلى « أنبن » أي فهو مدرك نفسه وربه فلم يكمل استعراقه ، فلم يكمل توحيده .

(٩) أي في الجواب .

وقال يوسف بن الحسين : توحيد الخاصة أن يكون بسرّه ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي الله تعالى يجرى عليه تصارييف تدبيره وأحكام قدرته في بحار توحيده^(١) بالغناء عن نفسه وذهاب حسه ، بقيام الحق سبحانه له في مراده منه ، فيكون كما هو قبل أن يكون في جريان حكمه سبحانه عليه .

وقيل : التوحيد للحق^(٢) سبحانه ، والخلق^(٣) طفيلي .

وقيل : التوحيد : إسقاط الیاءات ؛ لاتقول لی وبی ومعنی وإلى .

وقيل : لأبي بكر الطمستاني : ما التوحيد ؟ فقال ، توحيد ، وموحد ، وموحد ، هذه ثلاثة .

قال رويم : التوحيد هو آثار البشرية وتجرد الألوهية .

سمعت أبا علي الدقاق يقول في آخر عمره ، وكان قد اشتدت به العلة ، فقال : من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم . ثم قال : كالمفسر لقوله مشراً إلى ما كان من حاله ، هو : أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد .

وقال الشبلي : ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد .

وقال أبو سعيد الخراز : أول مقام لمن وجد علم التوحيد ، وتحقق بذلك ، فناء ذكر الأشياء عن قلبه ، وانفراده بالله عز وجل .

وقال الشبلي لرجل : أتدرى لم لا يصح توحيدك ؟

فقال : لا . . فقال : لأنك تطلبه بك .

وقال ابن عطاء : علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وهو أن يكون القائم به واحداً .

ويقال من الناس من يكون مكاشفاً بالأفعال ، يرى الحادثات بالله تعالى ، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه ، فهو يشاهد الجمع سرّاً بسر ، وظاهره يوصف بالفرقة .

(١) أي مع الغناء .

(٢) أي صفة قديمه له .

(٣) أي والتوحيد في الخلق طفيلياً أي حادث كائن بعد أن لم يكن .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت علي بن محمد القزويني يقول :
سمعت القنفذ يقول : سئل الجنيد عن التوحيد ، فقال سمعت قائلاً يقول :

وغنى لي من قلبي

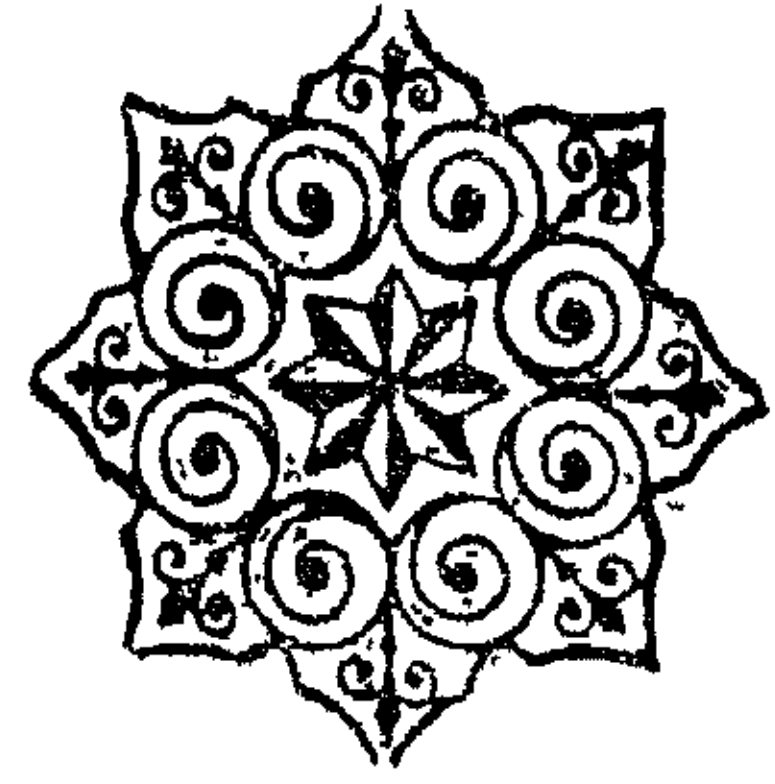
وغنيت كما غني

وكنّا حينما كانوا

وكانوا حينما كنا

فقال السائل : أهلك القرآن والأخبار ؟ . .

فقال : لا ، ولكن الموحّد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره



الباب الثامن والأربعون أحوالهم عند الخروج من الدنيا

« .. أما علمت أن الأحياء أحياء وإن
ماتوا .. وإنما ينتقلون من دار
إلى دار .. »

باب احوالهم عند الخروج من الدنيا

قال الله تعالى : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين »^(١) .
 يعنى : طيبة نفوسهم ، بانفسهم مهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم .
 أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصماني قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد
 ابن عقبة الشيباني بالكوفة قال : حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال : حدثنا أبو هدية ،
 عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت ، وإن مفاصله ليسلم بعضها
 على بعض ؛ تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة » .
 أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا أبو العباس الأصم قال :
 حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال : حدثنا سوار قال : حدثنا جعفر . عن ثابت ،
 عن أنس :

« أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت ، فقال كيف
 تجدك ؟ فقال : أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 شيئا لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه
 مما يخاف » .

واعلم أن أحوالهم في حال النزاع مختلفة ؛ فبعضهم الغالب عليه الهيبة ، وبعضهم
 الغالب عليه الرجاء ، ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون ،
 وجميل الثقة .

حكى أبو محمد الجريري قال : كنت عند الجنيد في حال نزعه ، وكان يوم
 الجمعة ، ويوم نيروز . وهو يقرأ القرآن ، فختمه . فقلت : في هذه الحالة
 يا أبا القاسم ؟

فقال : ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : بلغني عن
 أبي محمد الهروي أنه قال : مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها فكان يقول طول
 ليلته هذين البيتين :

(١) آية ٣٢ من سورة النحل .

كل بيت^(١) أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
وحكى عن عبد الله بن منازل أنه قال : إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه
أن لا يتركوه في حال الموت بين النسوان .

وقيل لبشر الحافى ، وقد احتضر : كأنك يا أبا نصر تحب الحياة ؟
فقال : القلوم على الله ، عز وجل ، شديد .
وقيل : كان سفيان الثوري إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر : أتأمر بشغل . .
يقول : إن وجدت الموت فاشتره لى .

فأما قربت وفاته كان يقول : كنا نتمناه . . فإذا هو شديد . .
وقيل : لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟
فقال : أقدم على سيد لم أره .

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته : وأحزننا . .
فقال : بل واطرباه . . غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه .
وقيل : فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك . وقال : لمثل هذا
فليعمل العاملون .

وقيل : كان مكحول الشامي الغالب عليه الحزن ، فدخلوا عليه في مرض موته
وهو يضحك ، فقيل له في ذلك ، فقال : ولم لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت
أحذره ، وسرعة القلوم على ما^(٢) كنت أرجوه وآمله .

وقال رويم : حضرت وفاة أبي سعيد الخراز ، وهو يقول في آخر نفسه :
حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس الجنايا عليهم
فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جواله بمعسكر
به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بجبه
وأرواحهم في الحجب نحو العلاتسرى

(١) يريد به قلب المؤمن .

(٢) وفي نسخة « من » .

فما عرسوا^(١) - إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر
وقيل للجنيد : إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت . فقال : لم
يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقاً .

وقال بعضهم وقد قربت وفاته : يا غلام اشدد كتافى وعفر خدى ، ثم قال :
دنا الرحيل ولا براءة لى من ذنب ، ولا عذر أعذر به ، ولا قوة أنتصر بها ..
أنت لى ، أنت لى ..

ثم صاح صيحة ومات ، فسمعوا صوتاً^(٢) : استكان العبد لمولاه ، فقبلاه .
وقيل لذى النون المصرى عند موته : ما تشهى ؟ قال أن أعرفه قبل موتى
بلحظة .

وقيل لبعضهم وهو فى النزع : قل الله ، فقال : إلى متى تقولون : قل الله ،
وأنا محترق بالله ؟ ..

وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى ، فقدم فقير وقال السلام عليكم ،
فردوا عليه السلام ، فقال : هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟
فأشاروا عليه بمكان ، وكان ثم عين ماء .. فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله
تعالى ، ومضى إلى المكان الذى أشاروا إليه .. ومد رجليه ، ومات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : كان أبو العباس الدينورى يتكلم
يوماً فى مجلسه .. فصاحت امرأة تراجداً ، فقال لها : موتى ... فقامت المرأة
فلما بلغت باب الدار التفت إليه وقالت : قدمت . ووقعت ميتة .

وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته ، فقيل له : كيف تجد
العلة ؟ .

فقال سلوا العلة عنى كيف تجدنى ، فقيل له . قل لا إله إلا الله . فحول وجهه
إلى الجدار وقال : أفنيت كلى بكلك هذا جزاء من يحبك .

وقيل لأبى محمد الديلى ، وقد حضرته الوفاة ، قل : لا إله إلا الله .
فقال هذا شىء قد عرفناه ، وبه نفنى ، ثم أنشأ يقول :

(١) أى نزلوا فى سفرهم .

(٢) لقائل يقول .

تسربل ثوب النية لما هويته وصد ولم يرض بأن أك عبده
وقيل للشبلي عند وفاته : قل لا إله إلا الله . فقال :
قال سلطان حبه أنا لا أقبل الرشا
فسسلوه بحقه (١) لم يقتل تحرشا

سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول :
سمعت أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض الفقراء يقول : لما مات (٢) يحيى
الاصطخري جلسنا حوله ، فقال له رجل منا : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فجلس
مستويًا . . ثم أخذ بيد واحد منا ، وقال له : قل أشهد أن لا إله إلا الله . . ثم أخذ
بيد آخر . . حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ، ثم مات .

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري ، أنها قالت : لما قرب أجل أخي
أبي علي للروذباري ، وكان رأسه في حجرى ، فتح عينيه ، وقال : هذه أبواب
السماء قد فتحت . . وهذه الجنان قد زينت ، وهذا قائل يقول لى : يا أبا علي قد
بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها . . ثم أنشأ يقول :

وحقك لانظرت إلى سواكا بعين مسودة حتى أراكا

أراك معذبى بفتور لحظ وبالحد المورد من جنكا

ثم قال : يافاطمة ، الأول (٣) ظاهر ، والثاني فيه إشكال (٤) .

سمعت بعض الفقراء يقول : لما قربت وفاة أحمد بن نصر ، رحمه الله تعالى ،
قال له واحد : قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه وقال له : لا ترك الحرمة (٥)
(بالفارسية « بى حرمتى مكن ») .

وقال بعضهم : رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً . . والذباب على وجهه ، فجلست
أذب الذباب عن وجهه . . ففتح عينيه ، وقال : من هذا ؟ أنا منذ كذا سنة فى طلب
وقت يصفو لى فلم يتفق إلا الآن . . جئت أنت توقع نفسك فيه ، مر ، عافاك الله .

(١) وفى نسخة « فديته » .

(٢) أى أشرف على الموت .

(٣) من البيت .

(٤) أى على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راحع إلى ربه .

(٥) أى الاحترام .

وقال : أبو عمران الأصطخري : رأيت أبا تراب في البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيء .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : كان سبب وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت .

لازلت أنزل في ودادك منزلاً تتحير الألباب عند نزوله فتواجد النودي وهام في الصحراء فوق في أجمة قصب قد قطعت وبقى أصولها مثل السيوف ، فكان يمشي عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه . ثم وقع مثل السكران ، فتورمت قدماه . ومات .

وحكى أنه قيل له عند النزاع : قل لا إله إلا الله ، فقال أليس إليه أعود . وقيل : مرض إبراهيم الخواص في المسجد الجامع : « بالرى » وكانت به علة للإسهال ، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء . . ويتوضأ . فدخل الماء مرة فخرجت روحه .

سمعت منصوراً المغربي يقول : دخل عليه (١) يوسف بن الحسين عائداً له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ، ولم يتعهده ، فلما رآه ، قال للخواص : أتشتي شيئاً ؟

قال : نعم . قطعة كبدا مشوى .

قال الأستاذ أبو القاسم : لعل الإشارة فيه أنه أراد : أشتي قلباً يرقى لفقر ، وكبدا تشتوى وتحترق لغريب ؛ لأنه كالمستجنى ليوسف بن الحسين ؛ حيث لم يتعهده .

وقيل : كان سبب موت بن عطاء أنه أدخل مرة على الوزير ، فكلمه الوزير بكلام غليظ .

فقال له ابن عطاء : اهدأ يا رجل . . فأمر . فضرب بخفه على رأسه فمات منه (٢) .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول : سمعت أبا بكر الدقي يقول : كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة ، فقال :

(٢) وفي نسخة « حتى مات » .

(١) أي على الخواص في مرسته .

إلهي ، كم تبقيني هاهنا ؟ ! فما بلغ الغداة الأولى حتى مات
وحكى عن أبي علي الروذباري أنه قال : رأيت في البادية حدثاً ، فلما رأيته
قال : أما يكفيه أن شغفني إبحبه حتى علي ، ثم رأيته يجود بروحه ، فقلت له :
قل لا إله إلا الله ، فأنشأ يقول :

أيا من ليس لي عنه وإن عذبي بد
ويا من نال من قلبي منالا ما له حد
وقيل للجنيد : قل لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيته فأذكره . . وقال :
حاضر في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتلدي ونصيبي منه أوفره

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التيمي
يقول : سألت جعفر بن نصير بكران الدينوري ، وكان يخدم الشبلي ، ما الذي
رأيت منه ؟ فقال : قال لي علي درهم مظلمة ، وقد تصدقت عن صاحبه بألوف ،
فما علي قلبي شغل أعظم منه ، ثم قال : وضئني للصلاة ، ففعلت ، فنسيت تجليل
لحيته ، وقد أمسك علي لسانه ، فقبض علي يدي وأدخلها في لحيته ، ثم مات ،
فبكى جعفر وقال : ما تقولون في رجل لم يفته حتى في آخر عمره أدب من آداب
الشريعة .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصهباني يقول : سمعت أبا الحسن بن عبد الله
الطرسوسي يقول : سمعت علوشاً الدينوري يقول : سمعت المزين الكبير يقول :
كنت بمكة - حرسها الله تعالى - فوقع ابني انزعاج . فخرجت أريد المدينة . فلما
وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح ، فعدلت إليه وهو ينزع ؛ فقلت له :
قل لا إله إلا الله . . ففتح عينيه ؛ وأنشأ يقول :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي وبداء الهوى تموت الكرام
فشهق شهقة ، ثم مات ، فغسلته ، وكفنته ، وصليت عليه ، فلما فرغت من
دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر ، فرجعت إلى مكة .

وقيل لبعضهم : أتحب الموت ؟ فقال : اللقودم علي من يرجى خيره وخير من
البقاء مع من لا يؤمن شره .

وحكى عن الجنيد أنه قال : كنت عند أستاذي ابن الكرنبي ، وهو يجود بنفسه ، فنظرت إلى السماء (١) فقال : بعد ، ثم نظرت إلى الأرض فقال : بعد ، يعنى : أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض ، بل هو وراء المكان (٢) .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر الطوسي يقول : سمعت بعض أصحابنا يقول : قال أبو يزيد عند موته : ما ذكرتك إلا عن غفلة ، ولا قبضتني إلا على فرة .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت هممة عبد طمعت في أن تراكا
فشهق شهقة ومات .

وقيل : دخل جماعة على « ممشاد الدينوري » في مرض موته ، فقالوا : ما فعل الله بك وما صنع ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي ، وقالوا له عند النزاع : كيف تجد قلبك ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التيمي يقول : قال الوجيبي : كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شيء ، فهمام على وجهه ، فلاحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل ، ففتح عينيه وقال : ارتع (٣) ، فهذا مرتع الأحباب . وخرجت روحه .

وقال أبو يعقوب الهرجوري : كنت بمكة ، فبجاءني فقير معه دينار ، فقال : إذا كان غداً فأنا أموت ، فأصلح لي بنصف هذا قبراً ، والنصف الثاني لجهازي . فقلت في نفسي : ذوخل الشاب (٤) ؛ فانه قد أصابته فاقة الحجاز ، فلما كان الغد جاء ؛ ودخل الطواف ، ثم مضى وامتد على الأرض ، فقلت : هو ذا يمتوت ، فذهبت إليه ، فحركته فإذا هو ميت . فدفنته كما أمر .

(١) أي داعياً له .

(٢) أي قبل المكان .

(٣) أي تحولط في عقله .

(٤) أي ناعم وثللذ .

وقيل : لما تغيرت الحال على أبي عثمان الحرى مزق ابنه أبوبكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينيه وقال : يا بني . إن خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن .
وقيل : دخل ابن عطاء على الجنيد . وهو يجود بنفسه ؛ فسلم . فأبطأ في الجواب ، ثم رد ، وقال : اعذرني ، فلقد كنت في وردى ، ثم مات .
وحكى أبو علي الروذباري قال : قدم علينا فقير ، فمات ، فدفتته وكشفت^(١) عن وجهه لأضعه في التراب ليرجم الله عز وجل غربته . ففتح عينيه وقال : يا أبا علي ، أتدلني^(٢) بين يدي من دلني ؟ . فقلت : يا سيدي أحياء بعد موت ؟ فقال لي : بلى أنا حي ، وكل محب لله ، عز وجل ، حتى لأنصرك غداً بجاهي يا روذباري .
ويحكي عن ابن سهل الأصفهاني أنه قال : أترون أني أموت كما يموت الناس ، مرض وعيادة ، وإنما أدعى ، فيقال : يا علي ، فأجيب .
فكان يمشي يوماً ، فقال : « لبيك » . ومات .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال : لما مرض أبو يعقوب الهرجوري مرض وفاته ، قلت له ، وهو في الترع : قل لا إله إلا الله ، فتبسم إلى وقال : إياي تعني ؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة . وانطفأ من ساعته . فكان المزين يأخذ بلحيته^(٣) ويقول : حجام مثلي يلقي أولياء الله الشهادة ، واخجلتاه منه . . . وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية .

وقال أبو الحسن المالكي : كنت أصحب خيراً النساج سنين كثيرة ، فقال لي قبل موته بثمانية أيام : أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب ، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة ، وستنسى هذا ، فلا تنس .

قال أبو الحسين : فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته ، فخرجت لأحضر جنازته ، فوجدت الناس راجعين يقولون : يدفن بعد الصلاة .

فلم أنصرف ، وحضرت ، فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال ، فسألت من حضر وفاته ، فقال : إنه غشي عليه ، ثم أفاق ، ثم التفت إلى ناحية البيت وقال :

(١) بلحية نفسه

(٢) أنكرني .

(٣) في القبر .

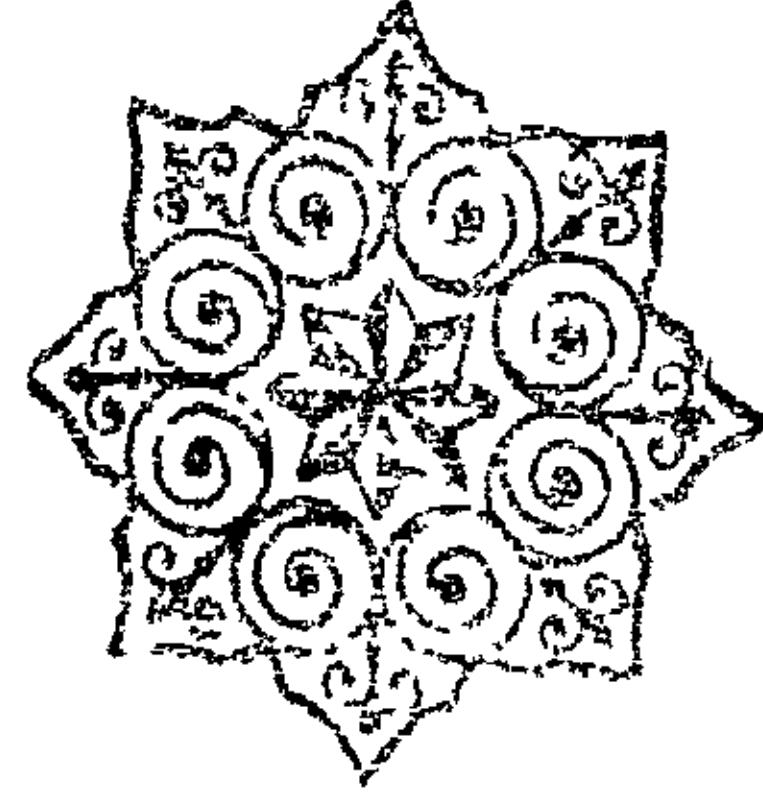
قف عافاك الله ، فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ، الذي أمرت به لا يفوتك ، والذي أمرت به يفوتني ؛ فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى ، ثم تمدد ، وغمض عينيه ، فرؤى في المنام بعد موته ، فقيل له : كيف حالك ؟ فقال : لا تسيل ، ولكني تخلصت من دنياكم الوضرة .

وذكر أبو الحسن الحمصي^(١) « مصنف كتاب بهجة الأسرار » أنه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته ، وكان في البلد يهودى نيف على السبعين ، فسمع الضجة ، فخرج لينظر ما كان ، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال : أترون ما أرى ؟ فقالوا : لا ، ما ذا ترى ؟ فقال أرى أقواماً ينزلون من السماء يتمسحون^١ بالجنازة ، ثم إنه تشهد ، وأسلم ، وحسن إسلامه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر بن قيس - بمصر - يقول : سمعت أبا سعيد الخزاز يقول : كنت بمكة فجزت يوماً بباب « بنى شيبه » فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً ، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي : يا أبا سعيد ، أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا ، وإنما ينقلون من دار إلى دار .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريري يقول : بلغني أنه قيل لذي النون المصرى عند النزاع : أوصنا . فقال : لا تشغلوني فاني متعجب من محاسن لطفه .

وسمعه يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت أبا عثمان الحيرى يقول : سئل أبو حفص في حال وفاته : ما الذى تعظنا به ؟ فقال : لست أقوى على القول ، ثم رأى من نفسه قوة ، فقلت له : قل حتى أحكى عنك . فقال : موعظتى : الانكسار بكل القلب على التقصير .



الباب التاسع والأربعون المعرفة بالله

« ان دعامة البيت أساسه .. ودعامة
الدين المعرفة بالله تعالى .. »

باب المعرفة بالله

قال الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره »^(١) . جاء في التفسير : وما عرفوا الله حق معرفته .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل ، قال : حدثنا محمد بن القاسم العتكي ، قال : حدثني محمد بن أشرس ، قال : حدثنا سليمان بن عيسى الشجري عن عباد بن كثير ، عن حنظلة بن أبي سفيان ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن دعامة البيت أساسه ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى ، واليقين والعقل القامع فقلت : بأبي أنت وأمي ما العقل القامع ؟ قال للكف عن معاصي الله ، والحرص على طاعة الله » .

قال الأستاذ : المعرفة على لسان العلماء هو : العلم ؛ فكل علم معرفة ؛ وكل معرفة علم ؛ وكل عالم بالله عارف ؛ وكل عارف عالم ، وعند هؤلاء القوم المعرفة : صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ؛ ثم صدق الله تعالى في معاملاته ؛ ثم تنقّى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ؛ ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله ؛ وانقطع عنه هواجس نفسه ؛ ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعو به إلى غيره ؛ فاذا صار من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه برياً ؛ ومن المساكنات والملاحظات نقياً ؛ ودام في السر مع الله تعالى مناجاته ، وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثاً^(٢) من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك « عارفاً » وتسمى حالته « معرفة » .

وبالجملة فبمقدار أجنيته عن نفسه تحصل معرفته بربه .

وقد تكلم المشايخ في المعرفة ، فكل نطق بما وقع له ؛ وأشار إلى ما وجدته في وقته .

(١) آية ٩١ من سورة الأنعام .

(٢) أى ملهماً .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله يقول : من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله ، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته .

وسمعته يقول : المعرفة توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول : سمعت الشبلى يقول : ليس لعارف علاقة^(١) ، ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لأحد من الله فرار .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول : سمعت الشبلى يقول ، وقد سئل عن المعرفة ، فقال : أولها الله تعالى ، وآخرها مالا نهاية له .

وسمعته يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا العباس الدينورى يقول : قال أبو حفص :

مذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل .

قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا الذى أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال ، وأجل ما يحتمله : أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه ، لإستيلاء ذكر الحق ؛ سبحانه ، عليه ، فلا يشهد غير الله ، عز وجل ، ولا يرجع إلى غيره إلى غيره ، فكما أن العقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر ، أو يستقبله من حال ؛ فالعارف رجوعه إلى ربه . فاذا لم يكن مشغولاً إلا بربه لم يكن راجعاً إلى قلبه . وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له . وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل .

وسئل أبو يزيد عن المعرفة ، فقال :

« إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة »^(٢) .

قال الأستاذ : هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص .

وقال أبو يزيد : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ؛ لأنه محيى رسومه^(٣) وفنيت هويته بهوية غيره^(٤) . وغيب آثاره بآثار غيره .

(٣) آية ٣٤ من سورة النمل .

(٤) أى وجوده في وجود الله .

(١) أى . حظ .

(٢) آثاره .

وقال الواسطي : لاتصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه .

قال الأستاذ : أراد الواسطي بهذا : أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه ؛ لأنهما من صفاته ، والعارف محو في معرفته (١) ؛ فكيف يصح له ذلك ، وهو لاستهلاكه في وجوده ، أولا استغراقه في شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف (٢) عن إحساسه بكل وصف هو له .

ولهذا قال الواسطي أيضاً : من عرف الله تعالى انتطح ، بل خرس وانقمع .

قال صلى الله عليه وسلم :

« لا أحصى ثناءً عليّ » .

هذه صفات الذين بعد مرماهم ، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا .

اخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي

قال : حدثنا عياش بن حمزة قال : سمعت أحمد بن أبي الخوارى قال : سمعت

أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول : من كان بالله أعرف كان له أخوف .

وقال بعضهم : من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء ، وضائق عليه الدنيا بسعتها ،

وقيل : من عرف الله صفاته العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل شيء ،

وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله تعالى .

وقيل : من عرف الله ذهب عنه رغبة الأشياء ، وكان بلا فصل ولا وصل .

وقيل : المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب الرضا

والتسليم .

وقال رويم : المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تعجلى له مولاه .

وفال ذو النون المصري : ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة فسبقت

روح نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال .

وقال ذو النون المصري : معاشرة للعارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويعلم

عنك ، تخلقاً بأخلاق الله .

(١) وهو الله .

(٢) مغيب .

وسئل بن يزدانيار : متى يشهد العارف الحق سبحانه ؟ فقال : إذا بدا الشاهد وفنى الشواهد^(١) وذهب الحواس واضمحلت الإخلاص .

وقال الحسين بن منصور : إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى^(٢) الله إليه بخواطره ، وحرس سره أن يسنح فيه غير خاطر الحق .

وقال : علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة .

وقال سهل بن عبد الله : المعرفة غايتها شيثان الدهش ، والحيرة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون المصري يقول : أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيراً فيه .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا عمر الأنطاكي يقول : قال رجل للجنيد : من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات^(٣) من باب البر والتقوى .

فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال ، وهو عندي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحس حالا من الذي يقول هذا ، فان العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة .

وقيل لأبي يزيد : بماذا وجدت^(٤) هذه المعرفة ؟

فقال : ببطن جائع وبدن عار .

وقال أبو يعقوب النهرجوري : قلت لأبي يعقوب السوسى هل يتأسف العارف على شيء غير الله عز وجل ؟ فقال : وهل يرى غيره فيتأسف عليه ؟ .

قلت : فبأى عين ينظر إلى الأشياء ؟ فقال : بعين الفناء والزوال .

وقال أبو يزيد : العارف طيار^(٥) ، والزاهد سيار .

(١) الإدراكات .

(٢) الهم .

(٣) أى الأعمال ، كالصلاة والصوم .

(٤) نلت .

(٥) سريع الرجوع إلى الله .

وقيل : العارف تبكى عينه ويضحك قلبه .
وقال الجنيد : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه^(١) البر
والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمطر ، يسقي ما يحب ، ومالا يحب .
وقال يحيى بن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين
بكائه على نفسه ، وثناؤه على ربه ، عز وجل .
وقال أبو يزيد : إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي
يقول : سمعت يوسف بن علي يقول : لا يكون العارف عارفاً حقاً حتى لو أعطى
مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله طرفه عين .
وسمعته يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول :
المعرفة على ثلاثة أركان : الهية ، والحياة ، والأنس .
وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت يوسف
ابن الحسين يقول : قيل لذي النون المصري : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربي
ولولا ربي لما عرفت ربي .
وقيل : العالم يقتدى به ، والعارف يهتدى به .
وقال الشبلي : العارف لا يكون لغيره لاحظاً ، ولا بكلام غيره لافظاً ، ولا
يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً .
وقيل : العارف أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه ، وافتقر إلى الله فأغناه عن
خلقه ، وذل لله تعالى فأعزه في خلقه .
وقال أبو الطيب السامري : المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار .
وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول .
وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح
لغيره وهو قائم يصلي .
وقال الجنيد : العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت .

(١) وفي نسخة يطؤها .

وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : سمعت رويماً يقول : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وقال أبو بكر الوراق : سكوت العارف أنفع ، وكلامه أشهى وأطيب .

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين .

وسئل الجنيد عن العارف ، فقال : لون الماء لون إنائه (يعنى أنه بحكم وقته) .

وسئل أبو يزيد عن العارف ، فقال : لا يرى في نومه غير الله ، ولا في يقظته غير الله ، ولا يوافق غير الله ، ولا يطالع غير الله تعالى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول : سئل بعض المشايخ : بم عرفت الله تعالى ؟

فقال : بلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ، ولفظة جرت على لسان مفقود ، يشير (١) إلى وجد ظاهر ويخبر عن سر سائر هو هو بما أظهره ، وغيره بما أشكله (٢) ثم أنشد :

نطقت بلا نطق هو النطق إنه لك النطق لفظاً أو يبين (٣) عن النطق
ترأيت كى أخفى (٤) وقد كنت خافياً (٥) وألمعت (٦) لى برقاً فأنطفت بالبرق

وسمعه يقول : سمعت علي بن بندار الصيرفي يقول : سمعت الجريري يقول : سئل أبو تراب عن صفة العارف ، فقال : الذي لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء .

وسمعه يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب .

(١) أى هذا القائل

(٢) أشكل أى ستره .

(٣) يظهر .

(٤) عن غيرك .

(٥) غنى .

(٦) أظهرت .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : العارف مستهلك^(١) في بحار التحقيق
كما قال قائلهم : المعرفة أمواج تغط . ترفع وتحط .
وسئل يحيى بن معاذ عن العارف ، فقال : رجل كائن بائن^(٢) ، ومرة قال :
كان فبان^(٣) .
وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يظنيء نور معرفته نور ورعه ،
ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله
عز وجل ، عليه على هتك أستار محارم الله .
وقيل : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة ، فكيف عند أبناء
الدنيا ؟ .

وقال أبو سعيد الخراز : المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت جعفرًا
يقول : سئل الجنيد عن قول ذي النون المصري في صفة العارف .
« كان هاهنا فذهب » فقال الجنيد : العارف : لا يحصره حال عن حال^(٤) ،
ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع أهل كل مكان يمثل الذي هو فيه
يجد مثل الذي يجدون ، وينظن فيها بمعاملها^(٥) لينتفعوا بها .
وسمعت يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت محمد بن الفضل يقول :
المعرفة حياة القلب مع الله تعالى .
وسمعت يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت الکتانی يقول :
سئل أبو سعيد الخراز : هل يصير العارف إلى حل يجفوا^(٦) عليه البكاء ؟
فقال : نعم ، إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله تعالى ، فاذا نزلوا إلى حقائق
القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك .

(١) غارق .

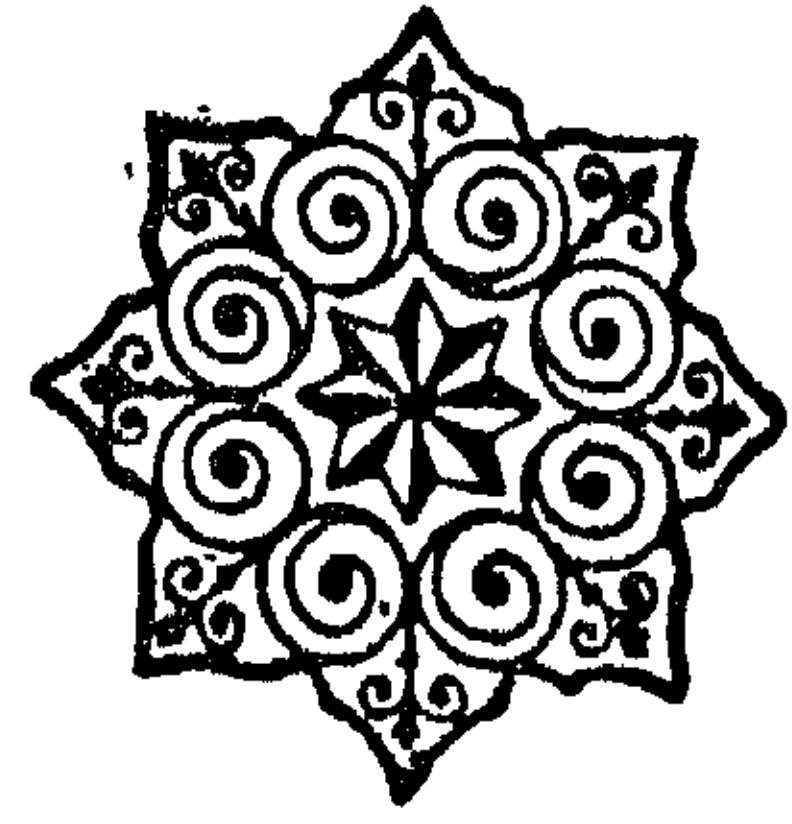
(٢) أي كائن مع الخلق بدنه بعيد ظعنهم بقلبه .

(٣) أي وعبر مرة أخرى عن العارف بقوله : كان أي مع الخلق فبان أي فمارقهم .

(٤) أي لا يمتد بحال معين .

(٥) بأماراتها .

(٦) يجفوا أي يبعد .



الباب الخامس المحبة

قيل : «أوحى الله الى عيسى عليه السلام
انى اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد
فيه حب الدنيا والآخرة ملائته من حبي * »

باب المحبة

قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (١).

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال : حدثنا السلمي قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب (٢) الله لقاءه »
أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال : حدثنا عبد الله بن أيوب قال : حدثنا الحسن بن موسى قال : حدثنا الهيثم ابن خارجة قال : حدثنا أحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقي ، عن هشام الكتاني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل عليه السلام ، عن ربه سبحانه وتعالى قال :

« من أهان ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما ترددت في شيء كترددى في قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً » (٣) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا عبيد ابن شريك قال : أخبرنا يحيى ، قال : حدثنا مالك ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) آية ٤٤ من سورة المائدة .

(٢) وفي رواية ومن كره لقاء الله كره لقاءه والحديث أخرجه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي عن عائشة وعن عبادة وقال الترمذي حديث صحيح .

(٣) وقد روى الحديث برواية أخرى في صحيح البخاري (باب التواضع) « ومن عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ولئن استصرفني لأنصرنه ولئن سألتني لآعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددى في قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه » .

إذا أحب الله ، عز وجل ، العبد قال لجبريل : يا جبريل ، إني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يضع له القبول في الأرض (١) ، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك .

والمحبة : حالة شريفة . شهد الحق ، سبحانه ، بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد ، فالحق : سبحانه ، يوصف بأنه يحب العبد ، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه . والمحبة : على لسان العلماء : هي الإرادة ، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة ؛ فان الإرادة لا تتعلق بالقديم ، اللهم إلا أن تحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له . ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفاً إن شاء الله تعالى ؛ فمحبة الحق سبحانه ، للعبد إرادته لإينعام مخصوص عليه ، كما أن رحمته له إرادة الإينعام ، فالرحمة أخص من الإرادة ، والمحبة أخص من الرحمة ، فارادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإينعام تسمى « رحمة » وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى « محبة » .

فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى « غضبا » ، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى « رحمة » وإذا تعلقت بخصوصها تسمى « محبة » .

وقوم قالوا : محبة الله سبحانه للعبد ، مدحه له ، وثناؤه عليه بالجميل ، فيعود معنى محبته له ، على هذا القول ، إلى كلامه ، وكلامه قديم .

وقال قوم : محبته للعبد : من صفات فعله ، فهو إحسان مخصوص بلقى الله العبد به ، وحالة مخصوصة برقيه إليها ، كما قال بعضهم : إن رحمته بالعبد نعمة معه ، وقوم من السلف قالوا : محبته من الصفات الخبرية ، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير .

فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق ؛ كالميل إلى الشيء ، والاستئناس بالشيء ، وكحالة يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين ، فالقديم ، سبحانه . يتعالى عن ذلك .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، والإمام مسلم في صحيحه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما محبة العبد الله : فحالة يجدها من قلبه . تلطف عن العبارة (١) .
وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له ، وإيثار رضاه ، وقلة الصبر عنه .
والاهتياج إليه ، وعدم القرار من دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له
بقلبه . وليست محبة العبد له . سبحانه . متضمنة ميلا ، ولا اختطاطاً . كيف .
وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللقوق والدرك (٢) والإحاطة . والمحبة ، بوصف
الاستهلاك (٣) في المحبوب ، أولى منه بأن يوصف بالاختطاط (٤) . ولا توصف المحبة
بوصف ولا تحد بحد أوضح ولأقرب إلى الفهم من المحبة والاستقصاء (٥) في المقال
عند حصول الإشكال (٦) ؛ فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى
الاستغراق في شرح الكلام .

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة . وتكلموا في أصلها في اللغة ؛ فبعضهم قال :
الحب اسم لصفاء المودة ؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها :
« حبيب الأسنان » .

وقيل : الحباب : ما يعلو الماء عند المطر الشديد ؛ فعلى هذا « المحبة » : غليان القلب
وثوراته عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب .

وقيل : إنه مشتق من حباب الماء (بفتح الحاء) وهو : معظمه . فسمى بذلك ؛
لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات .

وقيل : اشتقاقه من اللزوم والثبات ، يقال : أحب البعير . وهو : أن يبرك فلا
يقوم ، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه .

وقيل : الحب مأخوذ من الحب . وهو « القرط » قال الشاعر :

تبينت الحية النضناض (٧) منه مكان الحب (٨) تستمع السرار (٩)

(١) أى يدق التعبير عنها .

(٢) أى الإدراك .

(٣) أى الاستغراق .

(٤) أى في خطة تحيط به وبمحبه .

(٥) أى الاستغراق .

(٦) أى الاستعجام والاستبهام .

(٧) النضنضة : تحريك الحية لسانها .

(٨) القرط .

(٩) أى تسمع ما يسه ذلك الشخص من العذر بها .

وسمى القرط « حبا » ؛ إما للزومه للأذن ، أو لقلقه . وكلا المعنيين صحيح في الحب .

وقيل : هو مأخوذ من « الحب » (جمع حبة) وحبة القلب : ما به قوامه ؛ فسمى الحب حبا باسم محله .

وقيل : الحب ، والحب كالعمر والعمر .

وقيل : هو مأخوذ من الحبة (بكسر الحاء) وهى بذور الصحراء : فسمى الحب حبا ، لأنه لباب الحياة ، كما أن الحب لباب النبات .

وقيل : الحب : هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة ، فسميت المحبة حبا لأنه يتحمل عن محبوه كل عز وذل .

وقيل : هو من الحب^(١) الذى فيه الماء ، لأنه ممسك ما فيه ، فلا يسع فيه غير ما امتلأ به ، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مسأغ فيه لغير محبوه .

وأما أقاويل الشيوخ فيه ، فقال بعضهم المحبة : الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقيل : المحبة : إثارة المحبوب على جميع المصحوب .

وقيل : موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب .

وقيل : محو المحب لصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته .

وقيل : مواطاة القلب لمرادات الرب .

وقيل : خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة .

وقال أبو يزيد البسطامى : المحبة : استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار قليل من حبيبك .

وقال سهل : الحب : معانقة الطاعة ومباينة المخالفة .

وسئل الجنيد عن المحبة ، فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب .

أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب ، حتى لا يكون الغالب على قلب المحب

(١) أى الوعاء .

إلا ذكر صفات المحبوب ، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها .
وقال أبو علي الروذباري : المحبة : الموافقة .

قال أبو عبد الله القرشي : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء .

وقال الشبلي : سميت المحبة محبة ؛ لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

وقال ابن عطاء : المحبة : إقامة العتاب على الدوام .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله يقول : المحبة : لذة ، ومواضع الحقيقة دهش .

وسمعه يقول : العشق : مجاوزة الحد في المحبة ، والحق سبحانه لا يوصف بأنه يجاوز الحد ؛ فلا يوصف بالعشق ، ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه ، فلا يقال : إن عبداً جاوز الحد في محبة الله . فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق ، ولا العبد في صفته سبحانه بأنه يعشق ، فنفي العشق ، ولا سبيل له إلى وصف الحق ، سبحانه ، لا من الحق للعبد ، ولا من العبد للحق سبحانه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشبلي يقول : المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك .

وسمعه يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول ، وقد سئل عن المحبة . فقال : أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول .

وسمعه يقول : سمعت النصراباذي يقول : محبة توجب حقن الدماء ، ومحبة توجب إسفلك الدماء .

وسمعه يقول : سمعت محمد بن علي العلوي يقول : سمعت جعفر يقول : سمعت سموناً يقول : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« المرء مع من أحب »^(١) ؛ فهم مع الله تعالى :

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي عن أس رضي الله عنه وتماه (. . . .) وله ما أكتسب .

وقال يحيى بن معاذ : حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ، ولا يزيد بالبر . وقال : ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده .

وقال الجنيد : إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب ، وفي معناه أنشد الأستاذ أبو علي :

إذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء
وكان يقول : لا ترى أباً شقيقاً يبجل ابنه في الخطاب والناس يتكلفون في
مخاطبته والأب يقول : يا فلان .

وقال الكتاني : المحبة : الإيثار للمحبوب .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا سعيد الأرجاني يقول : سمعت
بندار بن الحسين يقول : روى مجنون بنى عامر في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله
بك ؟ فقال : غفر لي ، وجعلني حجة على المحبين .

وقال أبو يعقوب السوسي : حقيقة المحبة : أن ينسى العبد حظه من الله وينسى
حوادثه إليه .

وقال الحسين بن منصور : حقيقة المحبة : قيامك مع محبوبك بخلق أوصافك .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : قيل للنصر اباذى : ليس لك من
المحبة شيء ؟ فقال : صدقوا : ولكن لي حسراتهم ، فهو ذا أحترق فيه .

وسمعه يقول : قال النصر اباذى : المحبة : مجانية السلو على كل حال . ثم أنشد :
ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة فإني من ليلي لها (١) غير ذائق
وأكثر شيء نلته من وصالها أماني لم تصدق كلمحة بارق
وقال محمد بن الفضل : المحبة : سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب

وقال الجنيد : المحبة : إفراط الميل بلا نيل .

ويقال : المحبة : تشويش في القلوب يقع من المحبوب .

ويقال : المحبة : فتنة تقع في الفؤاد من المراد .

وأنشد ابن عطاء :

(١) أى السلوة .

غرس لأهل الحب غصناً من الهوى ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي
فأورق أغصاناً ، وأينع صبوة وأعقب لي مرأً من الثمر المحلى^(١)
وكل جميع العاشقين هواهم إذا نسبوه كان من ذلك الأصلي
وقيل : الحب أوله ختل^(٢) وآخره قتل^(٣).

سمعت الأستاذ أبا علي ، رحمه الله ، يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم :
« حبك للشئ يعمى ويصم »^(٤).

فقال يعمى عن الغير غيره وعن المحبوب هيبة ، ثم أنشد :

إذا ما بدا لي تعاظمته فأصدر^(٥) في حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن علي يقول :
سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارس المحاسبي
يقول : المحبة ميلك إلى الشئ بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ،
ثم موافقتك له سرّاً وجهرّاً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه .

وسمعه يقول : سمعت أحمد بن علي يقول : سمعت عباس بن عصام يقول :
سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول : لاتصلح^(٦) المحبة بين اثنين حتى يقول
الواحد للآخر : يا أنا .

وقال الشبلي : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .

وقيل : المحبة : نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

وقيل : المحبة : بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء .

وقال النورى : المحبة : هتك الأستار وكشف الأسرار .

(١) اليابس .

(٢) ختل . محادة . والمقصود أن يعامل الله عبده بالرفق .

(٣) أى فناء عن النفس وأهوائها .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده والبخارى في التاريخ وأبو داود في السنن عن أبي الدرداء الخرائطى في اعتلال القلوب عن أبي
برزه بن عكر عن عبد الله بن أنيس وقال السيوطى حديث حسن .

(٥) أصدر أرحع .

(٦) وفي نسخه « اتصح » .

وقال أبو يعقوب السوسى : لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة .

وقال جعفر : قال الجنيد : دفع السرى إلى رقعة ، وقال : هذه لك خير من سبعمئة قصة أو حديث يعلو^(١) ، فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قالت : كذبتنى فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا^(٢)
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المنايا
وتنحل^(٣) حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وقال ابن مسروق : رأيت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها .
سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت إبراهيم ابن فأنك يقول : سمعت سمنونا ، وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ، ثم قرب . . فلم يزل يدنو حتى جلس على يده . . ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ، ثم مات .

وقال الجنيد : كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة .

وقيل : حبس الشبلى فى « المارستان » ، فدخل عليه جماعة ، فقال : من أنتم ؟
قالوا : إنا محبوك يا أبا بكر ، فأقبل يرميهم بالحجارة ، ففروا ، فقال : إن ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى .
وأنشد الشبلى :

أيتها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يارافع النوم عن جفونى أنت بما مر بي عليم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول :
سمعت النهرجورى يقول : سمعت على بن عبيد يقول : كتب يحيى بن معاذ إلى
أبى يزيد : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته . فكتب إليه أبو يزيد : غيرك
شرب بحور السموات والأرض وماروى بعد ، ولسانه خارج ويقول : هل من مزيد .

(١) أى حديث من أحاديث الصالحين العالية الرفيعة .

(٢) كواسيا : أى مكسوات باللحم .

(٣) تهزل وتضمحل .

وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت إلى وهل أنسى فأذكر ما نسيت ؟
أموت إذا ذكرت ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حيت
فأحيا بالمني وأموت شوقاً فكم أحيا عليك ! وكم أموت !
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب وما رويت

وقيل : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إني إذا اطلعت على قلب عبد
فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي .

ورأيت بخط الأستاذ أبي على الدقاق ، رحمه الله : في بعض الكتب المنزلة
« عبدى ، أنا وحقك لك محب ، فبحقنى كن لى محباً » .

وقال عبد الله بن المبارك : من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الحشية فهو
مخدوع .

وقيل : المحبة : ما يمحو أثره .

وقيل : المحبة : سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه .
ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف ، وأنشدوا :
فأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ينشد كثيراً :

لى سكرتان ، وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم رحدى .

وقال ابن عطاء : المحبة : إقامة العتاب على الدوام .

وكان للأستاذ أبي على جارية تسمى « فيروز » وكان يحبها ؛ إذ كانت قد
خدمته كثيراً ، فسمعه يقول : كانت فيروز تؤذنى يوماً وتستطيل على بلسانها ،
فقال لها أبو الحسن القارىء لم تؤذين هذا الشيخ ؟ فقالت : لأنى أحبه .

وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة
بلا حب .

وقيل : إن شاباً أشرف على الناس في يوم عيد وقال :
من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت
وألقى نفسه من سطح عال فوق ميتاً .

وحكى أن بعض أهل الهند عشق جارية ، فرحلت الجارية ، فخرج الرجل
في وداعها ، فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى ، فغمض التي لم تدمع أربعاً وثمانين
سنة . ولم يفتحها ، عقوبة لها ؛ لأنها لم تبك على فراق حبيبته ، وفي معناه أنشدوا :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكاء بخلت علينا
فعاقبت التي بخلت بدمع بأن غمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم : كنا عند ذى النون المصرى ، فتذاكرنا المحبة ، فقال ذو النون :
كفوا عن هذه المسألة ، لاتسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسيء إذا تأله والحزن
والحب يجمع بالتقى وبالنقى من الدرن (١)

وقال يحيى بن معاذ : من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعى .

وقيل : ادعى رجل الاستهلاك في محبة شخص . فقال له الشاب : كيف هذا ،
وأخى أحسن منى وجهاً وأتم جمالاً ؟ فرفع الرجل رأسه يلتفت ، وكانا على سطح
فألقاه من السطح وقال : هذا أجر من يدعى هوانا وينظر إلى سوانا .

وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة ، والأكثر من يقدمون المعرفة على المحبة .
وعند المحققين : المحبة : استهلاك في لذة ، والمعرفة : شهود في حيرة ، وفناء
في هيبة .

وقال أبو بكر الكتاني : جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها ، وكان الجنيد أصغرهم سناً ، فقالوا له : هات ما عندك يا عراقى ، فأطرق رأسه ، ودمعت عيناه ، ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هويته ، وصفاً شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ؛ فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فعن الله ، فهو بالله والله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ، جبرك الله ياتاج العارفين .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود ، إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى فيها .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال : حدثنا همام بن همام قال : أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال : حدثني عبد الرحمن ابن عفان قال : حدثني محمد بن أيوب قال : حدثني أبو العباس خادم الفضيل ابن عياض قال : احتبس بول الفضيل ، فرفع يديه وقال : اللهم بحبي لك إلا أطلقته عني ، فما برحنا حتى شفى .

وقيل المحبة : الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت في أمرها قالت : « أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » (١) .

وفي الابتداء قالت : « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » (٢) فوركت (٣) الذنب في الابتداء عليه ، وفي الانتهاء نادى على نفسها بالخيانة . سمعت الأستاذ أبا علي يقول ذلك .

وحكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ،

(١) آية ٥١ من سورة يوسف .

(٢) آية ٢٥ من سورة يوسف .

(٣) أى نسبت .

فقلت : يا رسول الله اعذرني ، فإن محبة الله شغلتنى عن محبتك . . فقال : يا مبارك ، من أحب الله تعالى فقد أحبنى (١) .

وقيل : قالت رابعة فى مناجاتها : إلهى ، أتحرق بالنار قلباً يحبك ؟

فهتف بها هاتف : ما كنا نفعل هكذا ، فلا تظنى بنا ظن السوء . .

وقيل : الحب : حرفان : حاء وباء ، والإشارة فيه : أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه (٢) .

وكالإجماع من إطلاقات القوم : أن المحبة : هى الموافقة ، وأشد الموافقات : الموافقة بالقلب ، والمحبة توجب انتفاء المباينة ؛ فإن المحب أبدأً مع محبوبه ، وبذلك ورد الخبر :

« حدثنا الإمام أبوبكر بن فورك ، رحمه الله تعالى . قال : أخبرنا القاضى أحمد بن محمود بن حرزاذ قال : حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال : حدثنا يحيى بن حبيب قال : حدثنا مرحوم بن عبد العزيز ، عن سفيان الثورى ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن أبي موسى الأشعرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له :

إن الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم ؟ فقال : المرء مع من أحب » (٣) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا عثمان الحيرى يقول ، سمعت أبا حفص يقول : أكثر فساد الأحوال من ثلاثة فسق للعارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المريدين .

قال أبو عثمان : فسق العارفين : إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها .

(١) ويؤيده قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله . (الآية) .

(٢) فالهاء من الروح ، والباء من البدن .

(٣) سبق تخريجه فى هذا الباب فانظره .

ونخيانة المحبين : اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم .
وكذب المریدین : أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عز وجل .

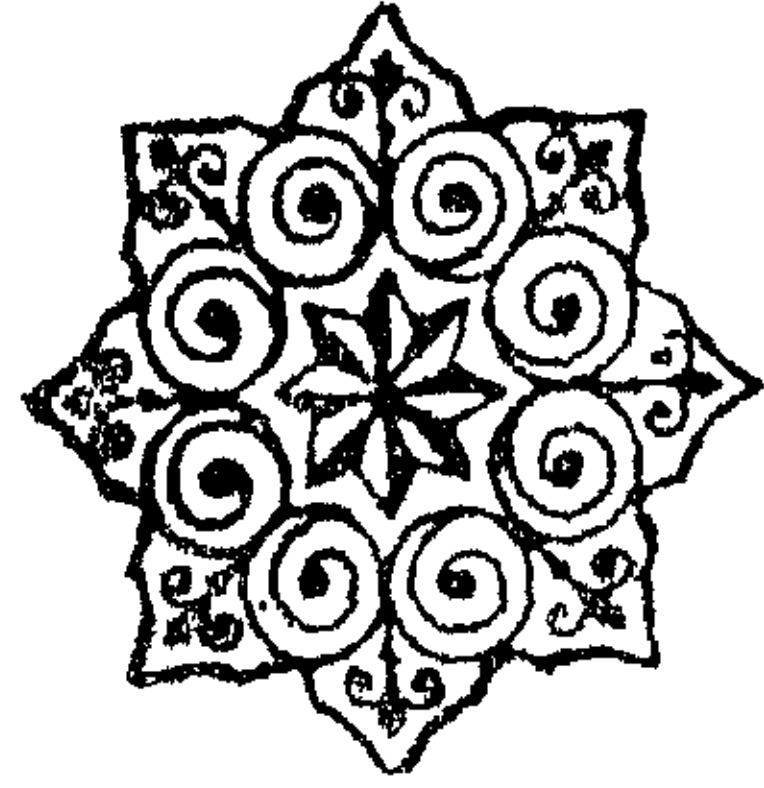
وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا القاسم الجوهري يقول : سمعت أبا علي ممشاد بن سعيد العكبري يقول :

راود خطاف^(١) خطافة في قبة سليمان عليه السلام ، فامتنعت عليه ، فقال لها :
لم تمتنعين علي وإن شئت قلبت القبة علي سليمان . .

فدعاه سليمان عليه السلام وقال له ما حملك علي ما قلت ؟

فقال : يا نبي الله ، إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم .

فقال : صدقت .



الباب الحادى والخمسة الشوق

سئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال :
« احتراق الأحشاء •• وتلهب القلوب ••
وتقطع الأكباد •• »

باب الشوق

قال الله عز وجل : « من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت » (١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد للبصري قال : أخبرنا ابن أبي قماش قال : أخبرنا إسماعيل بن زرارة ، عن حماد ابن يزيد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز (٢) فيها ، فقلت : خففت أبا اليقظان . . فقال : وما على من ذلك ، ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات ، فقال :

اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي .

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة (٣) ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد (٤) في الغنى والفقر ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عين (٥) لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك للنظر إلى وجهك الكريم ، وشوقاً إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

اللهم زينا بزينة الإيمان . . اللهم اجعلنا هداة مهتدين (٦) .

قال الأستاذ : الشوق احتياج (٧) القلوب إلى لقاء المحبوب ، وعلى قدر المحبة يكون الشوق .

(١) آية هـ من سورة المائدة .

(٢) أي : خفف .

(٣) أي المصون .

(٤) أي التوسط .

(٥) أي سروراً .

(٦) حديث صحيح أخرجه النسائي في سننه والطحاوي عن ابن عمر في النظر في الحديث .

(٧) وفي نسخة « ارتياح » .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يفرق بين الشوق والاشتياق ، ويقول :
 الشوق يسكن باللقاء والرؤية ، والاشتياق لا يزول باللقاء . وفي معناه أنشدوا :
 ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت النصراباذي يقول :
 للخلق كلهم مقام الشوق ، وليس لهم مقام الاشتياق . ومن دخل في حال الاشتياق
 هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار .

وقيل : جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال : رأيت في
 المنام أنك تموت إلى سنة ، فهل استعددت للخروج ؟ فقال له عبد الله بن منازل :
 لقد أجلتنا إلى أمد بعيد أأعيش أنا إلى سنة . . لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي
 سمعته من هذا الثقي « يعني أبا علي » :

يا من شكا شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحب عدا

وقال أبو عثمان : علامة الشوق : حب الموت مع الراحة .

وقال يحيى بن معاذ : علامة الشوق : فطام الجوارح عن الشهوات .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض
 الصحارى منفرداً ، فأوحى الله تعالى إليه : مالي أراك يا داود وحدانياً ؟ فقال يا إلهي ،
 استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبتك الخلت فأوحى الله تعالى
 إليه : إرجع إليهم ؛ فإنك إن أتيتني بعبد آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهبذاً^(١) .

وقيل : كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور ،
 والعجوز تبكى ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ذكرني قدوم هذا الفتى يوم
 القدوم على الله تعالى .

وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع
 الأكباد .

وسئل أيضاً عن الشوق ، فقيل له : الشوق أعلى أم المحبة ؟ فقال : المحبة ؛ لأن
 الشوق منها يتولد .

(١) أي نقاداً عالماً .

وقال بعضهم : الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشى يسبح^(١) عن الفرقة ، فإذا وقع اللقاء طفى ، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق .
وقيل لبعضهم : هل تشتاق؟^(٢) فقال : لا ، إنما الشوق إلى غائب ، وهو حاضر .
سمعت الأستاذ أبى على الدقاق يقول فى قوله عز وجل : «وعجلت إليك رب لترضى»^(٣) قال : معناه : شوقاً إليك ، فستره^(٤) بلفظ «الرضا» .

وسمعت رحمته الله تعالى يقول : من علامات الشوق : تمنى الموت على بساط العوافى^(٥) ، كيوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب لم يقل «توفنى» : ولما أدخل السجن لم يقل «توفنى» ؛ ولما دخل عليه أبواه وخر له الإخوة سجداً وتم له الملك والنعم قال : توفنى مسلماً^(٦) . وفى معناه أنشدوا :

نحن فى أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى أنكم غيب ، ونحن حضور
وفى معناه أنشدوا :

من سره العيد الجديد فقد عدت به^(٧) السرورا
كان السرور يتم لى لو كان أحببى حضورا

وقال ابن خفيف : الشوق : ارتياح القلوب بالوجد ، ومحبة اللقاء بالقرب .
وقال أبو يزيد^(٨) : إن لله عبادة لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : أخبرنا أبو العباس الهاشمى بـ «البيضاء»
قال : حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى قال : حدثنا عبد الله الأنصارى قال : سمعت

(١) أى يظهر .

(٢) أى إلى الله .

(٣) آية ٨٤ من سورة طه .

(٤) أى إلى الشوق .

(٥) العوافى : جمع عافية .

(٦) من آية ١٠١ سورة يوسف .

(٧) أى فيه .

(٨) البسطامى .

الحسين الأنصاري يقول : رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه : يا ملائكتي ، من هذا ؟ فقالوا : الله أعلم . فقال . هذا معروف الكرخی سكر من حبي فلا يفيق إلا بلاقائي .

وفي بعض الحكايات في مثل هذا المنام أنه قيل : هذا معروف الكرخی خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله ، فأباح الله عز وجل له النظر إليه .

وقال فارس : قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى ، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض ، فيعرضهم الله على الملائكة فيقول : هؤلاء المشتاقون إلى . . . أشهدكم أني إليهم أشوق . .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « أسألك الشوق إلى لقائك » قال : كان الشوق مائة جزء ، تسعة وتسعون له ، وجزء متفرق في الناس ، فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضاً ، فغار أن يكون شظية (١) من الشوق لغيره .

وقيل : شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين ؛ ولهذا قيل :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل : إن المشتاقين يتحسون (٢) حلاوة الموت عند وروده ؛ لما قد كشف لهم من روح (٣) أو صول أحلى من الشهد .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت جعفر يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول : الشوق أجل مقام للعارف إذا تحقق (٤) فيه ، وإذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه .

وقال أبو عثمان الحيري في قوله تعالى : « فان أجل الله لآت » (٥) : هذا تعزية للمشتاقين (٦) ، معناه : أني أعلم أن اشتياقكم إلى غالب ، وأنا أجلت للقائكم أجلاً ، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه .

(١) الشظية : القطعة والفلقة .

(٢) التحسى : الشرب .

(٣) أي راحة .

(٤) أي تمكن .

(٥) من آية هـ سورة المنكبوت .

(٦) وفي نسخة « تعريض » : أي قصد به تعليلهم وراحته .

وقيل : أوحى الله تعالى لداود عليه السلام : قل لشبان بنى إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ؟ ما هذا الجناء !
وقيل : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلى ، وانقطعت أوصالهم من محبتي ، يا داود هذه إرادتى للمدبرين عنى ، فكيف إرادتى للمقبلين إلى ؟ .

وقيل : مكتوب فى التوراة : شوقناكم فلم تشتاخوا ، وخوفناكم فلم تخافوا ، ونحنا لكم فلم تنوحوا .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : بكى شعيب حتى عمى ، فرد الله عز وجل بصره عليه ، ثم بكى حتى عمى ، فرد الله عز وجل بصره عليه ، ثم بكى حتى عمى ، فأوحى الله تعالى إليه : إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحثها لك ، وإن كان لأجل النار فقد أجرتك منها ، فقال : لا ، بل شوقاً إليك فأوحى الله إليه : لأجل ذلك أخدمتك نبي وكليمي (١) عشر سنين .

وقيل : من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء (٢) .

وفى الخبر : « اشتاقت الجنة إلى ثلاثة : على ، وعمار ، وسلمان » .

سمعت الأستاذ أبا على يقول : قال بعض المشايخ : أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق إلى ، وأنا عن جميعها حتر .

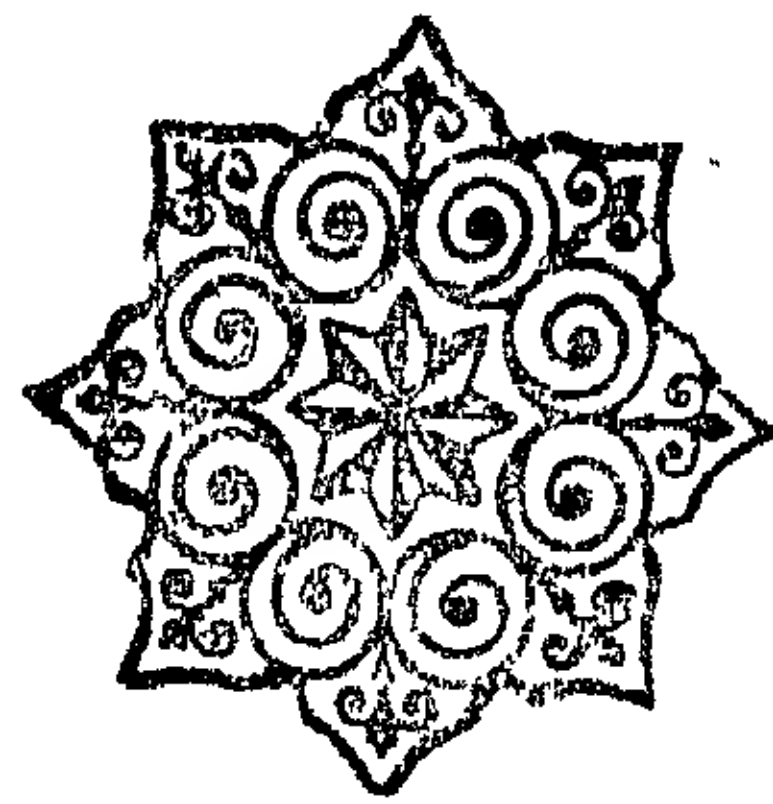
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السامى يقول : سمعت عبد الله بن جعفر يقول : سمعت محمد بن عمر الرملى يقول : حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال : حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدثنا مرحوم قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت فى التوراة : شوقناكم فلم تشتاخوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن فرحان يقول : سمعت الجنيد ، وقد سئل من أى شيء يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب ؟

فقال : إنما يكون ذلك سروراً به ، ووجداً من شدة الشوق إليه ، ولقد بلغنى أن أخوين تعانقا ، فقال أحدهما : واشوقاه ، وقال الآخر : واوجدته . . .

(١) أى موسى عليه السلام .

(٢) يؤيده الحديث السابق الذى أخرجه أحمد والبخارى ومسلم الترمذى والنسائى عن عائشة : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . . . » .



الباب الثاني والخمسون حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم

عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض

الله تعالى له من يكرمه عند سنه .. »

باب حفظ قلوب المشايخ

وترك الخلاف عليهم

قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر ، عليهما السلام : « هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً » (١) .

قال الإمام : لما أراد صحبة الخضر ، حفظ شرط الأدب ؛ فاستأذن أولاً في الصحبة ، ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكم ، ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى والثانية ، فلما صار إلى الثالثة ، والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة ، سامه للفرقة (٢) ؛ فقال : « هذا فراق بيني وبينك » (٣) .

أخبرنا أبو الحسين الإهوازي قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا أبو سالم القزاز قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا أبو الرجال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قibus الله تعالى له من يكرمه عند سنه » (٤) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله يقول : بدء كل فرقة المخالفة . يعني به : أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، وانقطعت العلقه بينهما وإن جمعتهما البقعة ؛ فمن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجب عليه التوبة ، على أن الشيوخ قالوا : عقوب الأستاذين لا توبة عنها (٥) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : خرجت إلى « مرو » في حياة شيخى الأستاذ أبى سهل الصعلوكى ، وكان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور (٦) القرآن والختام ، فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المسجد ، وعقد

(١) آية ٦٦ من سورة الكهف .

(٢) أى إراد الفرقة منه .

(٣) من آية ٧٨ سورة الكهف .

(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذى عن أنس وقال حديث صحيح .

(٥) الأولى أن يقول : « عنه » .

(٦) وفى نسخة « درس » .

لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول ، فداخلى من ذلك شيء : فكنت أقول في نفسي : قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول ، فقال لي يوماً يا أبا عبد الرحمن ، ما يقول الناس في ؟ فقلت : يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال : من قال لأستاذه لم ؟ لا يفلح أبداً ، ومن المعروف أن الجنيد قال : دخلت على السرى يوماً فأمرني شيئاً (١) ، فقضيت حاجته سريعاً ، فلما رجعت ناولني رقعة وقال : هذا لمكان قضائك لحاجتي سريعاً ، فقرأت الرقعة ، فاذا فيها مكتوب « سمعت حادياً يحدو في البادية :

أبكى ، وهل يدريك ما يبكيه أبكى حذاراً أن تفارقني

وتقطعي حبل وتهجري (٢)

ويحكى عن أبي الحسن الهمداني العلوي قال : كنت ليلة عند جعفر الحلدي ، وكنت أمرت في بيتي أن يعلق (٣) طير في التنور ، وكان قلبي معه ، فقال لي جعفر : أقم عندنا الليلة ، فتعللت بشيء ، ورجعت إلى منزلي ، فأخرج الطير من التنور ، ووضع بين يدي ، فدخل كلب من الباب ، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين . فأتى بـ « الجواذب » (٤) الذي تحته ، فتعلق به ذيل الخادمة ، فانصب . فلما أصبحت دخلت على جعفر ، فحين وقع بصره على قال : من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت أبا عبد الله الدينوري يقول : سمعت الحسن الدامغانى يقول : سمعت عمى البسطامى يحكى عن أبيه : أن شقيقاً البلخى ، وأبا تراب النخشبى ، قدما على أبى يزيد ، فقدمت السفرة ، وشاب يخدم أبا يزيد ، فقالا له : كل معنا يا فتى . فقال : أنا صائم . فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر . فأبى . فقال شقيق : كل ولك أجر صوم سنة . فأبى . فقال أبو يزيد : تدعوا من سقط من عين الله تعالى . . فأخذ الشاب في السرقة بعد سنة ، فقطعت يده . .

(١) وفي نسخة « بشيء » أى بقضاء حاجة له .

(٢) قال الإمام الأنصارى : فالسرى علم من حال الجنيد أنه نال من معرفة الله ومحبته حالاً رفيعة فدل على سبب حفظ الرقعة وأنه يبكى خوفاً من أن يبعده الله عنه .

(٣) يطهى .

(٤) قال الإمام المدائنى : الجواذب : لعلها أشياء توضع في أثناء الطبخ تجذب ما في اللحم من الدسم ونحو كل مع الطعام بعد

سمعت الأستاذ أبا علي يقول : وصف سهل بن عبد الله رجلاً بالولاية (خبازاً بالبصرة) . . فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك ، فاشتاق إليه ؛ فخرج إلى البصرة ، فأتى حانوت الخباز . . فرآه يخبز وقد تنقب لمحاسنه^(١) على عادة الخبازين ، فقال في نفسه : لو كان هذا ولياً لم يحترق شعره بغير نقاب . ثم إنه سلم عليه وسأله شيئاً ، فقال الرجل : إنك استصغرتني ، فلا تنتفع بكلامي ، وأبي أن يكلمه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمع عبد الرحمن الرازى أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البليخى ويمدحه ، فاشتاق إليه ، فخرج إلى زيارته ، فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد ، فرجع إلى أبى عثمان وسأله فقال : كيف وجدته ؟ فقال : لم أجده كما ظننت . . فقال : لأنك استصغرته وما استصغر أحد أحداً إلا حرم فائدته ، ارجع إليه بالحرمة^(٢) . فرجع إليه عبد الله فانتفع بزيارته .

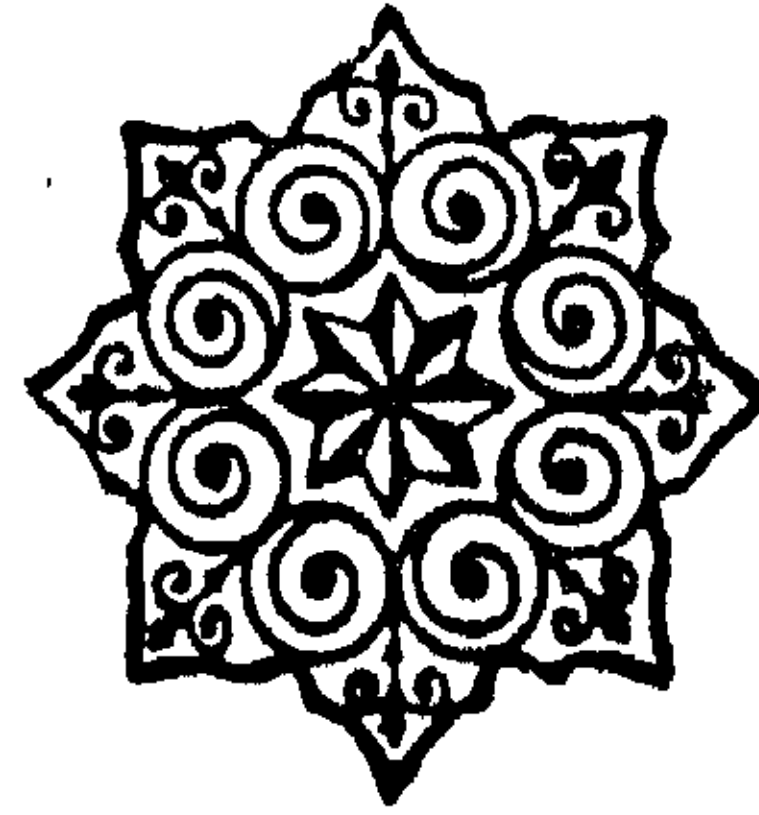
ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور يكتب شيئاً ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن ، فدعا عليه وهجره ؛ قال الشيوخ : ان ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول : لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد ؛ دعا عليهم وقال : اللهم امنعهم الصدق . فلم يخرج من بلخ بعده صديق .

سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى يقول : من رضى عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته : لئلا يزول . عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فاذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حل حياة ذلك الشيخ ، لئلا يرق له ، فانهم مجبولون على الكرم ، فاذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده .

(١) أى وضع على وجهه وشعره نقاياً لحمايته من حرارة النار .

(٢) أى الاحترام .



الباب الثالث والخمسون

السمع

قال سهل بن عبد الله :

« اسماع علم استأثر الله تعالى به

لا يعلمه الا هو »

باب السماع

قال الله عز وجل : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (١) .
اللام (٢) فى قوله « القول » تقتضى التعميم والاستغراق ، والدليل عليه (٣) :
مدحهم باتباع الأحسن .

وقال تعالى : « فهم فى روضة يحبرون » (٤) ، جاء فى التفسير : أنه السماع .
واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع
محظوراً ، ولم يسمع على مذموم فى الشرع ، ولم يشجر فى زمام هواه ، ولم ينخرط
فى سلك لهوه ، مباح فى الجملة .

ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه
سمعها ولم ينكر عليهم فى إنشادها (٥) . فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير
الحكم بأن يسمع بالألحان .

هذا ظاهر من الأمر . ثم ما يوجب للمستمع توفّر الرغبة على الطاعات ، وتذكر
ما أعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرز من الزلات ،
ويؤدى إلى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحب فى الدين ومختار فى الشرع ، وقد
جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو قريب من الشعر ، وإن لم
يقصد أن يكون شعراً .

أخبرنا : أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار
قال : حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال : حدثنا أبو النضر قال : حدثنا شعبة عن
حميد قال : سمعت أنساً يقول : كانت الأنصار يحفرون الحندق فجعلوا يقولون :
نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما يقينا أبداً

(١) آية ١٨ من سورة الزمر .

(٢) وفى نسخة : الألف واللام .

(٣) أى على التعميم والاستغراق .

(٤) آية ١٥ من سورة الروم .

(٥) أخرج ابن ماجه فى سننه عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من شعر
أمية بن أبى الصلت يقول بين كل قافية : (هبه : أى زدنى) وقال كاد أن يسلم « وعن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى
الله عليه وسلم كان يقول : « إن من الشعر حكماً » .

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأكرم الأنصار والمهاجرة »^(١) .

وليس هذا اللفظ منه ، صلى الله عليه وسلم ، على وزن الشعر ، لكنه قريب منه .
وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان ؛ فمن قال بإباحته من السلف :
مالك بن أنس : وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء ، وأما « الحداء »^(٢) فاجتماع
منهم على إجازته .

وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك ، وروى عن ابن جريج أنه
كان يرخص في السماع ، فقليل له : إذا أتى بك يوم القيامة ، ويؤتى بحسناتك وسيأتك ،
ففي أي الجانبين سماعك ؟ فقال : لا في الحسنات ولا في السيئات . يعني أنه من
المباحات .

وأما الشافعي ، رحمه الله ، فإنه لا يحرمه ، ويجعله في العوام مكروهاً ، حتى
لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهي ترد به الشهادة ويجعله
مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات .

وليس كلامنا في هذا النوع من السماع ؛ فإن هذه الطائفة جلت رتبهم عن
أن يستمعوا بلهو ، أو يقعدوا للسماع بسهولة ، أو يكونوا بقلوبهم مفكرين في
مضمون لغو ، أو يستمعوا على صفة غير كفاء .

وقد روى عن ابن عمر آثار في إباحة السماع ، وكذلك عن عبد الله بن جعفر
ابن أبي طالب ، وكذلك عن عمر رضي الله عنهم أجمعين ، في الحداء وغيره .

وأنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الأشعار فلم ينهاها ، وروى أنه
صلى الله عليه وسلم استنشد^(٣) الأشعار .

ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، وفيه جاريتان تغنيان ،
فلم ينههما .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال : أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد

(١) حديث صحيح متفق عليه .

(٢) الحداء : بضم الحاء وكسر ها : هو الغناء للإبل حتى تسرع في السير .

(٣) استنشد : طلب أن تنشد وتقال .

ابن مطر قال : حدثنا الحباب بن محمد التستري قال : أخبرنا أبو الأشعث قال : حدثنا محمد بن بكر البرساني قال : حدثنا شعبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : « أن أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه ، دخل عليها وعندها قينتان^(١) تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم « بعث^(٢) » ، فقال أبو بكر : مزمار الشيطان (مرتين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعهما يا أبا بكر ؛ فان لكل قوم عيداً وعيدنا هذا اليوم^(٣) .

أخبرنا : علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال : حدثنا أبو كامل ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن الأجلح ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن عائشة رضي الله عنها :

« أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أهديتم الفتاة ؟ فقالت : نعم . قال : فأرسلت من يغني ؟ قالت : لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم .

إن الأنصار فيهم غزل ، فلو أرسلتم من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم^(٤)

أخبرنا : الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رضي الله عنه ، قال : حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال : حدثنا الحسين بن الحارث الأهوازي قال : حدثنا سلمة بن سعيد ، عن صدقة بنت أبي عمران ، قالت : حدثنا علقمة ابن مرثد ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حسنوا القرآن بأصواتكم ؛ فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال :

(١) جاريثان .

(٢) من أيام العرب المشهورة بين الأوس والخزرج .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه « باب العيدين » ورواه ابن ماجه في سننه عن عائشة ، ج ١ ص ٦١٢ باب الغناء والدف

رقم ١٨٩٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ج ١ ص ٦١٣ عن أبي الزبير عن ابن عباس وفي الزوائد : اسناده مختلف فيه من أجل الأجلح

وأبي الزبير يقولون : إنه لم يسمع من ابن عباس ، وأثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس . انظر سنن ابن ماجه حديث رقم ١٩٠٠ .

حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا عبد السلام بن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن محرز ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

« لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن »^(١)

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا محمد بن يونس الكرمي قال : حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال : حدثنا شبيب ابن بشر بن البجلي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوتان ملعونان : صوت ويل عند مصيبة ، وصوت مزمار عند نعمة » . مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا في غير هذه الأحوال^(٢) ، وإلا بطل التخصيص .

والأخبار في هذا الباب تكثر ، والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار ، وقد روى أن رجلاً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج^(٣)
أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج
هل على ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا^(٤)

وإن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه من الناس : قال الله عز وجل : « يزيد في الخلق ما يشاء »^(٥) . قيل في التفسير : من ذلك ، الصوت الحسن . وذم الله سبحانه الصوت الفظيع ؛ فقال تعالى : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »^(٦) .

(١) أخرجه عبد الرازق في الجامع ، والفضاء عن أنس وقال حديث صحيح .

(٢) يقصد الحاليين المذكورين .

(٣) السبج : الخرز الأسود .

(٤) قيل إن هذا حديث موضوع فلا يجوز الاستشهاد به .

(٥) آية ١ من سورة فاطر .

(٦) آية ١٩ من سورة لقمان .

واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جبحوده ؛ فان الطفل يسكن إلى الصوت الطيب ، والجمل يقاسى تعب السير ومشقة الحملولة^(١) فيهن عليه بالحداء . قال الله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »^(٢) .

وحكى إسماعيل بن علية قال : كنت أمشي مع الشافعي ، رحمه الله تعالى ، وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول فيه أحد شيئاً ، فقال : مل بنا إليه ، ثم قال : أيطربك هذا ؟

فقلت : لا . فقال : مالك حسن . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أذن^(٣) الله تعالى لشيء كأذنه^(٤) لنبي يتغنى بالقرآن » .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا ابن ملحان قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهربه »^(٥) .

وقيل : إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور ، وكان يحمل من مجلسه أربعمئة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته .

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي^(٦) موسى الأشعري :
« لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » متفق عليه .

(١) الحملولة : بضم الحاء أى الأحمال .

(٢) آية ١٧ من سورة الغاشية .

(٣) أذن : استمع .

(٤) كأذنه : كاستماعه .

(٥) متفق عليه وروى نحوه ما أخرجه أبو يعلى والبخاري عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » .

(٦) أى فى شأن ذلك الصحابي الحسن الصوت ، والحديث متفق عليه ، وروى نحوه عن أبي سامة عن أبي هريرة قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فسمع قراءة رجل ، فقال : من هذا ؟ فقيل : عبد الله بن قيس فقال : « لقد أرقى هذا من مزامير آل داود » اهـ . وفى الزوائد قلت : أصله فى الصحيحين من حديث أبي موسى وفى مسلم من حديث بريدة ، وفى النسائي من حديث له عائشة وفى إسناده حديث أبي هريرة : رجاله ثقات .

وقال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو علمت أنك تسمع (١) لحبرت لك تحبيراً » (٢) (٣) .

أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال : أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال : حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي قال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، وأضافني رجل منهم ، فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك . ورأيت جمالا قد ماتت بفناء البيت ، فقال لي الغلام : أنت الليلة ضيف ، وأنت على مولاي كريم ، فتشفع لي ؛ فإنه لا يردك .

فقلت لصاحب البيت : لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد .

فقال : هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي . .

فقلت : فما فعل ؟

فقال : له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، فحملها أحمالا ثقيلة ، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد ، فلما حط عنها ماتت كلها ، ولكن قد وهبته لك وحل عنه القيد ، فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته عن ذلك ، فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه فحدا الغلام . . فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ، ولم أظن أنني سمعت صوتاً أطيب منه ، فوقعت لوجهي . . حتى أشار إليّ بالسكوت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول : سمعت الجنيد يقول ، وقد سئل : ما بال الإنسان يكون هادئاً ، فإذا سمع السماع اضطرب ؟ فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذر (٤) في الميثاق الأول بقوله : « ألسن بربكم قالوا بلى » (٥) استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .

(١) أي لقراؤتي .

(٢) التحبير : التزيين والتحسين .

(٣) روى بنحوه عن أنس أن أبا موسى كان يقرأ القرآن ليلة ونساء النبي صلى الله عليه وسلم يستمعن فليل له ، فقال : « لو علمت لحبرت تحبيراً ، ولشوقت تشويقاً » أخرجه أحمد بن منيع وقال عنه ابن حجر حديث صحيح أنظر المطالب العلية ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٤) الذر : الأرواح .

(٥) أية ١٧٢ من سورة الأعراف .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : السماع حرام على العوام ؛ لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد ؛ لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا ؛ لحياة قلوبهم .
سمعت أبا ساتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر الصوفي يقول : سمعت الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كان الحارث بن أسد الخراساني يقول :

ثلاث إذا وجدن متع بهن ، وقد فقدناها : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الصوت مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وسئل ذو النون المصري عن الصوت الحسن ، فقال : مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة .

وسئل مرة أخرى عن السماع فقال :

وارد حق يزعج^(١) القلوب إلى الحق ؛ فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق .

وحكى جعفر بن نصير : عن الجنيد أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن : عند السماع ؛ فانهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقولون إلا عن وجد ، وعند أكل الطعام ؛ فانهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجاراة العلم ؛ فانهم لا يذكرون إلا صفات الأولياء .

سمعت محمد بن الحسين يقول : اسمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول : سمعت الجنيد يقول : السماع فتنة لمن طلبه . ترويح^(٢) لمن صادفه .

وحكى عن الجنيد أنه قال : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والإخوان .

وسئل الشبلي عن السماع فقال : ظاهره فتنة ، وباطنه عبادة ؛ فمن عرف الإشارة حل له استماع العبادة ، وإلا فقد استدعى الفتنة ، وتعرض للبلية .

وقيل : لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي ؛ فنفسه ذبحت بسيف المجاهدة ، وقلبه حي بنور الموافقة .

(١) أى يحرك .

(٢) ترويح : أى راحة .

وسئل أبو يعقوب النهرجوري^(١) عن السماع فقال : حال يبدى^(٢) الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق .

وقيل : السماع لطيف غذاء الأرواح لأهل المعرفة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : السماع طبع ، إلا عن شرع ، وخرق^(٣) ، إلا عن حق ، وفتنة إلا عن عبرة .

ويقال : السماع على قسمين : سماع بشرط العلم والصحوة^(٤) ؛ فمن شرط صاحبه معرفة الأسماء والصفات ، وإلا وقع في الكفر المحض . وسماع بشرط الحال ؛ فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية ، والتقى من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة .

وحكى عن أحمد بن أبي الخوارى أنه قال : سألت أبا سليمان عن السماع فقال : من اثنين أحب إلى من الواحد .

وسئل أبو الحسن النوري عن الصوفي ، فقال : من سمع السماع . وآثر الأسباب . وسئل أبو علي الروذباري عن السماع يوماً . فقال : ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور ، وصرير الباب ، وتصفيق الرياح ، فهو فقير مدع .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول : سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكي يقول : قال جعفر : كان ابن زيري ، من أصحاب الجنيد ، شيخاً فاضلاً ، فربما كان يحضر موضع سماع ، فإن استطابه فرش إزاره وجلس وقال : الصوفي مع قلبه ، وإن لم يستطبه قال : السماع لأرباب القلوب ، ومر ، وأخذ نعله .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى . يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفي يقول : سئل (رويم) عن وجود^(٤) الصوفية عند السماع فقال :

(١) يبدى : يظهر .

(٢) أي إهدار مروه .

(٣) أي على طريقتيها .

(٤) أي عما يجدونه .

يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير إليهم : إلى . . إلى . فيتنعمون بذلك من الفرح ، ثم يقطع (١) الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء ، فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ، ومنهم من يبكي . كل إنسان على قدره .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت الحصري يقول في بعض كلامه : ما أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ؟ ينبغي أن يكون سماعك متصلاً غير منقطع .

قال : وقال الحصري : ينبغي أن يكون (٢) ظمئاً دائماً ، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه .

وجاء عن محاهد في تفسير قوله تعالى : « فهم في روضة يحبرون » (٣) : أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية :

« نحن الخالدات ، فلا نموت أبداً ، نحن الناعمات ، فلا نبؤس أبداً » (٤) .
وقيل : السماع نداء ، والوجد قصد (٥) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : قلوب أهل الحق قلوب حاضرة ، وأسماعهم مفتوحة .

وسمعه يقول : سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول : المستمع بين استتار وتجل ، فالاستتار يوجب التلهيب ، والتجلي يورث الترويح ؛ والاستتار يتولد منه حركات المريدين ، وهو محل الضعف والعجز ، والتجلي يتولد منه سكون الواصلين ، وهو محل الاستقامة والتمكين ، وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة ، قال الله تعالى :

« فلما حضروه قالوا أنصتوا » (٦) .

وقال أبو عثمان الحيري : السماع على ثلاثة أوجه :

(١) وفي نسخة « يقع . . . »

(٢) أي السماع .

(٣) آية ١٥ من سورة الروم .

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ج ٣ لقوله تعالى (فهم في روضة يحبرون) .

(٥) أي إجابة له .

(٦) من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف .

فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراعاة .

والثاني : للصادقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم .

والثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الفرج الشيرازي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : قال أبو سعيد الخراساني :

من ادعى أنه مغلوب عند الفهم يعني في السماع ، وأن الحركات مالكة له فعلامته (١) تحسين المجلس (٢) الذي هو فيه بوجده .

قال الشيخ أبو عبد الرحمن : فذكرت هذه الحكاية لأبي عثمان المغربي فقال : هذا أدناه ، وعلامته الصحيحة : أن لا يبقى في المجلس محق إلا أنس به ، ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه .

وقال بندار بن الحسين : السماع على ثلاثة أوجه : منهم من يسمع بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالحق فالذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام ، فإن جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب . والذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد ، أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آت ، أو وفاء بعهد أو تصديق لعهد ، أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال ، أو حذر انفصال أو ماجرى مجراه

وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى ، والله ، ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد أ بحق لا بحظ .

(١) أي فعلا مة صدقة في دعواه .

(٢) أي تأثيره في أهل مجلسه .

وقيل : أهل السماع على ثلاث طبقات : أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم ؛ وضرب : يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون ، فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله ؛ وثالث : هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات ، يسمعون بطيبة قلوبهم ، وهؤلاء أقربهم إلى السلامة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا علي الروذباري وقد سئل عن السماع ، فقال : مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب وقال الخواص وقد سئل : ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك في سماع القرآن ؟ فقال : لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول : سمعت الجنيد يقول : إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطلة .

وسمعه يقول : سمعت أبا عبد الله البغدادي يقول : سمعت أبا سعيد الرملي يقول : قال سهل بن عبد الله : السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو . وحكى أحمد بن مقاتل العكي قال : لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ، ومعهم قوال ، فاستأذنه أن يقول بين يديه شيئاً فأذن ، فابتدأ يقول :

صغير هـواك عذبي	فكيف به إذا احتنكا؟ ^(١)
وأنت جمعت من قلبي	هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب	إذا ضحك الخلى بكى

قال : فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ، ثم قام رجل من القوم يتواجد ، فقال له ذو النون : الذي يراك حين تقوم . . فجلس الرجل .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية : كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل ؛ حيث نهه أن ذلك ليس مقامه ، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف ؛ حيث قبل ذلك منه ، فرجع فقعده .

(١) أى استولى به قهر .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة ، يقال لأحدهما « جبلة » وللثاني « رزيق » فزار رزيق يوماً جبلة في أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئاً ، فصاح ولد من أصحاب جبلة ومات ، فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق : أين الذي قرأ بالأمس ؟ فليقرأ . . فقرأ آية فصاح جبلة صيحة ، فمات القاريء ، فقال جبلة : واحد بواحد والبادي أظلم . ! وسئل إبراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال : بلغني أن موسى عليه السلام قصص^(١) في بني إسرائيل ، فزق واحد منهم قميصه ، فأوحى الله تعالى إليه : مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك .

وسأل أبو علي المغازلي الشبلي فقال : ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله عز وجل فتحدوني^(٢) على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس . .

فقال الشبلي : ما اجتذبتك إليه فهو عطف منه عليك ، ولطف ، وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك ، لأنه لم يصح لك التبري من الحول والقوة في التوجه إليه .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول : كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خالف إمام له وأنا بجنبه ، فقرأ الإمام : « ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك »^(٣) . فزق زعقة قلت : طارت روحه وهو يرتعد ويقول : بمثل هذا يخاطب الأحياء . . ويردد ذلك كثيراً .

وحكى عن الجنيد أنه قال : دخلت على السري يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه ، فقلت : ماله ؟ فقال : سمع آية من كتاب الله تعالى . فقلت : تقرأ عليه ثانياً ، فقرئ ، فأفاق ، فقال لي : من أين علمت هذا ؟ فقلت : إن قميص يوسف ذهب بسببه عين يعقوب عليهما السلام ثم به عاد بصره . فاستحسن مني ذلك .

(١) أي ذكر لم قصة .

(٢) أي تدفني .

(٣) الآية ٨٦ من سورة الإسراء .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت عبد الواحد بن علوان يقول : كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم ، فقال له الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني . . فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه ، حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة (١) ، فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت بها نفسه .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد ، فلما دخلت « الري » سألت عن منزله ، فكل من أسأل عنه يقول لي : ما تفعل بذلك الزنديق ؟ . فضيقوا صدري ، حتى عزمت على الانصراف ، فبت تلك الليلة في مسجد ، ثم قلت : جئت هذه البلدة ، فلا أقل من زيارته ؛ فلم أزل أسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده وهو قاعد في المحراب ، وبين يديه رجل ، وعليه مصحف يقرأ فيه ، وإذا هو شيخ بهي ، حسن الوجه واللحية ، فدنوت منه وسلمت عليه ، فرد السلام وقال : من أين ؟ فقلت : من بغداد ، قصدت زيارة الشيخ . فقال : لو أن في بعض البلدان قال لك إنسان : أقم عندي حتى أشتري لك داراً أوجارية أكان يمنعك عن زيارتي ؟ فقلت يا سيدي ، ما أمتحنني الله تعالى بشيء من ذلك . . ولو كان لا أدري كيف كنت أكون ؟

فقال : تحسن أن تقول شيئاً ؟ فقلت : نعم ، وقلت :

رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه ، حتى رحمته من كثرة بكائه ؛ ثم قال لي : يا بني : لا تلم أهل « الري » على قولهم « يوسف بن الحسين زنديق » ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عيني قطرة ، وقد قامت على القيامة بهذا البيت (٢).

(١) وفي نسخة قطرة أي قطرة ماء بما يقاسيه في الكتم من الشدة .

(٢) أي تغير حاله بسبب سماعه بيت الشعر .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن القوطي مارين على الدجلة بين « البصرة » و « الأبله » ، وإذا نحن بقصر حسن ، له منظر ، وعليه رجل وبين يديه جارية تغني وتقول :

في سبيل الله ود كان مني لك يبذل
كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل ..

وإذا شاب تحت المنطرة بيده « ركوة » ، وعليه مرقعة يسمع . فقال : يا جارية ، بحياة مولاك أعيدى : كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل فأعادته .

فقال الشاب : قولى . فأعادت : فقال الفقير : هذا والله تلونى مع الحق ، وشهق شهقة خرجت معها روحه . فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى وخرج أهل البصرة ، وفرغوا من دفنه والصلاة عليه ، فقام صاحب القصر ، وقال أليس تعرفونى . . أشهدكم أن كل شئ على فى سبيل الله ، وكل مماليكى أحرار ثم اتزر بإزار ، وارتدى برداء ، وتصدق بالقصر ، ومر ، فلم ير له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر (١) .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت يحيى بن الرضا العلوى قال : سمع أبو سلمان الدمشقى « طوافاً » ينادى (٢) : ياسعتر برى فسقط مغشياً عليه ، فلما أفاق ، سئل ، فقال : حسبته يقول : اسع تر برى .

وسمع عتبة الغلام رجلاً يقول : سبحان رب السماء ؛ إن المحب لنى عناء فقال عتبة : صدقت ؛ وسمع رجل آخر ذلك القول ، فقال : كذبت . . فكل واحد سمع من حيث هو .

(١) أى خبر .

(٢) ينادى على نبات السعتر الذى يؤتى به من البرارى .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أبا الحسن علي بن محمد للصوفي يقول : سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم في السماع ، فقال : كالقطيع إذا وقع فيه الذئب .

وحكى عن أبي سعيد الخراز قال : رأيت علي بن الموفق في السماع يقول : أقيموني ، فأقاموه ، فقام ، وتواجد ، ثم قال : أنا الشيخ « الزفان » .

وقيل : قام الرقي ليلة إلى الصباح ، يقوم . . ويسقط على هذا البيت (١) ، والناس قيام يبكون ، والبيت :

بالله فاردد فؤاد مكتئب ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول : سمعت علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول : سمعت أبي يقول : خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة ، فما رأيت تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره ، فلما كان في آخر عمره قرىء بين يديه « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية » (٢) رأيت تغير ، وارتعد ، وكاد يسقط ، فلما رجع إلى حال صحوه سأله عن ذلك ، فقال يا حبيبي ضعفنا (٣) .

وحكى ابن سالم قال : رأيت مرة أخرى قرىء بين يديه « الملك يومئذ الحق للرحمن » (٤) فتغير وكاد يسقط ، فقلت له في ذلك ، فقال : ضعفت وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قوياً إلا وهو أقوى منه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : دخلت على أبي عثمان المغربي وواحد يستقي الماء من البئر على بكرة فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أتدرى ما تقول البكرة ؟ فقلت : لا ، فقال : تقول الله . الله .

(١) أى على سماعه .

(٢) من الآية ١٥ من سورة الحديد .

(٣) ضعف عن كتم حاله .

(٤) من الآية ٢٦ من سورة الفرقان .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت علي بن طاهر يقول : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت رويماً يقول : روى عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول هذا ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول : سبحان الله ، حقاً ، إن المولى صمد يبقى .

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أحمد بن علي الكرخي الوجيهي يقول : كان جماعة من الصوفية متجمعين في بيت الحسن القزاز ، ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون ، فأشرف عليهم ممشاد الدينوري ، فسكتوا ، فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمع ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شغى بعض ما بي .

وبهذا الإسناد عن الوجيهي قال : سمعت أبا علي الروذباري يقول : بلغنا في هذا الأمر (١) إلى مكان مثل حد السيف إن ملنا كذا في النار .

وقال خير النساج : قص موسى بن عمران ، صلوات الله عليه ، على قوم قصة ، فزعم واحد منهم ، فأنتهره موسى ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى ، بطيبي فاحوا (٢) ، وبجي باحوا ، وبوجدى صاحوا ، فلم تنكر على عبادي ؟ .
وقيل : سمع الشبلي قائلاً يقول : الخيار عشرة بدائق فصاح وقال : إذا كان الخيار عشرة بدائق فكيف الشرار ؟ .

وقيل : إذا تغنت الحور العين في الجنة توردت الأشجار .
وقيل : كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكى القوم .

وسئل أبو سليمان الداراني عن السماع ، فقال : كل قلب يريد الصوت أحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى الصبي إذا أريد أن ينام ، ثم قال أبو سليمان إن الصوت الحسن لا يدخل في القلب شيئاً ، وإنما يحرك من القلب ما فيه قال ابن أبي الحواري : صدق والله أبو سليمان .

(١) أي التصوف .

(٢) وفي نسخة « لاجوا » .

وقال الجريري : كونوا ربانيين ، أى سماعين من الله ، قائلين بالله .
وسئل بعضهم عن السماع فقال : بروق تلمع ثم تخمد ، وأنوار تبدو ثم تخفى ،
ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ، ثم أنشأ يقول :

خطرة في السر منه خطرت خطرة البرق ابتدئ ثم اضمحل
أى زور^(١) لك لو قصداً سرى وملم بك لو حقاً فعل

وقيل : السماع فيه نصيب لكل عضو ؛ فما يقع إلى العين تبكى ، وما يقع إلى
اللسان يصيح ، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم ، وما يقع إلى الرجل ترقص .
وقيل : مات بعض ملوك العجم ، وخلف ابناً صغيراً ، فأرادوا أن يبايعوه
فقالوا : كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه ؟ . . ثم توافقوا على أن يأتوا بقوال
يقول شيئاً ؛ فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته . فأتوا بقوال ، فلما قال القوال شيئاً
ضحك الرضيع ، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : اجتمع أبو عمرو بن نجاد ، والنصر اباذى ،
والطبقة في موضع ؛ فقال النصر اباذى : أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئاً
ويسكت الباقيون خير من أن يغتابوا أحداً .

فقال أبو عمرو : لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر في السماع
ما لست به .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الناس في السماع ثلاثة :
متسمع ؛ ومستمع ؛ وسامع ؛ فالمتسمع يسمع بوقت ؛ والمستمع يسمع بحال ؛
والسامع يسمع بحق .

وسألت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، غير مرة ، شبه طلب رخصة
في السماع ، فكان يحيلني على ما يوجب الإمساك عنه ، ثم بعد طول المعاودة قال :
إن المشايخ قالوا : « ما جمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به » .

أنخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي قال : أنخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا إسماعيل بن الفضل قال : حدثنا يحيى بن يعلى الرازي قال : حدثنا حفص بن عمر العمري قال : حدثنا أبو عمر وعثمان بن بدر قال : حدثنا هارون ابن حمزة عن الغدافري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام : إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي ، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني ، وأحب ما تكون إلى وأقربه إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : الغلط في هذا أكثر ؛ يعنى به : السماع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا بكر النهاوندى يقول : سمعت علياً السائح يقول : سمعت أبا الحارث الأولاسى يقول : رأيت أبلّيس ، لعنه الله ، فى المنام على بعض سطوح « أولاس » وأنا على سطح ، وعلى يمينه جماعة ، وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب نظاف ، فقال لطائفة منهم : قولوا . . فقالوا ، وغنوا ، فاستفزغنى طيبه^(١) ، حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح .

ثم قال : ارقصوا ، فرقصوا أطيب ما يكون . .

ثم قال لى : يا أبا الحارث ، وما أصبت شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : اجتمعت ليلة مع الشبلى ، رحمه الله ، فقال القوال شيئاً ، فصاح الشبلى ، وتواجد قاعداً ، فقليل له : يا أبا بكر ، مالك من بين الجماعة قاعداً ؟ .

فقام وتواجد ، وقال :

لى سكرتان ، وللنمدان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

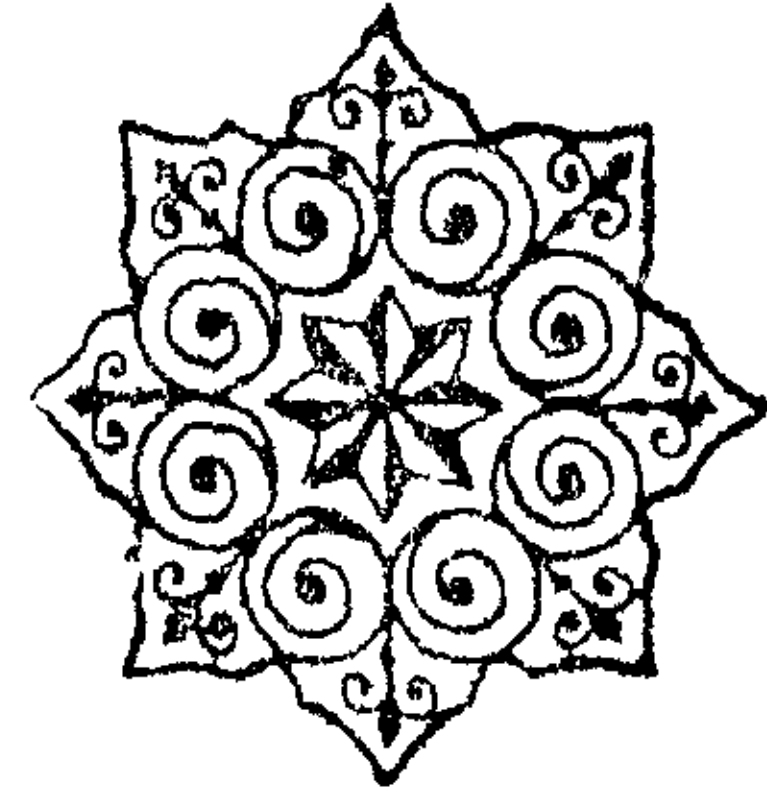
(١) أى طيب قوله .

وسمعه يقول : سمعت منصور بن عبد الله الأصماني يقول : سمعت أبا علي
الروذباري يقول : جرت بقصر ، فرأيت شاباً حسن الوجه مطروحاً ، وحوله
ناس ، فسألت عنه ، فقالوا : إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغني :

كبرت همّة عبد طمعت في أن تراكا

أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآكا

فشهق شهقة ومات .



الباب الرابع والخمسون كرامات الأولياء

« من زهد في الدنيا أربعين يوما صادقا
من قلبه مخلصا في ذلك ظهرت له
الكرامات .. »

باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم : ظهور الكرامات على الأولياء جائز .

والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوته في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فواجب وصفه ، سبحانه ، بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدوراً لله ، سبحانه ، فلا شيء يمنع جواز حصوله .

وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله ، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز . والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إباناً^(١) ، حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله ، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفترى في دعواه ، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها .

ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ، ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله .

وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق ؛ فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراييني ، رحمه الله ، يقول :

المعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي ، كما أن العقل المحكم لما كان دليلاً للعالم في كونه عالماً لم يوجد ممن لا يكون عالماً .

وكان يقول : الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء ، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا .

وأما الإمام أبو بكر بن فورك ، رحمه الله ، فكان يقول : المعجزات : دلالات الصديق^(٢) ، ثم إن ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه في مقالته ، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حلته ، فتسمى « كرامة » ولا تسمى « معجزة » وإن كانت من جنس المعجزات للفرق .

(١) أي إعلامنا بالكرامة .

(٢) أي للأنبياء .

وكان رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزات والكرامات : أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون باظهارها^(١) والولى يجب عليه سترها وإخفاؤها^(٢) ، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعى ذلك^(٣) ويقطع القول به ، والولى لا يدعيها^(٤) ولا يقطع بكرامته ، لجواز أن يكون ذلك مكرراً .

وقال أوحى فنه في وقته^(٥) القاضي أبو بكر الأشعرى ، رضى الله عنه : إن المعجزات تختص بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة ، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها ، والمعجزة لم تكن معجزة لعيونها ، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة ، فتمت اختل شرط من تلك الشرائط ، لا تكون معجزة . وأحد تلك الشرائط : دعوى النبوة ، والولى لا يدعى النبوة ، فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة . . . وهذا هو القول الذى نعتمده ونقول به ، بل ندين به .

فشرائط المعجزات ، كلها أو أكثرها ، توجد في الكرامة إلا هذا الشرط للواحد . والكرامة فعل لا محالة محدث ، لأن ما كان قديماً لم يكن له اختصاص بأحد ، وهو ناقض للعادة ، وتحصل^(٦) في زمان التكليف^(٧) ، وتظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً . وقد تحصل باختياره ودعائه^(٨) ، وقد لا تحصل له وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات ، ولم يؤمر الولى بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئاً من ذلك على من يكون أهلاً له لجاز .

واختلف أهل الحق في الولى : هل يجوز أن يعلم أنه ولى ؟ أم لا ؟

فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول : لا يجوز ذلك ؛ لأنه يسلبه الحوف ويوجب له الأمن .

(١) أى إظهار المعجزات .

(٢) أى إخفاء الكرامات .

(٣) أى ما ذكر من المعجزات .

(٤) أى الكرامة .

(٥) وفي بعض النسخ « أوحى فنه في وقته » .

(٦) أى الكرامة .

(٧) أى في مدة الحياة الدنيوية .

(٨) أى طلبه لها .

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه .

وهو الذي نؤثره ونقول به .

وليس ذلك^(١) بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كل ولي يعلم أنه ولي واجباً ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلمه بعضهم . فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها .

وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء . بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً . بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات ؛ لأن النبي مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه ؛ ولا يعرف إلا بالمعجزة

وبعكس ذلك حال الولي ؛ لأنه ليس بواجب على الخلق ، ولا على الولي أيضاً العلم بأنه ولي .

والعشرة من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة .

وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العاقبة ، والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه ، يزيد ويربو على كثير من الخوف .

واعلم أنه ليس للولي مساكنة^(٢) إلى الكرامة التي تظهر عليه ، ولا له ملاحظة . وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحقيقهم أن ذلك فعل الله ، فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد .

وبالجملة ، فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب ، وعليه جمهور أهل المعرفة ، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الحملة علماً قوياً انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهة في ذلك على الجملة . ومن دلائل هذه الحملة : نص القرآن في قصة صاحب سليمان عليه السلام ، حيث قال : « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »^(٣) ولم يكن نبياً .

(١) أي علم الولي بأنه ولي .

(٢) سكون .

(٣) آية ٤٠ من سورة النمل .

والأثر : عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه . صحيح أنه قال : « ياسارية الجبل »^(١) في حال خطبته يوم الجمعة ، وتبليغ صوت عمر إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز من مكامن العدو من الجبل في تلك الساعة .

فان قيل : كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل ؟ وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام ؟

قيل : هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ لأن كل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة . وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته ؛ إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة ، فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك .

وهذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال :

مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء ، وما في الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وسلم .

(فصل)

ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة ، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء في زمان عطش ، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة ، أو تخليصاً من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف ، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة .

واعلم أن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لايجوز أن يظهر كرامة للأولياء ، وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك ، فمنها^(٢) حصول إنسان لا من أبوين ، وقلب جماد بهيمة أو حيواناً ، وأمثال هذا كثير .

(فصل)

فان قيل : فما معنى الولي ؟

قيل : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون فاعلاً مبالغة من الفاعل ؛ كالعليم ، والقدير وغيره ، فيكون معناه : من توالى طاعاته من غير تخلل معصية .

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ، وابن كثير .

(٢) أى من تلك المقدورات .

ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول ، وجريح بمعنى مجروح ، وهو الذى يتولى الحق ، سبحانه ، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالى ، فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة ، قال الله تعالى : « وهو يتولى الصالحين » (١) .

فصل

فان قيل : فهل يكون الولي معصوماً ؟
 قيل : أما وجوباً ، كما يقال فى الأنبياء فلا ، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصير على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات ، فلا يمتنع ذلك فى وصفهم .

ولقد قيل للجنيّد : العارف يزنى يا أبا القاسم ؟
 فأطرق ملياً (٢) ، ثم رفع رأسه وقال : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٣) .

فصل

فان قيل : فهل يسقط الخوف عن الأولياء ؟
 قيل : أما الغالب على الأكابر فكان الخوف ، وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع ، وهذا السرى السقطى يقول :
 لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح : السلام عليك ياولى الله ، فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً وأمثال هذا من حكاياتهم كثيرة .

فصل

فان قيل : فهل تجوز رؤية الله سبحانه ، بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة ؟

(١) من آية ١٦٩ من سورة الأعراف .

(٢) أى طويلاً

(٣) من آية ٣٨ من سورة الأحزاب .

فالجواب عنه : أن الأقوى فيه أنه لا يجوز ؛ لحصول الإجماع عليه ، ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك ، رضى الله عنه ، يحكى عن أبي الحسن الأشعري أنه قال في ذلك قولين في كتاب « الرؤية الكبير » .

فصل

فإن قيل : فهل يجوز أن يكون ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته ؟
 قيل : من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك .
 ومن قال : إنه في الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً ، ثم يتغير ، وهو الذى نختاره .
 ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة ، وأنه لا تتغير عاقبته ، فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي .

فصل

فإن قيل : فهل يزايل الولي خوف المكر ؟
 قيل : إن كان مصطليماً^(١) عن شاهده ، فختطفاً عن إحساسه بحاله فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه ، والخوف من صفات الحاضرين بهم^(٢) .

فصل

فإن قيل : فما الغالب على الولي في حال صحوه ؟
 قيل : صدقه في أداء حقوقه سبحانه ، ثم رفقته وشفقته على الخلق في جميع أحواله . ثم انبساط رحمته لكافة الخلق . ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلب الإحسان من الله عز وجل إليهم من غير التماس منهم . وتعليق الهمة بنجاة الخلق ، وترك الانتقام منهم . والتوقى عن استشعار حقدهم مع قصر اليد عن أموالهم ، وترك الطمع بكل وجه فيهم ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، والتصاون عن شهود مساوئهم ، ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا ولا في الآخرة .

(١) أى مستغنياً .

(٢) أى منهم .

واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء : دوام التوفيق للطاعات ،
والعصمة عن المعاصي والمخالفات ، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على
الأولياء قوله ، سبحانه ، في صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبياً ولا رسولا :

« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » (١) . وكان يقول :

« أنى لك هذا ؟ » فتقول مريم : « هو من عند الله » (١) . وقوله سبحانه :

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » (٢) وكان في غير أوان
الرطب ، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام
الكلب معهم وغير ذلك ، ومن ذلك قصة « ذى القرنين » وتمكينه سبحانه له ما لم
يمكن لغيره ، ومن ذلك ما أظهر على يدى الخضر عليه السلام من إقامة
الحدار وغيره من الأعاجيب ، وما كان يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام .
كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر عليه السلام بها ، ولم يكن نبياً ، وإنما
كان ولياً .

ومما روى من الأخبار في هذا الباب حديث « جريج الراهب » ؛ أخبرنا أبو نعيم
عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني قال : أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن
إسحاق قال : حدثنا عمار بن رجاء قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي قال :
سمعت محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصبي في زمن جريج ، وصبي
آخر ؛ فأما عيسى فقد عرفتموه . وأما جريج فكان رجلاً عابداً في بني إسرائيل .
وكانت له أم . فكان يوماً يصلي إذ اشتاقت إليه أمه . فقالت : يا جريج . فقال :
يارب ، الصلاة خير أم آتيها ؟ (٣) ثم صلى (٤) . فدعته ، فقال مثل ذلك . ثم صلى .
فاشتد على أمه . فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات . وكانت زانية في

(١) آية ٣٧ من سورة آل عمران .

(٢) آية ٢٥ من سورة مريم .

(٣) في نسخة « أم إجابتها » .

(٤) أى استمر في صلاته .

بنى إسرائيل ، فقالت لهم : أنا أفن جريجاً حتى يزني ؛ فأتته ، فلم تقدر على شيء .
وكان راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته^(١) ، فلما أعيها راودت الراعى على
نفسها ؛ فأناها ، فولدت ، ثم قالت : ولدى هذا من جريج .

فأتاه بنو إسرائيل ، وكسروا صومعته ، وشتموه ، ثم صلى ودعا ، ثم نخس^(٢)
الغلام ..

قال محمد^(١) قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
بيده : يا غلام من أبوك ؟

فقال الراعى : فندموا على ما كان منهم ، واعتذروا إليه ؛ وقالوا نبى
صومعتك من ذهب — أو قال : من فضة — فأبى عليهم وبناها كما كانت .

وأما الصبي الآخر فإن امرأة كان معها صبي لها ترضعه ، إذ مر بها شاب
جميل الوجه ، ذو شارة^(٤) ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فقال الصبي :
اللهم لا تجعلنى مثله ..

قال محمد : قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين كان
يحكى الغلام وهو يرضع ثم مرت بها أيضاً امرأة ذكروا أنها سرقت ، وزنت ،
وعوقبت ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذا ..

فقال : اللهم اجعلنى مثلها ...

فقالت له أمه فى ذلك ، فقال : إن الشاب جبار من الجبابرة ، وإن هذه (المرأة)
قيل : إنها زنت ولم تزن ، وقيل : سرقت ولم تسرق ، وهى تقول : حسبى الله^(٥) .
وهذا الخبر روى فى الصحيح ، ومن ذلك حديث الغار ، وهو مشهور مذكور
فى الصحيح .

(١) أى صومعة جريج .

(٢) طعنه بيده .

(٣) ابن سيرين .

(٤) أى هيئة حسنة .

(٥) وحديث : لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة . . أخرجه الحاكم فى المستدرک عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال صحيح .

وقد ذكره النووى فى الرياض أيضاً .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب ابن إبراهيم بن إسحاق قال : حدثنا محمد بن عون ، وزيد بن عبد الصمد الدمشقي وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي ، وأبو الحبيب بن المستنير المصيصي قالوا : حدثنا أبو اليمان قال : حدثنا شعيب عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، فأواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار . فقالوا : إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : إنه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق^(١) قبلهما أهلاً ولا مالا ، فعاقى طلب الشجر يوماً ، فلم أرح^(٢) عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما^(٣) ، فجثتهما به . فوجدتهما نائمين . فتحرجت أن أوقظهما ، وكرهت أن أغبق^(٤) قبلهما أهلاً ولا مالا^(٥) ، فقممت والقذح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي بنت عم ، وكانت أحب الناس إلى ، فراودتها عن نفسها ، فامتنعت ، حتى أملت بها سنة من السنين^(٦) فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت . . حتى إذا قدرت عليها ، قالت : لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه . . فتحرجت من الوقوع عليها . فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلى . . وتركت الذهب الذي أعطيتها : اللهم ، إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم قال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجورهم ، غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله ، أد إلى أجرتي ، فقلت له . كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق

(١) أغبق (بضم الياء) أى أسقى .

(٢) أصل إليهما .

(٣) مشروهما .

(٤) الغبوق : الشرب آخر النهار والصبح الشرب أوله .

(٥) أى حيواناً .

(٦) أى سنة مجدبة .

فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي . . فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله فاستاقه (١) ، ولم يترك منه شيئاً . اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . . فانفرجت الصخرة ، فخرجوا من الغار يمشون (٢) .

ومن ذلك الحديث الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه إن البقرة كلمتهم : أخبرنا أبو نعيم الإسفرائيني قال : أخبرنا أبو عوانة قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : حدثني سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها . . التفتت البقرة وقالت : إني لم أخلق لهذا ؛ إنما خلقت للحرث . . فقال الناس : سبحان الله . . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر . .

ومن ذلك حديث أويس القرني ، وما شهد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حاله وقصته ، ثم التقاؤه (٣) مع هرم بن حيان ، وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما ، وكل ذلك احوال ناقضة للعادة . وتركنا شرح حديث أويس لشهرته .

ولقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ، ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة .

وقد صنف في ذلك كتب كثيرة وسنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز إن شاء الله عز وجل ، فمن ذلك : أن ابن عمر كان في بعض الأنفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع ، فطرد السبع من طريقهم ، ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ، ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء . وهذا خبر معروف .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الحضرمي في غزاة ، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر ، فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء .

(١) ساقه .

(٢) حديث صحيح متفق عليه .

(٣) أي أويس .

وروى أن عتاب بن بشير ، وأسيد بن خضير خرجا (١) من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأضياء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج (٢) .
وروى أنه كان بين يدي سلمان وأبي الذرداء قصعة .. فسبحت حتى سمعا التسبيح .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كم من أشعث أغبر ذي طمرين (٣) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (٤) .

ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سبحانه .
وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدھا .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال : « من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ، ومن لم تظهر له ، فلعدم الصدق في زهده » . فقل لسهل : كيف تظهر له الكرامة ؟ فقال : يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال : حدثنا حدثنا عمرو بن مرزوق قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال : حدثنا وهب بن كيسان ، عن ابن عمر ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً في السحاب . فسمع صوتاً في السحاب : أن اسق حديقة فلان . فجاء ذلك السحاب إلى « سرحة » (٥) فأفرع ماءه فيها ، فأتبع (٦) السحاب . فاذا رجل قائم يصلي في حديقة . فقال : ما اسمك ؟ فقال فلان بن فلان باسمه . قال : فما تصنع بحديقته هذه إذ صرمتها (٧) ؟ قال : ولم تسأل عن ذلك ؟ قال : إني سمعت صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان . قال : أما إذ قلت (٨) فاني أجعلها

(١) في ليلة مظلمة .

(٢) وروى : يظهر عند طرف سوط أحدهما كالقنديل من النور يستضيئان به فقال صاحبه ؛ لو حدثنا الناس بهذا لكذبونا .

(٣) ثوبين قديمين .

(٤) الحديث رواه البراء بن مالك وأخرجه الترمذي والضياء عن أنس ورمز له السيوطي بالضعف وقال المناوي في الغيض :

(الحديث رواه أبو نعيم وغيره عن أنس ، والترمذي في المختاره عن أنس ، ورواه عنه أيضاً الحاكم وصححه أبو نعيم . وفي رواية أخرى فيما أخرجه ابن عساكر عن عائشة : « كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ورمز السيوطي

لهذه الرواية بالضعف ، ورواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي : سنده ضعيف لكنه يحبر بتعددده فقد رواه الرافعي في أماليه أيضاً .

(٥) أي حديقة .

(٦) أي السامع .

(٧) أي قطعت شجرها

(٨) أي سألت .

أثلاثاً . فأجعل لنفسى ولأهلى ثلاثاً وأرد عليها^(١) ثلاثاً . واجعل للمساكين وابن السبيل ثلاثاً .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : دخلنا (تستر) فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه «بيت السباع» فسألنا الناس عن ذلك . فقالوا : كان السباع تجيء إلى سهل ، فكان يدخلهم هذا البيت ، ويضيفهم ، ويطعمهم اللحم ، ثم يخليهم .

قال أبو نصر : ورأيت أهل «تستر» كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول : سمعت حمزة بن عبد الله العلوي يقول : دخلت على أبي الخير التيناني ، وكنت أعتقدت في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاماً ، فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فاذا به خلفي ، وقد حمل طبقاً عليه طعام ، فقال : يا فتى وكل هذا ؛ فقد خرجت الساعة من اعتقادك .

وأبو الخير التيناني مشهور بالكرامات .

وحكى عن إبراهيم الرقي أنه قال : قصدته مسلماً عليه ، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويّاً^(٢) . فقلت في نفسي : ضاعت سفرتي ، فلما سلمت خرجت خرجت للطهارة فقصدني السبع ، فعدت إليه وقلت : إن الأسد قصدني . . فخرج وصاح على الأسد وقال : ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني ؟؟ وتنحى . . وتطهرت . فلما رجعت قال : اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .

وقيل : كان لجعفر الخلدي «فص» فوق يوماً في «دجلة» وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به ؛ فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول .

إن ذلك الدعاء : «يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي» .

(١) أى أخصه لأهلها .

(٢) أى لم يحسن قراءتها .

قال أبو نصر السراج : أراني أبو الطيب العكبي جزءاً ذر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها ، وكان الجزء أوراقاً كثيرة .

سألت أحمد الطائري السرخسي ، رحمه الله ، فقلت له :

هل ظهر لك شيء من الكرامات ؟ فقال : في وقت إرادتي وابتداء أمري ربما كنت أطلب حجراً أستنجي به فلم أجده ، فتناولت شيئاً من الهواء فكان جوهراً فاستنجيت به وطرحته .

ثم قال : وأي خطر للكرامات ؟ . إنما المقصود منه : زيادة اليقين في التوحيد فمن لا يشهد غيره (١) موجدأ (٢) في الكون فسواء أبصر فعلاً معتاداً ، أو ناقضاً للعادة .

سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أبا الحسن البصري يقول :

كان بـ « عبادان » رجل أسود فقير يأوي إلى الخرابات ، فحملت معي شيئاً وطلبت به ، فلما وقعت عينه علي تبسم ، وأشار بيده إلى الأرض ، فرأيت الأرض كلها ذهباً يلمع ، ثم قال : هات مامعك ، فناولته ، وهالني أمره ، وهربت . سمعت منصور المغربي يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول : كان لي استقصاء (٣) في أمر الطهارة ، فضاق صدري ليلة ، لكثرة ما صببت من الماء ، ولم يسكن قلبي ، فقلت : يارب عفوك ، فسمعت هاتفاً يقول : العفو في العلم ، فزال عني ذلك .

سمعت منصوراً المغربي يقول : فرأيت (٤) يوماً قعد على الأرض في الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة ، فقلت : أيها الشيخ هذه آثار الغنم . فقال : اختلف الفقهاء فيه .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول : سمعت أبا سليمان الخراساني يقول : كنت راكباً

(١) أي غير الله الواحد .

(٢) وفي نسخة . « موجدأ » .

(٣) أي مبالغة .

(٤) أي الروذباري .

حماراً يوماً ، وكان الذباب يؤذيه ، فيطأطأ رأسه . فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي ، فرفع الحمار رأسه وقال : اضرب ، فانك على رأسك هو ذا تضرب . قال الحسين : فقلت لأبي سليمان : لك وقع هذا ؟ فقال : نعم . كما تسمعي . وذكر عن ابن عطاء أنه قال : سمعت أبا الحسين النوري يقول :

كان في نفسي شيء من هذه الكرامات ، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ، ثم قلت : وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي قال : فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال .

فبلغ ذلك الحنيد فقال : كان حكمه (١) أن تخرج له أفعى تلدغه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد يقول : حدثنا محمد بن عطية قال : حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال : سمعت أبا بكر الصائغ قال : سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الحنيد قال : كنت بمكة ، فطال شعري ولم يكن معي قطعة من حديد آخذ بها شعري ، فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخبر ، فقلت : تأخذ شعري لله تعالى ؟ فقال : نعم وكرامة ، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني ، وحلق شعري ، ثم دفع إلى قرطاساً فيه دراهم وقال لي : استعن بها على بعض حوائجك ، فأخذتها وأعتقد (٢) أن أدفع إليه أول شيء يفتح على به .

قال : فدخلت المسجد ، فاستقبلني بعض أصحابي وقال لي : جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك . فيها ثلاثمائة دينار .

قال : فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت : هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك . فقال لي : ألا تستحي يا شيخ . . تقول لي احلق شعري لله ، ثم آخذ عليه شيئاً . . انصرف عافاك الله .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت بن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها « سفطاً » (٣) فيه قارورتان في واحدة منهما شيء أحمر ، وفي الأخرى شيء أبيض ، ويوجد « شوشقة » (٤) ذهب ، وشوشقة فضة ، قال : فرمى بالشوشقين في

(١) أى جزاء النورى .

(٢) أى عرمت .

(٣) السفط « بفتح الفاء » القفة .

(٤) يعنى : قطعة .

الدجلة ؛ وخلط ما في القاروريتين بالتراب ، وكان على اسحاق دين قال ابن سالم : قلت لسهل : ما كان في القاروريتين ؟ قال : إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً ، والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة ، فقلت : وماذا عليه لو قضى منه دينه ؟

فقال : أي « دوست » (١) خاف على إيمانه .

وحكى عن النوري أنه خرج ليلة إلى شط « دجلة » فوجدها وقد التزق الشيطان ، فانصرف وقال : وعزتك لا أجوزها إلا في زروق (٢) .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : أُملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال : كان أبو تراب النخشي صاحب كرامات ، فسافرت معه سنة ، وكان معه أربعون نفساً : ثم أصابتنا مرة فاقة ، فعدل أبو تراب عن الطريق ، وجاء « بعذو » موز فتناولنا ، وفينا شاب فلم يأكل . . فقال له أبو تراب : كل . .

فقال : الحال الذي اعتقدته ترك المعلومات وصرت أنت معلومي فلا أصحبك بعد هذا . .

فقال له أبو تراب : كن مع ما وقع لك .

وحكى أبو نصر السراج عن أبي يزيد (٣) قال : دخل على أبوعلى السندی وكان أستاذه ويده جراب ، فصحبها فاذا هي جواهر ، فقلت : من أين لك هذا ؟ فقال : وافيت واديا هاهنا ، فاذا هو يضيء كالسراج ، فحملت هذا .

فقلت : فكيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي ؟

فقال : وقت فترة عن الحال التي كنت فيها .

وقيل لأبي يزيد : فلان يمشى في ليلة إلى مكة .

فقال : الشيطان يمشى في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله .

وقيل له فلان يمشى على الماء ، ويطير في الهواء .

(١) لفظ فارسة معناها : يا صاحبي .

(٢) قال الإمام العري . أي التقبها له الشيطان بحيث لو مد رجله كان على الشط الآخر فانصرف ، وقال تأدباً واعتراًفاً بتوالي نعم الله عليه في كل خارق : « وعزتك لا أجوزها إلا في زروق » كسائر الناس .

(٣) البسطامي .

فقال : الطير يطير في الهواء ، والسملك يمر على وجه الماء .

وقال سهل بن عبد الله : أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك . .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول : سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبي يقول : كان رجل يقال له «عبدالرحمن ابن أحمد» يصحب سهل بن عبد الله ، فقال له يوماً : ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة .

فقال سهل : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون «خشخاشة»^(١) ليشتغلوا بها ؟ .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول أخبرني جعفر بن محمد قال : حدثني الجنيد قال :

دخلت على السري يوماً فقال لي : عصفور كان يجيء في كل يوم فأفت له الخبز ، فبدأ كل من يدي ، فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي ، فتذكرت في نفسي : ماذا يكون السبب ؟ فذكرت أنني أكلت ملحاً بأبزار^(٢) ، فقلت في نفسي : لا آكل بعدها ، وأنا تائب منه ، فسقط على يدي وأكل .

وحدثني أبو عمرو الأنماطي قال : كنت مع أستاذي في البادية ، فأخذنا المطر ، فدخلنا مسجداً نستكن فيه ، وكان السقف يكف^(٣) ، فصعدنا السطح ، ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف ، فقصر الخشب عن الجدار ، فقال لي أستاذي : مدها ، فددتها . . فركبت الحائط من هناها ومن ها هنا .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت أبا بكر الدقاق يقول :

كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشرعية ، فهتف بي هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها الشرعية فهي كفر .

وقال بعضهم : كنت عند خير النساج ، فجاءه رجل وقال : أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعث الغزل بدرهمين^(٤) ، فجئت خلفك ، فحالتهم من طرف إزارك ،

(١) الخشخاش - بفتح الأول - نبات . واحده خشخاشة . خشخاشة وهو نبت ثمرته حمراء . . .

(٢) الأبزار : التوابل .

(٣) أي يقطر ويسيل .

(٤) وصررت الدرهمين في طرف إزارك .

وقد صارت يدي منقبضة على الدرهمين في كفي ، قال : فضحك خيراً وأوماً بيده إلى يدي ففتحها ، ثم قال : امض واشتر بهما لعيالك شيئاً ، ولا تعد لمثله . .

وحكى عن أحمد بن محمد السلمي قال : دخلت على ذى النون المصري يوماً ، فرأيت بين يديه طشتاً من ذهب وحوله الند ، (١) و « العنبر » يسجر (٢) ، فقال لي : أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم ؟ ثم أعطاني درهماً ، فأنفقت منه إلى بلخ .

وحكى عن أبي سعيد الخراز قال : كنت في بعض أسفاري ، وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شيء ، فكنت آكله وأستقل به (٣) ، ففضي على ثلاثة أيام وقتاً من الأوقات ولم يظهر شيء فضعفت . . وجلست ، فهتف بي هاتف . أيما أحب إليك : سبب ، أو قوة ؟

فقلت : القوة . فقامت من وقتي ، ومشيت اثني عشر يوماً لم أذق فيها شيئاً ، ولم أضعف .

وعن المرتعش قال : سمعت الخواص يقول : تهت في البادية أياماً ، فجاءني شخص وسلم علي ، وقال لي : تهت . . فقلت له : نعم ، فقال : ألا أدلك على الطريق ؟

ومشي بين يدي خطوات ، ثم غاب عن عيني ، وإذا أنا على الجادة ، فبعد ذلك ما تهت ولا أصابني في سفر جوع ولا عطش .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، يقول : سمعت عمر بن يحيى الأردبيلي يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت ابن الجلاء يقول لي :

لما مات أبي ضحكك على المغتسل ؛ فلم يجسر أحد يغسله ، وقالوا : إنه حي ، حتى جاء واحد من أقرانه وغسله .

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت طلحة القصائري يقول : سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله يقول : كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوماً ، وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وكان أبو عبيد البصري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً ، ويقول لامرأته :

(١) الند - بفتح النون - خليط من مسك وكافور .

(٢) أي يوقد في النار .

(٣) أي اكتفى .

طينى على الباب ، وألقى إلى كل ليلة من الكوة^(١) رغيفاً ، وإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فاذا بثلاثين رغيفاً فى زاوية البيت ، فلا أكل ولا شرب ، ولا نام ، ولا فاتته ركعة من الصلاة .

وقال أبو الحارث الأولاشى : مكثت ثلاثين سنة ما يسمع^(٢) لسانى إلا من سرى ، ثم تغيرت الحال ؛ فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من ربى .

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا أبو الحسن غلام شعوانة قال : سمعت على بن سالم يقول : كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه ، فاذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانه .

وحكى على أبى عمران الواسطى قال : انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح ، وقد ولدت فى تلك الحالة صبية ، فصاحت بى وقالت لى : يقتلنى العطش . . فقلت : هو ذا يرى حالنا ؛ فرفعت رأسى ، فاذا رجل فى الهواء وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر ، وقال : هاك اشربا . قال : فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل . فقلت : من أنت رحمك الله ؟

فقال : عبد لمو لاء . فقلت : بم وصلت إلى هذا ؟

فقال : تركت هواى لمرضاته فأجلسنى فى الهواء . ثم غاب عنى ولم أره .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا بكران بن أحمد الجبلى قال : سمعت يوسف بن الحسن يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول : رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه ، وقلت : إنك تكثر الصلاة . . فقال : أنتظر الإذن من أبى فى الانصراف .

قال : فرأيت رقعة سقطت عليه ، مكتوب فيها : « من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق : انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

وقال بعضهم :

كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى^(٣)

(١) بفتح الكاف وضمها الطاءة .

(٢) أى لا ينطق .

(٣) أى نقص وتحكى كرامات الأولياء .

الآيات ، ورجل ضرير بالقرب منا يسمع ، فتقدم إلينا ، وقال : أنست بكلامكم ؛ اعلّموا أنه كان لى صبية وعيال ، وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب . فخرجت يوماً . . فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله فى إصبعة ، فتوهمت أنه تائه فقصدته أسلب ثوبه : فقلت له : إنزع ما عليك . فقال : سر فى حفظ الله . فقلت الثانية والثالثة . فقلت : لا بد ؟ فقلت : لا بد . . فأشار من بعيد بأصبعة إلى عيني فسقطتا . فقلت : بالله عليك . من أنت ؟ فقال : إبراهيم الخواص .

وقال ذو النون المصرى :

كنت وقتاً فى السفينة فسرقت قطيفة^(١) . فاتهموا بها رجلاً . فقلت : دعوه حتى أرفق به . وإذا الشاب نائم فى عباءة . فأخرج رأسه من العبءة . فقال له ذو النون فى ذلك المعنى^(٢) . فقال : إلى تقول ذلك ؟ . أقسمت عليك يارب أن لا تدع واحداً من الحيتان إلا جاء بجوهرة . قال : فرأينا وجه الماء حيتاناً فى أفواههم^(٣) الجواهر ، ثم ألقى الفتى نفسه فى البحر ومر إلى الساحل . وحكى عن إبراهيم الخواص قال :

دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه « زنار » فسألنى الصعبة فمشينا سبعة أيام . فقال لى : يا راهب الحنيفية^(٤) هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهى لاتفضحنى مع هذا الكافر . فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء . فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت : يا راهب النصرارى . هات ما عندك . فقد انتهت النوبة إليك . فاتكأ على عصاه . ودعا . فاذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى . قال : فتحررت وتغيرت . وأبيت أن آكل . فألح على فلم أجبه . فقال : كل ؛ فانى أبشرك ببشارتين . إحداهما : أنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . وحل الزنار . والأخرى : أنى قلت اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح على بهذا ؛ ففتح . فأكلنا ومشينا وحجج^(٥) . وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء .

وقال محمد بن المبارك الصورى :

(١) وفى نسخة « جوهرة » .

(٢) أى إتهمهم له .

(٣) الأول : فى أفواهها كما فى بعض النسخ .

(٤) أى المسلمين .

(٥) وفى نسخة وحجينا .

كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان ، فصلينا ركعات ، فسمعت صوتاً من أصل الرمان : يا أبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً ، فطأطأ إبراهيم رأسه ، فقال ثلاث مرات . ثم قال : يا محمد كن شفيعاً إليه ؛ ليتناول شيئاً فقلت : يا أبا إسحق ، لقد سمعت . فقام وأخذ رمانتين ، فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة ، وكانت شجرة قصيرة ، فلما رجعنا (١) مررنا بها فإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو . وهي تثمر في كل عام مرتين . وسموها « رمانة العابدین » . ويأوي إلى ظلها العابدون . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن الفرحان يقول : سمعت الحنيد يقول : سمعت أبا جعفر الحصاف يقول : حدثني جابر الرحبي قال : أكثر أهل الرحبة على الإنكار في باب الكرامات ، فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة ، وقلت : أين الذين يكذبون أولياء الله ؟ قال : فكفوا بعد ذلك عني . سمعت منصوراً المغربي يقول : رأى بعضهم الحضر عليه السلام ، فقال له : هل رأيت فوقك أحداً ؟

فقال : نعم ، كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة ، والناس حوله يستمعون . . .

فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه . فقلت له : يا هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم لاتسمع منه ؟ فقال : إنه يروى عن ميت ، وأنا لست بغائب عن الله ؟

فقلت : إن كنت كما تقول ، فمن أنا ؟ فرفع رأسه وقال : أنت أخي أبو العباس الحضر ، فعلمت أن الله عبادة لم أعرفهم .

وقيل : كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له ، يحيى (٢) يتعبد في غرفة ليس إليها سلم ولا درج ، فكان إذا أراد أن يتطهر ، يجرى إلى باب الغرفة ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويمر في الهواء كأنه طير ، ثم يتطهر ، فإذا فرغ يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويعود إلى غرفته .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال : سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازي بالبصرة قال : سمعت أبا محمد جعفر الجداء بشيراز قال : كنت أتأدب بأبي عمر الأصطخري ، فكان إذا خطر لي خاطر أخرج إلى

(١) بعد زيارتهما لبيت المقدس .

(٢) ابن سعيد .

فرما أجباني عما احتاج إليه من غير أن أسأله ، وربما سألته فأجابني ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سري مسألة أجباني من اصطخر ، فيخاطبني بما يرد على .

وحكى عن بعضهم قال :

مات فقير في بيت مظلم ، فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج ، فوقع من كوة ضوء . فأضاء البيت ، فغسلناه ، فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن . وعن آدم بن أبي إياس قال :

كنا بعسقلان ، وشاب يغشانا ويجالسنا . ويتحدث معنا ؛ فاذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلي ، قال : فودعنا يوماً وقال: أريد الإسكندرية . فخرجت معه ، وناولته درهماً ، فأبى أن يأخذها . فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته . واستقى من ماء البحر . وقال : كله . فنظرت فاذا هو سويق بسكر كثير . فقال : من كان حاله معه (١) مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ؟ . ثم أنشأ يقول :

بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب
ولغيره :

ليس في القلب والفؤاد جميعا موضع فارغ يراه الحبيب
هو سؤلى ومنيتى وسرورى وبه ما حيت عيشى يطيب
وإذا ما السقام حل بقلبي لم أجده غيره لسقمى طيب
وحكى عن إبراهيم الأجرى قال :

جاءني يهودى يتقاضى على في دين (٢) كان له على . وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الأجر . فقال لى اليهودى : يا إبراهيم . أرني آية أسلم عليها . . . فقلت له : تفعل ؟ . فقال : نعم . فقلت : إنزع ثوبك . فنزع ، فلففته ، ولففت على ثوبه ثوبى ، وطرحته في النار ، ثم دخلت الأتون وأخرجت للثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر ، فاذا ثيابى بحالها لم يصبها شيء ، وثيابه (٣) في وسطها صارت حراقة . فأسلم اليهودى .

(١) وفي نسخه « مع الله » .

(٢) أى : يطالبني بدن .

(٣) وفي نسخة « وثوبه في وسطه » .

وقيل : كان حبيب العجمي يرى بالبصرة يوم التروية ، ويوم عرفة بعرفات . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني يقول :

تزوج عباس بن المهتدي امرأة ، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة ، فلما أراد الدنو منها زجر عنها ، فامتنع من وطئها ، وخرج . فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج . .

قال الأستاذ الإمام : هذا هو الكرامة على الحقيقة ؛ حيث حفظ عليه العلم . وقيل : كان الفضيل بن عياض على جبل من جبال « منى » فقال : لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد^(١) لماد ، قال : فتحرك الجبل . فقال : : اسكن ، لم أردك بهذا . . فسكن الجبل .

وقال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري :

كيف صنعت حين طلبك الحجاج ؟ قال : كنت في غرفتي فدقوا على الباب ، فدخلوا ، فدفعني بي دفعة ، فاذا أنا على جبل « أبي قبيس » بمكة ، فقال له عبد الواحد : من أين كنت تأكل ؟ قال : كانت تصعد إلى عجوز كل وقت لإطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة .

فقال عبد الواحد : تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أبا عاصم .

وقيل : كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه^(٢) ، ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئاً ، فكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدرهم ، فتكون بمقدار ما أخذه لم ينقص شيئاً .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : سمعت أبا أحمد الكبير يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول :

دخلت على الحنيد ، وكنت أريد أن أخرج إلى الحج ، فأعطاني درهماً صحيحاً ، فشددته على مئزري ، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاء ، ولم أحتج إلى الدرهم ؛ فلما حججت ، ورجعت إلى بغداد دخلت على الحنيد . فمد يده وقال : هات ، فناولته الدرهم ، فقال : كيف كان ؟ فقلت : كان الحتم^(٣) نافذاً .

(١) يتحرك .

(٢) نصيبه الشهري من بيت المال .

(٣) أي الأمر .

وحكى عن أبى جعفر الأعور قال :

كنت عند ذى النون المصرى فتذاكرنا حديث طاعة الاشياء للأولياء فقال ذو النون . من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا بالبيت ، ثم يرجع إلى مكانه فيفعل ، قال : فدار السرير فى أربع زوايا البيت وغاد إلى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت .

وقيل : إن واصلا الأحدب قرأ : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » (١) . فقال : رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ والله لا طلبته أبداً . فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء (٢) . فاشتد عليه ، فلما كان اليوم الثالث إذا « بدوخله » (٣) من رطب ، وكان له أخ أحسن منه نية ، فصار معه ، فاذن قد صار دوخلتين (٤) فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت .

وقال بعضهم : أشرفت على إبراهيم بن أدهم ، وهو فى بستان يحفظه ، وقد أخذه النوم ، وإذا خية فى فيها (٥) طاقة نرجس تروحه بها .

وقيل : كان جماعة مع أيوب السجستاني فى السفر فأعياهم طلب الماء ، فقال أيوب : أتسترون على ما عشت ؟ فقالوا : نعم ، فدور دائرة فنبع الماء ، فشربنا قال : فلما دخلنا البصرة (٦) أخبر به حماد بن زيد ، فقال عبد الواحد بن زيد : شهدت معه ذلك اليوم .

وقال بكر بن عبد الرحمن :

كنا مع ذى النون المصرى فى البادية ، فنزلنا تحت شجرة من « أم غيلان » فقلنا : ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب ؛ فتبسم ذو النون وقال : أتشتهون الرطب ؟ وحرك الشجرة وقال : أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنيماً . ثم حركها ، فنثرت رطباً جنيماً . فأكلنا وشبعنا . ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكة .

وحكى عن أبى القاسم بن مروان الهاوندى قال :

(١) آية ٢٢ من سورة الذاريات .

(٢) أى رزق .

(٣) قفة من خوص يوضع فيها الرطب .

(٤) صار ما معه مضاعفاً لوجود أخيه معه .

(٥) وفى نسخة فى فمها .

(٦) بعد موت أيوب .

كنت أنا وأبوبكر الوراق مع أبي سعيد الحراز نمشي على ساحل البحر نحو « صيدا » فرأى شخصاً من بعيد ، فقال : اجلسوا . لا يخلوا هذا الشخص أن يكون ولياً من أولياء الله . قال : فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه . وبيده ركوة و « محبرة » وعليه مرقعة . فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له : يا فتى ، كيف الطرق إلى الله تعالى ؟ فقال : يا أبا سعيد ، أعرف إلى الله طريقين : طريقاً خاصاً ، وطريقاً عاماً ، فأما الطريق العام فالذي أنت عليه . وأما الطريق الخاص : فهم^(١) ، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا . فبقي أبوسعيد حيران مما رى . .
وقال الحنيد :

جئت مسجد « الشونزية » فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات^(٢) فقال فقير منهم : أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهباً نصفك ، ونصفك فضة كانت . . قال الحنيد : فنظرت . . فاذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة .

وقيل : حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي ، فعرض لهما سبع ، فقال سفيان لشيبان : أما ترى هذا السبع ؟ فقال : لا تخف . فأخذ شيبان أذنه فعركها . . . فبصبص^(٣) وحرك ذنبه . . فقال سفيان : ماهذه الشهرة ؟ . فقال : لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتى مكة . .

وحكى أن السري لما ترك النجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزها . فأبطأت يوماً ، فقال لها السري : لم أبطأت ؟ . فقالت : لأن غزلي لم يشتر ، وذكروا أنه مخلط . فامتنع السري عن طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عنده عجوزاً تكنس بيته ، وتحمل إليه كل يوم رغيفين فحزنت أخته^(٤) وشكت إلى أحمد بن حنبل ، فقال أحمد بن حنبل للسري فيه ؛ فقال : لما امتنعت من أكل طعامها قيص الله لي الدنيا لتنفق على وتخدمني .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا علي بن هارون قال : حدثنا علي ابن أبي محمد التميمي قال : حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال : حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال :

(١) أي : تعال إلى لأعرفه لك .

(٢) أي : الكرامات .

(٣) أي : حرك .

(٤) وفي نسخة : فخرجت .

كنت عند ألي محفوظ معروف الكرخي ، فدعا لي ؛ فرجعت إليه من الغد وفي وجهه أثر ، فقال له إنسان : يا أبا محفوظ ، كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر ، فما هذا ؟ . فقال : سل عما يعنيك . . فقال الرجل : ممعبودك أن تقول ، فقال : صليت البارحة هاهنا ، واشتهيت أن أطوف بالبيت ، فمضيت إلى مكة ، وطفقت ، ثم ملت إلى زمزم ؛ لأشرب من مائها . فزلقت على الباب ، فأصاب وجهي ما تراه .

وقيل : كان عتبة الغلام يقعد فيقول : « ياورشان »^(١) إن كنت أطوع لله عز وجل مني فتعال واقعد على كفي ؛ فيجىء « الورشان » ويقعد على كفه .
وحكى عن أبي على الرازي أنه قال :

مررت يوماً على الفرات ، فعرضت لنفسي شهوة السمك الطرى ، فاذا الماء قذف سمكة نحوى ، وإذا رجل يعدو ويقول : أشويها لك ؟
فقلت : نعم . فشواها ، فقعدت وأكلتها .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعرض لهم السبع ؛ فقالوا : يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع . . فجاء إبراهيم وقال : يا أسد ، إن كنت أمرت فينا بشيء فاقض وإلا فارجع . فرجع الأسد ومضوا .
وقال حامد الأسود :

كنت مع الخواص في البرية ، فبتنا عند^(٢) شجرة إذ جاء السبع ، فصعدت إلى الصباح لا يأخذني النوم ، ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه .. ثم مضى .

فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية ، فوقعت بقعة على وجهه فضربتته^(٣) ، فأن أنه ، فقلت : هذا عجب ، البارحة لم تجزع من الأسد ، والليلة تصيح^(٤) من البق . .

فقال : أما البارحة ، فتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل ، وأما الليلة ، فهذه حالة أنا فيها بنفسى^(٥) .

(١) نوع من الطيور .

(٢) وفي نسخة « تحت شجرة » .

(٣) أى قرصته .

(٤) وفي نسخة « تصيح » .

(٥) أى مشتغل بنفسى .

وحكى عن عطاء الأزرق : أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ؛ ليشتري لهم شيئاً من الدقيق ، فخرج من بيته ، فلقى جارية تبكى ، فقال لها : ما بالك ؟ فقالت : دفع إلى مولاي درهمين اشتري لهم شيئاً . فسقطا منى فأخاف أن يضربنى . . فدفع عطاء الدرهمين إليها . ومر . وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج^(١) وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته . فقال له صاحبه : خذ من هذه النشارة في هذا الحراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور^(٢) ؛ إذ ليس يساعدنى الإمكان في شيء آخر . . فحمل النشارة ، وفتح باب داره ، ورمى بالحراب ، ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة ؛ ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة ، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز ؛ فقال : من أين لكم هذا الخبز ؟ فقالوا : من الدقيق الذى كان فى الحراب . لا تشتري من غير هذا الدقيق . قال : أفعل إن شاء الله .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر بن بركات يقول :

كنت أجالس الفقراء ، ففتح على بدينار ، فأردت أن أدفعه إليهم ، ثم قلت فى نفسى : لعلى أحتاج إليه . . فهاجبى وجع الضرس ، فقلعت سناً فوجعت الأخرى حتى قلعتها . .

فهتف بى ها تف : إن لم تدفع إليهم الدينار ، فلا يبقى فى فمك سن واحدة . . قال الأستاذ : وهذا^(٣) فى باب الكرامة أتم من أن كان يفتح عليه بدنائير كثيرة تنقض العادة .

وحكى أبو سليمان الداراني قال :

خرج عامر بن قيس إلى الشام ، ومعه « شكوة »^(٤) إذا شاء صب منها ماء ليتوضأ للصلاة ، وإذا شاء صب منها لبناً يشربه .

وروى عثمان بن أبي العاتكة قال :

(١) نوع من الخشب .

(٢) أى ، إيقاده .

(٣) أى تنبيه الله ، سبجانه ، له بوساطة الهاتف .

(٤) قرية .

كنا في غزاة في أرض الروم ، فبعث الوالى سرية إلى موضع ، وجعل الميعاد في يوم كذا .

قال : فجاء الميعاد ولم تقدم السرية ، فبينما أبو مسلم (١) يصلى إلى رمحه الذى ركزه بالأرض إذ جاء طائر إلى رأس السنان وقال : إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا .

فقال أبو مسلم للطير : من أنت ، رحمك الله تعالى ؟

فقال : أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين .

فجاء أبو مسلم إلى الوالى وأخبره بذلك ، فلما كان اليوم الذى قال أتت السرية على الوجه الذى قال .

وعن بعضهم قال :

كنا في مركب فمات رجل كان معنا عليل ، فأخذنا في جهازه ، وأردنا أن نلقيه في البحر فصار البحر جافاً ، ونزلت السفينة (٢) ، فخرجنا وحفرنا له قبراً ، ودفناه ، فلما فرغنا استوى الماء ، وارتفع المركب ، وسرنا .

وقيل : إن الناس أصابهم محاجة بالبصرة ، فاشترى حبيب العجمى طعاماً بالنسيئة ، وفرقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه ، فلما جاءوا يتقاضونه أخذه ، وإذا هو مملوء دراهم ، فقضى منها ديونهم .

وقيل : أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم ديناراً ، فصلى على الشط ركعتين ، وقال : اللهم إنهم قد سألوني ما ليس عندى ، فصار الرمل بين يديه دنائير .

حدثنا محمد بن عبد الله الصرفى قال : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا محمد بن أحمد المرازى قال : حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو حمزة نصر ابن الفرج خادم أبي معاوية الأسود قال :

كان أبو معاوية ذهب بصره ، فاذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره ، فاذا أطبق المصحف ذهب بصره . .

وقال أحمد بن الهيثم المتطيب : قال لى بشر الحافى : قل لمعروف الكوخى : إذا صليت جئتكَ ؛ قال : فأديت الرسالة وانتظرت ، فصلينا الظهر ولم يجىء ، ثم

(١) الخولاى .

(٢) على الأرض .

صلينا العصر ، ثم المغرب ، ثم العشاء ، فقلت في نفسي : سبحان الله مثل بشر يقول شيئاً ثم لا يفعل . . لا يجوز أن لا يفعل . . . وانتظرته وأنا فوق مسجد على مشرعة^(١) ، فجاء بشر بعد هوى من الليل ، وعلى رأسه سجادة ، فتقدم إلى هجلة ومشى على الماء ، فرميت بنفسى من السطح ، وقبلت يديه ورجليه ، وقلت : ادع الله لي ، فدعاني ، وقال : استره على . قال : فلم أتكلم بهذا حتى مات .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي قال : حدثنا أبو الفرج الورثاني قال : سمعت علي بن يعقوب بدمشق قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول : سمعت قاسماً الجرجي يقول :

رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله : إلهي : قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتي . .

فقلت : مالك لا تزيد على هذا الدعاء ؟

فقال : أحدثك . . اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى ، فخرجنا إلى الجهاد ، فأسرنا للروم ، ومضوا بنا لنقتل ؛ فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين ، فتقدم واحد منا فضربت عنقه . فرأيت جارية منهم هبطت إلى الأرض وببيدها منديل فقبضت روحه حتى ضربت أعناق ستة منا ، فاستوهبني بعض رجالهم ، فقالت الجارية : أي شيء فاتك يا محروم ! وغالقت الأبواب ، فأنا يا أخي متأسف متحسر على ما فاتني . . .

قال قاسم الجرجي :

أراه أفضلهم ، لأنه رأى ما لم يروا . . وعمل على الشوق بعدهم وسمعت يقول : سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين « بخوزستان » يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول :

كنت في طريق مكة في وسط السنة ، فاذا أنا « بهميان »^(٢) ملآن يلتمع دنانير ، فهممت أن أحمله لأفرقه على فقراء مكة ، فهتف بي هاتف : إن أخذته سلبناك فقرك :

حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال : سمعت أبا علي الروذباري يقول : سمعت العباس الشرقي يقول :

(١) المشرعة : بفتح الميم والراء شريعة الماء « موارد التاربية » .

(٢) الهميان : الكيس .

كنا مع أبي تراب. التخشبي في طريق مكة ، فعدل عن الطريق إلى ناحية. فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان . فضرب برجله إلى الأرض فاذا عين من ماء زلال ، فقال الفتى : أحب أن أشربه في قدح ، فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقانا ، وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لي أبو تراب يوماً : ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده ؟ . فقلت : ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها .

فقال : من لم يؤمن بها فقد كفر ، إنما سألتك من طريق الأحوال . فقلت : ما أعرف لهم قولاً فيه .

قال : بلى ، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق ، وليس الأمر كذلك ، إنما الخدع في حال السكون إليها ، فأما من لم يقترح ذلك ^(١) ، ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين .

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا أبو الفرج الورثاني قال : سمعت محمد بن الحسين الخلدی بطرسوس قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : كنا في غرفة سرى السقطي ببغداد ، فلما ذهب من الليل شيء لبس قميصاً نظيفاً وسراويل ورداء ونعلاً ، وقام ليخرج ، فقلت : إلى أين في هذا الوقت ؟ فقال : أعود فتحاً الموصلی .

فلما مشى في طرقات بغداد أخذه العسس وحبسوه ، فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين ، فلما رفع الجلاذ يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أن يحركها فقبل للجلاذ : اضرب . .

فقال : بحدائي شيخ واقف يقول لي لا تضربه ، فتقف يدي لا تتحرك . فنظروا من الرجل ، فاذا هو فتح الموصلی ؛ فلم يضربوه .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمی قال : حدثنا الحارث الخطابي قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا علي بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن يحيى البصري قال : كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد ، فأتوه يوماً وقالوا : إنا نخاف من الضيقة والحاجة . . فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائك ، وتلهمه الصني من أحبائك

(١) أي لم يسألها .

أن تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الإحسان ، اللهم الساعة . الساعة . .

قال : فسمعت والله قعقة للسقف ، ثم تناثرت علينا دنائير ودراهم : فقال عبد الواحد بن زيد : استغنوا بالله عز وجل عن غيره : فأخذوا ذلك . ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئاً .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن علي الجوزي بـ « جنديسابور » قال : سمعت الكتاني يقول :

رأيت بعض الصوفية ، وكان غريباً ما كنت أثبته^(١) قد تقدم إلى الكعبة وقال : يا رب ما أدري ما يقول هؤلاء . - يعني الطائفين - فقليل له : أنظر ما في هذه الرقعة قال : فطارت الرقعة في الهواء وغابت .

وسمعته يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول : سمعت محمد بن علي ابن الحسين المقرئ بـ « طرسوس » يقول : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول :

اشتيت والدي على والدي يوماً من الأيام سمكاً ، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه ، فاشترى سمكاً ، ووقف ينتظر من يحمله ، فرأى صبيّاً وقف بحذاءه مع صبي فقال : يا عم ، تريد من يحمله ؟ فقال : نعم ، فحمله ومشى معنا ، فسمعنا الأذان ، فقال الصبي : أذن المؤذن ، وأحتاج أن أتطهر وأصلي ، فان رضيت ، وإلا فاحمل السمك ، ووضع الصبي السمك ومر .

فقال أبي : فنحن أولى أن نتوكل في السمك . فدخلنا المسجد فصلينا ، وجاء الصبي وصلي ، فلما خرجنا فاذا بالسمك موضوع مكانه ، فحمله الصبي ومضى معنا إلى دارنا . .

فذكر والدي ذلك لوالدي ، فقالت : قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا ، فقلنا له ، فقال : إني صائم ، فقلنا : فتعود إلينا بالعشي : فقال : إذا حملت مرة في اليوم لا أحمل ثانياً ، ولكني سأدخل المسجد إلى المساء ، ثم أدخل عليكم ، فمضى . .

فلما أمسينا دخل الصبي ، وأكلنا ، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ، ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة ، فتركناه في بيت ، فلما كان في بعض الليل وكان لقريب

(١) أي أعرفه .

(٢) أي يتوكلان على الله .

سمعت محمد بن الحسين يقول : حدثنا أبو الحارث الخطابي قال : حدثنا محمد ابن الفضل قال : حدثنا علي بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن يحيى البصري قال : أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس في ظل ، فقلت له : لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل : فقال : ربي أعلم بمصالح عباده ، ثم أخذ بخصني من الأرض ، ثم قال : اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت ، فإذا هي والله في يده ذهب ، فألقاها إلى وقال : أنفقها أنت فلاخير في الدنيا إلا للآخرة .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول :

قال لي أستاذي أبو يعقوب السوسي : غسلت فريداً فأمسك إبهامي وهو على المغتسل . فقلت : يا بني خل يدي ؛ أنا أدري أنك لست بميت ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار . . فخل يدي . .

وسمعت يقول : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسي يقول : سمعت إبراهيم ابن شيبان يقول :

صحبني شاب حسن الإرادة ، فمات ، فاشتغل قلبي به جداً ، وتوليت غسله ، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة ، فأخذها مني وناولني يمينه ؛ فقلت صدقت يا بني . أنا غلطت .

وسمعت يقول : سمعت أبا النجم المقرئ البرذعي بشرأز يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت أبا يعقوب السوسي يقول :

جاءني مرید بمكة فقال : يا أستاذ ، أنا غداً أموت وقت الظهر ؛ فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه ، وكفني بنصفه الآخر ، ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ، ثم تباعد ومات ، فغسلته ، وكفنته ووضعته في اللحد ، ففتح عينيه ، فقلت : أحياء بعد موت ؟ . فقال : أنا حي ، وكل محب لله حي .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول : سمعت أبا علي بن وصيف المؤدب يقول :

تكلم سهل بن عبد الله يوماً في الذكر فقال : إن الذاكر لله على الحقيقة لو هم أن يحيي الموتى لفعل ، ومسح يده على عليل بين يديه ، فبريء ، وقام .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : أخبرني علي بن إبراهيم بن أحمد قال : حدثنا عثمان بن أحمد قال : حدثنا الحسين بن عمر قال : سمعت بشر بن الحارث يقول :

كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه ، والسباع حوله تحرك أذناها . وسمعت يقول : سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول : سمعت المغازلي يقول : سمعت الحنيد يقول :

كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السري وقلت : هذه أربعة دراهم حملتها إليك ، فقال : أبشر يا غلام بأنك تفلح ؛ كنت أحتاج إلى أربعة دراهم ؛ فقلت « اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك » .

وسمعت يقول : حدثني إبراهيم بن أحمد الطبري قال : حدثنا أحمد بن يوسف قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو إبراهيم اليماني قال :

خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فأنهينا إلى « غيضة »^(١) فيها حطب يابس كثير ، وبالقرب منه حصن . فقلنا لإبراهيم بن أدهم : لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب ؟ فقال : افعلوا فطلبنا النار من الحصن . فأوقدنا ، وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل ، فقال واحد منا : ما أحسن هذا الحمر . لو كان لنا لحم نشويه عليه ؟ . فقال إبراهيم بن أدهم : إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه . قال : فبيننا نحن كذلك إذا بأسد يطرد « إيلاً »^(٢) فلما قرب منا وقع ، فاندقت عنقه^(٣) ، فقام إبراهيم بن أدهم وقال : اذبحوه ، فقد أطعمكم الله . فذبحناه .. وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا القاسم عبد الله بن علي الشجري يقول : سمعت حامداً الأسود يقول :

كنت مع إبراهيم الخواص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة ، فلما كان السابع ضعفت ، فجلست ، فالتفت إلى وقال : مالك ؟ فقلت : ضعفت .. فقال : أيها أغلب عليك^(٤) : الماء أو الطعام ؟ فقلت : الماء فقال : الماء وراءك ..

(٢) التيس الجلي

(٤) وفي نسخة « أحب إليك » .

(١) أشجار من قصب .

(٣) وفي نسخة « ومد عنقه » .

فالتفت فاذا عين ماء كاللبن الحليب ، فشربت وتطهرت . وإبراهيم ينظر ولم يقرب به .

فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه ، فقال : أمسك ؛ فإنه ليس مما يتزود منه .

سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله الدباس البغدادي يقول : سمعت فاطمة أخت أبي علي الروذباري تقول : سمعت زيتونة خادمة أبي الحسين النوري - وكانت تخدمه ، وخدمت أبا حمزة ، والحنيذ - قالت :

كان يوم بارد ، فقلت للنوري : أحمل إليك شيئاً ؟ فقال : نعم ، فقلت ماذا تريد ؟ قال : خبز ولبن^(١) ، فحملت ، وكان بين يديه فحم ، وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت يده ، فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم . فقلت في نفسي : ما أقدر أوليائك يارب . ما فيهم أحد نظيف . . قالت : فخرجت من عنده ، فتعلقت بي امرأة وقالت : سرقت لي رزمة ثياب وجروني إلى الشرطي ، فأخبر النوري بذلك ، فخرج وقال للشرطي : لا تتعرضوا لها ؛ فإنها ولية من أولياء الله تعالى ، فقال الشرطي : كيف أصنع والمرأة تدعي ؟ .

قال : فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة ، فاسترد النوري المرأة ، وقال لها : تقولين بعد هذا ما أقدر أوليائك ، قالت : فقلت قد تبت إلى الله تعالى .

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازي يقول : سمعت محمد بن فارس الفارسي يقول : سمعت أبا الحسن خيراً النساج يقول : سمعت الخواص يقول :

عطشت في بعض أسفاري ، وسقطت من العطش فاذا أنا بماء رش على وجهي ففتحت عيني فاذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء ، فسقاني الماء ، وقال : كن رديني ، وكنت بالبحار فما لبثت إلا يسيراً ، فقال لي : ما ترى ؟ فقلت : أرى المدينة ، فقال : انزل وأقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام ، وقل : أخوك الحضر يقرئك السلام .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول : قال أبو الحديد : سمعت المظفر الحصا يقول :

(١) والأولى لغويا أن يكون التعبير « خبزاً ولبناً » .

كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم . فقال الخراط : إن الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله تعالى ذكره . قال فخالفته . فقال : لو كان الحضر عليه السلام هاهنا الشهد بصحته . قال : فاذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال : صدق : الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره ، فعلمنا أنه الحضر . عليه السلام .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول :

جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال : إن الناس يقولون إنك تمشي على الماء . فقال : سل مؤذن المحلة ، فانه رجل صالح لا يكذب . قال : فسألته . فقال المؤذن : لا أدري هذا . . ولكنه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع في الماء فلو لم أكن أنا لبقى فيه .

قال الأستاذ أبو علي الدقاق :

إن سهلاً كان بتلك الحالة التي وصف بها ، ولكن الله سبحانه يريد أن يستر أوليائه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض سترًا لحال سهل ، وسهل كان صاحب الكرامات .

وفي قريب من هذا المعنى (١) ما حكى عن أبي عثمان المغربي قال :

رأيت به خط أبي الحسين الجرجاني قال : أردت مرة أن أمضي إلى مصر ، فخطر لي أن أركب السفينة ، ثم خطر ببالي أنني أعرف هناك ، فخفت الشهرة فمر المركب فبدأ لي ، فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ، ولم يقل أحد إن هذا ناقض للعادة أو غير ناقض ، فعرفت أن الولي مستور وإن كان مشهوراً .

ومما شاهدنا من أحوال الأستاذ أبي علي الدقاو . رضي الله عنه ؛ معاينة أنه كان به علة حرقه (٢) البول ، وكان يقوم في ساعة غير مرة . حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتي فرض ، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس . وربما كان يحتاج إليها في الطريق مرات ذاهباً وجائياً ، وكان إذا فعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زماناً طويلاً ، وكنا نعاين ذلك منه سنين ،

(١) أي من ستر حال الولي .

(٢) وفي نسخه « حرق » .

ولم يقع انما في حياته أن هذا شيء ناقض للعادة ، وإنما وقع لي هذا وفتح على علمه بعد وفاته .

وفي قريب من هذا ما يحكى عن سهل بن عبد الله أنه كان قد أصابته زمالة في آخر عمره ، فكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلي إقاماً .

ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعداً ، وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : حدثنا إبراهيم بن محمد المالكى قال : حدثنا يوسف بن أحمد البغدادى قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال :

حججت أنا وأبو سليمان الداراني ، فبينما نحن نسير إذ سقطت السطحية (١) مني ، فقلت لأبي سليمان فقدت السطحية . وبقينا بلا ماء ، وكان برد شديد ، فقال أبو سليمان : ياراد الضلة . . . يا هادياً من الضلالة اردد علينا الضالة ، فاذا واحد ينادي : من ذهبت له سطحية ؟ قال : فقلت : أنا . . فأخذتها ، فبينما نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد فاذا نحن بانسان عليه طمران (٢) وهو يترشح عرقاً ، فقال أبو سليمان : تعالى ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب ، فقال : يا أبا سليمان أتشير إلى بالزهد وأنت تجد البرد ؟ أنا أسبح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ، ولا ارتعدت ، يلبسني الله في البرد فيحاً من محبته ، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته . . ومر .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر محمد بن علي التكريتي (٣) يقول : سمعت محمد ابن علي الكتاني بمكة يقول : سمعت الخواص يقول : كنت في البادية مرة ، فسرت في وسط النهار ، فوصلت إلى شجرة ، وبالقرب منها ماء ، فنزلت ، فاذا بسبع عظيم أقبال ، فاستسلمت ، فلما قرب مني إذا هو يعرج ، فحمدم وبرك بين يدي ، ووضع يده في حجرى ، فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم ، فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح ، وشددت على يده خرقة ، ومضى ، فاذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان (٤) لي ، وحملني إلى رغيماً .

(١) أى . القرية .

(٢) أى نومان قديم .

(٣) وفي نسخته « البكرى » .

(٤) يحركان دنيهما .

وسمعه يقول : حدثنا أحمد بن علي السائح قال : حدثنا محمد بن عبد الله ابن مطرف قال : حدثنا محمد بن الحسين العسقلاني قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : اشتكى محمد بن السماك ، فأخذنا ماءه^(١) وانطلقنا به إلى الطبيب ، وكان نصرانياً .

قال : فبينما نحن نسير بين « الحيرة » و « الكوفة » استقبلنا رجل حسن الوجه ، طيب الرائحة ، نقي الثوب ، فقال لنا : إلى أين تريدان ؟ فقلنا : نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السماك .

فقال : سبحان الله . . تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوا به الأرض ، وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له : ضع يدك على موضع الوجع وقل : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » ثم غاب عنا فلم نره .

فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك ، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل ، فعوفي في الوقت ، فقال : كان ذلك الخضر عليه السلام .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفي يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : كنا قعوداً في مجلس أبي يزيد البسطامي ، فقال قوموا بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى . فقمنا معه ، فلما بلغنا الدرب فاذا إبراهيم بن شيبه الهروي ، فقال له أبو يزيد : وقع في خاطري أن أستقبلك ، وأشفع لك إلى ربي . فقال إبراهيم بن شيبه : ولو شفعت في جميع الخلق لم يكن بكثير ، وإنما هم قطعة طين . . فتحير أبو يزيد من جوابه .

قال الأستاذ : وكرامة إبراهيم في اصغار ذلك أتم من كرامة أبي يزيد فيما حصل له من الفراسة ، وصدق له من الحالة في باب الشفاعة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول وقد سأله سالم المغربي عن أصل توبته ، فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى ، فنمت في الطريق ، ثم انتهت ، وفتحت عيني ، فاذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض ، فانشقت الأرض ، فخرج منها « سكرجتان » إحداهما من ذهب والأخرى

من فضة ، وفي إحداهما سمسم ، وفي الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه وشربت من هذه فقلت : حسبي . . تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبلني . .

وقيل : أصاب عبد الواحد بن زيد « فالج » فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء ، فقال : من هاهنا ؟ فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت ، فقال : يارب أحللي من وثاقي ؛ حتى أقضي طهارتى ، ثم شأنك وأمرك . قال : فصح ، حتى أكمل طهارته ، ثم عاد إلى فراشه ، وصار كما كان .

وقال أبو أيوب الحمال : كان أبو عبد الله الديلمي إذا نزل منزلاً في سفر عمد إلى حماره وقال في أذنه : كنت أريد أن أشدك ، فالآن لا أشدك ، وأرسلت في هذه الصحراء ؛ لتأكل الكلاً ، فاذا أردنا الرحيل فتعال . . . فاذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار .

وقيل : زوج أبو عبد الله الديلمي ابنته ، واحتاج إلى ما يجهزها به . وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيشتري بدينار ، فخرج له ثوب ، فقال له البياع : إنه يساوي أكثر من دينار ، فلم يزالوا يزيدون في ثمنه حتى بلغ مائة دينار ، فجهزها .

وقال النضر ابن شميل : ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً فسألت ربى تعالى أن يغط لي ذراعاً ، ففعل (يغط : أى يمد ، من مغط الفقوس ، وهو « مده ») قال النضر بن شميل : ولو استزدته لزداني .

وقيل : كان عامر بن قيس سأل أن يهون عليه طهوره في الشتاء ؛ فكان يؤتى به وله بخار ، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالي بهن ، وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو في صلاته فلم يجبه إليه .

وقال بشر بن الحارث : دخلت الدار فاذا أنا برجل ، فقلت : من أنت ؟ دخلت دارى بغير إذنى ، فقال : أخوك الخضر . فقلت : ادع الله لى . فقال : هون الله عليك طاعته ؛ فقلت : زدنى ، فقال : وسترها عليك .

وقال إبراهيم الخواص : دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة . بالليل ؛ فاذا فيها سبع عظيم ، فخفت ، فهتف بي هاتف : اثبت : فان حولك سبعين ألف ملك يحفظونك .

أخبرني محمد بن الحسين قال : أخبرنا أبو الفرج الورثاني قال : سمعت أبا الحسن محمد الصيرفي يقول : سمعت جعفرأ الديلمي يقول : دخل النوري الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ، ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده ؛ فقال النوري : قد رد علينا الثياب فرد عليه يده . فعوفي .

وقال الشبلي : اعتقدت (١) وقتاً أن لا آكل إلا من الحلال ، فكنت أدور في البراري ، فرأيت شجرة تين ، فمددت يدي إليها لآكل ، فنادتني الشجرة : إحفظ عليك عقدك ، لا تأكل مني فاني ليهودي .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية ، ولم آكل الخبز أربعين يوماً ، ولم أدخل على الجنيد . وخرجت ولم أشرب الماء إلى « زباله » (٢) ، وكنت على طهارتي ، فرأيت ظيئاً على رأس البئر وهو يشرب ، وكنت عطشان ، فلما دنوت من البئر ولي الظبي ، وإذا الماء في أسفله (٣) . فمشيت وقلت : يا سيدي ، مالي محل هذا الظبي (٤) ؟ .

فسمعت من خلفي : جربناك فما صبرت . . ارجع وخذ الماء . . فرجعت ، فاذا البئر ملاءى ماء ، فلألت ركوتي وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ، ولم بنفس .

ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول : إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل ، وأنت جئت مع الركوة والحبل . . فلما رجعت من الحج دخلت الجامع ، فلما وقع بصري الجنيد على قال : لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك ، لو صبرت صبر ساعة .

سمعت حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني يقول : سمعت أبا أحمد بن علي الحافظ يقول : سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول : حدثني عبد الوهاب - وكان من الصالحين - قال : قال محمد بن سعيد البصري : بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً ، فالتفت فاذا الحمل قد وقع ميتاً ، ووقع الرجل والقتب ، فمشيت ثم التفت . فاذا الأعرابي يقول : يا مسبيب كل سبب ،

(١) أي عزمت .

(٢) اسم بلدة .

(٣) الأولى : أسلفها .

(٤) أي منزله في أن أشرب الماء من أعلى البئر كما شرب الظبي .

ويا مولى من طلب ، رد على ما ذهب من جمل يحمل الرجل والقتب ، فاذا الحمل قائم والرجل والقتب فوقه .

وقيل : إن شبلا المروذى اشتهى لحمًا . فأخذه بنصف درهم ، فاستلبته منه حداثة في الطريق ، فدخل شبلا مسجداً ليصلى ، فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحمًا ، فقال : من أين هذا ؟ فقالت : تنازعت حداثان ، فسقط هذا منهما ، فقال شبلا : الحمد لله الذى لم ينس شبلا ، وإن كان شبلا كثيراً ينساه .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر الورتانى قال : سمعت محمد بن داود يقول : سمعت أبا بكر بن معمر يقول : سمعت ابن أبي عبيد البسرى يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين ، فخرج فى السرية ، فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية ، فقال : يارب ، أعرناه حتى نرجع إلى « بسرى » يعنى : قريته ، فاذا المهر قائم ، فلما غزا ورجع إلى « بسرى » قال : يا بنى ، خذ السرج عن المهر ، فقلت : إنه عرق فان أخذت السرج عنه داخله الريح ، فقال : يا بنى ، إنه عارية ، قال : فلما أخذت السرج عنه وقع المهر ميتاً .

وقيل : كان بعضهم نباشاً ، فتوفيت امرأة ، فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش ، ليعرف القبر ، فلما جن عليه الليل نبش قبرها ، فقالت : سبحان الله ، رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها ؟ . قال : هبى أنك مغفور لك ، فأنا من أين ؟ . فقالت : إن الله تعالى غفر لى ولجميع من صلى على ، وأنت قد صليت على . قال : فتركها ، ورددت التراب عليها ، ثم تاب الرجل وحسنت توبته .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عروة بن كامل بمصر يقول : سمعت أبا محمد نعيان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول : رأيت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان : أحدهما من أولياء السلطان ، والآخر من الرعية ، فعدا الذى من الرعية عليه ، فكسر ثنيته ، فتعلق الحندى بالرجل وقال : بينى وبينك الأمير ، فجازوا بذى النون ، فقال لهم الناس : اصعدوا إلى الشيخ ، فصعدوا إليه ، فعرفوه ما جرى ، فأخذ السن ، ثم بلها بريقه ، وردّها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه ، وحرك شفثيه^(١) ، فتعلقت باذن الله تعالى ، فبقى الرجل يفتش فاه ، فلم يجد الأسنان إلا سواء .

(١) أى دعا .

حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين القطان ببغداد قال : حدثنا أبو علي إسماعيل ابن محمد بن إسماعيل الصفار قال : حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال : حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سيرة النخعي قال : أقبل رجل من اليمن . فلما كان في بعض الطريق نفق حماره ، فقام وتوضأ ، ثم صلى ركعتين ، ثم قال : اللهم إني جئت مجاهداً في سبيل ابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لاتجعل لأحد علي منة ، اليوم أطلب منك أن تبعث حمارى . فقام الحمار ينفض أذنيه .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا بكر النابلسي يقول : سمعت أبا بكر الهمداني يقول : بقيت في برية الحجاز أياماً لم آكل شيئاً ، فاشتيت يا قلا حاراً وخبزاً من « باب الطاق » (١) ؛ فقلت : أنا في البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة ، فلم أتم خاطري إلا وأعراي من بعيد ينادى : بأقل حار وخبز . فتقدمت إليه فقلت عندك بأقل حار وخبز ؟ فقال : نعم . وبسطمزرراً كان عليه ، وأخرج خبزاً وباقلاً ، وقال لي : كل . فأكلت ، ثم قال : كل فأكلت ، ثم قال لي : كل . فأكلت . فلما قال لي في الرابعة ، قلت : بحق الذي بعثك إلى إلا ما قلت لي من أنت ؟ فقال : أنا الخضر . وغاب عني فلم أراه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا العباس بن الحشاش البغدادى يقول : سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول جئت « الثعلبية » وهى خراب ، ولى سبعة أيام لم آكل كل شيئاً ، فدخلت القبة ، وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد فطرحوا أنفسهم على باب القبة . فجاء أعراي على راحلة وصب تمرأ بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئاً ، ولم يرني الأعراي ، فلما كان بعد ساعة فاذا بالأعراي جاء وقال لهم : معكم غيركم ؟ فقالوا : نعم ، هذا الرجل داخل القبة . قال : فدخل الأعراي . وقال لي . من أنت ؟ لم لم تتكلم ؟ . لمضيت ، فعارضنى إنسان فقال لي . قد خلفت إنساناً لم تطعمه ، ولم يمكنى أن أمضى ، فتطولت على الطريق . (٢) لأنى رجعت عن أميال . . وصب بين يدي التمر الكثير ، ومضى ، فدعوتهم ، فأكلوا وأكلت .

(١) اسم مكان بالعراق .

(٢) أى أتعبنى .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا طاهر الرقي يقول : سمعت أحمد ابن عطاء يقول : كلمني جمل ؛ في طريق مكة رأيت جمالا والمجامل عليها ، وقد مدت أعناقها في الليل ، فقلت : سبحان من يحمل عنها ما هي فيه ، فالتفت إلى جمل وقال لي : قل جل الله فقلت : جل الله .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت الحسن بن أحمد الفارسي يقول : سمعت الرقي يقول : سمعت أبا بكر بن معمر يقول : سمعت أبا ذرعة الحنفي يقول : مكرت بي امرأة فقالت : ألا تدخل الدار فتعود مريضاً ؛ فدخلت فأغلقت الباب . . ولم أر أحداً ؛ فعلمت ما فعلت ، فقلت : اللهم سودها . فاسودت : فتحررت . وفتحت الباب ؛ فخرجت ، فقلت : اللهم ردها إلى حالها فردها إلى ما كانت عليه .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا محمد الغطريفي يقول : سمعت السراج يقول : سمعت أبا سلمان الرومي يقول سمعت : خليلاً الصياد يقول : غاب ابني محمد فوجدنا عليه وجداً شديداً ؛ فأتيت معروفاً الكرخي فقلت : يا أبا محفوظ ، غاب ابني وأمه واجدة عليه . .

فقال : ما تشاء ؟

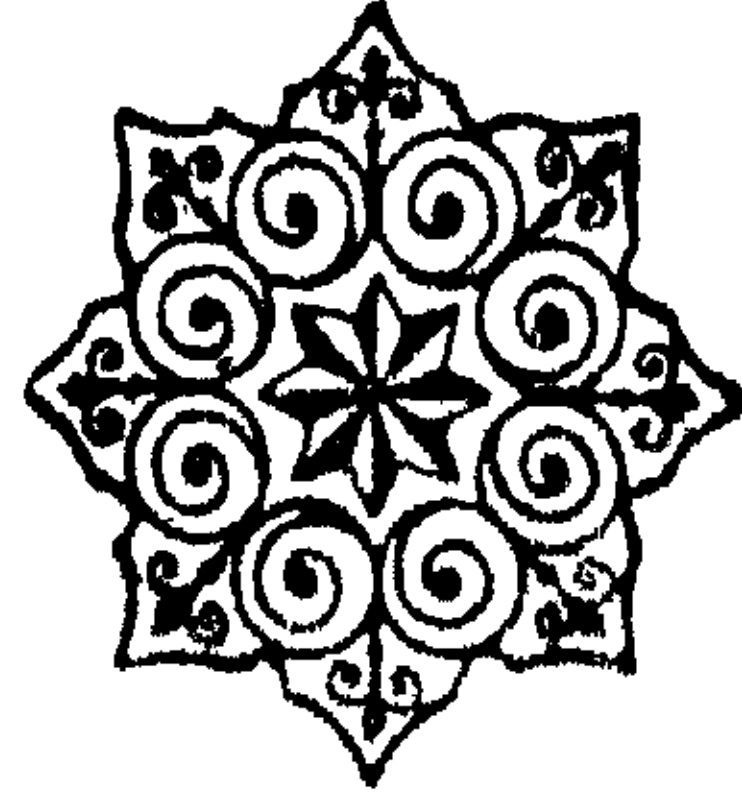
فقلت : ادع الله أن يرده .

فقال : اللهم السماء سماءك ، والأرض أرضك . . وما بينهما لك . . ائت بمحمد . .

قال خليل : فأتيت باب الشام فاذا هو واقف ، فقلت : أين كنت يا محمد ؟ فقال : يا أبت كنت الساعة بالأنبار .

قال الأستاذ أبو القاسم : واعلم أن الحكايات في هذا الباب تربو على الحصر . والزيادة على ما ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز : وفيما ذكرناه مقنع (١) في هذا الباب .

(١) أي رضا يفتنع به .



الباب الخامس والخمسون رؤيا القوم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى في المنام فقد رأى .. »
فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي »

باب رؤيا القوم

قال الله تعالى : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة » (١) .

قيل : هى الرؤيا الحسنة يراها المرء ، أو ترى له .

أخبرنا أبو الحسن الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم المنقرى قال : حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء قال : « سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال صلى الله عليه وسلم : « ما سألتني عنها أحد قبلك . هى الرؤيا الحسنة يراها المرء ، أو ترى له » .

أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال : أخبرنا أبو على الحسن ابن محمد زيد قال : حدثنا على بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان : فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتهفل عن يساره ، وليتعوذ : فإنها لن تضره » .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد عبدوس المزكى قال : حدثنا أبو أحمد حمزة ابن العباس البزار قال : حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال : حدثنا عبد الله بن موسى قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأخوص وأبي عبيدة ، عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« من رآنى فى المنام فقد رآنى ؛ فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى » .

ومعنى الخبر : أن تلك الرؤيا رؤيا صدق ، وتأويلها حق ، وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات ، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب ، وأحوال تتصور فى الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار ، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية فى الحقيقة ، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تقرر فى قلوبهم ، وحين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فتقويت تلك الحالة عند صاحبها ، فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال .

التي تصورها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ، ومثاله (١) : كالذى يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة . فاذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج . فيتقاصر نور (٢) السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس . فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج ، ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار ؛ فان المستيقظ يتذكر ما كان متصوراً له في حال نومه .

ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان (٣) ، ومرة من هواجس النفس (٤) . ومرة بخواطر الملك (٥) ، ومرة تكون تعريفاً من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداءً ، وفي الخبر : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً » .

واعلم أن النوم على أقسام : نوم غفلة . ونوم عادة ؛ وذلك (٦) غير محمود . بل هو معلول (٧) ؛ لأنه أخو الموت ، وفي بعض الأخبار المروية : « النوم أخو المسوت » .

وقال الله عز وجل : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم (٨) بالنهار » (٩) وقال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها » (١٠) .

وقيل : لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم .

وقيل : لما ألقى الله على آدم النوم في الجنة أخرج منه حواء . وكل بلاء به إنما حصل حصلت حواء .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : لما قال إبراهيم لإسماعيل ، عليهما السلام : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك قال إسماعيل : يا أبت ، هذا جزاء من نام عن حبيبته ، لو لم تنم لما أمرت بذبح الولد .

(١) أى النائم الرائي .

(٣) فتسمى أحلاماً .

(٥) فتسمى رؤيا .

(٧) مذبذب .

(٩) آية ٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) وفي نسخة ضوء .

(٤) فتسمى هاجساً .

(٦) أى وكل منهما .

(٨) كسبتم .

(١٠) آية ٤٢ من سورة الزمر .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : كذب من ادعى محبتي ، فاذا جنه الليل نام غنى . .

والنوم ضد العلم ؛ ولهذا قال الشبلي : نعسة في ألف سنة فضيحة .
وقال الشبلي : اطلع الحق على الخلق فقال : من نام غفل ، ومن غفل حجب
فكان الشبلي يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم ، وفي معناه أنشدوا :
عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام
وقيل : المرید : أكله فاقة ، ونومه غلبة ، وكلامه ضرورة .

وقيل : لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له : هذه حواء لتسكن إليها ، هذا
جزاء من نام بالحضرة .

وقيل : إن كنت حاضراً فلا تنم ؛ فإن النوم في الحضرة سوء أدب ، وإن كنت
غائباً فأنت من أهل الحسرة والمصيبة ، والمصاب لا يأخذه نوم . وأما أهل المجاهدات
فنومهم صدقة من الله عليهم ، وإن الله عز وجل يباهي بالعبد إذا نام في سجوده ،
يقول : انظروا إلى عبدي نام وروحه عندي ، وجسده بين يدي .

وقال الأستاذ : أي روحه في محل النجوى ، وبدنه على بساط العبادة .

وقيل : كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله
عز وجل قال تعالى : « وجعلنا نومكم سباتاً » (١) .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : شكنا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة
النوم ، فقال : اذهب فاشكر الله تعالى على العافية ، فكم من مريض في شهوة غمضة
من النوم الذي تشكو منه .

وقيل : لاشيء أشد على إبليس من نوم العاصي ؛ يقول : متى ينتبه ويقوم حتى
يعصى الله . .

وقيل : أحسن أحوال العاصي أن ينام : إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه .
سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : تعود شاه الكرمانى السهر ، فغلبه النوم مرة ،
فرأى الحق سبحانه في النوم ، فكان يتكلف النوم بعد ذلك ، ف قيل له في ذلك ؛

(١) آية ٩ من سورة النبا .

فقال :

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمناما
وقيل : كان رجل له تلميذان ، فاختلفا فيما بينهما ، فقال أحدهما : النوم خير .
لأن الإنسان لا يعصى الله في تلك الحالة . وقال الآخر : اليقظة خير ، لأنه يعرف
الله تعالى في تلك الحالة .

فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال : أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير
لك من الحياة ، وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة ، فالحياة خير لك من الموت .
وقيل : اشترى رجل مملوكة ، فلما دخل الليل قال : افرشي الفراش . فقالت
المملوكة : يا مولاي ، ألك مولى ؟ قال : نعم ، فقالت : ينام مولاك؟ فقال : لا .
قالت : ألا تستحي أن تنام ومولاك لا ينام !!

وقيل : قالت بنية لسعيد بن جبير : لم لاتنام ؟ فقال : إن جهنم لا تدعني أن
أنام .

وقيل : قالت بنت لمالك بن دينار : لم لاتنام ؟ فقال : إن أباك يخاف البيات .
وقيل : لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها : الأسطوانة^(١) التي كانت في
دار جارتنا أين ذهبت؟ فقال : إنه كان جارتنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره ؛
فتوهمت البنية أنه كان سارية ؛ لأنها كانت لاتصعد السطح إلا بالليل فتجده
قائماً^(٢) .

وقال بعضهم : في النوم معان ليست في اليقظة ؛ منها أنه يرى المصطفى صلى الله
عليه وسلم ، والصحابة ، والسلف الماضيين في النوم ، ولا يراهم في اليقظة وكذلك
يرى الحق في النوم ، وهذه مزية عظيمة .

وقيل : رأى أبو بكر الآجري الحق سبحانه في النوم ، فقال له : سل
حاجتك ، فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنا
أولى بهذا منك ، سل حاجتك .

وقال الكتاني : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام . فقال لي : من تزين
للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شأنه الله .

(١) أى السارية (العمود) .

(٢) وقد سقطت هذه الجملة في بعض النسخ .

وقال الكتاني أيضاً : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبي ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة « يا حي ، يا قيوم ، لا إله إلا أنت » فإن الله يحيي قلبك .

ورأى الحسن بن علي رضي الله عنهما عيسى بن مريم في المنام ، فقال : إني أريد أن اتخذ خاتماً ، فما الذي أكتب عليه ؟ فقال : اكتب عليه : لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين » فإنه في آخر الإنجيل (١) .

وروى عن أبي يزيد (٢) أنه قال : رأيت ربي عز وجل في المنام ، فقلت كيف الطريق إليك ؟ فقال : أترك نفسك وتعال .

وقيل : رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام ، فقال : يا أحمد ، كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني .

وقال يحيى بن سعيد القطان : رأيت ربي في المنام فقلت : يارب ، كم أدعوك فلا تستجيب لي . . فقال تعالى : يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك .

وقال بشر بن الحارث : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه في المنام ، فقلت : يا أمير المؤمنين عظمي ، فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ، فقلت له : يا أمير المؤمنين : زدني ، فقال :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً

عز (٣) بدار الفناء بيت فابن بدار البقاء بيتاً

وقيل : رأى سفيان الثوري في المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : رحمني ، فقيل له : ما حال عبد الله بن المبارك ؟ فقال : هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام ، وكان الزجاجي يقول بوعيد الأبد (٤) ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال الزجاجي : الأمر هاهنا أسهل مما كنا نظنه . .

(١) أي في خاتمته .

(٢) البسطامي .

(٣) أي تعزز .

(٤) أي أن الكبائر لا يغفرها الله .

وروى الحسن بن عاصم الشيباني في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما يكون من الكريم إلا الكرم .

وروى بعضهم في المنام فسئل عن حاله ، فقال :

حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا

وروى حبيب العجمي في المنام ، ف قيل له : مت يا حبيب العجمي ؟ . فقال : هيات . . ذهبت العجمة و بقيت في النعمة .

وقيل : دخل الحسن البصري مسجداً ليصلي فيه المغرب ، فوجد إمامهم حبيباً العجمي ، فلم يصل خلفه . لأنه خاف أن يلحن لعجمة في لسانه ، فرأى في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له : لم لم تصل خلفه ؟ لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك .

وروى مالك بن أنس في المنام . ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة : « سبحان الحي الذي لا يموت » .

وروى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة . . وكأن منادياً ينادي : ألا إن الحسن البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راض . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول : رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام على حالة حسنة فقلت : يا أستاذ ، بم وجدت هذا ؟ فقال : بحسن ظني بربي .

وقيل : روى الجاحظ في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وقيل : رأى الحنيد إبليس في منامه عرياناً ، فقال له : ألا تستحي من الناس ؟ فقال : هؤلاء لاناس ، إنما الناس أقوام في مسجد « الشونزية » أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي ، قال الحنيد : فلما انتهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رءوسهم على ركبهم متفكرين ، فلما رأوني قالوا : لا يغرنك حديث الخبيث .

وروى النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم ، ف قيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : عوتبت عتاب الأشراف ، ثم نوديت : يا أبا القاسم ، أبعد الاتصال انفصال ؟ فقلت : لا ياذا الحلال ، فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد .

ورؤى ذو النون المصرى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيا ، فأعطاني البعض ، وأرجو أن يعطينى الباقي ؛ كنت أسأله أن يعطينى من العشرة^(١) التى على يد رضوان واحدة ، ويعطينى بنفسه ، وأن يعذبني عن الواحدة التى بيد مالك بعشرة ويتولى هو^(٢) ، وأن يرزقني أن أذكر بلسان الأبدية^(٣) .

وقيل : رؤى الشبلى فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى إلا على شيء واحد ، قلت يوماً : لا خسارة أعظم من خسران الجنة ، ودخول النار ، فقال لى : وأى خسارة أعظم من خسران لقائى ..

سمعت الأستاذ أبا على يقول : رأى الجريرى الجنيد فى المنام فقال : كيف حالك يا أبا القاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، وبادت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات . وقال الباجى : تشهيت يوماً شيئاً ، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول : أيجمل بالحر المريد أن يتدلل للعبيد ، وهو يجد من مولاه ما يريد ؟ .

وقال ابن الحلاء : دخلت المدينة^(٤) وبنى فاقة ، فتقدمت إلى القبر ، وقلت أنا ضيفك يا نبي الله .. فغفوت غفوة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى نومي وقد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتهت وبيدى النصف (الآخر) .

وقال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول : زوروا ابن عون ؛ فإنه يحب الله ورسوله .

وقيل : رأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة ، فقالت له : يا عتبة ، أنا لك عاشقة ، فانظر أن لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال به بينى وبينك ، فقال لها عتبة : طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لى عليها . حتى ألقاك .

(١) أى الكرامات .

(٢) أى يتولى الله تعذيبه ، كما تولى نعيمه ، قال الإمام العروسى : إن غرضه أن الحق سبحانه يتولى كلا من نعيمه وعذابه ، وذلك لعظم الأول ويسهل الثانى .

(٣) وهذه هى الطلبة النبوية التى تحققت له .

(٤) المنورة .

سمعت منصوراً المغربي يقول : رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض ، فقيل لي : إن أردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له : رزقك الله الحور العين ؛ فانه يرضى منك بهذا الدعاء . فسألت عن سببه ، فقيل : إنه رأى شيئاً من الحور في منامه . فبقي في قلبه شيء من ذلك ، فضيت وسلمت عليه ، وقلت : رزقك الله الحور العين ، فانبسط الشيخ معي .

وقيل : رأى أيوب السخيتاني جنازة عاص ، فدخل دهليزاً ؛ لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي . وقال لي قل لأيوب السخيتاني « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق » (١) .

وقيل : رأى الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت ، وقائلاً يقول : ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة .

وقال بعضهم : رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً ، وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً ، فقلت : أى ليلة هذه ؟ فقالوا : ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدم روحه على أهلها .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري : رأيت الأستاذ أبا علي الدقاق في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؛ فقال : ليس للمغفرة هاهنا كبير خطر (٢) ، أقل من حضرها هنا خطراً « فلان » أعطى كذا وكذا ..

ووقع لي في المنام أن ذلك الإنسان الذي عناه قتل نفساً بغير حق .

وقيل : لما مات كرز بن وبرة رأى في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فليل : ما هذا ؟ قيل : إن أهل القبور كسوا ثياباً جدداً (٣) لقدم كرز بن وبرة عليهم .

وروى يوسف بن الحسين في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل له : بماذا ؟ فقال : لأني ما خلطت جداً بهزل قط .

(١) آية ١٠٠ من سورة الإسراء .

(١) أى قدر .

(٢) وفي نسخة « لبسوا لباساً جديداً » .

ورؤى أبوعبيد الله الزراد في المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : أوقفني ، وغفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا ، إلا واحداً استحييت أن أقر به ، فوقفني في العرق ، حتى سقط لحم وجهي . .
فقيل له : وما ذلك ؟ فقال : نظرت يوماً إلى شخص جميل ؛ فاستحييت أن أذكره .

سمعت أبا سعيد الشحام يقول : رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلاً الصعلوكي في المنام ، فقلت له : أيها الشيخ ، فقال : دع الشيخ . . فقلت : وتلك الأحوال التي شاهدتها ؟ . فقال : لم تغن عنا شيئاً ، فقلت : ما فعل الله تعالى بك ؟
فقال غفر لي بمسائل كانت تسأل عنها العجز (١) فأجبتهم عنها .

سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول : رأيت محمداً الطوسى المعلم في المنام ، فقال لي : قل لأبي سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لانحول عن الهوى فقد ، وحياة الحب حلتم ، وما حلنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ، ماهكذا كنا
لعل الذى يقضى الأمور بعلمه سيجمعنا بعد الممات كما كنا
قال : فانتبهت ، وقلت ذلك لأبي سعيد الصفار ، فقال : كنت أزور قبره كل يوم جمعة ، فلم أزره هذه الجمعة .

وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الفقراء ، فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان ، وبيد أحدهما طست ، وبيد الآخر إبريق : فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسل يده ، ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم ، ثم وضع الطست بين يدي ، فقال أحدهما للآخر : لاتصب على يده ؛ فإنه ليس منهم ، فقلت يارسول الله ، أليس قد روى عنك قلت « المرء مع من أحب » ؟ فقال : بلى ، فقلت وأنا أحبك ، وأحب هؤلاء الفقراء ، فقال صلى الله عليه وسلم : صب على يده ، فإنه منهم .

وحكى عن بعضهم أنه كان يقول ، أبدأ (٢) : العافية . . . العافية ، فقيل له : ما معنى هذا الدعاء ؟ فقال : كنت حمالاً في ابتداء أمرى ، وكنت حملت يوماً

(١) العوام .

(٢) أى دائماً .

صدراً^(١) من الدقيق ، فوضعت له لأستريح ، فكنت أقول : يارب . لو أعطيتني كل يوم رغيئين من غير تعب لكنت أكتفى بهما ، فإذا رجلا ن يخته صمان . . فتقدمت أصلح بينهما . . فضرب أحدهما رأسى بشيء أراد أن يضرب به خصمه ، فدمى وجهى . . فجاء صاحب « الربع » فأخذهما ، فلما رأى ملوثاً بالدم أخذنى وذن أنى ممن تشاجر . فأدخلنى السجن ، وبقيت فى السجن مدة أوتى كل يوم برغيئين . فرأيت ليلة فى المنام قائلاً يقول لى : إنك سألت الرغيئين كل يوم من غير نصب ، ولم تسأل العافية . . فأعطاك ما سألت . فانتبهت ، وقلت العافية . العافية ، فرأيت باب السجن يقرع ، وقيل : أين عمر الحمال ؟ فأطلقونى وخلوا سبيلى .

وحكى عن الكتانى أنه قال : كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه ، فقيل له : ألا تعالجها ؟ فقال : عزمت على أن لا أعالجها حتى تبرأ ، قال : فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول : لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم ، لأخرجناهم من النار .

وحكى عن الحنيد أنه قال : رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس^(٢) . . فوقف على ملك . فقال : أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله ماذا ؟ فقلت : عمل خفى بميزان وفى . قال : فولى الملك عنى ، وهو يقول : كلام موفق والله .

وقال رجل للعلاء بن زياد : رأيت فى النوم كأنك من أهل الجنة . فقال : لعل الشيطان أراد أمراً فعصمت منه ، فأشخص^(٣) إلى رجلا يعينه على مقصوده من إضلالى .

وقيل رؤى عطاء السلمى فى النوم ، فقيل له : لقد كنت طويل الحزن ، فما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً ، فقيل له : فى أى الدرجات أنت ؟

فقال : « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . . » الآية^(٤) .

وقيل : رؤى الأوزاعى فى المنام ، فقال : ما رأيت هاهنا درجة أرفع من درجة العلماء ، ثم الحزوين .

(١) أى سداً للقيام .

(٢) أى : أعظمهم .

(٣) أى : أرسل .

(٤) آية ٦٩ من سورة النساء .

وقال النبا جى : قيل لى فى المنام : من وثق بالله فى رزقه زيد فى حسن خلقه ،
وسمحت نفسه فى نفقته ، وقلت وساوسه فى صلاته .

وقال : رؤيت زبيدة^(١) فى المنام ، فقيل لها : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقالت :
غفر لى ، فقيل : بكثرة نفقتك فى طريق مكة ؟ فقالت : لا ، أما إن أجرها عاد
إلى أربابها ، ولكن غفر لى بنيتى .

ورؤى سفيان الثورى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال وضعت أول
قدمى على الصراط ، والثانى فى الجنة .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : رأيت فى النوم جارية ما رأيت أحسن منها ،
يتلألاً وجهها نوراً ، فقلت : ما أنور وجهك ، فقالت : تذكر الليلة التى بكيت
فيها ؟ فقلت : نعم ، فقالت : حملت إلى دمعتك فمسحت بها وجهى ، فصار وجهى^٢
هكذا .

وقيل : رأى يزيد القرشى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقرأ عليه ، فقال
له : هذه القراءة فأين البكاء ؟ .

وقال الحنيد : رأيت فى المنام كأن ملاكين نزلا من السماء ، فقال أحدهما لى :
ما الصدق ؟ فقلت : الوفاء بالعهد ، فقال الآخر : صدق ، ثم صعدا .

ورؤى بشر الحافى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : غفر لى ،
وقال : أما استحييت يا بشر منى ، كنت تخافنى كل ذلك الخوف ؟ !

وقيل : رؤى أبو سليمان الدارانى فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال :
غفر لى ، وما كان شىء أضر على من إشارات القوم . .

وقال على بن الموفق : كنت أفكر يوماً فى سبب عيالى والفقير الذى بهم ،
فرأيت فى المنام رقعة فيها مكتوب « بسم الله الرحمن الرحيم : يا ابن الموفق ، أتخشى
الفقر وأنا ربك . . » .

فلما كان وقت الغسل أتانى رجل بكيس فيه خميسة آلاف دينار ، وقال :
خذها إليك يا ضعيف اليقين .

(١) زوجة هارون الرشيد .

وقال الحنيد : رأيت في المنام كأنني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي : يا أبا القاسم : من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت : لأقول إلا حقاً . فقال : صدقت .

وقال أبو بكر الكتاني : رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه . فقلت : من أنت؟ فقال : التقوى ، قلت : فأين تسكن؟ قال : في قلب كل حزين ، ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون ، فقلت : من أنت؟ فقالت : الضحك ، فقلت : وأين تسكنين؟ فقالت في كل قلب فرح . مرح . قال : فانتبهت . واعتقدت^(١) أن لا أضحك إلا غلبة .

وحكى عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه قال لي : من عرف طريقاً إلى الله تعالى فسلكه . ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين .

وروى الشبلي في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله تعالى بك؟ فقال : ناقشني حتى أيسر ، فلما رأى يأسى تغمدني برحمته .

وقال أبو عثمان المغربي : رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي : يا أبا عثمان ، اتق الله في الفقر ، ولو بقدر سمسم .

وقيل : كان لأبي سعيد الخراز ابن مات قبله ، فرآه في المنام ، فقال له : يا بني ، أوصني .

فقال : يا أبت ، لا تعامل الله على الجبن ، فقال : يا بني ، زدني .

فقال : لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به . فقال : زدني .

فقال : لا تجعل بينك وبين الله قميصاً^(٢) قال : فما لبس القميص ثلاثين سنة . وقيل : كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم الشيء الذي لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا ، فرأى في المنام كأنه قيل له : وأنت . فالشيء الذي يضرك ولا ينفعك فدعه .

وحكى عن أبي الفضل الأصمهاني أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله سل الله أن لا يسلبني الإيمان ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك شيء قد فرغ الله تعالى منه .

(٢) أي : حائلاً يحجبك عن طاعة الله .

(١) عزمت .

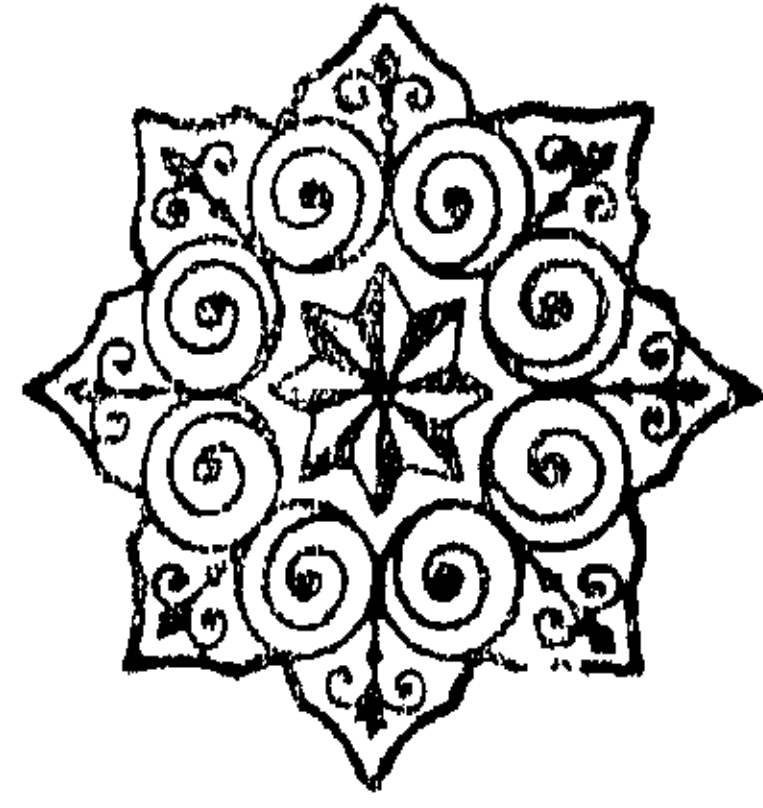
وحكى عن أبي سعيد الخراز قال : رأيت إبليس في المنام ، فأخذت عصاى لأضربه ، فقليل لى : إنه لا يفرع من هذا ، إنما يفرع من نور يكون فى القلب . وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتها فى النوم تقول : هداياك تأتىنا على أطباق من نور ، مخمرة^(١) بمناديل من نور .

ويروى عن سماك بن حرب أنه قال : كف بصرى ، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى : إئت الفرات ، فانغمس^(٢) فيه ، وافتح عينيك ، قال : ففعلت ، فأبصرت .

وقيل : روى بشر الحافى فى المنام ، فقليل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما رأيت ربه عز وجل قال لى : مرحباً يا بشر ، لقد توفيتك يوم توفيتك ، وما على الأرض أحب إلى منك .

(١) أى مغطاة .

(٢) وفى نسخة « فاعسل » .



الباب السادس والخمسون الوصية للمريدين

قال الله تعالى :
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »
صدق الله العظيم

باب الوصية للمريدين

قال الأستاذ الإمام : لما أثبتنا طرفاً من سير القوم ، وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات ، أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين ، نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها ، وأن لا يحرمننا القيام بها ، وأن لا يجعلها - سبحانه - حجة علينا .

فأول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ، ليصح له البناء على أصل صحيح ؛ فإن الشيوخ قالوا : إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول . كذلك سمعت الأستاذ أبا على يقول ؛ فتجب البداية بتصحیح اعتقاد بينه وبين الله تعالى ، صاف عن الظنون والشبه ، خال من الضلالة والبدع ، صادر عن البراهين والحجج .

ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة . وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين ، سوى طريقة الصوفية ، إلا نتيجة جهلهم^(١) بمذاهب أهل هذه الطريقة ؛ فان هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد ، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . والناس : إما أصحاب النقل والأثر ، وإما أرباب العقل والفكر .

وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الحملة ؛ فالذى للناس غيب ، فهو لهم ظهور^(٢) ، والذى للخلق من المعارف مقصود^(٣) فلهم^(٤) من الحق ، سبحانه ، موجود ، فهم أهل الوصال ، والناس أهل الاستدلال .

وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى
فالناس في سدف^(٥) الظلام ونحن في ضوء النهار

ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، ممن له علوم التوحيد ، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ ، وتواضعوا له وتبركوا به . .

(١) والأول أن يقول « جهله » .

(٢) أى ظاهر .

(٣) أى مقصد تحصيله .

(٤) أى فهو لهم .

(٥) جمع سدف (بفتح السين وإسكان الدال) وهى الظلمة .

ولولا مزية ، وخصوصية لهم ، وإلا كان الأمر بالعكس ..

هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي ، رضى الله عنهما ، فجاء شيبان الراعى فقال أحمد : أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ، ليشغل بتحصيل بعض العلوم .

فقال الشافعي : لا تفعل ..

فلم يقنع ؛ فقال لشيبان : ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ، ولا يدرى أى صلاة نسيها ، ما الواجب عليه : يا شيبان ؟ .
فقال شيبان : يا أحمد ، هذا قلب غفل عن الله تعالى ، فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد ..

فغشى على أحمد .. فلما أفاق ، قال له الإمام الشافعي ، رحمه الله : ألم أقل لك لا تحرك هذا ..

وشيبان الراعى كان أمياً منهم ، فإذا كان حال الأمي منهم هكذا ، فما الظن بأئمتهم ؟ ؟

وقد حكى أن فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقة بجنب حلقة الشبلى في جامع « المنصور » ، وكان يقال لذلك الفقيه « أبو عمران » وكان تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلى . . .

فسأل أصحاب أبي عمران يوماً عن مسألة في الحيض ، وقصدوا إخراجها .. فذكر مقالات الناس في تلك المسألة ، والمخلاف فيها ..

فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى ، وقال : يا أبا بكر ، استفدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها ، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل ..

وقيل : اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد ، رحمهما الله ، فسمع كلامه ، فقيل له : ما تقول في هذا الكلام ؟

فقال : لا أدري ما يقول ... ولكنى أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل .

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب : أنت تتكلم على كلام كل أحد ، وهاهنا رجل يقال له الجنيد ، فانظر هل تعترض عليه أم لا ؟ فحضر حلقة ..

فسأل الحنيد عن التوحيد فأجابه ، فتحير عبد الله وقال : أعد على ما قلت ؟ ..
فأعاده ولكن لا بتلك العبارة .

فقال له عبد الله : هذا شيء آخر لم أحفظه ، تعيده على مرة أخرى .
فأعاد بعبارة أخرى ، فقال عبد الله : ليس يمكنني حفظ ما تقول .. أمله
علينا ، فقال : إن كنت أجزته (١) فأنا أمليه ، فقام عبد الله ، وقال بفضله ، واعترف
يعلو شأنه .

فاذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ، ومشايخهم أكبر الناس ،
وعلمائهم أعلم الناس ، فالمريد الذي له إيمان بهم : إن كان من أهل السلوك والتدرج
إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب ، فلا يحتاج إلى
التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة ، وإن كان مريداً طريقة الاتباع وليس
بمستقل بحاله ، ويريد أن يعرج في أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد
سلفه ، وليجر على طريقة هذه الطبقة (٢) ؛ فانهم أولى به من غيرهم .

ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول
سمعت الشبلى يقول : ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة ؟ ! ..

وسمعتة يقول : سمعت محمد بن علي بن محمد المخرمي يقول : سمعت محمد
ابن عبد الله الفرغانى يقول : سمعت الحنيد يقول : لو علمت أن لله علماً تحت أديم (٣)
السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه ،
ولقصدته .

وإذا أحكم المرید بينه وبين الله عقده ، يجب أن يحصل من علم الشريعة ،
إما بالتحقيق ، وإما بالسؤال عن (٤) الأئمة ما يؤدي به فرضه ، وإن اختلف عليه
فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط ، ويقصد (٥) الخروج من الخلاف ، فان الرخص
في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال .

وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل : إذا انحط

(١) أى سلكته .

(٢) وفي نسخة : « الطائفة » .

(٣) أديم : وجه .

(٤) عن بمعنى من .

(٥) أى بالأخذ بالأحوط .

الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عهده^(١) مع الله . ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى .

ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ؛ فان لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً . هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ، ولكن لا تثمر ؛ كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً نفساً^(٢) فهو عابد هواه ، لا يجد نفاذاً .

ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يثوب إلى الله سبحانه من كل زلة ؛ فيدع جميع الزلات : سرها وجهرها ، صغيرها وكبيرها . ويجتهد في إرضاء الخصوم أولاً ، ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء . وعلى هذا النحو جروا ، ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل ؛ فإن بناء هذا الطريق على فراغ القلب .

وكان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره : إن خطر بكالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التي تأتيني فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرني .

وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها : الخروج عن المال ؛ فإن ذلك الذي يميل به عن الحق ، ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر^(٣) ومعه علاقة من الدنيا إلا جرت به تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج ، فإذا خرج عن المال ، فالواجب عليه الخروج عن الجاه ، فان ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة .

وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء ، بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث^(٤) . وهو بعد لم يصحح الإرادة ، فكيف يصح أن يتبرك ؟ .

فخروجهم من الجاه واجب عليهم ؛ لأن ذلك سم قاتل لهم ، فإذا خرج عن ماله وجاهه وجب أن يصحح عهده^(٥) بينه وبين الله تعالى ، وأن لا يخالف شيخه

(١) أي عزمه وتصميمه .

(٢) أي درجة درجة ومقاماً مقاماً .

(٣) أي في النصوص .

(٤) أي عهده .

(٥) أي عن الملاحظة والتبرك .

فى كل ما يشير عليه ؛ لأن الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر ؛ لأن ابتداء حاله على جميع عمره .

ومن شرطه : أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه ، فإذا خطر ببال المريد أن له فى الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة ، أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له فى الإرادة قدم ، لأنه يجب أن يجتهد ، ليعرف ربه ، لا ليحصل لنفسه قدراً .

وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه ، إما فى عاجله وإما فى آجله ، ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه ، ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانته فى حق صحبته ، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه ، وجب أن يقر بذلك بين يديه فى الوقت ، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنائته ومخالفته ، إما بسفر يكلفه ، أو أمر ما يراه .

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين ، لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى ، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار ، بل يجب أن يقدم التجربة له ، فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء ، فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل ، والفقر والأسقام والآلام ، وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ، ولا يترخص عند هجومات الفاقات وحصول الضرورات ، ولا يؤثر الدعة ، ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته .

والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل .

وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لا يجىء منه شيء .

فإذا جربه شيخه ، وجب عليه أن يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ، ثم يأمره أن يستوى قلبه مع لسانه ، فيقول له : أثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ، لا يجرى على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أن يكون أبداً فى الظاهر على الطهارة ، وأن لا يكون نومه إلا غلبة ، وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء حتى يقوى على ذلك ،

ولا يأمره أن يترك عادته بئمة ، فإن في الخبر : « إن المنبت ^(١) لا أرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى » .

ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ، ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب .

واعلم ، أن في هذه الحالة فلما يخلو المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوسوس في الاعتقاد ، لا سيما إذا كان في المريد كياسة قلب ، وقل مريد لا تستقبله هذه الحالة ^(٢) في ابتداء إرادته .

وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريدين ، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة ^(٣) ، أن يحيله على الحجج العقلية ، فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوسوس .

وإن تفرس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول ، وتطلع في سره شمس الوصول . وعن قريب يكون ذلك .

ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين ، فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر ^(٤) ، وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد .

واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب ^(٥) وذلك أنهم إذ اخلوا في مواضع ذكرهم ، أو كانوا في مجالس سماع ، أو غير ذلك فيهمجس في نفسه ويخطر ، ببالهم أشياء منكورة ، يتحققون أن الله ، سبحانه ، منزه عن ذلك ، وليس تعريضهم شبهة في أن ذلك باطل ، ولكن يدوم ذلك . فيشتد تأذيتهم به ، حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر ، بحيث لا يمكن للمريد إجراء ذلك على اللسان ، وإبدائه لأحد ، وهذا أشد شيء يقع لهم .

(١) أي الرجل الذي حمل دابته ما لا تطيقه فماتت في الطريق .

(٢) أي ابتلاؤه بالوسوس .

(٣) أي حذقا .

(٤) أي . الدليل .

(٥) أي باب الوسوس .

فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر ، واستدامة الذكر ، والابتتهال إلى الله باستدفاع ذلك .

وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان ، وإنما هي من هواجس النفس ، فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه .

ومن آداب المريد ، بل من فرائض حاله ، أن يلزم موضع إرادته^(١) ، وأن لا يسافر قبل أن تقبله الطريق ، وقبل الوصول بالقلب إلى الرب ، فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل ، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في غير وقته .

وإذا أراد الله بمريد خيراً ثبتته في أول إرادته ، وإذا أراد الله بمريد شراً رده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته ، وإذا أراد الله بمريد محنة شرده في مطارح غربته .

هذا إذا كان المريد يصلح للوصول : فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء ، وهو دونهم في هذه الطريقة رتبة ، فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر ، فينقطعون في الأسفار . وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجرات يحصلونها ، وزيارات لموضع يرتحل إليه ، ولقاء شيوخ بظاهر سلام ، فيشاهدون الظواهر ، ويكتفون بما في هذا الباب من السير ، فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر ، حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محذور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة^(٢) .

وإذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً ، فإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب ، وترك الخلاف عليهم ، والقيام بما فيه راحة للفقير ، والجهد في أن لا يستوحش منه قلب شيخ .

ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه ، ولا يكون خصم نفسه عليهم ، ويرى لكل واحد منهم عليه حقاً واجباً ، ولا يرى لنفسه واجباً على أحد .

ويجب أن لا يخالف المريد أحداً ، وإن علم أن الحق معه يسكت ، ويظهر للوافق لكل أحد .

(١) أى الخلوة .

(٢) أى معرضاً لها .

وكل من يزيد يكون فيه ضحك (١) ولحاج (٢) وممارة (٣) فإنه لا يجيء منه شيء ..
 وإذا كان المريد في مجمع من الفقراء ، إما في سفر أو حضر ، فينبغي أن لا
 يخالطهم في الظاهر ، لا في أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة . بل يخالفهم
 بسرهم وقلبه ، فيحفظ قلبه مع الله عز وجل ، وإذا أشاروا عليه بالأكل ، مثلاً ،
 يأكل لقمة أو لقمتين ، ولا يعطي النفس شهوتها .
 وليس من آداب المريدين كثرة الإوراد في الظاهر ، فإن القوم في مكابدة
 إخلاء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفى الغفلة عن قلوبهم . لا في تكثير أعمال
 والذي لابد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة .

فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم .
 ورأس مال المريد : الاحتمال عن (٤) كمال أجد ، بطيبة النفس ، وتلقى ما يستقبله
 بالرضا ، والصبر على الضر والفقر ، وترك السؤال والمعارضة في القليل والكثير
 فيما هو يحظ به .

ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق ، فإن من اشتبه ما يشتهي الناس ،
 فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس : من كد اليمين ، وعرق الجبين .
 وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لم يجده
 قبله إما في النوم وإما في اليقظة ، أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع ، أو معنى
 يشاهد مما يكون نقضاً للعادة ، فينبغي أن لا يشتغل بذلك (٥) ألته ، ولا يسكن إليه ،
 ولا ينبغي له أن ينتظر حصول أمثال ذلك ، فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه .
 ولا بد له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن
 ذلك .

ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره ، فيكتم عن غيره أمره ، ويصغر ذلك
 في عينه (٥) ، فإن ذلك كله اختبارات ، والمساكنة إليها مكر ، فليحذر المريد عن
 ذلك ، وعن ملاحظتها ، وليجعل همهته فوق ذلك .

(١) غضب .

(٢) مجادلة .

(٣) عن معنى من .

(٤) أي بما وجدته في خلوته .

(٥) أي يزهد فيه ويأمره بالإعراض عنه لئلا يقف عنده فيختل سلوكه ، وليرغبه في الأرق .

واعلم أن أضر الأشياء بالمريد : استثناسه مما يلقي إليه في سره من تقرّيات الحق سبحانه له ، ومنتته عليه بأنّي خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك ، فإنه (١) لو قال (٢) بترك هذا فمن قريب سيختطف عن ذلك (٣) مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة . وشرح هذه الجملة (٤) بإثباته في الكتب متعذر .

ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين ، ثم يقيم عليه ، ولا يبرح عن سدة (٥) إلى وقت الإذن .

واعلم أن تقديم معرفة رب البيت - سبحانه - على زيارة البيت واجب ، فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت ، والشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة للبيت من هؤلاء القوم (٦) من غير إشارة إلى الشيوخ فهي (٧) بدالات نشاط النفوس ، فهم متوسمون (٨) بهذه الطريقة ، وليس سفرهم على أصل .

والذي يدل على ذلك : أنه لا يزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم ، فلو أنهم ارتحلوا من عند (٩) أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة .

ومن شرط المريد إذا زار شخصاً أن يدخل عليه بالحرمة (١٠) ، وينظر إليه بالحشمة ، فإن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة .

فصل

ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة ، بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم : فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعالى حده فيما يتوجه عليه من الأمر .

(١) أي المريد .

(٢) أي عزم وصمم .

(٣) أي يفتح عليه بما هو أعظم .

(٤) أي حملة ما يلقي إلى المريد في سره من تقرّيات الحق .

(٥) باب داره .

(٦) بمعنى الفقراء .

(٧) أي سفرتهم .

(٨) أي مظهرون على أنفسهم علائها .

(٩) أي خرجوا على رغبات أنفسهم .

(١٠) بالأدب والاحترام .

والعلم كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول .

فصل

وكل مريد بقي في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له محراز .

ولإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البر ، أو شخصاً دون شخص ، فهو متكلف في حاله ، وبالخطر أن يعود سريعاً إلى الدنيا ، لأن قصد المريد في حذف العلائق الخروج منها ، لا السعي في أعمال البر .

وتبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله ، وقنيتة (١) ، ثم يكون أسير حسرة .

وينبغي أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه ، حتى لا ينافر لأجله فقيراً ، ولا يضايق به أحداً ، ولو محوسياً .

فصل

وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته .
ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب (٢) ذلك ، ولو بعد حين .
ومن نخل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم (٣) شقاوته ، وذلك لا يخطئ .

فصل

ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث .
ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فإجماع الشيوخ ذلك (٤) عبد أهانه الله عز وجل ونخله ، بل عن نفسه شغله ، ولو بألف ألف كرامة أهله .
وهب أنه بلغ رتبة الشهادة ، لما في الخبر تلويح بذلك . أليس قد شغل ذلك للقلب بمخلوق .

(١) أي ما اقتناه .

(٢) أي عاقبة .

(٣) علامة .

(٤) أي الذي ابتلى بما ذكر .

وأصعب من ذلك : تهوين ذلك على القلب ، حتى يعد ذلك يسيراً ، وقد قال الله تعالى : « وتحسبونه هيناً . وهو عند الله عظيم » (١) .

وهذا الواسطي رحمه الله ، يقول : إذا أراد الله بهوان عبد القيام إلى هؤلاء الأتنان والحيف .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن أحمد النيجار يقول : سمعت أبا عبد الله الحصري يقول : سمعت فتحاً الموصلي يقول : صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال ، كلهم أوصوني عند فراقهم ، وقالوا لي : اتق مغاشرة الأحداث ومخالطتهم .

ومن ارتقى في حالة الباب (٢) عن حالة الفهيق ، وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضر ، وما قالوه (٣) من وساوس القائلين بالشاهد ، وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ ، لما كان الأولى بهم إسبال البستر على هواتفهم وآفانهم ، الصادرة منهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر .

فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ، ومخالطتهم ، فإن اليسير منه فتح باب الخذلان ، وبدء حال الهجران . ونعوذ بالله من قضاء السوء

فصل

ومن آفات المريد : ما يتداخل النفس من نخوي الجسد للإخوان ، والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة ، وحرمانه إياه ذلك .

وليعلم أن الأمور قسم (٤) وإنما يتخلص العبد عن هذا بالكتفائه بوجود الحق ، وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه

فكل من رأى أيها المريد قدم الحق ، سبحانه ، رتبته فأحمل أنت غاشيته (٥) ، فإن الظرفاء من القاصدين (٦) على ذلك استمرت سنتهم .

(١) آية ١٥ من سورة النور .

(٢) أي باب صحبة الأحداث .

(٣) والأولى أن يقال « وما قاله » .

(٤) جمع قسم (بكسر القاف وإسكان السين) أي حظ ونصيب .

(٥) كناية عن الخضوع .

(٦) للوصول إلى الله .

فصل

وأعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه في جمع إيثار الكل بالكل^(١) ، فيقدم الجائع والشبعان على نفسه ، ويتلمذ لكل من أظهر عليه الشيخ ، وإن كان هو أعلم منه ، ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته ، وتوصله إلى ذلك بطول^(٢) الحق ومنته .

فصل

وأما آداب المريد في السماع ؛ فالمريد لا تسلم له الحركة في السماع بالاختيار البتة ؛ فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر ، فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون ، فإن استدام الحركة مستحلياً للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح^(٣) ، فإن تعود ذلك يبقى متخلفاً لا يكشف بشيء من الحقائق ، فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه .

وفي الحملة إن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله ، مريداً كان أو شيخاً ، إلا أن تكون ببشارة من الوقت ، أو غلبة تأخذه عن التمييز . فإن كان مريداً أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته^(٤) فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله .

وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة في الحركة فيساعدتهم في القيام ، وفي أداء ما لا يجد منه بدأ مما يراعى عن^(٥) الاستيحاش لقلوبهم^(٦) .

ثم إن صدقه في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤا لهم عند المساعدة معهم . وأما طرح الخرقة فحق المريد أن لا يرجع في شيء خرج منه البتة ، اللهم إلا أن يشير عليه شيخ بالرجوع فيه ، فيأخذه على نية العارية بقلبه ، ثم يخرج عنه بعده من غير أن يستوحش قلب ذلك الشيخ .

(١) إلى إيثار جميع الناس بكل ما معه .

(٢) بفضل الله .

(٣) أي لم يصح سماعه .

(٤) أي لأجلها .

(٥) عن بمعنى في .

(٦) أي في طرق البعد عنهم .

وإذا وقع بين قوم عاداتهم طرح الخرقه ، وعلم أنهم يرجعون فيها ، فإن لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمة ، وكان طريق هذا المريد أن لا يعود في الخرقه فالأحسن له أن يساعدهم في الطرح ، ثم يؤثر به القول إذا رجعوا هم فيها (١) ، ولو لم يطرح ؛ فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإن القبيح إنما هو سنتهم في العود إلى الخرق ، لا في مخالفته لهم . على أن الأولى الطرح على الموافقة ، ثم ترك الرجوع فيه .

ولا يسلم للمريد البتة التقاضى (٢) على (٣) القول ؛ لأن صدق حاله يحمل القول على التكرار ، ويحمل غيره على الافتضاء .

ومن ترك مريد فقد جار عليه ، لأنه يضره لقله قوته ، فالواجب على المريد ترك تربية الحياه (٤) عند من قال بتركه وإثباته .

فصل

وإن ابتلى مريد بجاه ، أو معلوم ، أو صحبة حدث ، أو ميل إلى امرأة ، أو استنامة إلى معلوم ، وليس هناك شيخ يدلّه على حيلة يتخلص بها من ذلك ، فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع ، ليشوش على نفسه تلك الحالة .

ولا شيء أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم .

ومن آداب المريد : أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته (٥) ، فإنه إذا تعلم سر هذه الطائفة ، وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحقيقه بها بالمنازل والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني ، ولهذا قال المشايخ : إذا حدث العارف عن المعارف (٦) ، فجهلوه ، فإن الأخبار عن المنازل دون المعارف . ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم ، لا صاحب سلوك .

(١) أى في خرقهم .

(٢) أى الطلب .

(٣) أى لا ينبغي له أن يطلب منه تكرار ما الشده .

(٤) أى أسباب الظهور .

(٥) أى منزلته .

(٦) أى المعلوم .

فصل

ومن آداب المريدين : أن لا يتعرضوا للتصدر ، وأن يكون لهم تلميذ ومريد فإن المريد إذا صار مراداً ^(١) ، قبل خمود بشريته وسقوط آفته ، فهو محبوب عن الحقيقة ، لا تنفع أحداً إشارته وتعليمه .

فصل

وإذا خدم المريد الفقراء فخواتر الفقراء رسلهم إليه ، فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة ، وبذل الوسع والطاقة .

فصل

ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه ، وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم . ثم لا يحمدون له أثراً . فيعتذر إليهم من تقصيره . ويقر بالحناية على نفسه ؛ تطبيقاً لقلوبهم . وإن علم أنه برىء الساحة ، وإذا زادوه في الجفاء ، فيجب أن يزيدهم في الخدمة والسبر .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول : إن في المثل : « إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سنداناً » . وفي معناه أنشدوا :

ربما جئته لأسلفه العذر لبعض الذنوب قبل التجنى

فصل

وبناء على هذا الأمر وملاكه ، على حفظ آداب الشريعة ، وصون اليد عن المد إلى الحرام والشبهة ، وحفظ الحواس عن المحظورات ، وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات ^(٢) ، وأن لا يستحل مثلاً سمسة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ، ووقت الراحة ؟ .

ومن شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات ، فان من وافق شهوته عدم صفوته .

(١) أى مراداً للخلق ليتفخوا به .

(٢) أى ليتعد عن الغفلات ، والتعبير كناية عن التفرغ لعبادة الله .

وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها الله تعالى .

فصل

ومن شأن المريد : حفظ عهوده مع الله تعالى ، فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر .

ولا ينبغي للمريد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه ، فإن في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع : قال الله تعالى في صفة قوم : « ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها » (١) .

فصل

ومن شأن المريد : قصر الأمل ؛ فإن الفقير ابن وقته . فإذا كان له تدبير في المستقبل ، وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت ، وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء .

فصل

ومن شأن المريد : أن لا يكون له معلوم وإن قل ، لا سيما إذا كان بين الفقراء ؛ فإن ظلمة المعلوم تطفىء نور الوقت .

فصل

ومن شأن المريد ، بل من طريقة سالكي هذا المذهب : ترك قبول رفق النسوان ، فكيف التعرض لاستجلاب ذلك ؟ .

وعلى هذا درج شيوخهم ، وبذلك نفذت وصاياهم .
ومن استصغر هذا (٢) ، فعن قريب يلقي ما يفتضح فيه .

فصل

ومن شأن المريد : التباعد عن أبناء الدنيا ، فإن صحبتهم سم مجرب .. لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم ، قال الله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » (٣)

(١) من آية ٢٧ من سورة الحديد .

(٢) أى الحكم السابق وهو قبول عطايا النساء .

(٣) من آية ٢٨ من سورة الكهف .

وإن الزهاد يخرجون المال عن (١) الكيس تقرباً إلى الله تعالى ، وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحقّقاً بالله تعالى .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، رضى الله تعالى عنه :

فهذه وصيتنا إلى المريدين ، نسأل الله الكريم لهم التوفيق ، وأن لا يجعلها ووبالا علينا .

وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة في أوائل سنة : ثمان وثلاثين وأربعمئة ، نسأل الله الكريم أن لا يجعلها حجة علينا ووبالا ، بل تكون لنا وسيلة ونوالا ، إن الفضل منه مألوف ، وهو بالعفو موصوف .

والحمد لله حق حمده ، وصلواته ، وبركاته ، ورحمته على رسوله سيدنا محمد النبي الأمي وآله الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتخبين ، وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الرسالة القشيرية

الموضوع	صفحة
من تراثنا الروحي (الرسالة القشيرية) للدكتور محمود بن الشريف .	٤
تقديم .	٧
رسالة الإمام القشيري إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام .	١٧
— الباب الأول : (أقطاب الصوفية وعلم التوحيد) .	٢٤
— الباب الثاني : (بيان عقائد أقطاب التصوف في مسائل التوحيد) .	٣٨
— الباب الثالث : (في ذكر مشايخ الطريقة وسيرهم وأقوالهم في تعظيم الشريعة) .	٤٢
أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور .	٤٣
أبو الفيض ذو النون المصري .	٤٥
أبو علي الفضيل بن عياض .	٤٧
أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي .	٤٩
أبو الحسن سري بن المفلس السقطي .	٥١
أبو نصر بشر بن الحارث الحافي .	٥٤
أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي .	٥٧
أبو سليمان داود بن نصير الطائي .	٥٩
أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي .	٦١
أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي .	٦٣
أبو محمد سهل بن عبد الله التستري .	٦٥
أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني .	٦٧
أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان .	٦٨
أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ .	٧٠
أبو حامد أحمد بن خضروية البلخي .	٧١
أبو الحسين أحمد بن أبي الخواري .	٧٢
أبو تراب عسكر بن حصين النخشي أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد .	٧٣
أبو محمد عبد الله بن خبيق .	٧٥
أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي وأبو السري منصور بن عمار .	٧٦
أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار .	٧٧
أبو القاسم الجنيد بن محمد .	٧٨
أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الجبري .	٨١
أبو الحسين أحمد بن محمد النوري .	٨٣

الصفحة	الموضوع
٨٤	أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ...
٨٥	أبو محمد رويم بن أحمد ...
٨٦	أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ...
٨٧	أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير ...
٨٨	أبو عبد الله عمر بن عثمان المكي وسمنون بن حمزة ...
٩٠	أبو عبيد البري وأبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى ...
٩١	يوسف بن حسين ...
٩٢	أبو عبد الله محمد بن علي الترمذى وأبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى ...
٩٣	أبو سعيد بن عيسى الخراز ...
٩٤	أبو عبد الله محمد بن اسماعيل المغربي وأبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق ...
٩٥	أبو الحسن علي بن سهل الأصهباني ...
٩٦	أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري ...
٩٧	أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي . وأبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص ...
٩٨	أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز ...
٩٩	أبو الحسن بنان بن محمد الحمال وأبو حمزة البغدادى النزاز ...
١٠٠	أبو بكر محمد بن موسى الواسطي ...
١٠١	أبو الحسن ابن الصائغ ...
١٠٢	أبو اسحاق إبراهيم بن داود الرقي وممشاد الدينوري ...
١٠٣	خير النساج ...
١٠٤	أبو حمزة الخرساني ...
١٠٥	أبو بكر دلف بن حيدر الشبلي ...
١٠٦	أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش ...
١٠٧	أبو علي أحمد بن محمد الرودياري وأبو محمد عبد الله بن منارل ...
١٠٨	أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفى ...
١٠٩	أبو الخير الأقطع وأبو بكر محمد بن علي الكتاني ...
١١٠	أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجوري ...
١١١	أبو الحسن علي بن محمد المزين . وأبو علي بن الكاتب ...
١١٢	مظفر القره سيني ...
١١٣	أبو بكر عبد الله بن طاهر الأهرى . وأبو الحسن بن بنان ...
١١٤	أبو اسحاق إبراهيم بن شيبان القره سيني . وأبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار ...
١١٥	أبو سعيد بن الأعرابي . وأبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري ...
١١٦	أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير ...

الصفحة	الموضوع
١١٧	أبو العباس السيارى . وأبو بكر محمد بن داود الدينورى
١١٨	أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى
١١٩	أبو عمرو إسماعيل بن نجيد . وأبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى
١٢٠	أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى
١٢١	أبو الحسين بن دار بن الحسين الشيرازى
١٢٢	أبو بكر الطمستانى . وأبو العباس أحمد بن محمد الدينورى
١٢٣	أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى
١٢٤	أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصرابازى
١٢٥	أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البقرى
١٢٦	أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروزبارى
١٣٠	— الباب الرابع (فى تفسير الألفاظ التى تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها)
١٣٠	الوقت
١٣٢	المقام
١٣٣	الحال
١٣٥	القبض والبسط
١٣٨	الهيئة والأنس
١٣٩	التواجد ، الوجود ، والوجد
١٤٤	الجمع والفرق
١٤٦	جمع الجمع
١٤٨	الفناء والبقاء
١٥٠	الغيبة والحضور
١٥٣	الصحو والسكر
١٥٥	الذوق والشرب
١٥٦	المحو والإثبات
١٥٧	الستر والتجلى
١٥٩	المخاضرة ، والمكاشفة ، ثم المشاهدة
١٦٠	اللوائح ، والطوايع ، والوامع
١٦٢	البوادة واللجوم . . التلوين والتمكين
١٦٥	القرب واليعد
١٦٧	الشريعة والحقيقة
١٦٨	النفس
١٦٩	الخواطر
١٧١	علم اليقين . . وعين اليقين . . وحق اليقين

الصفحة	الموضوع
١٧٢	الوارد .. الشاهد ..
١٧٤	النفس
١٧٥	الروح
١٧٦	السر
١٧٨	— الباب الخامس : (التوبة)
١٨٨	— الباب السادس : (المجاهدة)
١٩٦	— الباب السابع : (الخلوة والعزلة)
٢٠٢	— الباب الثامن : (التقوى)
٢١٠	— الباب التاسع : (الورع)
٢١٨	— الباب العاشر : (الزهد)
٢٢٦	— الباب الحادى عشر : (الصمت)
٢٣٤	— الباب الثانى عشر : (الخوف)
٢٤٤	— الباب الثالث عشر : (الرجاء)
٢٥٤	— الباب الرابع عشر : (الحزن)
٢٥٨	— الباب الخامس عشر : (الجوع وترك الشهوة)
٢٦٤	— الباب السادس عشر : (الخشوع .. والتواضع)
٢٧٤	— الباب السابع عشر : (مخالفة النفس وذكر عيوبها)
٢٨٠	— الباب الثامن عشر : (الحسد)
٢٨٤	— الباب التاسع عشر : (الغيبة)
٢٨٨	— الباب العشرون : (القناعة)
٢٩٤	— الباب الحادى والعشرون : (التوكل)
٣١٠	— الباب الثانى والعشرون : (الشكر)
٣١٨	— الباب الثالث والعشرون : (اليقين)
٣٢٤	— الباب الرابع والعشرون : (الصبر)
٣٣٢	— الباب الخامس والعشرون : (المراقبة)
٣٣٨	— الباب السادس والعشرون : (الرضا)
٣٤٤	— الباب السابع والعشرون : (العبودية)
٣٥٠	— الباب الثامن والعشرون : (الإرادة)
٣٥٦	— الباب التاسع والعشرون : (الاستقامة)
٣٦٠	— الباب الثلاثون : (الإخلاص)
٣٦٦	— الباب الحادى والثلاثون : (الصدق)
٣٧٢	— الباب الثانى والثلاثون : (الحياء)
٣٧٨	— الباب الثالث والثلاثون : (الحرية)

الصفحة	الموضوع
٣٨٢	— الباب الرابع والثلاثون : (الذكر)
٣٩٠	— الباب الخامس والثلاثون : (الفتوة)
٣٩٨	— الباب السادس والثلاثون : (الفراسة)
٤١٠	— الباب السابع والثلاثون : (الخلق)
٤١٨	— الباب الثامن والثلاثون : (الجود والسخاء)
٤٢٨	— الباب التاسع والثلاثون : (الغيرة)
٤٣٦	— الباب الأربعون : (الولاية)
٤٤٢	— الباب الحادى والأربعون : (الدعاء)
٤٥٢	— الباب الثانى والأربعون : (الفقر)
٤٦٤	— الباب الثالث والأربعون : (التصوف)
٤٧٢	— الباب الرابع والأربعون : (الأدب)
٤٧٨	— الباب الخامس والأربعون : (أحكامهم فى السفر)
٤٨٦	— الباب السادس والأربعون : (الصحبة)
٤٩٢	— الباب السابع والأربعون : (التوحيد)
٥٠٠	— الباب الثامن والأربعون : (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)
٥١٠... ..	— الباب التاسع والأربعون : (المعرفة بالله)
٥١٧	— الباب الخمسون : (المحبة)
٥٣٢	— الباب الحادى والخمسون : (الشوق)
٥٣٨	— الباب الثانى والخمسون : (حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم)
٥٤٢	— الباب الثالث والخمسون : (السماع)
٥٦٢	— الباب الرابع والخمسون : (كرامات الأولياء)
٦٠٤	— الباب الخامس والخمسون : (رؤيا القوم)
٦١٨	— الباب السادس والخمسون : (الوصية للمريدين)

